



٥٩٤

تفسيره نام سبدر

ملا شريف مرتضى



وقف السلطان الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم
مفخر العدل والإحسان وموضح أحوال الأمور بالرشد والعرفان
السلطان ابن السلطان السلطان أبو المكارم والإحسان
عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان أيد الله تعالى دولته الظاهرة
وخلد خلافته الباهرة وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم حنيف
المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه



التاجران يفتقرانه النوايب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق
وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في اكله ويسرع الى كل ما تتوق اليه
نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا المريض ايضا لكن لما كان
المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك
حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي
واشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة
العليا من الفصاحة وان كان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله
على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله صح
افصح الكلام والوجه الرابع ان تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون
تلخيصها اذا امرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا
اهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان
يكون شاهدا لصحة هذا التاويل من القرآن قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والطهارة انما تجب قبل القيام
الى الصلوة وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم
معك وقيام الطايفة معه يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها هي
الاتيان بجميعها على الكمال فاما قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال امّرنا
وقراءة من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن
الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون
ما تضمنه الآية هو الامر الذي يستدعي به الفعل تاويل خبر روى عن
النبي صلى الله عليه واله انه قال من تعلم القران ثم نسيه لقي الله وهو اجذم
قال ابو عبيد القسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث
الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس وما كنت الا مثل قاطع كفه
بكف له اخرى فاصبح اجذما وقد خطأ عبد الله بن مسلم ابن قتيبة
ابا عبيد في تاويله هذا الخبر فقال الاجذم وان كان المقطوع اليد فان

هذا

هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات من الله تعالى لا تكون
الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف
يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى الذين ياكلون الربا لا يقومون الا
كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تاويل الآية ان
الربا اذا اكلوه ثقل في بطونهم وربا فاذا نهضوا فهم يخفل قيامهم مثل من
يتخبطه الشيطان تغيرا وتخبلا واستشهد ايضا بما روى عن النبي صلى
الله عليه واله من قوله رايت ليلة اسرى بي قوما تقرض شفاههم و
كلما قرضت وفت فقال لي جبرئيل هؤلاء خطباء امتك تقرض شفاههم لانهم
يقولون ما لا يفعلون قال فالاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز ان
يسمى المجذوم اجذم لان الجذام يقطع اعضاءه ويشذبها والجذم هو القطع
وقد اخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وان كان
غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلطه فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن
نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما اوردناه اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له
ادنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وانما اراد عليه السلام بقوله يحشر
اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن
من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان
اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير
من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع
والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي القرآن و
مضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا له من الثواب
وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه
فلان اجذع وقد بقي بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع تضعضع
طودا وائل بعد مالك واصبح منها معطس العز اجذعا وانما اراد المعنى

الذى ذكرناه وللعرب ملاحن فى كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات
بالمعانى متى لم يفهمها ويسرع الى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم وتاويل
خطابهم كان ظالما لنفسه متعديا طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره
الرجلان ● اما ابو عبيد فانه خطاه من حيث لم يفطن للغرض فى الخبر و
ضل عن وجهه والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا
الموضع ● واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كان شبهة التى اوقعته فى هذا
التاويل ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس
كما ظن لان الجذم اولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم اولياه
والصالحين من عباده ويقطع اعضاهم بالامراض وقد يبتدئ خلق فهو
ناقص الاعضاء فليس بلازم فى الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسى
القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن باسره فرضا واجبا وحتما لازما
لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب ● وليس حفظ جميع القرآن كذلك فاما
ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه فى الخبر الذى ذكرناه ومن حيث
ظن ان العقوبة لا تكون الا فى محل الذنب وهذا القول يوجب عليه الا يجلد
ظهر الزانى وتختص العقوبة بفرجه ● وكذلك القاذف كان يجب ان يعاقب
فى لسانه دون سائر اعضائه والخبر الذى استشهد به حجة عليه لانا نعلم
ان اللسان اقوى حظا فى باب الكلام من الشفة فلم لم تختص العقوبة به
وحلت بالشفاه دونه ثم تغلط فى تاويل الآية التى اوردها اقبح من كل ما تقدم
لانه توهم ان ما تضمنته الآية من تخبط آكل الربوا وتعثره عند القيام انما هو
فى الدنيا من حيث يثقل ما اكله فى معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة
خلاف ذلك ونجد كثيرا من آكلى الربا اخف نهوضا واسرع قياما ونهوضا
من غيرهم ممن لم ياكل الربوا قط ● والمعنى فى الآية ما ذكره المفسرون
من ان ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار

والزلل والتخبط على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من الملائكة
والخزنة على الفرق بين الولى والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف
ولا ظاهر ان الاجذم هو المجذوم ● ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى
الجذم الذى هو القطع يوجب عليه ان يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق اوصاله
كالجدرى والاكلة وغيرهما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه اجذم وهذا باطل
● فاما قول الشاعر حرق قيس على البلاد حتى اذا اضطرمت اجذما فليس
من هذا الباب بل هو من الاجذام الذى هو الاسراع فكانه قال لما اضطرمت اسرع
عنى وتباعد منى والاجذام بالذال المعجمة وبالدال غير المعجمة جميعا الاسراع فاما قول
عنترة فى وصف الذباب هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم
على الزناد وهذا من حسن التشبيه وواقعه مسئلة قال الشريف المرتضى رضى
الله عنه ● كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع ان يمكن الله تعالى من الظلم
من يعلم انه يرد القيمة غير مستحق لشئ من الاعواض او لما يوازى القدر المستحق
عليه منها ● فاذا اراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول
ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لان العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله
ولا يجرى فى ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف
● لا يجوز ان يكون موقوفا على ما يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تعالى
من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الا بامر واجب والتفضل
لفاعله ان لا يفعله فتؤل الحال الى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله تعالى انه
● يرد القيمة ولا اعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون
ان يمكن من الظلم من يكون فى الحال غير مستحق للعوض او غير مستحق للقدر الذى
● يوازى الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد القيمة وقد استحق
من الاعواض ما يوازى ما عليه منها قال الشريف المرتضى رضى الله عنه ● وهذا
القول يعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو فى الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التى

فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة
الكعب لا من صفة الزناد فكانه قال
قدح الكعب الاجذم صح

ابطلنا بها قول من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف وغير
المكلف لا يجب وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم لهذا الظالم قد
بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن و قد تعلق الانتصاف على هذا
القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكايته قوله بما ليس بواجب وليس لهم
ان يقولوا ذلك يحسن لان الله تعالى اذا علم انه يبقيه فيستحق اعواضا لان عليهم مثل ذلك
اذا قيل لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله تعالى انه
يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله تعالى بانه يبقى من لا عوض له
يستحق العوض لا يخرج التبقية من ان يكون غير واجبة فاستوى الامران
والصحيح ان يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال يستقيم
الكلام ويطرد مجلس ثان تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا و قد ظن قوم
من غفلة الملحدين وجهالهم ان الجواب عما يسئل عنه في هذه الآية لم يحصل وان
الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع
لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المدافعة والمحاجزة عن الجواب وفي هذه الآية
وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه و تدل على ما جهلوه اولها انه تعالى انما علل
عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه
تعالى اليهم لازدادوا فسادا وعنادا اذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين
وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير من الاحوال فمن يسألنا عن الشيء ان العدول
عن جوابه اولى واصلح في تدبيره و قد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا
محمدا عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا
ذلك فامره الله بالعدول عن ذلك ليكون علما له و دلالة على صدقه وتكذيبا
لليهود الرادين عليه و هذا جواب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي و
ثانيها ان القوم انما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة ام ليست كذلك

فاجابهم

فاجابهم بانها من امر ربي وهو جوابهم عما سألوا عنه بعينه لانه لا فرق بين
ان يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من امر ربي انما اراد بها
من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب ان يكون الروح التي سألوا عنها
هي التي بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلام ام جبرئيل عليه السلام فقد
سمى الله تعالى جبرئيل عليه السلام روحا وعيسى عليه السلام ايضا مسمى
بذلك في القرآن وثالثها انهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى
الله تعالى القرآن روحا في مواضع من الكتاب واذا كان السؤال عن القرآن
فقد وقع الجواب موقعه لانه قال لهم ان الروح الذي هو القرآن من امر ربي ومما
انزله على نبيه عليه السلام ليجعله دلالة وعلما على صدقه وليس من فعل
المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا جواب الحسن البصري ويقويه
قوله تعالى بعد هذه الآية ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا فكانه تعالى قال ان القرآن من امري وفعلي ومما انزلته
علما على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل
فيما يفعله قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قال ابو مسلم محمد بن بحر
الاصبهاني في قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها
من كل شيء موزون قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما
ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في
باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن اعم من الكيل والوجه الآخر
ان في الوزن معنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقا
يسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله
على معنى الكيل وهذا قول ابي مسلم ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها
غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة
فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث

ونظير ذلك من كلامهم كلام فلان موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما
يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تاول المفسرون ذكر الموازين في القرآن
على احد التاويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب قال الشاعر
لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر والهراء الكثير والنزر
القليل فكانه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى
ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري وحديث الذه
هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما
كان لحنا وهذا الوجه الذي ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى في الآية واليق
بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم فاما
قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن احيانا فلم يرد اللحن في الاعراب
الذي هو ضد الصواب وانما اراد الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول
عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقول الشاعر
ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقد قيل ان اللحن
الذي عني في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلى الله
عليه واله انه قال لعل احدكم ان يكون الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها
ومما يشهد لما ذكرناه ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني
قال حدثنا احمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا
علي بن اسمعيل اليزيدي قال اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال تكلمت هند بنت
اسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها اتلحنين وانت شريفة في بيت
قيس قالت اما سمعت قول اخي مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت
قال منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا فقال لها الحجاج
انما عنى اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية
فاصلحي لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه قال ان اللحن مستحسن

في النساء

في النساء الغرائر وليس بمستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال
واستشهد بابيات مالك بعينها وظن انه اراد باللحن ما يخالف الصواب
وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف
بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر بها من لحن ان اصيب في كتابه قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك
بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره على انه اراد اللحن في الاعراب وانما اراد وصفها
بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال له قد
فطنت لذلك بعد فقلت فغيره من كتابك فقال فكيف لي بما سارت به الركبان
قال الصولي فهو في كتابه على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض
والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن
الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني العنبر حصل اسيرا في بكر بن وائل
فسالهم رسولا الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على
غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجيء بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل
قال اراك عاقلا واشار بيده الى الليل فقال الليل قال اراك عاقلا ثم ملا كفيه
من الرمل فقال كم هذا فقال لا ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر النجوم ام النيران
فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في
من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء وأمرهم
ان يعروا ناقتي الحمراء فقد طالما ركبوها وان يركبوا جملي الاصهب
بآية ما اكلت معكم حيسا واسئلوا عن خبري اخي الحرث فلما ادى العبد
الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا
اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد
انذركم اما قوله ادبى العرفج يريد ان الرجل قد استلئموا ولبسوا السلاح

وقوله شكت النسآء اى اتخذن الشكاء للسفر ● وقوله الناقة الحمراء اى
ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمّان وهو الجبل الاصهب ● وقوله اكلت
سعكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن
والاقط ● فاستلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه مجلس آخر تأويل خبر روى ابو
عبيد القسم بن سلام فى كتابه غريب الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا ● قال ابو
عبيد قد تأول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر فى الدنيا
وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى فى سائر الناس ●
من الغنى والفقر ولا تميز بينهما قال والصحيح انه اراد الفقر فى يوم القيامة
واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد
من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى
والزلف عنده ● قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث
خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر فى الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا
فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال
الدنيا واعراضها ● وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب لانه
يستر الفقر كما يستر الجلباب او التجفاف البدن قال ويشهد لصحة هذا
التأويل ما روى عنه عليه السلام من انه رأى قوما على باب فقال يا قنبر
من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال مالى لا ارى فيهم سيماء الشيعة قال
وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون
من البكاء هذا كله قول ابن قتيبة ● والوجهان جميعا فى الخبر حسنان ●
وان كان الوجه الذى ذكره ابن قتيبة احسن وانصع ويمكن ان يكون
فى الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة ●

الفقر

الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه
حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير مفقور
وبه فقرة وكل شئ حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة
وقيل سيف مفقر فيحمل القول على انه عليه السلام اراد من احبنا فليزم نفسه و
ليخطمها وليقدها الى الطاعات ويصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات
وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل ذلك بالبعير ●
الصعب ● وهذا وجه ثالث لم يذكر وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض
ما يحتمله اذا كان شاهد من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى ●
تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعانى ويجوز
ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه
فان مراده مغيب عنه ● واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام
فصل ● قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وممن كان من مشهورى الشعراء
ومتقدميهم على مذاهب اهل العدل ذو الرمة ● واسمه غيلان بن عقبة ●
وكنيته ابو الحرث ● وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو فى صفة الوتد ●
اشعث باقى رمة التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل ● ويقال حبل ارمام
اذا كان ضعيفا باليا ● وقيل انما لقب بذى الرمة لانه كان وهو غلام يفزع
فجاء به امه بمن كتب له كتابا وعلقه عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد
بمذهبه فى العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنا ابن
دريد قال حدثنا ابو عثمان الاشنانداني عن التوزى عن ابى عبيدة قال اختصم
رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابى بردة ● فقال رؤبة والله ما فحص طائر ●
افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة
والله ما قدر الله على الذئب ان يأكل حلوبة عيايل ضرايك قال رؤبة افبقدرته ●
اكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب

على رتب الذنب وهذا خبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه
فاما العيايل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرايك جمع ضريك
وهو الفقير قال الشريف المرتضى رضى الله عنه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا احمد بن محمد المكى عن ابى العيناء عن الاصمعى عن اسحق بن سويد قال
انشدنى ذو الرمة وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل
الخمر فقلت له فعولين خبر الكون فقال لى لو سبّحت ربحت انما قلت وعينان فعولان
وصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بهذا الكلام من القول
بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثنى احمد بن خالد النخاس قال حدثنى محمد بن القسم ابو العيناء قال
حدثنا الاصمعى قال لما انشد ذو الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين
بالالباب ما تفعل الخمر وهو يريد كونا فكانتا فعولين خبر كانتا قال له عمرو بن
عبيد ويحك قلت عظيما فقل فعولين بالالباب فقال له ذو الرمة ما ابالى اقلت
هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت
كنت جاهلا قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وممن روى انه كان على
مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد
بقوله استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا وممن قيل انه كان على
مذاهب الجبر من المشهورين ايضا لبيد بن ربيعة العامرى واستدل بقوله
إنّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَل وباذن الله ريثى وعجل من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء اضل وان كان لا طريق الى نسب الجبر الى مذهب
لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله فباذن الله ريثى وعجل
فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتاول عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن
اى بعلمه فان قيل فى هذه الآية انه اراد تخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك
فى اللغة امكن مثله فى قول لبيد فاما قوله من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل

ان يكون

ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتاول عليها الضلال والهدى المذكور
فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد
فى الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتاول هذا التاويل بل يحمل مراده
على موافقة المعروف من مذهبه **مسئلة** قال الشريف المرتضى رضى الله عنه
اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفى الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه
الابصار وهو اللطيف الخبير وبينوا انه تعالى تمدح بنفى الادراك الذى هو رؤية
البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقت
من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه فى نفى
الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم تمدح
تعالى بنفى الرؤية فقط وانما تمدح بنفى الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين
وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب
منها ما لا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان
ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما لا يرى فثبت المدحة
لله تعالى بتضمن الآية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان يكون صفة لا تقتضى المدحة
بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح
بانه شئ عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة فى وصف الذات بانها شئ
وموجودة وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى
مدحا فكذلك لا مدحة فى نفى الرؤية عمن تثبت له من حيث كانت بانفرادها لا
تقتضى مدحا **فاجاب** اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع فى الصفة
ان يكون لا تقتضى مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا
ذلك بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم وان نفى السنة والنوم ههنا انما يكون تمدحا
اذا انتفى عمن هو بصفة احياء وان كان بانفراده لا يقتضى مدحا لمشاركة ذوات
كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشئ والوجود وبين ما ذكروه

من حيث لا تأثير لها تينك الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة
للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا
فلا بدّ فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل
تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم
من الذات وليس بموجود اكثر مما يثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون
الا غير متناه والثاني لا يكون الا متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير
الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي
يمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون
ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان
ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله
دواع اليه ولا بدّ في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون مدحا من ان
يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يخصص
وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم
وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدعه داع الى الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه
في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بدّ من شرط يجري مجرى الاثبات
وهو ان تقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب حاجته ودواعيه
فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الآية انما يتعلق بنفي الادراك
عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ولا يحمل كل واحدة من الصفتين تقتضي
المدح مجتمعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس يمكن ان تقتضي
الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم
والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص
في هذا الموضع اولى واحسم للشبه مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل فقال ما تقولون
في قوله تعالى حكاية عن موسى عم فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع

آخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى والثعبان
هو الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة
واحدة وكيف يجوز ان يكون العصا في حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات
وبصفة ما صغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام الجواب
اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل
بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء
النبوة وقبل مصير موسى عليه السلام الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها
ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا
اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا
السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لاعتقادهم
ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة
الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن
بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب لاجله لان الاولين لا يكون
الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة في تأويلها
احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها
وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها
وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة
حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه
بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال
الله سبحانه ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا
من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه
اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب
الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية والبقرة ونحن نعلم

ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع
التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون وجه والجواب الثاني انه تعالى
لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد واحد الجن فكانه تعالى خبر بان
العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول
المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى فلما رآها تهتز كانها جان ولى
مدبرا ولم يعقب يا موسى ويمكن ان يكون للآية تاويل آخر استخرجناه ان لم يزد
على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار
في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية
صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج
ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا التاويل ولا يختلف حكمهما
وتكون الآية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون
الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب
العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل
على هذا الوجه كيف تصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا
يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس تفيد الآية ما ظن
وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه
لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباين ما بين كونه نطفة وكونه
خصيما مبينا وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط
من اعلى الحائط فاذا هو في الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه
ضيعته زمانا وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط
وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد آية
اخرى قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني

آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده
ان تاويل هذه الآية ان الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع
ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته واستشهدهم على انفسهم وهذا التا
ويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لان الله تعالى قال واذ
اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال
ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيمة انهم كانوا
عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم انهم نشاوا على دينهم وسنتهم
وهذا يقتضي ان الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه وانها انما تناولت
من كان له اباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بني آدم فهذا
شهادة الظاهر ببطلان تاويلهم فاما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه
الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخوطبت وقررت من ان
تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك فان كانت
بالصفة الاولى وجب ان يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم
ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل لا ينسى ما جرى
هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف احدنا في بلد
من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر
احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت
يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء بين احوال العقلاء
يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجري
مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل ان ينسى
ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء

لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا
بصفة الاطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم
ينقض الغرض فى الآية • وذلك ان الله تعالى اخبر بانه انما قررهم واشهدهم لئلا
يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عنهم فيه • فاذا جاز
نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة عنهم وزوالها • وان كانوا على الصفة التاسعة
من فقد العلم وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار
ذلك عبثا قبيحا يتعالى الله عنه • فان قيل قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها
الصحيح عندكم قلنا فى الآية وجهان • احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة
من ذرية بنى آدم خلقهم وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام
بمعرفته وما يجب من طاعة فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين • او يعتذروا بشرك ابائهم • وانما اتى من اشتبه
عليه تاويل الآية من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا
وليس الامر كما ظن لانا نسمى جميع البشر بانهم ذرية آدم وان دخل فيهم
العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم • ولفظ الصالح لا يطلق الا على
من كان كاملا عاقلا • فان استبعدوا تاويلنا وحملنا الآية على البالغين
المكلفين فهذا جوابهم • والجواب الثانى • انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل
على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والايات والدلائل
فى غيرهم وفى انفسهم كان بمنزلة المُشهِد لهم على انفسهم وكانوا فى مشاهدة
ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذى اراده الله تعالى وتعذر
امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المعترف وان لم يكن هناك
اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى الى
السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين

وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب • ومثله قوله تعالى شاهدين
على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما لما
ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل
هذا قولهم جوارحى تشهد بنعمتك وحالى معترفة باحسانك وما روى عن
بعض الحكماء سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان
لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة فى النظم
والنثر يغنى عن ذكر جميعها القدر الذى ذكرناه منها • تاويل خبر • قال ابو عبيد
القسم بن سلام فيما يروى عن النبى صلى الله عليه وآله ليس منا من لم يتغن
بالقران • قال اراد يستغنى به • واحتج بقولهم تغنيت تغنيا • وتغانيت
تغانيا • وانشد بيت الاعشى • وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ
طويل التغن • وقول الآخر كلانا غنى عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد
تغانيا • واحتج بقول ابن مسعود • من قرا سورة آل عمران فهو غنى اى
مستغن • وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها
فى آخر الليل والصعلوك الفقير • واحتج بحديث آخر يروى عن النبى صلى الله
عليه وآله وهو انه قال لا ينبغى لحامل القرآن ان يظن ان احدا اعطى افضل
مما اعطى لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القرآن افضل مما ملكه • و
واحتج ايضا بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد فى بيته
فاذا مثال رث ومتاع فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منا
من لم يتغن بالقرآن قال ابو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان
التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال الفراش قال الشاعر
بكل طوال الساعدين كانما يرى بسرى الليل المثال الممهدا يعنى الفراش
قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان
من لم يرجع بالقران فليس منه عليه السلام • وذكر عن غير ابى عبيد

جواب آخر وهو انه عليه السلام اراد من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع
فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب
قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته
فقال مرحبا يا بن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وقوله عليه السلام فابكوا
او فتباكوا دليل على ان التغني التحسين والترجيع وروى عن النبي صلى الله عليه
وآله انه قال لا يأذن الله لشئ من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين بالقرآن
ومعنى قوله يأذن يستمع . يقال اذنت للشئ آذن اذنا اذا استمعت له . قال
الشاعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا وقال
عدي بن زيد العبادي ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن وانما
حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله
وهند اتى من دونها النأى والبعد فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه
ثلاث لغات دد على مثال دم ودداً على مثال فتى وددن على مثال حزن
ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل
كيف يحمل قوله لا يأذن الله لشئ كأذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو
تعالى سامع لكل مسموع فاي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسماع
ههنا مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه عليه السلام قال ان الله
تعالى لا يتقبل او يثيب على شئ من اهل الارض كتقبله وثوابه على كذى وكذى
ومن هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما
يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذي انشدناه يشهد بذلك لانه قال
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ونحن نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير
والشر معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد بن

القسم

القسم الانباري وجها ثالثا في الخبر قال اراد عليه السلام من لم يتلذذ بالقرآن
ولم يستحله ولم يستعذب كاستحلاء اصحاب الطرب للغناء والتذاذهم
به وسمى ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل بالتغني بالغناء وذكر ان ذلك
نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات
العرب وانشد بيت النابغة بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على
فنن تغنى فشبه صوتها لما اطرب بالغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت
مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس وجواب ابي عبيد احسن
الاجوبة واسلمها وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهيات
وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الافعال
الشاقة فكيف يكون ملذا مشتهى فان عاد الى ان يقول قد تستحلى التلاوة
من الصوت الحسن والجواب هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه
وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن ان يكون في الخبر وجه رابع
خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلام يتغنى من غني الرجل بالمكان
اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها
اي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل
ملك ثابت الاوتاد وقول الاعشى الذي انشده ابو عبيد وهو وكنت
امرأ زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن بطول المقام اشبه منه
بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك
فكان الاعشى اراد انني كنت ملازما لوطني مقيما بين اهلي لا اسافر للانتجاع
والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري اولاد
جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم
ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه

من لم يقم على القرآن ولا يجاوزه الى غيره ولا يتعدّاه الى سواه ويتخذه مغنى
ومنزل مقام فليس منا ● ليس قد يعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر
ادلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه ● ليس في ذلك تعد للقرآن لانّ
القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها
في شئ من الاحكام لا يكون متجاوزاً للقرآن ولا متعديا له ● فاما قوله عليه السلام
ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة ●
اذا حاولت في اسد فجورا ● فاني لست منك ولست مني ● وقيل انه اراد ليس
على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو بعيد بجواب
ابي عبيد البق لانه محال ان يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وآله وملته من
لم يحسّن صوته بالقرآن ويرجع فيه اولم يتلذذ بتلاوته ويستحليها ● واعلم
ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفة لانهم بينوا انّ النظر ليس
يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته ● ودلوا على انّ النظر ينقسم الى
اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلبا لرؤيته
ومنها النظر الذي هو الانتظار ● ومنها النظر الذي هو التعطف
والرحمة ● ومنها النظر الذي هو الفكر والتامل ● وقالوا اذا لم يكن في اقسام
اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها التعلق واحتجنا جميعا الى
طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب
وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب
معروفة وسلم بعضهم انّ النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على
اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا
الكلام مشروح في مواضعه ● وقد بينا ما يورد عليه وما يجاب به

عن الشبهة

عن الشبهة المعترضة فيه في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الآية حكي
عن بعض المتأخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر او الى تقدير محذوف
ولا يحتاج الى منازعتهم في انّ النظر يحتمل الرؤية ● او لا يحتملها بل يصح
الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب او الرؤية
بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها على انه اراد به نعمة ربها لان الآلاء النعم
وفي واحدها اربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل رمى والى مثل معا ● والى
مثل حسى ● قال اعشى بكر بن وائل ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا
يخون الى ● اراد به لا يخون نعمة فاراد بالى ربها نعم ربها واسقط التنوين للاضافة
اي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه اريد بها الى ربها ناظرة
يعني رائية لنعمه وثوابه ● ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى
حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي جواب الذي ذكرناه
لا يفتقر الى تقدير محذوف لانّ الى فيه اسم تتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير
محذوف غيره تأويل خبر ● ان قال قائل ما تأويل قوله تعالى وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ● فظاهر الكلام
يدل على انّ الايمان انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم فان حمل
الاذن هاهنا على ارادة اقتضى ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعالى منه
وهذا ايضا بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا
يعقلون ● ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب ●
وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اكثر اهل الجنة
البله الجواب يقال له في قوله الا باذن الله وجوه ● منها ان يكون الاذن الامر
ويكون معنى الكلام انّ الايمان لا يقع من احد الا بعد ان يأذن الله فيه
ويأمر به ولا يكون معناه ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه
ويجري هذا مجرى قوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم انّ

معنى قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في الآية التي
فيها ذكر الموت ان يكون المراد باذن العلم ومنها ان يكون الاذن هو
التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله تعالى يوفق لفعل الايمان
ويلطف فيه ويسهل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا
وكذى اذا استمعته وعلمته واذنت فلانا بكذى وكذى اذا اعلمته فيكون فائدة
الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وانه ممن لا يخفى عليه الخفيات
وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال
عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول
الشاعر ان همي في سماع واذن وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن
هو المصدر والاذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في انه مصدر والحذر
بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل
مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة ومنها ان يكون الاذن العلم
ومعناه اعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان وما يدعوا الى فعله فيكون
معنى الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الايمان
ويدعوها الى فعله فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل
لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما توهمه لانه
اذا قال ان الايمان لم يقع الا وانا مريد له لم ينف ان يكون مريدا لما لم يقع وليس في
صريح الكلام ولا في دليله شيء من ذلك فاما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون فلم يعن به الناقص العقول وانما اراد تعالى الذين لم يعقلوا ويعلموا
ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام
والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله تعالى صم
بكم عمي وكما يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مأمور
بعلمه بالجنون وفقد العقل فاما الحديث الذي اورده السائل شاهدا

له فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله ذي الغفلة والنقص
والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث
لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه
حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد اليه فلما كان
المتنزه عن الشر معرضا عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة
التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر ولقد لهوت بطفلة
ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها اراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كان
فطنة بغيرهما وقال ابو النجم العجلي من كل عجزاء سقوط البرقع بلهاء لم تحفظ
ولم تضيع اراد بالبلهاء ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع فاراد انها تبرز
وجهها ولا تستره ثقة بحسنها وادلالا بجمالها وقوله لم تحفظ اراد ان
استقامة طرائقها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدد
وموقف وقوله لم تضيع اراد به انها لم تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها
فلتشقى ومثل سقوط البرقع قول الشاعر فلما تواقفنا وسلمت اقبلت وجوه
زهاها الحسن ان تتقنعا ومثله ايضا بها شرق من زعفران وعنبر اطارت
من الحسن الرداء المحبر اي رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال ومثله وهو
مليح لهونا بمجول البراقع حقبة فما بال دهر لزنا بالوصاوص اراد بمجول
البراقع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة
النجلاء والعين النجلاء ثم قال فما بال دهر احوجنا واضطرنا الى القباح
اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار
في البراقع ومما يشهد للمعنى الاول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة
قول ابن الدمينة بأهلي وما لي من اذا عرضوا له ببعض الاذى لم يدر
كيف يجيب ولم يعتذر عذر البري ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب
ومثله ايضا احب اللواتي في صباهن غرة وفيهن عن ازواجهن

طماع مستّرات حب مظهرات عداوة تراهنّ كالمرضى وهنّ صحاح
ومثله يكتبين الينجوج فى كبد المشتى وبله احلامهنّ امّا قوله يكتبين وسام
فمأخوذ من لفظ الكباء وهو العود ارا د يتبخرن به والينجوج هو العود
ايضًا وفيه ست لغات ينجوج وانجوج ويلنجوج والنجوج ويلنجج
والنجج فامّا كبد المشتى فهو ضيقته وشدّته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان فى كبد وقد روى فى كبة المشتى والمعنى متقارب لانّ الكبة
هى الصّدمة والحملة مأخوذ من كبة الخيل فامّا الوسام فهى الحسان من الوسامة
وهى الحسن ويمكن ان يكون فى البله جواب آخر وهو ان نحمله على معنى
البله الذى هو الغفلة والنقصان فى الحقيقة ويكون معنى الخبر انّ اكثر اهل
الجنّة الذين كانوا بلهًا فى الدنيا فعندنا انّ الله تعالى ينعم الاطفال فى الجنّة و
المجانين والبهائم وانّما لم يجعلهم بلهًا فى الجنّة وان كان ما يصل اليهم من
النعيم على سبيل العوض والتفضل لا يفتقر الى كمال العقل لانّ الخبر ورد بانّ
الاطفال والبهائم اذا دخلوا الجنّة لم يدخلوها الّا وهم على افضل الحالات
واكملها فلهذا صرفنا عنهم البله فى الجنّة ورددناه الى احوال الدنيا والّا
فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه اياه فى باب الثواب والعقاب مجلس اخر تأويل خبر
قال الله سبحانه مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم
مشهود وما نؤخره الّا لاجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه
وقال فى موضع آخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفى موضع
آخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف
لانّ بعضها ينبئ عن انّ النطق لا يقع منهم فى ذلك اليوم ولا يؤذن
لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه وقال قوم من المفسرين فى تأويل هذه الآيات
انّ يوم القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنعوا النطق فى بعضه ويؤذن
لهم فى موضع آخر وهذا يضعف لانّ الاشارة الى يوم القيمة بطول فكيف

يجوز

يجوز ان نجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون قوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون فى بعضه والظاهر بخلاف ذلك وللجواب السديد
عن هذا ان يقال انّما اراد الله تعالى نفى النطق المسموع المقبول الذى ينتفعون
به ويكون لهم فى مثله عذر او حجة ولم ينف النطق الذى ليست هذه حاله
ويجرى هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا
فلم يقل شيئًا وان كان الذى وصف بالخرس عن الحجة والذى نفى عنه القول قد تكلم
بكلام كثير غير انّه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق
القول الذى حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر اعمى اذا ما جارتى خرجت حتى
يوارى جارتى الخدر ويصم عمّا كان بينهما سمعى وما بى غيره وقر وقول الآخر
لقد طال كتمانيك حتى كانّنى برد جواب السائلى عنك اعجم وعلى هذا التأويل
قد زال الاختلاف لانّ التساؤل والتلاوم لا حجة فيه فامّا قوله تعالى
ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل فيه انّهم غير مأمورين بالاعتذار
فكيف يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وانّما لم يؤمروا به من حيث كانت
تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة اهوالها الى الاعتراف
والاقرار واحسن من هذا التأويل ان نحمل يؤذن لهم على معنى انّه لا يستمع
لهم ولا يقبل عذرهم والعلة فى امتناع قبول عذرهم هى التى ذكرناه تأويل
خبر روى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انّه قال لا تسبّوا الدهر فانّ الله
هو الدهر وقد ذكر قوم فى تأويل هذا الخبر انّ المراد به لا تسبّوا الدهر فانّه
لا فعل له وانّ الله مصرفه ومدبّره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال
هو الدهر وفى هذا الخبر وجه هو احسن من الذى حكيناه وهو انّ الملحدين
ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من افعال الله تعالى
كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم
عظمته ويذمّون الدهر ويسبّونه فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا

انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبي صلى الله عليه واله عن ذلك
وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه الدهر فان
الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى
الدهر افعال الله تعالى وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد في قوم سادة من قومه نظر الدهر
اليهم فابتهل اى دعا عليهم وقال عمرو بن قمئة كاني وقد جاوزت تسعين
حجة خلعت بها عني عذار لجامي على الراحتين مرة وعلى العصا انوء ثلثا بعد
هن قيامي رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام اذا ما رآني الناس قالوا
الم تكن حديثا حديد الطرف غير كهام وافنى وما افنى من الدهر ليلة ولم يغن
ما افنيت سلك نظام واهلكني تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذاك
وعام وقال الاصمعي ذم اعرابي رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد
القراء حنتني حانيات الدهر حتى كاني خاتل ادنو لصيد قصير الخطو يحسب
من رآني ولست مقيدا اني بقيد وقال كثير وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
واخرى رمى فيها الزمان فشلت وقال آخر فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما ارمي
يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم وسلبتنا ما لست
تعقبنا يا دهر ما انصفت في الحكم اما قوله ووقرت في العظم فانما اراد
به اتخذت فيه وقرا ووقيرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون في الصفا
يستنقع فيها ماء المطر والوقب ايضا كذلك والوقيرة هي ايضا الحفرة
الا انها دون الاولين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا اشعارهم نسبوا
افعال الله تعالى التي لا يشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التأويل
الذي ذكرناه **مسئلة** اعلم ان المنافع التي عرض الله سبحانه الاحياء لها
ثلث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فاما المنفعة

على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها
ان يفعلها وله ان لا يفعلها واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة
من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها فاما منفعة الثواب فهي المستحقة
على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق
والثواب تبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان
التفضل اصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه لانه
لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء دون ان يكون حيا له شهوة والابتداء بخلق
الحياة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب
الا بعد تقدم التفضل فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض
لان الالام او ما جرى مجرى الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها
اعتبار يفضي الى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى
العبث ولهذا نقول ان الله سبحانه لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن
منه ان يبتدئ بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم
من عرض للمنافع الثلث ومنهم من عرض لاثنتين ومنهم من عرض
لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون منفوعا بالتفضل من الوجه
الذي قلنا لانه اذا خلق حيا وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب
التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله ان يكون منفوعا
بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف منا من الم يبتدؤه الله به فلا يكون معرضا
للعوض فمتى عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا
على تعريضه لاثنتين من المنافع ومجوزا تكامل الثلث له فاما من ليس
بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهي التفضل من حيث خلق حيا
وممكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه للعوض من الوجه الذي بيناه
وكما قطعنا على احدى المنافع فيه فنحن قاطعون ايضا على نفي التعريض للثواب

عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولابد في كل حي محدث ان يكون
معرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا ذلك من جهة حكمة
القديم تعالى لا من جهة انه يستحيل في نفسه وانما قلنا انه ليس يستحيل
في نفسه لان كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه
وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا
للضرر او لا لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة وا وجبنا
من جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا جعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو من
ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد شيئا فان كان الاول فهو الذي
اوجبناه وان كان الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الاول
يجري مجرى الظلم والثاني هو العبث بعينه وقد يشارك القديم في النفع
بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه في النفع
بالثواب لان الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون
الفعل شاقا عليه لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي
الى الدين ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب
وذلك ان المكلف قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون كل هداية
وارشاد يقع منا ولولا الصفة التي جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه
فبان الفصل بين الامرين على ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل وبالتعريض
للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه
لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لا يخلق الله الحياة والشهوة لم يكن
ما يوصل اليهما مما ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذ ولم يكن
لنا سبيل الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدنا مجلس اخر خامس
خامس ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون وتوريثه ٤
نعمهم كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض

وماكانوا

وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في
الحقيقة عليهما الجواب يقال له في هذه الآية وجوه اربعة من التأويل اولها
ان الله تعالى اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله وسل القرية
وفي قوله حتى تضع الحرب اوزارها واراد اهل القرية واصحاب الحرب ويجري
مجرى ذلك قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة وشر
المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اراد شر المنايا منية
ميت وقال آخر قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور اراد غنى
رب غفور وقال ذو الرمة لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها
وعبيدها اراد اهل مجلس فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء
والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبلة قوله سواسية
يريد انهم مستوون متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى
اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب
اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم
القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في
عظم الامر وشمول ضرره قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز الشمس طالعة ليست
بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقال يزيد بن مفرغ الحميري الريح
تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة وهذا صنيعهم في وصف كل امر جل
خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا
لفقد نور الشمس وضوءها قال النابغة تبدو كواكبه والشمس طالعة
لا النور نور ولا الاظلام اظلام وقال طرفة ان تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري
بالظهر ومن هذا قولهم لاريتك الكواكب بالنهار معناه اني اورد عليك ما يظلم
له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير ففيه قيل في انتصاب
النجوم والقمر وجوه ثلثة احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليست مع

طلوعها كاسفة بنجوم الليل والقمر لان عظم الرزية قد سلبها ضوءها
فلم ينافِ طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون انتصاب ذلك
كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطول المسند وما جرى مجرى
ذلك فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه
الثالث ان يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثي المفقود فبكتهن
اي غلبتهن بالبكاء كما يقول باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته
وفضلت عليه وثالثها ان يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم
ولا انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل حتى تأخذ بثاره وتقتل من كان
بواءً به من عشيرة القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار
على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن ورابعها ان يكون ذلك كناية عن
انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التأويل ما روى
عن ابن عباس رحمه الله في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قيل له
او تبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء
وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من مؤمن
الا وله باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه
ومعنى البكاء هٰهنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال
ابن مقبل لعمر ابيك لقد شاقني مكان حزنت له او حزن وقال مزاحم العقيلي
بكت دارهم من اجلهم فتهللت دموعي فاي الجازعين الوم امستعبرا يبكي
من الهون والبلى وآخر يبكي شجوه ويهيم فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين
اخبر الله سبحانه عن بوارهم مقام صالح في الارض ولا عمل كريم يرفع الى السماء
جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الآية وجه خامس
وهو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر
بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر

على مذهب العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحائب لقبور
من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة
فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل فينبت حوذانا وعوفا
منورا سأتبعه من خير ما قال قائل وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام
ومسألة الله تعالى لهم الرضوان والفعل الذي اضيف الى السماء وان كان لا يجوز
اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر لها فعل يصح
نسبه اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر يا ليت زوجك في الوغا
متقلدا سيفا ورمحا فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز
فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى اراد
ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم تعشب عليهم وكل هذا كناية
عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه تأويل خبر روى ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادومها
وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي صفته
عليه السلام الله تعالى بالملل وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه
لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر فانك سوف تحكم او تناهى اذا ما
شبت وشاب الغراب اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه
به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التأبيد قلنا معلوم ان الملل لا يشمل
البشر في جميع آرائهم واوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة وامل وطمع
فهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى انه لا يكون بمللهم والوجه الثاني ان يكون المعنى
انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة
في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على
مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه

قال عدي بن زيد العبادي ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي
بالرجال وقال عبيد بن الابرص الاسدي سائل بناجر بن ام قطام اذ
ظلت به السمر الذوابل تلعب فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها وقال
ذو الرمة وابيض موشي القميص نصبته على خصر مقلاة سفيه جديلها
فسمي اضطراب زمامها وشدة تحركه سفها لان السفه في الاصل هو الطيش
وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما
قوله وابيض موشي القميص فانما عني به سيفه وقميصه جفنه والمقلاة
الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم
فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى
مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وان اختلفا
في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما اراد المجازاة على
الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوي
وهم وغلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله لا يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا
يكون له معنيان احدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا
عن طاعته لان الملة هي مشتوى الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها
اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد والمعنى
الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم رفقا بكم حتى تملوا
حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم وروي انه قيل
للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا لم احسد على شيء منه
الا ليلى الاخيلية في قولها ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء
سقيما حتى اذا برز اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما لا تقربن

الدهر يودي بالرجال وقال عبيد بن الابرص سائل بناجر بن ام قطام اذ
ظلت به السمر الذوابل تلعب فنسبا اللعب الى الدهر والقنا تشبيها وقال ذو
الرمة وابيض موشي القميص نصبته على خصر مقلاة سفيه جديلها
فسمي اضطراب زمامها وشدة تحركه سفها لان السفه في الاصل هو الطيش
وسرعة الاضطراب والحركه وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما
قوله وابيض موشي القميص فانما عني به سيفه وقميصه جفنه والمقلاة
الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع
عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمي
فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة الازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة
وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن
كلثوم التغلبي الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما اراد
المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به والوجه الرابع ان يكون
الراوي وهم وغلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله لا يمل بالضم لا بالفتح و
على هذا يكون معنيان احدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته
وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي مشتوى الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها
يملها اذا استواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد
والمعنى الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم رفقا بكم حتى
تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم والمحارم وتتابعكم في المآثم وروي انه
قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا لم احسد على شيء
منه الا ليلى الاخيلية في قولها ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت
من الحياء سقيما حتى اذا برز اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

لا تقربن الدهر ال مطرف لاظالما ابدا ولا مظلوما قال على انى قد قلت ورکب
كان الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب سروا يخبطون الليل وهى
تلفهم الى شعب الاكوار من كل جانب اذا ابصروا نارا يقولون ليتها وقد
خصرت ايديهم نار غالب وليست ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى بل هى
اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق
مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والافراط فى استحسان
مستحسنه وقد روى ان الكميت بن زيد الاسدى لما عرض على الفرزدق
ابياتا من قصيدته التى اولها انصرم الحبل حبل البيض ام تصل وكيف والشيب
فى فوديك مشتعل والابيات لما عبأت لقوس المجد اسهمها حيث الجد وعلى
الاحساب تنتضل احرزت من عشرها تسعا وواحدة فلا العمى لك من رامٍ
ولا الشلل الشمس ادتك الا انها امرأة والبدر اداك الا انه رجل حسده
الفرزدق فقال له انت خطيب وانما سلم له الخطابة ليخرجه عن اسلوب
الشعر ولما بهره حسن الابيات وافرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها
جملة عدل فى وصفها الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه
بجيده من ادل دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه وانه كان يطرب
للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل ايضا على انصافه
فيه وانه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيرا من الناس قد يبلغ
بهم الهوى فى الاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر او فضل الى
ان يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير
ولابيات الفرزدق التى ذكرناها خبر مشهود متداول اخبرنا ابو عبيد الله
المرزبانى قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة عن
يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر

فقال

فقال له سليمان انشدنى فانشده الابيات التى ذكرها فاسود وجه سليمان
وغاظه فعله وكان ظن انه ينشده مديحا له فلما رأى نصيب ذلك قال الا
انشدك فانشده اقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا اخبرونى عن سليمان اننى لمعروفه من اهل ودان طالب فعاجوا فاثنوا
بالذى انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب فقال له سليمان انت
اهل جلدتك وفى بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك فى نصيب لما ساله عنه
سليمان وروى ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال له سليمان احسنت
ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول وخير الشعر اكرمه
رجالا وشر الشعر ما قال العبيد ولا شبهة فى ان ابيات الفرزدق مقدمة
فى الجزالة والرصانة على ابيات نصيب وان كان نصيب قد غرب وابدع فى
قوله ولو سكتوا المتافة اثنت عليك الحقائب الا ان ابيات نصيب وقعت
موقعها ووردت فى حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت فى غير وقتها وعلى
غير وجهها فلهذا قدمت ابيات نصيب والفرزدق مع تقدمه فى الشعر
وبلوغه فيه الى الذروة العليا والغاية القصوى شريف الاباء كريم البيت له ولابائه
مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وانما لقب
بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين
وقيل انها الخبزة الغليظة التى تتخذ منها النساء الفتوت واسمه همام بن غالب
وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى فى شبابه بابى مكية وهى اغرب كنيتيه وكان
شيعيا مائلا الى بنى هاشم ونزع فى اخر عمره كان عليه من القذف والفسق وراجع
طريقة الدين على انه فى خلال فسقه لم يكن منسلخا من الدين جملة ولا مهملا
لامره اصلا ومما يشهد بذلك ما اخبرنا به على بن محمد الكاتب عن ابى بكر محمد بن يحيى
الصولى عن ابى حفص القلاس عن عبد الله بن سوار عن معوية بن عبد الكريم عن ابيه
قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتاملت

الامر فاذا هو مقيد الرجل فسالته عن السبب فى ذلك فقال انى اليت على نفسى
ان لا انزع القيد من رجلى حتى احفظ القران واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال
اخبرنا ابو ذر القراطيسى قال حدثنا ابن ابى الدنيا قال حدثنى الرياشى عن الا
صمعى عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال
والله لله احب الى من عينى هاتين افتراه يعذبنى بعدها وروى انه تعلق
باستار الكعبة وعاهد الله تعالى على ترك الهجا والقذف الذين كان ارتكبهما وقال
الم ترنى عاهدت ربى واننى لبين رتاج قايما ومقام على حلفة لا اشتم الدهر
مسلما ولا خارجا من فى زور كلام اطعتك يا ابليس سبعين حجة فلما انقضى
عمرى وتم تمامى فررت الى ربى وايقنت اننى ملاق لايام الحتوف حمامى وروى
الصولى عن الحسين بن الفياض عن ادريس بن عمران قال جاءنى الفرزدق فذا
كرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله فقال له رجل الك هذا الرجاء
والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال اترونى
لو اذنبت الى ابوى اكانا يقذفاننى فى تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل
كانا يرحمانك قال فانا والله برحمة ربى اوثق منى برحمتهما واخبرنا ابو عبيد الله
المرزبانى قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا عبد الله بن ابى سعد الوراق
قال حدثنى محمد بن محمد بن سليمان الطفاوى قال حدثنى ابى عن جدى
قال شهدت الحسن البصرى فى جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان
الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت
لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله مذ ثمانون سنة فقال له الحسن
هذا العمود فاين الطنب وفى رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم
قال الفرزدق فى الحال اخاف وراء القبر ان لم يعافنى اشد من الموت
التهابا واضيقا اذا جاءنى يوم القيمة قائد عنيف وسواق يسوق
الفرزدقا لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مشدود القلادة

ازرقا يقاد الى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لباسا محرقا قال فرأيت
الحسن يدخل بعضه فى بعض ثم قال حسبك ويقال ان رجلا رأى الفرزدق
بعد موته فى منامه فقال له ما فعل بك ربك قال عفا عنى بتلك الابيات
فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بنى هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله المرز
بانى قال حدثنى عمر بن داود العمانى قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابى
قال حدثنا مهدى بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى
الفرزدق فقال له يا عم انى قد قلت قصيدة اريد ان اعرضها عليك فقال
له قل فانشده طربت وما شوقا الى البيض اطرب فقال الفرزدق الى من
طربت ثكلتك امك فقال له ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب
ولم تلهنى دار ولا رسم منزل ولم يتطربنى بنان مخضب فقال له الام طربت
فقال ولا انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب ولا السا
نحات البارحات عشية امر سليم القرن ام مر اعضب فقال الى من طربت
لا ام لك فقال الكميت ولكن الى اهل الفضائل والنهى وخير بنى حواء
والخير يطلب فقال له الفرزدق هؤلاء بنو دارم فقال الكميت الى النفر
البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابنى اتقرب فقال الفرزدق هؤلاء
بنو هاشم فقال الكميت بنى هاشم رهط النبى فاننى بهم ولهم ارضى مرارا
واغضب فقال له الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا
ومما يشهد لذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا الحسن
بن محمد قال حدثنى جدى يحيى بن الحسن العلوى قال حدثنا الحسين بن
محمد بن طالب قال حدثنى غير واحد من اهل الادب ان على بن الحسين
عليهما السلام حج فاستجهر الناس جاله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا
فقال الفرزدق هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم اذا رأته
قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهى الكرم يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا
حين يبتسم اى القبائل ليست فى رقابهم لاولية هذا اوله نعم من يشكر الله
يشكر اوليّة ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم وفى رواية الغلابى ان هشام
بن عبد الملك حج فى خلافة عبد الملك والوليد وهو حدث السن فاراد ان
يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل
على بن الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس
وجها واطيبهم ريحا بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت
فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما
فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه
الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق
وكان لذلك حاضرا لكنى اعرفه وذكر الابيات وهى اكثر مما رويناه تركناها لانها معروفة
قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة
وبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق اثنى عشر
الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا فى هذا الوقت اكثر
منها لوصلناك به فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت
الذى قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئا وردها
واقسم عليه فى قبولها وقال له قد رأى الله مكانك وعلم نيتك وشكر
لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق
يهجو هشاما وهو فى الحبس فمما هجاه به قوله تحبسنى بين المدينة
والتى اليها قلوب الناس يهوى منيبها يقلب رأسا لم يكن رأس سيد

وعينا له حولاء باد عيوبها مجلس اخر سادس ان سأل سائل فقال ما عندكم
فى تأويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه الآية يقتضى انه تعالى
ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف
ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلوا من ان يكون عنى انه للاختلاف
خلقهم او للرحمة فلا يجوز ان يعنى الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون
بلفظة ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم
كان رجوعه الى الاختلاف اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث
لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله الا من
رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف على ان الرحمة
هى رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدى بها ما ذكرنا لم
يعن بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا
مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن
منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين الجواب يقال له اما قوله تعالى ولو
شاء ربك فانما عنى به المشية التى ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشية على
سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا
يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على ما اراده
منهم فاما لفظة ذلك فى الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الا
ختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث
علمنا انه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه
فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه فاما شهادة
اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظة
على اقرب المذكورين اليها اولى فى لسان العرب فاما ما طعن به السائل

ونعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لانكون الا مؤنثة فباطل
لان تأنيث الرحمة غير حقيقي واذا كني عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى
لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا ستر في كلمتك يريدون ستر في كلامك
وقال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت
الخنساء فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها ارادت الرزء
وقال امرؤ القيس برهرهة رؤدة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر ولم
يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال آخر هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقفتي
بناقة سعد والعشية بارد فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر
قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من
ليس له ناصر فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة
وقال زياد الاعجم ان الشجاعة والمروة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح
ويروى ان السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء فقال ضمنا
ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران
والعرب تقول قصارة الثواب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل
وهو مذكر قال الفرزدق تجوب بنا الفلاة الى سعيد اذا ما الشاة في الارطاة
قالا فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهي
شجر ينبت في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوي اليه قال الشماخ
اذا الارطى توسد ابرديه خدود جوازئ بالرمل عين وقوله الا من
القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة
يدل ايضا على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن ان يرحم كان
التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى
ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة
ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى وما

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة معناه انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا
في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل
ايضا يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم
للمصير اليها والوصول الى نعيمها فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في
الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم محمد بن بحر
في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين
يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا
كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم افعل كذا ما اختلف
العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست
رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من
احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم به وان لم يعلم منه رقة قلبه
عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم
الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لا رقة
عنده اكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من
الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك فوجب
ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في الاصل
ما ذكرتم ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه كنظائره وقد وصف الله
القران بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا بأس في القران ما ظنوه
وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما تجاوره الرحمة التي هي النعمة
في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد
عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب

ويل

النعم وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة
وان لم يسقط عنه ضرراً ولا تجاوز له عن زلة وانما سمى العفو عن الضرر وما جرى
مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر يجرى مجرى النعمة
بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ما ضمنه السائل
سؤاله **فان قيل** اذا كانت الرحمة هى النعمة وعندكم ان نعم الله تعالى شاملة
للخلق اجمعين فاى معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت
الرحمة هى النعمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهى عندكم
شاملة عامة **قلنا** لا شبهة فى ان نعم الله سبحانه شاملة للخلق اجمعين
غير ان فى نعمه ايضاً ما يختص بها بعض العباد اما الاستحقاق او
لسبب يقتضى الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا رحم ربك على النعمة
بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لا يكون الا مستحقه
لمن استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل
اليها وان حملنا الرحمة فى الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذى
وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضاً مختصة لانه تعالى
انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن فى معلومه ان لهم توفيقا
وان فى الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعمة
ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع
من اختصاص هذه **تاويل خبر** روى ابو مسعود البدرى عن النبى
صلى الله عليه وآله انه قال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم
تستحى فاصنع ما شئت وفى هذا الخبر وجوه من التاويل ثلثة احدها
ان يكون معناه اذا عملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحيى من الناظرين
اليك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان
فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام

بحدوده

بحدوده وحقوقه واذا اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه
الثانى ان من لم يستحى من المعائر والمخازى والفضائح صنع ما شاء والظاهر
ظاهر امر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله
لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار
عن كبر الذنب فى اطراح الحياء ويجرى مجرى قولهم بعد ان فعل فلان كذا كذا
وكذا فليفعل ما شاء وبعد ان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى
المبالغة فى عظم ما ارتكبه وقبيح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون
معنى الخبر اذا لم تفعل ما يستحيى منه فافعل ما شئت فكان معنى الخبر اذا
لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لانه لا قبيح من ضروب القبايح الا والحياء
يصاحبه ومن شان فاعله اذا قرع به ان يستحيى منه فمتى جانب
الانسان ما يستحيى منه من افعاله فقد جانب سائر القبايح وما عدا
القبايح من الافعال فهو حسن ويجرى هذا مجرى خبر يروى فيما اظن عن نبينا عليه
واله السلام ان رجلا جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال له عليه
السلام اشترط عليك الا تكذبنى ولن اسئلك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب
خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبايح وشرط على نفسه ذلك
فلما انصرف فجعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول ارايت لو سالنى عنه النبى صلى الله
عليه وآله ما كنت قائلا له لاننى ان صدقته افتضحت وان كذبته نقضت
العهد بينى وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه سائر القبايح وهكذا معنى
الخبر الذى تاولناه لان فى اجتناب ما يستحيى منه اجتنابا لسائر القبايح
تاويل خبر روى محمد بن الحنفية عن ابيه عليه السلام قال كان قد كثر على مارية
القبطية ام ابرهيم عليه السلام فى ابن عم لها قبطى كان يزورها ويختلف اليها
فقال لى النبى عليه السلام خذ هذا السيف وانطلق فان وجدته عندها
فاقتله قلت يا رسول الله اكون فى امرك اذا ارسلتنى كالسكة المحماة امضى

لما امر نبي ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته
عندها فاخترطت السيف فلما اقبلت نحوه عرف اني اريده فاتى نخلة فرقي
اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه اجب امسح ماله مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وآله
فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت قال رض في هذا الخبر
احكام وغريب ونحن نبدأ باحكامه ثم نتلوه بغريبه فاول ما فيه ان لقائل
ان يقول كيف يجوز ان يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة بغير
بينة وما يجري مجراها والجواب عن ذلك ان القبطي جائز ان يكون من اهل
العهد الذين اخذ عليهم ان يجري فيهم احكام المسلمين وان يكون الرسول
عليه السلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية فخالف واقام على
ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهود من اهل الكفر مؤذن بالمحاربة
والمؤذن بها مستحق للقتل فاما قوله عليه السلام بل الشاهد يرى ما
لا يرى الغائب فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لانه لا معنى في هذا
الموضع لرؤية البصر فكانه عليه السلام قال بل الشاهد يعلم ويضح له
من وجه الرأي والتدبر ما لا يضح للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل
الرجل على كل حال وانما جاز منه عليه السلام ان يخير بين قتله والكف عنه
ويفوض الامر في ذلك الى امير المومنين عليه السلام من حيث لم يكن قبله
من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان
ناقض العهد ممن الى الامام القائم بامور المسلمين اذا قدر عليه قبل
التوبة عليه ان يقتله او يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاؤه
ان مجرد امر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى
ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه في حسنها ووقوعها موقعها

دلالة على انه لا يقتضي ذلك ومما فيه ايضا من الاحكام دلالته على انه
لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل فلا يوجد من النظر اليها
بد اما الحد يقام او لعقوبة تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن
الا عن تأمل ونظر وانما جاز التأمل والنظر ليتبين هل هو ممن شهد
عليه بالزنا وادعى انه مجبوب ان يأمر بالنظر اليه ويتبين امره وبمثله امر
النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بني قريظة لانه امر ان ينظروا الى
مؤتزر كل من اشكل عليهم امره فمن وجدوه قد انبت قتلوه ولولا جواز
النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة بالزنا لان من رأى رجلا مع
امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل امرهما حق التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا
ايقتله فقال صلعم لا حتى يأتي باربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء اذا
حضروا ان يتعمدوا النظر الى عورتيهما لاقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم
تقم شهادة الزنا لان من شرطها مشاهدة العضو كالميل في المكحلة فان قيل
كيف جاز لامير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن اي جهة آثره
لما وجده اجب واي تأثير لكونه اجب فيما استحق به القتل وهو نقض
العهد قلنا انه عليه السلام لما فوض اليه الامر في القتل والكف كان
له ان يقتله على كل حال وان وجده اجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه
من نقض العهد وانما آثر الكف الذي كان اليه ومفوضا الى رأيه لازالة
التهمة والشك الواقعين في امر مارية ولانه اشفق من ان يقتله فيتحقق
الظن ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف اولى لما ذكرناه
فاما غريب الحديث فقوله شغر برجليه يريد رفعهما واصله في وصف
الكلب اذا رفع رجله للبول فاما نكاح الشغار وقد قيل الشغار بالفتح
فهو ان يزوج الرجل من هو ولي لها من بنت او اخت غيره على ان يزوجه

بنته او اخته بغير مهر وكان احد العرب فى الجاهلية يقول للآخر شاغرنى
اى زوجنى ازوجك واظنه مأخوذ من الشغر الذى هو رفع الرجل لان
النكاح فيه معنى الشغر فسمى هذا العقد شغارا ومشاغرة لافضائه
فى كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر وصار اسماً لهذا النكاح كما قيل
فى الزناء سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء اى يسكبانه والماء هو النطفة
ويمكن ان يكون ايضا الماء الذى يغتسلان به فكنى بذلك عن الزنا ثم صار
اسما له وعلما عليه ومن الشغر الذى هو رفع الرجل قول زياد لابنة
معاوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها
الى ابيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها اشغرا وفخرا فاما
قول الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار فاما
من غرب شعره وفسره قال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول وقوله
له تقذ الفصيل برجلها اى تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن
على الحلب واراد بتقذ اى تبالغ فى ايلامه وضربه ومنه الموقوذة واما قوله
فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلث اصابع والقوادم هى
الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر اخلافها يمنع من حلبها ضبّاً
والضب هو الحلب بالاصابع الاربع فكانه لا يمكن فيها لقصر اخلافها الا
الفطر ومعنى البيت تعييره لنساء جرير بانهن راعيات وذلك مما تعير
به العرب النساء الا ترى الى قوله قبل هذا البيت كم عمة لك يا جرير وخالة
فدعاء قد حلبت على عشارى كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا ولهاً اذا
سمعت دعاء يسار ثم تلا ذلك بقوله شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة
لقوادم الابكار قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وعندى ان قوله شغارة
كناية عن رفع رجلها للزنا وهو اشبه بان يكون مراده فى هذا الموضع
الا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء

بسار ويسار اسم راع وكانه وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك
حفظ ما استحفظته من اللقاح فالاشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه
عقيب البيت الذى ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما قولهم ذهبوا
شغر بغر فليس من هذا فى شئ وانما يراد به انهم ذهبوا متفرقين متشتتين
ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد وشعاليل وشغارير وايادى
سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما قوله فاذا انه اجب فيعنى به المقطوع
الذكر لان الجب هو القطع ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد
ظن بعض من تاول هذا الخبر ان الاسح ها هنا هو القليل لحم الالية كالارصع
والارسح والازل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى فى الخبر
وانما اراد تأكيد الوصف له بانه اجب والمبالغة فيه لان قوله امسح يفيد
انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى اجب زيادة ظاهرة اخبرنا ابو
عبيد الله المرزبانى قال حدثنا القسم بن الحسين الوراق قال حدثنى سليمان
بن داود الطوسى قال حدثنى سوار بن عبد الله القاضى عن الاصمعى قال دخلت
على الرشيد فى الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان
ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل له ما
انت ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب ومين قيل له ما انت ابن ثلث
قال قليل اللبث وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات قيل له
ما انت ابن اربع قال عتمة ام ربع وقيل عتمة ام الربع غير جائع ولا مرضع
قيل ما انت ابن خمس قال عشا خلفات قعس ويقال حديث وانس ويقال
سر ومس قيل ما انت ابن ست قال سر وبت وقيل حدث وبت قيل
ما انت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدى لانس ذى الجمع وقيل حديث
جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فى الجزع قيل ما انت ابن ثمان
قال قمر اضحيان قيل ما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يلتقط فى

الجزع وقيل الودع وقيل عشية اهل جمع قيل ما انت ابن عشر قال ثلث
الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل ودنك الى الفجر وقيل ابادر الفجر قيل ما انت
ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وارى بكرة وقيل اغيب بسحرة
قيل ما انت ابن اثنتي عشرة قال مونق للبشر بالبدو والحضر قيل ما انت
ابن ثلث عشرة قال قمر باهر يعشي له الناظر قيل ما انت ابن اربع عشرة
قال مقتبل الشباب اضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء للسحاب قيل ما انت
ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب قيل ما انت ابن ست عشرة
قال نقص الخلق بالغرب والشرق قيل ما انت ابن سبع عشرة قال امكنت
المقتفر القفرة قيل ما انت ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء
قيل ما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بين الخشوع قيل ما انت ابن
عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة وقيل ثم اهجن بالبهرة قيل ما انت ابن
احدى وعشرين قال اطلع كالقبس يرى بالغلس قيل له ما انت ابن اثنتين
وعشرين قال لا اطلع الاريث ما ارى قيل له ما انت ابن ثلث وعشرين قال
اطلع في قتمة ولا اجلوا الظلمة قيل له ما انت ابن اربع وعشرين قال لاقمر
ولا هلال قيل ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل
ما انت ابن ست وعشرين قال دنا ما دنى فلا يرى منى الا شفا قيل ما انت
ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا قيل ما انت ابن ثمان و
عشرين قال اسبق شعاع الشمس قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال
ضئيل صغير فلا يراني الا البصير قيل ما انت ابن ثلثين قال هلال مستنير
قال الاصمعي ثم قلت للرشيد يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال
الا عاقل فقال الخذ عني قلت هات فاعاده حتى بلغ قيل له ما انت ابن
ثمان قال قمر اضحيان اما قوله رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى
ان القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرحلون

جعلوه

فقاقع في الافق بمقدار هذا الزمان وقوله حل اهلها برميلة اظن ان المعنى فيه
الاخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لان الرمل ليس بمنزل مقام للقوم
لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض وهضبها والاماكن التي لا تستولي
السيول عليها الخضر الرميلة لهذا المعنى وقوله حديث امتين بكذب وبين
بريدان بقاءه قليل بمقدار ما تلتقي الامة الامة فتكذب لها حديثا ثم تفترقان
وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على
غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات وقوله عتمة ام ربع
يقال عتمت ابله اذا تأخرت عن العشاء ومن هذا سميت صلوة العتمة
لانها آخر الوقت في العشاء وقوله ام ربع يعني الناقة وهو تأخير حلبها يريد
ان بقاءه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في اول الربيع وهو اول النتاج
والولد في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا فان كان انثى قيل ربعة فان
كان في آخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة وقوله عشاء خلفات قعس
فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن واحدتها خلفة وهي واحدة المخاض
ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لا تعتني الى ان
يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن
وقوله سروبت يريد انه لا يبقى الا بقدر ما يبيت الانسان ثم يبيت وقوله قمر
اضحيان اي ضاح بارز ويقال قمر اضحيان بالتنوين فيهما جميعا وقمر
اضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة اضحيانة اذا كانت نقية البياض
وقوله منقطع الشسع اراد به انه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشي
به حتى ينقطع وقوله تلتقط في الجزع اي انه مضيء ابلج لو انقطعت مخنقة
فتاة فيها شذور مفصلة بجزع ما ضاع منها شيء لضيائه ونقائه وقوله
اضيء بالبهرة يعني به وسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله امكنت
المقتفر القفرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار ومقتفراته مواضعه التي

بقصدها مجلس آخر سابع ان سأل سائل عن قوله تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الآخرة
عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلام بان الخلق يحشرون كما
بدءوا سالمين من الافات والعاهات وقال الله تعالى كما بدأنا اول خلق
نعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال عز وجل فبصرك اليوم
حديد الجواب يقال له في هذه الآية اربعة اجوبة احدها ان يكون العمى
الاول انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي اراها الله
تعالى المكلفين في انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الا
يمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب او عقاب
وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك
في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر و
البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان في هذه اعمى يعني عن هذه النعم وعن هذه العبر
فهو في الآخرة اعمى اي هو عما غيب عنه من امر الآخرة اعمى ويكون قوله في هذه
كناية عن النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رضي الله عنهما سأله
سائل عن هذه الآية فقال له اتل ما قبلها ونبهه على التاويل الذي ذكرنا
الجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما
اوجب عليه المعرفة به فهو في الآخرة اعمى عن الجنة والثواب بمعنى انه لا يهتدي
الى طريقهما ولا يوصل اليهما او عن الحجة اذا سوئل ووقف ومعلوم ان من
ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون في القيمة منقطع الحجة مفقود
المعاذير الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني
بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما ينال هؤلاء الكفار من الخوف والغم
والحزن الذي ازاله الله تعالى عن المؤمنين العارفين بقوله لا خوف عليهم

ولاهم يحزنون ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه
انه اعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون والجواب
الرابع ان العمى الاول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة
كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن يجب
بهذا الجواب يتأول قوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده على ان المعنى فيه
الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما انها معدومة في الابتداء
ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه ويتأول قوله تعالى فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة
المعرفة ان الجاهل بالله تعالى في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة والعرب
تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون
ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا
عما انت الان عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وفعلنا
في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما الخبر الذي تدعى روايته فهو خبر
واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تأويله على ما يطابق
هذا الجواب ومن ذهب الى الاجوبة الاول يجعل العمى الاول والثاني معا
غير الآفة في العين فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى تأوله
على العمى عن الثواب او عن الحجة وقال في قوله لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا ان معناه كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث ارجوا الهداية
الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى
الثاني والاول جميعا الافة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مؤوف البصر

فى الدنيا من مؤمن وكافر وطائع يكون كذلك فى الآخرة وهذا باطل وبمثله
نبطل ان يراد بلفظة اعمى الثانية المبالغة بمعنى افضل من فلان ويبطله
ايضاً انّ العمى الذى هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال
ما اشدّ عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثانى العمى عن الثواب
والجنة او الحجة لانا نعلم انّ فيمن عَمِيَتْ عينه فى الدنيا من يستحق الثواب
ويوصل اليه ولا يجوز ان يراد بالاول والثانى العمى عن المعرفة والايمان
لا على طريقة المبالغة والتعجب ولا غير ذلك لانا نعلم انّ الجُهّال بالله تعالى
المعرضين فى الدنيا عن معرفة لا يجوز ان يكونوا فى الآخرة كذلك فضلاً عن ان
يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف فى الآخرة ضرورية يشترك فيها
جميع الناس فلم يبق بعد الذى ابطلناه الا ما دخل فى الاجوبة وعلى الاجوبة
الثلثة الاول اذا اريد باعمى الثانية المبالغة والتعجب كان فى موضعه لانّ
عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة افعل وان لم يجز ذلك فى عمى الجارحة ولمن
اجاب بالجواب الرابع ان لا يجعل قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى لفظ تعجب بل يجعله
اخباراً عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله تعالى واضل سبيلا
ويكون تقدير الكلام ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى وهو اضلّ
سبيلا فان قيل ولم انكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون
فى ذلك انّ الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما يعدله
فيها الى اشدّ واظهر وما جرى مجراهما قالوا لانّ العيوب والالوان قد
ضارعت الاسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال
ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه وارجله ويقال ما اشد سواده
كما يقال ما اشدّ يَدَهُ ورجله واعتلوا بعلة اخرى قالوا انّ الفعل من
الالوان والعيوب على افعلّ وافعالّ مثل احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ
والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلثة احرُفٍ من الافعال الا ترى انه لا يدخل فى

انطلق

انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلثة احرف فان قيل لهم فقد قالوا عورت
عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعلّ وهو فى الحكم زائد على ثلثة احرف
يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت فى اسودّ وابيضّ ولولا انه منقول
لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب وحكى عن الفراء
فى ذلك جوابان احدهما انّ افعل فى التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا
قال القائل افضل واجمل فهو ازيد فى الوصف من جميل وفاضل فلم يقولوا
ما ابيض زيداً لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل ابيض وصف يزيد
ابيض عليه يخالف لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما
فانهم فى ابيض واحمر علم التزيد دخلوا عليه ما تبين الزيادة فيه فقالوا
ما اظهر حمرة زيد وما اشدّ سواد عمرو ولانّ اظهر يزيد على ظاهر واشدّ
يزيد على شديد قلنا الجواب الآخر انّ التعجب مبنىّ على زيادة تصلح ان يتقدمها
نقص وتقصير عن بلوغ التناهى فقالوا ما اعلم زيداً ليدلّوا على زيادة علمه
لانهم فى قولهم عالم وعليم لم يبلغوا فى التناهى مبلغ اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيداً
لانّ البياض لا يأتى منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشدّ وابين
وما جرى مجراهما وهذا الجواب ليس بسديد لانّ الالوان قد يأتى فيها الزيادة
بعد نقص وقد يدخل فيه التفاضل الا ترى انّ ما حلّه قليل اجزاء البياض
يكون انقص حالاً فى البياض مما حلّه الكثير من الاجزاء والجواب الاول الذى
حكيناه عن الفراء اصوب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد
وقد انشد بعضهم معترضاً على ما ذكرناه قول الشاعر يا ليتنى مثلك فى البياض
ابيض من اخت بنى اباض وانشدوا ايضاً قول الشاعر اما الملوك فانت
اليوم الامهم لوماً وابيضهم سربال طباخ فاما البيت الاول فانّ ابا العباس
المبرد حمله على الشذوذ وقال انّ الشاذ النادر لا يطعن به فى المعمول عليه والمتفق

على صحته ويجوز ان يقال ايضًا فى البيت الثانى مثل ذلك وقد قيل فى البيت
الثانى ان ابيض فيه ليس هو الذى للمفاضلة وانما هو افعل الذى مؤنثه
فعلاء كقولك ابيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجها
وشرفهم خلقا فكان الشاعر قال ومُبَيِّضُهُمْ فلما اضافه انتصب ما بعده
لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه آخر وهو انّ
ابيض فى البيت وان كان فى الظاهر عبارة عن اللون فهو فى المعنى كناية عن
اللوم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولولا انه اراد بابيضهم
بياض الثواب ونقاه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظة افعل فالذى جوّز
تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه فاما قول المتنبى ابعد بعدت بياضًا لا بياض له
لانت اسود فى عينى من الظلم فقد قيل فيه انّ قوله لانت اسود فى عينى كلام
تام ثم قال من الظلم اى من جملة الظلم كما يقال حرّ من الاحرار ولئيم من اللئام
اى من جملتهم وقال الشاعر وابيض من ماء الحديد كانه شهاب بدا والليل
داج عساكره كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد
وصف لابيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل فى قولك هو افضل من
زيد ولفظة من فى بيت المتنبى مرفوعة الموضع لانها وصف لاسود
واذا اريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما تقول
زيد خير منك فمنك فى موضع نصب بخير كانه قال خارك بخيرك اى فضلك فى الخير
وهذا التأويل المذكور فى بيت المتنبى يمكن ان يقال فى قول الشاعر ابيض من اخته
بنى اباض ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب وتأوله
على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبى ابعد بعدت بياضا
لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس فيه انه اراد لا ضياء له ولا نور ولا اشراق
من حيث كان حلوله محزنا سودنا يتقضى الاجل وهذا لعمرى معنى ظاهر الا
انه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده لانّ البياض

آخر الوان الشعر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده وانما سوّغ
ذلك له انّ البياض هو الآتى بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان
نفيا لان يكون بعده لون وقد اختلف القرّاء فى فتح الميم وكسرها من قوله
ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى فقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح
الميمين معا وقرا عاصم فى رواية ابى بكر وحمزة والكسائى بكسر الميم فيهما
معا وفى رواية حفص لا يكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة
ولكلّ وجه اما من ترك امالة الجميع فانّ قوله حسن لانّ كثيرا من العرب لا يميلون
هذه الفتحة ومن امال الجميع فوجه قوله ان ينحو بالالف نحو الياء ليعلم انها
تنقلب الى الياء واما قراءة ابى عمرو باماله الاولى وفتح الثانية فوجه قوله
انه جعل الثانية افعل من كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك لم تقع
الالف فى آخر الكلمة لانّ آخرها انما من كذا وانما يحسن الامالة فى الاواخر
وقد حذف من افعل الذى هو للتفضيل الجارّ والمجرور جميعا وهما مرادان
فى المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى المعنى واخفى
من السرّ فكذلك قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى اى اعمى منه فى الدنيا واعمى من غيره
ويقوّى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى واضل سبيلا فكما ان هذا
لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف عليه تاويل خبر روى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال تقئ الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان
من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى مثل هذا قتلت ويجئ القاطع
للرحم فيقول فى مثل هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى مثل هذا قطعت
يدى ثم يتركونه لا يأخذون منه شيئًا معنى تقئ ان تخرج ما فيها من الذهب
والفضة وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقئ تشبيه واستعارة
من حيث كان اخراجًا واظهارا وكذلك تسميته ما فى الارض من الكنوز كبدًا
تشبيها بالكبد التى فى بطن البعير وغيره وللعرب فى هذا مذهب معروف

قال مرة بن محكان السعدى يصف قدرا نصبها للاضياف لها ازيز يزيل اللحم
ارملة عن العظام اذا ما استحمشت غضبا ترمى الصلاة بنبل غير طائشة
وفقا اذا انست من تحتها الهبا فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة
فاما الازيز فهو الغليان والعرب تقول لجوفه ازيز مثل ازيز المرجل والا
مل الصوف واستحمشت اى غضبت يقال احمشته اى اغضبته وقال النابغة
الجعدى فى معنى الاستعارة سالتنى باناس هلكوا شرب الدهر عليهم واكل
فوصف الدهر بالشرب والاكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت
شرب اهل الدهر بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة فى الافلاذ فقال يعقوب
بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا
فلذ البقرة ويقال اعطنى فلذا من الكبد وفلذة من الكبد قال اعشى باهلة تكفيه
حزة فلذان الم بها من الشواء ويروى شربه الغمر والغمر القدح الصغير
وقال يعقوب ولا يقال اعطنى حزة من سنام ولا من لحم وانما الحزة فى الكبد
خاصة فاذا ارادوا ذلك من السنام واللحم قالوا اعطنى حذية من لحم وهى الصغيرة
وفلقة من سنام وقال الطوسى عن ابى عبيد عن الاصمعى قال يقال اعطنى حذية
من لحم وهى الصغيرة وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة
قلت اعطنى بضعة من لحم وهبرة من لحم ووذرة ومثل هذا الحديث قوله
تعالى واخرجت الارض اثقالها معناه اخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى
به الموتى وانها اخرجت موتاها فسمى الله تعالى الموتى ثقلا تشبيها بالحمل الذى
يكون فى البطن لان الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما اثقلت دعوا الله ربهما والعرب
تقول ان للسيد الشجاع ثقلا على الارض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل
قالت الخنساء ترثى اخاها صخرا ابعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الارض
اثقالها معناه انه لما مات حل عنها بموته ثقل بسودده وشرفه وقال
قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو مأخوذ من الحلية وقال الشمردل اليربوعى

يرثى اخاه وحلت به اثقالها الارض وانتهى المتواه منها وهو عف شمائله
وروى هشام بن المنذر قال قال زهير بن ابى سلمى المزنى بيتا ثم اكدى فمر به
النابغة الذبيانى فقال له يا ابا امامة اجز قال وما ذا قال تزال الارض اما مت
خفا وتحيى ان حييت بها ثقيلا نزلت بمستقر العز منها فاذا قال فاكدى والله
النابغة واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بنى فقال وما
ذا فانشده البيت الاول ومن الثانى نزلت بمستقر العز منها فقال كعب
فتمنع جانبيها ان يزولا فقال زهير انت والله ابنى وانما خص الكبد من بين
ما يشتمل عليه البطن لانه من اطايب الجزور والعرب تقول اطايب الجزور
السنام والملحاء والكبد قال قدس الله روحه وانى لاستحسن قول الخنساء
وقد قيل لها ما مدحت اخاك حتى هجوت اباك فقالت جارى اباه فاقبلا
وهما يتعاوران ملاءة الحضر حتى اذا نزت القلوب وقد لزت هناك
بالعذر وعلا هتاف الناس ايهما قال المجيب هناك لا ادرى برزت صفحة
وجه والده ومضى على غلوائه يجرى اولى فاولى ان يساويه لولا جلال السن
والكبر وهما كانهما وقد برزا صقران قد حطا الى وكر ويقال انه قيل لابى عبيدة
ليس هذه الابيات فى مجموع شعر الخنساء فقال ابو عبيدة العامة اسقط
من ان يجاد عليها بمثل ذلك ولعمرى انها قد بلغت فى مدح اخيها من غير ازراء
على ابيها النهاية لانها جعلت تقدم ابيه له عن قدرة منه على المساواة
وعن غير تقصير منه وانه افرج له عن السبق معرفة له بحقه وتسليما
لكبره وسنه وكانت الخنساء نظرت فى هذا المعنى الى قول زهير فشبه بها
الاماعز وهى تهوى هوى الدلو اسلمها الرشاء فليس لحاقه كلحاق الف
ولا كنجائها منه نجاء يقدمه اذا اختلف عليها تمام السن منه والذكاء
ويشبه ان يكون الكميت اخذ من الخنساء قوله فى مخلد بن يزيد بن المهلب
ما ان ارى كابيك ادرك شاوه احد ومثلك طالبا لم يلحق يتجاريان لفضله

سنه وتلوت بعد مصليا لم تسبق ان تنزعا وله فضيلة سبقه فبمثل
سنأ وابيك لم يتعلق ولئن لحقت به على ما قد مضى من بعد غايته فاح واخلق
ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن اميل الكوفى المحاربى يمدح المهدى فى حياة
المنصور لئن فت الملوك وقد توافوا اليك من السهولة والوعور لقد فات
الملوك ابوك حتى بقوا من بين كاب او حسير وجيت وراءه تجرى حثيثا
وما بك حين تجرى من فتور فقال الناس ما من ذين الا بمنزلة الخليق
من الجدير فان سبق الكبير فاهل سبق له فضل الكبير على الصغير وان
بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير من الكبير ومن هذا قول الشاعر
جيادجرت فى حلبة فتفاضلت على قدر الاسنان والعرق واحد ومما له بهذا
المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير هو الجواد
فان يلحق بشاو رهما على تكاليفه فمثله لحقا او يسبقاه على ما كان من مهل فمثل
ما قدما من صالح سبقا ويروى انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى
جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولى فى معنى بيتى زهير اللذين ذكرنا
هما فقالت بلغت او كدت يحيى او لحقت به فلتما خالد فى شاو مستبق لكن
مضى وتلا يحيى فانت له تال تعللت دون الركض بالعنق ومن حسن ما قيل فى
المساواة والمقاربة وهو داخل فى هذا المعنى مناسب له قول عباد بن شبل
اذا اخترت من قوم خيار خيارهم فكل بنى عبد المدان خيار حروا بعنان
واحد فضل بينهم بان قيل قد فات العذار عذار وقول الكميت مصل ابوه
له سابق بان قيل فات العذار العذارا ومثله قول العتابى وهو مليح جدا
كما تقاذف جردى اعنتها سبقا باذانها مرا وبالعذر واول من سبق الى هذا
المعنى زهير فى قوله يصف مطايرة البازى القطاة ومقاربته لها دون السماء
وفوق الارض قدرهما عند الذبابى فلا فوق ولا درك وقد لحظ ابو نواس
هذا المعنى فى قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه فى المجد

والسودد

والسودد ثم جرى الفضل فانثنى قدما دون مداه من غير ترهيق فقيل رأسا
سهما يراد به الغاية والنصل سابق الفوق وبشاكل ذلك قول البحترى فى ابن
ابى سعيد الثغرى جد كجد ابى سعيد انه ترك السماك كانه لم يشرف قاسمته
اخلاقه فهى الردى للمعتدى وهى الندى للمعتفى فاذا جرى من غاية وجرت
من اخرى التقاشأ وكما فى المنصف ويشبهه ايضا قوله واذا رايت شمائل
ابنى صاعد ادت اليك شمائل ابنى مخلد كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل
موضع فرقد عن فرقد فاما قول الخنساء يتعاوران ملاءة الحضر
وهى تعنى بالملاءة الغبار فان عدى بن الرقاع كانه نظر اليها فى قوله يصف
حمارا واتانا يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محدثة هما نسجاها
تطوى اذا وطئا مكانا جاسيا واذا السنابك اسهلت نشراها وهذا
المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة
ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق منها وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بنى عقيل
فقال من قصيدة يثيران من نسج الغبار عليهما قميصين اسمالا ويرتديان مجلس
آخر تاويلاته ان سال سائل عن قول الله تبارك وتعالى وجاؤا على قميصه
بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على
ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال
لا من صفات الاجسام واى معنى لوصفه الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر
يعقوب عليه السلام على فقد ابنه لا يكون الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما
المقتضى لرفعه الجواب يقال له اما كذب فمعناه انه مكذوب فيه وعليه مثل
قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله ماء
غور ورجل صوم وامرأة نوح قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة
اعنتها صفونا ارادنا نائحة عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون ما له
عقل وما له على هذا الامر مجلود يريدون جلدا قال الشاعر حتى اذا لم يتركوا

لعظامه لحما ولا لفواده معقولا وانشدنا ابو العباس ثعلب قد والذى سمك
السماء بقدرة بلغ العزاء وادرك المجلود وقال الفراء وغيره يجوز فى النحو بدم
كذبا بالنصب على المصدر لان جاؤا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال تعا والعاديات
ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات وانما كان
دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف عم ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف
عليه السلام بدمها وجاؤا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذئب له فقال لهم
يعقوب عليه السلام يا بنى لقد كان هذا الذئب رفيقا حين اكل ابنى ولم يخرق
قميصه قالوا بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه
احوج منهم الى قتله وقد قيل انه كان فى قميص يوسف ثلث ايات حين قد
من دبر وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاؤا عليه بدم كذب
فتنبه ابوه على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه
جميل فلان الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد
وجه الله تعا وفعل للوجه الذى وجب فلما كان فى هذا الموضع واقعا
على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه اراد صبرا لا شكوى فيه
ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له فاما
ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشانى صبر جميل والذى
اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه فصبرى صبر جميل وانشدوا شكا الى
جملى طول السرى يا جملى ليس الى المشتكا صبر جميل فكلانا مبتلى معناه
فليكن منك صبر جميل وقد روى ان فى قراة ابى فصبرا جميلا بالنصب
وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبرى يا نفس صبرا جميلا قال ذو
الرمة الا انما تمحى فصبرا بلية وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر وقال الاخر ابى
الله ان يبقى لحى بشاشة فصبرا على ما شاءه الله لى صبرا تاويل خبر فى الحديث
ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا سيد اهل

الوبر فقلت

الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذى ليست على فيه تبعة من طالب ولا ضيف
ضيف فقال عليه السلام نعم المال اربعون والكثر ستون وويل لاصحاب
المائتين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فاكل واطعم القانع
والمعتر وفى رواية اخرى الا من اعطى من رسلها واطرق فحلها وافقر ظهرها
ومنح غزيرتها واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الا
خلاق واحسنها لانه لا يحل بالوادى الذى فيه ابلى من كثرتها فقال فكيف
تصنع فى العطية قلت اعطى البكر واعطى الناب قال فكيف تصنع فى المنحة
قلت انى لامنح المائة قال فكيف تعطى الطروقة قلت يغدو الناس بابلهم
فلا يوزع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذى يرده
وفى الرواية الاخرى قال فكيف تصنع فى الاطراق قلت يغدو الناس فمن
شاء ان يأخذ برأس بعير ذهب به قال فكيف تصنع فى الافقار قلت انى
لا فقر الناب المدبرة الضرع الصغيرة قال فكيف تصنع فى المنحة قلت انى
لامنح فى السنة المائة قال فمالك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالى
قال فان مالك ما اكلت فافنيت واعطيت فامضيت وفى الرواية الاخرى
ولبست فابليت وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت اليها
لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بنى خذوا عنى فانكم ان
تأخذوا عن احد هو انصح لكم منى لا تنوحوا على فان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لم ينح عليه وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنونى فى ثيابى
التى كنت اصلى فيها وسودوا اكابركم فانكم اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم
خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم على الناس وزهدوا فيكم و
اصلحوا من عيشكم فان فيه غنى عن طلب الى الناس واياكم والمسالة فا
نها اخس كسب المرء واذا دفنتمونى فاخفوا قبرى عن بكر بن وائل فقد كانت
بيننا خماشات فى الجاهلية فلا آمن سفيها منهم ان يأتى امرا يدخل عليكم

عيبا فى ابيكم اما قوله عليه السلام الكثر ستون فمعناه الكثير تقول
العرب نسأل الله الكثر ونعوذ به من القل قال الشاعر فان الكثر اعيانى قديما
ولم افتر لدن انى غلام وقال الآخر وقد يقصر القل الفتى دون همة وقد
كان لولا القل طلاع انجد والكريمة يعنى بها كرائم ماله وامنح الغزيرة
اى اعطها من يحلبها ويردها ومن ذلك الحديث العارية مواداة والمنحة
مردودة والدين مقضى والزعيم غارم فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها
الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له
ايضا القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم وقال الشاعر
فلست بآمرٍ فيها بسلم ولكنى على نفسه زعيم وقال الآخر قلت كفى لك رهن
بالرضا فازعمى يا هند قالت قد وجب معناه الفكى ويروى فاقبلى من القبيل
الذى هو الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذى يأتيك فيسألك فان
اعطيته قبل والمعتر الذى يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال كانه
يعرض بالمسالة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضى وقنع
قنوعا اذا سأل فاما قوله لاجرم فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا فى معنى
قوله تعالى لاجرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدا فقال جرم ان لهم النار بمعنى
كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر نصبنا رأسه فى رأس جذع بما جرمت
يداه وما اعتدينا اى بما كسبت وقال آخرون معنى جرم حق وتأول الآية
بمعنى حقق قولهم ان لهم النار وانشدوا ولقد طعنت ابا عيينه طعنة
جرمت فزارة معا بعدها ان يغضبوا اراد حققت فزارة وروى الفراء
فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لاجرم
فى الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب فى معنى حقا وجاءت فيه
لجواب الايمان فقالوا لاجرم لاقومن كما قالوا والله لاقومن وفيها لغات
يقال لاجرم ولاجرم بضم الجيم وتسكين الراء ولاجر بحذف الميم ولاذاجرم

قال الشاعر ان كلا والدى لاناجرم لاهدرن اليوم هدرا فى النعم هدر
المعنى ذى الشقاشيق اللهم والناب الناقة الهرمة وجمعها نيب و
ومثلها الشارف قال الشاعر لا افتا الدهر ابكيهم باربعة ما اجترت
النيب او حنت الى بلد ويقال للبعير اذا كبر ايضا عود وللانثى عودة
قال الشاعر عود على عود من القدم الاول يموت بالترك ويحيى بالعمل
وهذا من ابيات المعانى ومعناه بعير عود على طريق متعادم وسمى الطريق
بانه عود لتقادمه تشبيها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيا بالعمل
اراد انه اذا سلك وطرق ظهرت اعلامه ووضحت طرقه فاهتدى سالكه
لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمنت
اثاره وامحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد وكان ذلك كالموت له
فاما الخماشات فهى الجنايات والجراحات قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن
رباع لها مذ اورق العود عنده خماشات دخل ما يراد امتثالها يريد بقوله
ما يراد امتثالها اى ما يراد اقتصاصها يقال امثلنى من هذا الرجل واقصنى
واقدنى بمعنى واحد فاما قوله لا يورع رجل اى لا يحبس ولا يمنع يقال و
رعت الرجل توريعا اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما
تدعوا اليه يقال ورع ورعا ورعة قال لبيد اكل يوم هامتى مقزعه لا تمنع
الفتيات من حسن الرعة ويقال ما ورع ان فعل كذى وكذى اى ماكذت فاما
الورع بالفتح فهو الجبان واما الطروقة فهى التى قد حان لها ان تطرق وهى
الحقة وقوله فى الرواية الاخرى الا من اعطى من رسلها فالرسل اللبن والا
فقار هو ان يركبها الناس ويحملهم على ظهورها ماخوذ من فقر الظهر
والاطراق للفحول هو ان يبذلها لمن ينزيها على اناث ابله وذكر الاطراق فى
هذه الرواية احب الى من الطروقة لانه قد تقدم من قوله يعطى الناب والبكر
والضرع والمائة فلا معنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله فى الجواب يغدوا الناس

فلا يورع رجل عن جميل بخطمه فيمسكه ما بداله ثم يرده لا يحتمل غير الاطراق
ولا يليق بمعنى الطروقة قال وكان قيس بن عاصم شريفاً في قومه حليماً
ويكنى ابا علي وكان الاحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم من قيس ابن عاصم
اتى بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى واقبل عليه فقال يا بني لقد نقصت عددك
واوهنت ركنك وفتت في عضدك واشمت عدوك واساءت بقومك
خلوا سبيله وما حل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل
لقيس بماذا سدت قال بثلث بذل الندى وكف الاذى ونصر المولى
وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فانه
ما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه
فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن
شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود فسمي الحارث الحوفزان وقال
سوار بن حيان المنقري ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعا
من دم الجوف اشكلا وحمران قسرا انزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعيه
مثقلا وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم جزى الله يربوعا باسـ
سوء سعيها اذا ذكرت في النائبات امورها ويوم جدود قد فضحتم
ذماركم وسالمتم والخيل تدمى نحورها ستحطم سعد والرباب انوفكم
كما حز في انف القضيب جريرها القضيب الناقة المقتضبة الصعبة
وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب يرثيه عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء ان يترحما سلام امرئ جللته منك نعمة اذا زار عن شحط
بلادك سلما فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
قال سيدنا الشريف المرتضى قدس الله روحه ذاكرني بعض الاصدقاء
بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته وابرزتها في بطن مكة بعدما اصات
المنادي بالصلوة فاعتما وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه

واجعل الكناية فيه كانها كناية عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال
فطيب سراها المقام وضوئت باشراقها بين الحطيم وزمزما فيا
رب ان لقيت وجها تحية فحيي وجوها بالمدينة سهما تجافين عن مس الدهان
وطالما عصمن عن الحناء كفا ومعصما وكم من جليد لا يخامره الهوى شنن
عليه الوجد حتى تتيما اهان لهن النفس وهي كريمة والقى اليهن الحديث
المكتما تسفهت لما ان مررت بدارها وعوجلت دون الحلم ان تتحلما
فعجت تقرا دارسا متنكرا وتسئل مصروفا عن النطق اعجما ويوم وقفنا
للوداع وكلنا يعد مطيع الشوق من كان احزما نصرت بقلب لا يعنف
في الهوى وعين متى استمطرتها قطرت دما وكان ابو دهبل من شعراء قريش
وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة بن
خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب
بن لوي بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن
هصيص فاستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح
ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما فاما كنيته فهي مشتقة من
الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا
اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا
احمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلا
ما يعجبك من شعر ابي دهبل الجمحي فقال قوله يا عمرو حم فراقكم عمرا وعزمت
منا النأي والهجرا يا عمر شيخك وهو ذو شرف يرعى الذمام ويكرم الصهرا
والله ما احببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا ان كان هذا السحر منك
فلا ترعي على وجدي سحرا احدى بني اود كلفت بها حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلا اذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا كتساقط الرطب الجني
من الاقناء لا نثرا ولا نزرا ومقالة فيكم عركت لها جنبي اريد بها لك العذرا

وموید سرکم عدلت به عمّا یحاول معدلا وعرا قالت یقیم لنا التجزیه یوماً
فخیم عندها شهرا ما ان اقیم لحاجة عرضت الا لابلی فیکم عذرا واذا هممت
برحلة جزعت واذا اقمنا لم تفد نفرا انی لارضی ما رضیت به واری
لحسن حدیثکم شکرا وروی ابو عمرو الشیبانی لابی دهبل یا لیت من یمنع
المعروف یمنعه حتی یذوق رجال غبّ ما صنعوا ولیت رزق رجال مثل
نائلهم قوت کقوت ووسع کالذی وسعوا ویروی ضیقا کضیق و و
سعا کالذی اتسعوا ولیت للناس خطّا فی وجوههم تبین اخلاقهم فیه
اذا اجتمعوا ولیت ذا الفحش لاقی فاحشا ابدا ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا
ولابی دهبل فی قتل الحسین بن علی صلوات الله تعالی علیهما نبیت النشاوی
من امیة نوما وبالطف قتلی ما ینام حمیمها وما ضیّع الاسلام الا عصابة
تأمر نوکاها ودام نعیمها وصارت قناة الدین فی کف ظالم اذا مال منها جانبٌ
لا یقیمها واخبرنا ابو عبید الله المرزبانی قال حدثنی محمد بن ابرهیم قال حدثنا
احمد بن یحیی قال روی ابو عمرو الشیبانی لابی دهبل وقال یقال انها للمجنون
اءترك لیلی لیس بینی وبینها سوی لیلة انی اذا الصبور هبونی امرءًا
منکم اضلّ بعیره له ذمّة ان الذمام کبیر وللصاحب المتروك اعظم حرمة
علی صاحب من ان یضل بعیر عفا الله عن لیلی الغداة فانها اذا ولیت حکماً
علی تجور وروی ابو عمرو الشیبانی لابی دهبل وقد رواه ابو تمام فی الحماسة
له اقول والرکب قد مالت عمائمهم وقد سقی القوم کاس النعسة السهر
یا لیت انی بانوابی وراحلتی عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر ان کان ذا قدرا
یعطیك نافلة منا ویحرمنا ما انصف القدر واخبرنا المرزبانی قال اخبرنی
محمد بن یحیی الصولی قال مثل قول ابی دهبل ولو ترکونا لا هدی الله امرهم
فلم یلحموا قولاً من الشر ینسج لاوشك صرف الدهر تفریق بیننا وهل
یستقیم الدهر والدهر اعوج قول العجاج لرؤبة ابنه یشکوه لما استطال

عمره وتمنی موته لما رانی ارعشت اطرانی استعجل الدهر وفیه کاف یخترم الالف
عن الالاف قال ومثله عدمت ابن عم لا یزال کانه وان لم اتره منطول علی وتر
یعین علی الدهر والدهر مکتف وان استعنه لا یعنی علی الدهر قال قدس
الله روحه ومثل الجمیع قول ابی احمد عبید الله بن عبد الله بن طاهر الحکم یکون
العتب فی کل ساعة وکم لا تملین القطیعة والهجرا رویدك ان الدهر فیه
کفایة لتفریق ذات البین فانتظری الدهرا مجلس آخر تاسع ان سال سائل
فقال ما وجه التکرار فی سورة الکافرین وما الذی حسن اعادة النفی لکونه
عابداً ما یعبدون وکونهم عابدین ما یعبد وذکر ذلك مرة واحدة یکفی
وما وجه التکرار ایضاً فی سورة الرحمن لقوله فبای آلاء ربکما تکذبان
الجواب یقال له قد ذکر ابن قتیبة فی معنی التکرار فی سورة الکافرین وجهاً
وهو ان قال القرآن لم ینزل دفعة واحدة وانما کان نزوله شیئا بعد شیء
والامر فی ذلك ظاهر وکان المشرکون اتوا النبی صلعم فقالوا له استلم بعض
اصنامنا حتی نؤمن بك ونصدق بنبوتك فامره الله سبحانه بان یقول لهم
لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤه
فقالوا له اعبد بعض الهتنا واستلم بعض اصنامنا یوما او شهراً او حولاً
لنفعل مثل ذلك بالهك فامره الله تعالی بان یقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا
انتم عابدون ما اعبد ای ان کنتم لا تعبدون الهی الا بهذا الشرط فانکم لا تعبدونه
ابداً وقد طعن بعض الناس علی هذا التأویل بان قال انه یقتضی شرطا وحذفا
لا یدل علیه ظاهر الکلام وهو ما شرطه فی قوله ولا انتم عابدون ما اعبد
قال واذا کان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما یعبدون مطلقا غیر
مشروط فکذلك ما عطفه علیه وهذا الطعن غیر صحیح لانه لا یمتنع
اثبات شرط بدلیل وان لم یکن فی ظاهر الکلام ولا یمتنع عطف المشروط
علی المطلق بحسب قیام الدلالة وعن هذا السؤال ثلثة اجوبة کل واحد منها

اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكى عن ابى العباس ثعلب انه قال انما
حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص
الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفى هذه الحال
ولا انتم عابدون ما اعبد فى هذه الحال ايضاً فاختص الفعلان منه
ومنهم بالحال وقال من بعد ولا انا عابد ما عبدتم فى المستقبل ولا انتم
عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلف المعانى وحسن التكرار لاختلافها
ويجب ان يكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن وقد
ذكر مقاتل وغيره انها نزلت فى ابى جهل والمستهزئين ولم يؤمن الذين نزلت
فيهم احد والمستهزؤن هم العاص بن وائل والوليد بن المغرة والاسود بن
المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس الجواب الثانى وهو
جواب الفراء ان يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع
موكدا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد
الفرا وكاين وكم عندى لهم من صنيعة ايادى ثنوها على واوجبوا وانشد
ايضاً كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال آخر نعق الغراب ببين لبنى غدوة كم
كم وكم بفراق لبنى تنعق وقال آخر اردت لنفسى بعض الامور فاولى لنفسى
اولها الجواب الثالث وهو اغربها اننى لا اعبد الاصنام التى تعبدونها ولا انتم
عابدون ما اعبد اى انتم غير عابدين الله تعالى الذى انا عابده اذا اشركتم به واتخذ
تم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه وانما يكون عابدا له من لخلص له
العبادة دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اى لست اعبد
عبادتكم وما فى قوله ما عبدتم فى موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحيها
ونفس وما سويها اى وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم
تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم قال الشاعر
يا ربع سلامة بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل ان تمس وحشا فبما قد ترى

وانت معمور بها اهل اراد فبرؤيتك معمورا اهلاً ومعنى قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد اى لستم عابدين عبادتى على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر الكلام
الا لاختلاف المعنى وتلخيص ذلك ان النبى صلى الله عليه وآله قال للكفار
لا اعبد الهتكم وما تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون الهى فان زعمتم
انكم عابدون الهى فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التى امركم بها تعبدونه
فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل
عبادتى اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه فى اختلاف
العبادة انه صلى الله عليه وآله كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك
به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتاهما ولانه ايضاً كان يتقرب
الى معبوده بالافعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك
الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة
فما معنى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين وظاهر هذا الكلام يقتضى
اباحتهم المقام على اديانهم فى هذه الآية ثلثة اجوبة اولها ان ظاهر
الكلام وان كان ظاهر اباحة فهو وعيد ومبالغة فى النهى والزجر كما قال
تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها انه اراد لكم جزاء دينكم ولى جزاء دينى فحذف
الجزاء لدلالة الكلام عليه وثالثها انه اراد لكم جزاؤكم ولى جزائى لان
نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر اذا ما لقونا لقيناهم ودناهم مثل ما يقر
ضونا فاما التكرار فى سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة
المعددة فكلما ذكر نعمة انعم بها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره
الم احسن اليك بان خولتك الاموال الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره
الم احسن اليك بان فعلت بك كذى فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به
وهذا كثير فى كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثى اخاه كليبا
على ان ليس عدلا من كليب اذا طرد اليتيم عن الجزور على ان ليس عدلا من كليب

اذا ما ضيم جيران المجير ● على ان ليس عدلاً من كليب اذا رجف العضاه من
الدّبور على ان ليس عدلا من كليب اذا خرجت مخبّاة الخدور على ان ليس
عدلا من كليب اذا ما اعلنت بخوى الامور ● على ان ليس عدلا من كليب اذا
خيف المخوف من الثغور على ان ليس عدلاً من كليب غداة تلاتل الامر
الكبير على ان ليس عدلا من كليب اذا ما خار جار المستجير وقالت ليلى
الاخيلية ترثى توبة بن الحمير لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت صدور
العوالى واستشال الاسافل ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق
يوما كنت فيه تحاول ● ونعم الفتى يا توب كنت لخائف اتاك لكى يحمى ونعم
المجامل ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ● ونعم الفتى يا توبَ حين
تناضل لعمرى لانت المرء ابكى لفقده بجدّ ولو لامت عليه العواذل لعمرى
لانت المرء ابكى لفقده ولو لام فيه ناقص الرّاى جاهل لعمرى لانت المرء
ابكى لفقده اذا كثرت بالملحين التلاتل ابى لك ذمّ النّاس يا توب كلما ذكرت
امور محكمات كوامل ابى لك ذمّ النّاس يا توب كلما ذكرت سماح حين
تأوى الارامل فلا يبعدنك الله يا توب انّما لقيت حمام الموت والموت عاجل
● ولا يبعدنك الله يا توب انها كذاك المنايا عاجلات وآجل ● ولا يبعدنك
الله يا توب والتقت عليك الغوادى المدجنات الهواطل فخرجت فى هذه
الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعانى التى عددناها على نحو ما ذكرناه
● وقال الحرث بن عباد قرّبا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال
ثم كرّر قوله قربا مربط النعامة منى فى ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى
ذكرناه ● وقالت ابنة عم للنعمان من بشير ترثى زوجها ● وحدّثنى اصحابه
● انّ مالكا اقام ونادى صحبه برحيل وحدثنى اصحابه انّ مالكا ضروب
بنصل السيف غير نكول وحدّثنى اصحابه انّ مالكا جواد بما فى الرّجل
غير بخيل ● وحدثنى اصحابه انّ مالكا خفيف على الحدثان غير ثقيل ● وحدّثنى

اصحابه انّ مالكا صروم كماضى الشفرتين صقيل وهذا المعنى اكثر من ان
● نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات بقوله تعالى ويل
يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان الذى حسّن التكرار فى سورة الرحمن ما عدّد
من الآية ونعمة فقد عدّد فى جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ● وقوله هذه جهنّم التى يكذب
بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فكيف يحسن ان يقول بعقب
● هذا فباىّ آلاء ربكما تكذبان ● وليس هذا من الآلاء والنعم قلنا
الوجه فى ذلك انّ فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار
به من اكبر النعم لانّ فى ذلك زجرا عمّا يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق
به الثواب فانما اشار بقوله تعالى فباىّ آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنّم
والعذاب فيها الى نعمته بوصفها والانذار بعقابها وهذا ما لا شبهة فى كونه
● نعمة فصل ● قال سيدنا الشريف المرتضى رضى الله عنه وكما انه كان فى
● الجاهلية وقبل الاسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدّهر وينفون
الصّانع ● واخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرّزق
● من غير رازقهم اخبر الله تعالى عنهم فى كتابه وضرب لهم الامثال
وكرّر عليهم البيّنات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممّن يتستّر با
ظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدّخول فى جملة اهله دمه وماله
زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عن الاسلام عن المظاهرة والجاء
هم خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام واهله اعظم واغلظ
● لانهم يدغلون فى الدين ويموهون على المستضعفين بجاش رابط ورأى
جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة بما يظهره من لباس الدين
الذى هو منه على الحقيقة عار وبا ثوابه غير متوار كما يحكى انّ عبد الكريم بن ابى
العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والى الكوفة من قبل المنصور

واحضره للقتل وايقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في احاديثكم
اربعة الآف حديث مكذوبة مصنوعة والمشهودون من هؤلاء هم الوليد
بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد
عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي العوجاء وبشار بن برد
ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الازدي
وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وان كان عددهم
كثيراً فقد افلهم الله واذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة
على عقولهم من الضعف وارائهم من السخف ونحن نذكر من اخبار كل واحد
ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومئ فيها الى جملة كافية والذي دعانا الى
التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا بغيره اقوى مسئلة من نرى اجابته ونو
ثر موافقته فتكلفناه له ومن اجله مع انه غير خال من فائدة ينفع علمها ويتا
دب بروايتها وحفظها اما الوليد فكان مشهوراً بالالحاد متظاهراً بالعناد
غير محتشم في اطراح الدين احداً ولا مراقب فيه بشرا وفي الحديث انه ولد لاخي
ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله
عليه وآله سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد
لهو شر على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الاوزاعي فسالت الزهري
عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي
قال كان الوليد بن عبد الملك قد عزم ان يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب
عليه الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض الحجبة لقد رأيت المجوسي
البناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع اركان القبة فلم يمس تلك الليلة حتى
واتى الخبر بقتل الوليد واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني عبد الله
بن يحيى العسكري عن ابي اسحق الطلحي قال اخبرنا احمد بن ابرهيم بن اسمعيل

عن ابي العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب
بالناقص لما ولي نشدت الله رجلا سمع شيئاً من الوليد الا اخبر به فقام
اشهد لسمعته يقول اسقيانا وابن حرب واسترانا بازار واتركا
من طلب الجنة يسعى في خسار سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار
واخبرنا المرزباني قال اخبرني احمد بن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن
اصابع مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كان
اصابع وجعل يرميه بالسهام وهو يقول تذكرني الحساب ولست ادري
احقا ما تقول من الحساب فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي
قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه ويله من هذه الجراة على الله وبلا طول
وما اقدر الله تعالى على ان يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما اولى اللعين
باليم العقاب وشديد العذاب لولا ما تمر به المحنة وينتظر به التكليف
من تأخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من احوال الطاعات
والمعاصي اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن كامل
قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وانه فتح المصحف يوماً فراى فيه
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضاً ورماه بالنبل حتى
مزقه وهو يقول اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد فان لاقيت
ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد واما حماد الراوية فكان منسلخاً
من الدين زارياً على اهله مدمناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور وقال عمرو بن
بحر الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد
وحفص بن ابي وده وقاسم ابن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة
وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى وحماد بن الزبرقان ووالبة
بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ
المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول

الشعر ويهجوا بعضهم بعضا وكلهم كان متهما فى دينه وعمل يونس الشعر
ابى فروه كتابا فى مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى
ملك الروم واخذ به مالا وقال احمد بن يحيى النحوى قال قال رجل يهجوا
حماد الراوية نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلوته حماد
بسطت مشافره الشمول فانفه مثل القدوم سنتها الحداد وابيض
من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد لا يعجبنك بزه
ولسانه ان المجوس يرى لها اسباد وكان حماد الراوية مشهورا
بالكذب فى الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه
فى اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا
يقدر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط
لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالا على الالحاد فهو
فسق وتهاون بالكذب فى الرواية فاما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته فى التحرم
والتهتك اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال
اخبرنا الاشناندانى قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلى الى منزله
وكانا يتقارضان فانتهى ابو الغول بن المفضل به حتى اجابه وانطلق
منه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعت انت وحماد قال اصطلحنا على
على ان لا امره بالصلوة ولا يدعونى الى شرب الخمر وانشد المفضل قوله
نعم الفتى لو كان يعرف ربه وذكر الابيات التى تقدمت فى الرواية منسوبه
الى هجاء حماد الراوية فاما حماد عجرد فشهرته فى الضلالة كشهرة الحمادين وكان
يرمى مع ذلك بالتثنية اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن ابى
عبد الله الفارسى قال اخبرنى ابى قال حدثنى ابن مهروية قال حدثنى على بن
عبد الله بن سعد قال حدثنى السرى بن الصباح الكوفى قال دخلت على بشار
بالبصرة فقال لى يا ابا على انى قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعنى حماد عجرد فقلت

بماذا يا ابا معاذ قال بقولى فيه يا ابن نهيا راس على ثقيل واحتمال الراسين
خطب جليل فادع غيرى الى عبادة وبين فانى بواحد مشغول فقلت لم ادع
فى عماه فقلت قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول
قلت فادع غيرى الى عبادة ربين فانى عن احد مشغول قال فلما سمعه اطرق
وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال انى فلا احتشمك فلا تنشد احدا هذين
البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لى واخبرنا المرزبانى قال
حدثنى على بن هرون عن عمه يحيى بن على عن عمر بن شبة قال حدثنى جلاد الارقط
قال قال بشار بلغنى ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس
على القارئ فقال حماد علام يجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فقتله
الناس على هذا وروى ابن شبه عن ابى عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا
بالقبح لانه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحم
احمر فلما قال حماد فيه والله ما الخنزير فى نتنه بربعه فى النتن او خمسه بل ريحه
اطيب من ريحه ومسه الين من مسه ووجهه احسن من وجهه ونفسه
افضل من نفسه وعوده اكرم من عوده وجنسه اكرم من جنسه قال بشار ويلى
على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل وكيف ذاك قال ما اراد الزنديق الا قول
الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فاخرج الجحود بها مخرج هجائى وهذا
خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول من جعل نفى الالحاد تاكيدا للوصف
به واخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق فى حماد عجرد فقال لو ان مانى و
ديصانا وعصبتهم جاؤا اليك لما قلناك زنديق انت العبادة والتوحيد
مدخلقا وذا التزندق بنرنج مخاريق فاما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان
روى عن المهدى انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع
وروى ابن شبة قال حدثنى من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس
بعد ان اسلم فلمحه وتمثل يا بيت عاتكة الذى اتعزل حذر العدى وبه الفواد

موكل انى لا منحك الصدود واننى قسما اليك مع الصدود لاميل وروى
احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثى يحيى بن زياد وقال الاخفش
والصحيح انه يرثى بها ابن ابى العوجاء رزينا ابا عمرو وحى مثله فلله ريب
الحادثات بمن وقع فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما فى انسداد لها
طمع لقد جر نفعا فقدناك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع قال ثعلب
البيت الاخير يدل على مذهبهم فى ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير واخبرنى
على بن محمد الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى مغيرة بن محمد المهلبى
من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى ابن
المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبى فتحادثا ثلثة ايام ولياليهن
فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل
لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله اكثر من علمه قال
المغيرة فصدقا ادى عقل الخليل الخليل الى ان مات ازهد الناس وجهل ابن
المقفع اداه الى ان كتب امانا لعبد الله بن على فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين
بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون فى حل من
بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة وكتب الى سفين ابن
معوية المهلبى وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة
دينه جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روى
ان يحيى بن زياد الحارثى كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة
والصفا فاخر جوابه فكتب اليه كتابا آخر يستريثه فكتب اليه عبد الله ان
الاخاء رق فكرهت ان املكك رقى قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول
ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء
فان ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول اذا نزل بك امر مهم فانظر فان كان
مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ودعا عيسى بن على الى

الغداء

الغداء فقال اعز الله الامير لست يومى للكرام اكيلا قال ولم قال لانى مزكوم والز
كمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم
العلم ممن اعلم به منك وعلمه من انت اعلم به منه فانك اذا فعلت ما جهلت وحفظت
ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة
فان ذلك هو العى الاكبر وقال الآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ
السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها
وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد على ما لا تقدر
على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم
على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم قد ينسبون
الى قلة الوفاء تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه
ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان حليما وكان يقول ان مما سخى بنفس العالم عن
الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر الاخطار فاما ابن ابى العو
جاء فقد ذكرنا ما روى من اعترافه بدسه فى احاديث النبى صلعم احاديث
مكذوبة وروى انه رأى عدلا وقد كتب عليه آية الكرسى فقال لصاحبه
لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال كم رأينا مصحفا سرق ولبشار
فيه قل لعبد الكريم يا بن ابى العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا لا تصلى
ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما رفيقا لا تبالى اذا اصبت من الخمر
عتيقا ان لا تكون عتيقا ليت شعرى غداة حليت فى الجند حنيفا حليت ام
زنديقا فاما بشار بن برد فروى المازنى قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو
مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوى فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عنى
شر هذه الظلمة قال المبرد ويروى ان بشارا كان يتعصب النار على
الارض ويصوب رأى ابليس فى الامتناع من السجود وروى له النار
مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار وروى

بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلوة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حوالى
ثوبه ترابا لننظر هل يصلى فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلاة اخبرنا ابو
عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن ابى عبد الله الفارسى قال اخبرنى ابى قال حدثنى
ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال حدثنى ابى قال كنت اكلم بشارا واردّ عليه
سوء مذهبه بميله الى الحاد وكان يقول ما اعرف الا ما عاينتا وعاينه
معاين وكان الكلام يطول بيننا فقال لى ما اظن الامر يا ابا مخلد الا انه كما
يقال انه خذلان فلذلك اقول طبعت على ما فى غير مخير هواى ولو خيرت
كنت المهذبا اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد وغيب عنى ان انال المغيبا
واصرف عن قصدى وعلمى مبصر فامسى وما اعقبت الا التعجبا قال
الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه
المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التى نزع منها
الراء وكانت على البديهة فقال تكلف القول والاقوام قد حفلوا وحبروا
خطبا ناهيك من خطب فقام مرتجلا تغلى بداهته كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصفح والاغراق فى الطلب ومثل ذلك
قول بعضهم فى واصل بن عطاء ويجعل البر قمحا فى تكلمه وجانب الراء حتى احتال
للشعر ولم يقل مطرا والقول يعجبه فعاد بالغيث اشفاقا من المطر فلما اظهر
بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه
مالى اشايع غزالا له عنق كنقنق الدو ان ولى وان مثلا عنق الزرافة ما بالى
وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده
قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكتنى بابى معاذ من
يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه
من يبعج بطنه فى جوف منزله على مضجعه او فى يوم حفله ثم كان لا يتولى
ذلك الا عقيلى او سدوسى فعدل واصل بن عطاء من الضرير الى الاعمى ومن

الكافر

الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابى معاذ ومن الفراش
الى المضجع وزاد قوم فقالوا ومن ارسلت الى دسست ومن يبقر اليه يبعج
وداره الى منزله ومن المغيره الى الغالية والاول اشبه بان يكون مقصودا
وما ذكرت ثانيا فقد يتفق استعماله من غير عدول استعمال الراء فاما قوله
لا يتولى ذلك الا عقيلى او سدوسى لان بشارا كان مولى لهم وذكره بنى
سدوس لان بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه
ثلثة اقوال احدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو قال ريم مرعث فاتر
الطرف والنظر لست والله نائلى قلت او تغلب القدر والقول الثانى انه كان
لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا اراد لبسه
ضمه عليه ضما من غير ان يدخل رأسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث وهى القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمى المرعث
لانه كان يلبس فى صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما
فى الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجودين
اخبرنا المرزبانى عن محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكرى
قال قيل لابى حاتم من اشعر الناس قال الذى يقول ولها مبسم كغر الاقاحى
وحديث كالوشى وشى البرود نزلت فى السواد من حبة القلب ونالت
زيادة المستزيد عندها الصبر عن لقائى وعندى زفرات يأكلن صبر
الجليد يعنى بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار
بنى امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم
يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناى والعود فبلغ ذلك المهدى فوجد
عليه وكان سببا لقتله مجلس آخر فاما مطيع بن اياس الكنانى فاخبرنا
ابو عبيد الله المرزبانى عن على بن هرون عن عمه يحيى بن على عن ابى ايوب المدينى
عن احمد بن ابرهيم الكاتب قال اخبرنى ابى قال رأيت بنت المطيع قد اتى بها فى اول

ايام الرشيد توبتها وردها الى اهلها وقال محمد بن داود بن الجراح فى اخبار
مطيع انه كان يرمى بالزندقة وروى انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل
بيته فاقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صار
نفسه فى ثغرته تنفس ثم اهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما
ضعيفا فتسمعوا له فاذا هو يقول لهف نفسى على الزمان وفى اى زمانٍ
دهتنى الازمان حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحانْ
قال المرزبانى وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدى يحيى بن زياد فاما يحيى
بن زياد الحارثى الكوفى فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله ابن عبد
المدان بن الديان الحارثى الكوفى وزياد بن عبيد الله هو خال ابى العباس السفاح
ويكنى ابا الفضل وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا انسان بالظرف
قالوا هو اظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه ظريفا وهذا المعنى قصد ابو
نواس بقوله تيه مغنٍ وظرف زنديق قال الصولى وانما قال ذلك لان
الزنديق لا ينزع عن شئ ولا يمتنع مما يدعى اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته
على كل شئ وقلة خلافه وروى انه قال ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل
لا اله الا الله فقال لم نبق الا العنبط والخلاخل ثم اغمى عليه فلما افاقه
اعيد عليه القول فقال وبازل تغلى به المراجل وروى محمد ابن يزيد قال
قال مطيع بن اياس يرثى يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة
يا اهل بكوا القلبى القرح وللدموع السواكب السفح راحوا بيحيى الى مغيبة
فى القبر بين التراب والصفح راحوا بيحيى ولو تساعدنى الاقدار لم تبتكر
ولم ترح يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان امس للمدح قد ظفر
الحزن بالسرور وقد اديل مكروهنا من الفرح ولمطيع يرثيه انظر الى الموت
كيف باد هه والموت مقدامة على البهم لو قد تدبرت ما صنعت به قرعت
سنا عليه من ندم فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به ما بعد يحيى للدرء من الم

فاما صالح بن عبد الله القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ويقال
ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على اى شئ تعزم يا صالح قال
استخير الله واقول بالاثنين قال ابو الهذيل فايهما استخرت لا ام لك وروى
ان ابا الهذيل ناظره فى مسألة مشهورة فى الامتزاج الذى ادعوه بين النور
والظلمة فاقام عليه الحجة وانقطع فانشا يقول ابا الهذيل هداك الله يا رجل
فانت حقا لعمرى معضل جدلُ وروى انه رءى يصلى صلاة تامة الركوع
والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد
وسلامة الاهل والولد ويقال انه لما اراد المهدى قتله على الزندقة دحى
اليه بكتاب وقال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح او تعرفه
انت يا امير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال افتقتلنى على ما لا تعرف قال فانى اعرفه
قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقراه ولست بزنديق وذكر
محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قرف به من الزندقة
بحضرة المهدى قال له المهدى الست القائل فى حفظك ما انت عليه رب
سر كتمته فكانى اخرس او ثنى لسانى خبل ولو انى ابديت للناس علمى لم يكن لى
فى غير حبسى اكل فقال صالح فانى اتوب وارجع فقال له هيهات الست القائل
والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه اذا ارعوى عاد الى جهله
كذى الضنا عاد الى نكسه ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد
ومن شعره وهو فى الحبس خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء
فيها ولا الموتى اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا فان حسنت لم تأت
عجلى وابطأت وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى طوى دوننا الاخبار سجن
ممنع له حارس تهدا العيون ولا يهدا قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل من الناس
لا نخشى فنغشى ولا نغشى الا احد يأوى لاهل محلة مقيمين فى الدنيا وقد

فارقوا الدنيا قال سيدنا الشريف المرتضى رضى الله عنه واظن ان ابن
الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى فى قوله يصف الحبس بيت يجدد
للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور فيحفد فاما على بن الخليل فذكر محمد بن داود
قال كان على بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيبانى ويكنى ابا الحسن وهو
كوفى متهم بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا
ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروى انه
لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه
قصيدة فاشار بها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المؤمنين انا
احسن قراءة لها من غيرى فأذن لى فى قراءتها ففعل فقال انى شيخ كبير ولا امن
الاضطراب اذا قمت فان رأيت ان تأذن لى فى الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس
ثم انشاء يقول يا خير من وخدت بارحله نجب الركاب بمهمه جلس
تطوى السباسب فى ازمتها طى التجار عمائم البرس لما رأتك الشمس طالعة
سجدت لوجهك طلعة الشمس خير الخلائف انت كلهم فى يومك الماضى وفى
امس وكذاك لا تنفك خيرهم تمسى وتصبح فوق ما تمسى من عصبة طابت
ارومتها اهل العفاف ومنتهى القدس فوق النجوم فروع نبعتهم ومع
الحضيض منابت الغرس انى رحلت اليك من فزع كان المتوكل عنك فرس
ما ذاك الا اننى رجل اسموا الى بقر من الانس بقر اوانس لا قرون لها
يقتلن بالتطويل والحبس واجاذب الفتيان بينهم صهباء مثل مجاجة
الورس للماء فى حافاتها حبب نظم كحلى صحائف الفرس والله يعلم فى بقيته
ما ان اضعت اقامة الخمس فقال له هرون من انت قال على بن الخليل الذى يقال
انه زنديق قال انت امن وكتب الى حمدويه ان لا يعرض له ومن تركنا ذكره من
هؤلاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه البلية اشهر وامره فيها
اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ قد ذكرنا جملة

من اخبار اهل الضلالة والمنقادين للجهالة حسب ما سئلنا فنحن نتبعها
بشئ من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن
الفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته ومن خسرت صفقته فقد
سئلنا ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام
امير المؤمنين عليه السلام وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه
ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور فى ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب
المتكلمون من بعد فى تصنيفه وجمعه تفصيل لتلك وشرح لتلك الاصول
وروى عن الائمة من اولاده عليهم السلام من ذلك ما لا يكاد يحاط بكثرة ومن
احب الوقوف عليه وطلبه من مظانه اصاب منه الكثير العزيز الذى فى بعضه
شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره
شيئا مما روى عنهم فى هذا الباب فمن ذلك ما روى عن امير المؤمنين ع م
وهو يصف الله تعالى بمضادته بين الاشياء علم انه لا ضد له وبمقارنته بين الامور
علم انه لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل
والصرود بالحرور مؤلف بين متباعداتها متفرق بين متدانياتها وروى
عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفنى به قيل وكيف عرفك
فقال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس
وقيل له ع م كيف يحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم فقيل له كيف يحاسبهم ولا
يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه وسأله رجل فقال اين كان ربك قبل
ان يخلق السماء والارض فقال عليه السلام اين سؤال عن مكان وكان الله
ولا مكان وروى عن ابى عبد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد
الحلبى فقال هل رأى رسول الله صلعم ربه فقال نعم راه بقلبه فاما ربنا
جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين
وروى صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابى الحسن الرضا

عليه السلام فسئاله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى
بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية
لموسى الكلام ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن
المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به
علما يجئ رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله تعالى يدعوهم اليه بامره
ولا يقول تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شئ ثم يقول سأراه
بعيني واحيط به علماً اما تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا
ان يكون يأتي عن الله بشئ ثم يأتي بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة فانه يقول
ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال عليه السلام ما بعد هذه الآية
يدل على ما رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد
محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات
الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فاذا رآته الابصار فقد احاط
به العلم فقال ابو قرة افاكذب بالرؤية فقال الرضا ع اذا القرآن كذبها
وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله
شئ واتى اعرابي اباجعفر محمد بن علي عليهما السلام فقال له هل رأيت ربك
حين عبدته فقال لم اكن لاعبد شيئا لم اره فقال كيف رأيته فقال ع لم تره
الابصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك
بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور
في قضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسا
لاته . وروى ان شيخا حضر صفين مع امير المؤمنين عليه السلام فقال له
اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء من الله وقدر
قال له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا
ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي

عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن ان لي اجراً في سعيي اذ كان الله
قضاه علي وقدره فقال له عليه السلام ان الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم
سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في شئ منها لا تكم مكرهين
ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي وكيف ذاك والقضا
والقدر ساقانا وعنهما كان مصيرنا وانصرافنا فقال له ع ويحك يا اخا
اهل الشام لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتما لو كان ذلك كذلك لبطل
الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي وما
كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسئ والمسئ اولى بعقوبة الذنب
من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن
وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله عز وجل امر عباده
تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها
ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب
الى عباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن
الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشامي فما القضاء والقدر
اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان امر
الله قدراً مقدوراً فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا المقال فقال
فرجت عني يا امير المومنين فرج الله عنك وانشأ يقول انت الامام الذي
نرجوا بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا اوضحت من امرنا ما كان
ملتبسا جزاك ربك بالاحسان . وروى ان اباحنيفه النعمان بن ثابت
قال دخلت المدينة فاتيت اباعبدالله عليه السلام فسلمت عليه وخرجت
من عنده فرأيت ابنه موسى عليه السلام في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير
السن فقلت له اين يحدث الغريب عندكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال
يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة

والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل
فى عينى وعظم فى قلبى فقلت له جعلت فداك فمن المعصية فنظر الى ثم قال
اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لابد ان تكون من العبد او من
ربه او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم
عبده ويأخذه بما له يفعله وان كان منهما فهو شريكه والقوى اولى با
نصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه
توجه النهى وله حق الثواب والعقاب ووجبت له الجنة والنار فلما
سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم
هذا المعنى شعراً فقيل لم تخل افعالنا اللاتى تذم لها احدى ثلث خلال
حين نأتيها اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها اولم يكن لالهى
فى جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانبها واحد من تظاهر من المتقد
مين بالقول بالعدل الحسن بن ابى الحسن البصرى واسم ابيه يسار من اهل
ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة زوج النبى صلعم
ويقال ان ام سلمة كانت تأخذ الحسن اذا بكى فتسكنه بثديها فكان يدر عليه
فيقال ان الحكمة التى اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا
وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ما رواه على بن الجعد قال سمعت الحسن يقول
من زعم ان المعاصى من الله عز وجل جاء يوم القيمة مسودا وجهه ثم قرأ
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال داود
بن ابى هند سمعت الحسن يقول كل شئ بقضاء وقدر الا المعاصى وكان
الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه فى الوعظ وذم
الدنيا اوجله مأخوذ لفظا ومعنى او معنى دون لفظ من كلام امير المؤ
منين على بن ابى طالب عليه السلام فهو القدوة والغاية فمن ذلك قوله

عليه السلام شيئان احدهما مأخوذ من الآخر احدهما اكثر شئ فى الدنيا
والآخر اقل شئ فى الدنيا العبر والاعتبار وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة
مثل مشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الآخر بعدا
وقوله عليه السلام شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل
تذهب مؤنته ويبقى اجره وقوله فى وصف الدنيا ما اصف من دار اولها عناء
وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها امن ومن
مرض فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن وقوله فى كلام له
فيا ايها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متى غرتك
ابمصاجع ابائك من الثرى ام بمنازل امهاتك من البلى كم مرضت بكفيك
وكم عالجت بيديك تبتغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم
الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال المرتضى رضى الله عنه وهذا باب
ان ولجناه اعترفنا من ثبج بحر زاخر او شئبوب غمام ماطر وكل قول فى هذا الباب
لقائل اذا اضيف اليه او قويس به كان كاضافة القطرة الى الغمرة والحصاة
الى الحرة وانما اشرنا اليه اشارة واومانا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه
روى ان اعرابيا سمع الكلام الحسن البصرى فقال المؤمن فصيح اذا لفظ
نصيح اذا وعظ وروى ان الحسن تلا يوما انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال ثم قال ان قوما عدوا فى المطارف العتاق والعمائم الرقاق
يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه فى
عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة
اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم ترهم
قد جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكى احدهم على شماله فيأكل من غير ماله
طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب
بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشاء من البشم ثم قال يا جارية هاتى

حاطوماً يعنى هاضوماً يهضم الطعام يا احيمق لاوالله ان تهضم الّا دينك
اين جارك اين يتيمك اين مسكينك اين ما اوصاك الله تعالى به وذكر يوماً
الحجاج فقال اتانا اعيمش اخيفش له جميمة يرجلها واخرج الينا بنا تا قصاراً
والله ما عرق فيها عنان فى سبيل الله فقال بايعونى فبايعناه ثم وفى هذه الا
عواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا
عن المنكر ويركبه وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة
فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها
سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك ابا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته
وكان يقول فى بعض كلامه ما تشاء ان ترى احدهم ابيض بضاً يملخ فى الباطل
ملخاً ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا فاعرفونى قال فالبض هو الرّخص اللحم
وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لانه قد تكون الرخاصة مع الادمة
فاما قوله يملخ فان الملخ هو التثنى والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب قال
روبة يصف الحمار مغتزم التجليح ملاخ الملق والمذروان فرعا الاليتين قال
عنترة الحوى تنقض استك مذرويها لتقتلنى فها انا ذا عمارا هذا قول ابى عبيد
وقال ابن قتيبة رادّا عليه ليس المذروين فرعى الاليتين حسب بل هما الجانبان
من كل شئ تقول العرب جاء فلان يضرب اصدويه ويضرب عطفيه وينفض
مذرويه وهما منكباه وذكر انه سمع رجلاً من فصحاء العرب يقول قنع الشيب
مذرويه يريد جانبى رأسه وهما فوداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان اى
يشيبان والذرى الشيب قال وهذا اصل الحرف ثم استعير للمنكبين والا
ليتين والطرفين من كل شئ قال امية بن عائذ الهذلى يذكر قوساً على عجس هتافة
المذروين زوراء مضجعة فى الشمال اراد قوساً ينبض طرفاها قال فلا معنى
لوصف الرجل الذى ذكره الحسن بانه يحرك اليتيه ولا من شان من يبذخ ويتيه
على نفسه ويقول ها انا ذا فاعرفونى ان يحرك اليتيه وانما اراد انه يضرب عطفيه

وهذا مما يوصف به المرح المختال الذى يزهى بنفسه وربما قالوا جاء ناينفض
مذرويه اذا كان يتهدد ويتوعد لانه اذا تكلم وحرك رأسه نفض قرون فوديه
وهما مذرواه قال قدس الله روحه وليس الذى ذكره ابو عبيد ببعيد لان من
شان المختال الذى يزهى بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه واعضاؤه
ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز
وانما خص المذروان بالذكر مع ان غيرهما يتحرك ايضاً على طريق التقبيح
على هذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شان من يبذخ ان
يحرك اليتيه ليس بشئ لان الاغلب من شان البذاخ المختال الاهتزاز وتحريك
الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك رأسه
وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك فى الاكثر قيل له مثله وكان الحسن يقول
يا ابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعاً فى وعاء وشدّاً فى وكاء وركوب الذلول
ولبس اللين حتى قيل مات فافضى والله الآخرة فطال حسابه وكان يقول
مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع شبع ان من
تولمه البقة وتقتله الشرقة لبادى الضعف فريسة للحتف وكان يقول
ما اطال احد الامل الا اساء العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول
البقاء الى فناء فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى والسلم وكان
يقول اذا رأيت رجلاً ينافس فى الدنيا فنافسه فى الآخرة وسأله رجل
ما حالك فقال باشد حال ما حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدرى ما
يفعل الله به وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان ذكيان
كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما وروى ابو بكر الهذلى قال لما قدم عمر بن
هبيرة والياً على العراق نزل واسطاً فبعث الى الشعبى والى الحسن البصرى
فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه وانتخبه لخلافته وقد
اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا

السمع والطاعة له وانه بعثني الى عراقكم غير سائل اياه الا وانه لايزال
يبعث الينا في القوم نقتلهم او في الضياع نقبضها او في الدور نهدمها فنوليه
من ذلك ما ولاه الله فما ترياني فاما الشعبي فقال قولاً فيه بعض اللين
واما الحسن فانه قال له يا عمر اني انهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك
من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله انه يوشك ان ينزل عليك ملك من السماء فيستنزلك
لك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك
الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصراً لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد
الله بسلطان الله يذلونهم به فانهم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل
وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرمنا عليه وروى ابو بكر بن
عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل
بما تكلمت به قال عظني قال اوليت قط قال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك
فأته الى من وليته وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطائي ام
ادعه حتى اخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاك فان
القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة وولد للحسن غلام فهناه بعض صحابه
فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنياً
اذهلني وان كنت فقيراً اتعبني لا ارضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحياة
كداً اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي من همه حزن
ولا من فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن من شوم الشراب الا انه
جاء الى احب خلق الله فافسد له كان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل وعزى
جاراً له يهودياً فقال له جزاك الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احداً من
اهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه
الكفار واراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب
وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء

والبدع

والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة وقال في قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا
حسنة قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن في جنازة
معها نوائح فقال رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع
فقال له الحسن ان كنت ارأيت قبيحاً تركت له حسناً اسرع ذلك في دينك وذكرت
عنده الدنيا فقال احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان
يتمثل اليوم عندك دلها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم وعن ابي عبيدة
قال لما فرغ الحجاج من خضراء واسط نادى في الناس ان يخرجوا فيدعوا له با
لبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام على
نفسه ان يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا يا اخبث الاخبثين وافسق الفا
سقين فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل الارض فغروك ثم قال ابى الله
تعالى للميثاق الذي اخذه على اهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف
وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله أ الله ليقومن عبيد من
عبيد اهل البصرة فيتكلم في بما تكلم به ثم لا يكون عند احد منكم تغيير ولا نكير
فقالوا ومن ذاك اصلحك الله اسقنا دمه فقال علي به وامر بالنطع والسيف
فاحضر ووجه اليه فلما دنا الحسن الى الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه
فلما دخل قال له الحجاج ها هنا واجلسه قريبا من فرشه وقال له ما تقول
في علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى
عليه السلام لفرعون اذ قال له ما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي
في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي وعثمن عند الله تعالى فقال له الحجاج انت
سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا له بغالية فغلل بها لحيته فلما خرج الحسن
اتبعه الحاجب فقال يا ابا سعيد والله لقد دعاك لغير ما فعل بك ولقد احضر
النطع والسيف فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال
قلت يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا الهي واله

ابائي ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب اذ رفني مودته واصرف عني اذاه ومعرته
ففعل ربي عز وجل بي ذلك وكان الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا
عمامة وقلد سيفا يعني الحجاج وروى ابو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد
ان الشيعة تزعم انك تبغض عليا عليه السلام فاكب يبكي طويلا ثم رفع رأسه فقال
لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه
الامة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلعم قريبة لم يكن بالنومة عن
امر الله تعالى ولا بالغافل عن حق الله تعالى ولا السروقة من مال الله اعطى القرآن
عزائمه في ماله وعليه فاشرف منها على رياض مونقة واعلام بينة ذاك ابن
ابي طالب يا لكع وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن علي عليه
السلام قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرأ هذا آخره لينبغي
ان يزهد فيه وان امرأ هذا اوله لينبغي ان يحذر منه وعن حميد الطويل
قال خطب رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه
فاثنيت عليه ذات يوم وقلت وازيدك يا ابا سعيد ان له خمسين الفا قال اقلت
له خمسون الفا ما اجتمعت من حلال قلت يا ابا سعيد انه والله ما علمت لورع
مسلم فقال ان كان جمعها من الحلال لقد ضن بها عن حق لا يجري والله بيني وبينه
صهرا ابدا وقيل لعلي بن الحسين بن علي عليهم السلام قال الحسن البصري ليس العجب
ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا فقال عليه السلام انا اقول ليس
العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله ورأى
عليه السلام يوما الحسن البصري وهو يقص عند الحجر فقال ارضيت يا حسن
نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه قال لا
قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف

مجلس آخر

وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزال
ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل انه مولى بني مخذوم وقيل مولى بني

هاشم

هاشم وروى انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغز
الين وقيل انه كان يجلس في الغزالين عند رضيع له يعرف بابي عبد الله الغزال
وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيصرف
صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمن بالخلال وهو وزير ابي
العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين فكان
يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله ابو علي الحرمازي هو مولى لبني هاشم وانما
لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرمان وابرهيم بن يزيد الخوزي وليس بخوزي
ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وابو سعيد المقبري لانه ينزل بالمقابر
وكان واصل الثغ في الراء قبيح اللثغة وكان يخلص كلامه من الراء ويعدل عنها في
سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو
الحسن البرذعي المتكلم ان انسانا سال عمرو بن عبيد او غيره عن شيء في القدر
بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء اغضب عمروا فاجابه عمرو بجواب
لم يرضه واصل فقال له واصل اياك واجوبة الغضب فانها مندمة والشيطان
يكون معها وله في تضاعيفها همزة وقد اوجب الله تعالى على نبيه عليه السلام ان
يستعيذ من همزات الشيطان وان يكونوا معه بقوله اعوذ بك من همزات
الشياطين الى خاتمة الآية وفلما شاهدت احدا اجاب فتثبت في جوابه
وما يطلق به لسانه فلحقه لوم قال البرذعي انظر الى واصل كيف كلم عمروا
فاخرج الراء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقد
اوجب الله على نبيه ولم يقل امره وقال وان يكونوا معه بدلا من قوله وان
يحضرون ثم قال الى خاتمة الآية ولم يقل الى آخر الآية قال المرتضى رضي الله عنه
ومما لم يذكره البرذعي ثم قال الى خاتمة الآية ولم يقل الى آخر الآية انه عدل عن
افتتاح الآية من اجل الراء ايضا لان اولها وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها لا سيما

وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به وقيل ان رجلاً قال
له كيف تقول اسرج الفرس فقال البد الجواد وقال له آخر كيف تقول ركب
فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده وسحب عامله وذكر ابو الحسين
الخياط ان واصلاً كان من اهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ومولده
سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلثين ومائة وكان واصل ممن لقي
ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي
اباه محمدا عليه السلام وذلك غلط لان محمدا توفي في سنة ثمانين او احدى وثمانين
وواصل ولد في سنة ثمانين وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين المنز
لتين لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل الصلاة على اقوال كانت
الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان وكان الحسن
البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق
غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن
وتلامذته فجمع بينه وبين واصل ليناظره فيما اظهره من القول بالمنزلة بين
المنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه
الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول
واعوجاج قال ارى عنقا لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه
قال له يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصانع
والمصنوع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت فاحسنت وان
اعود الى مثل الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل ان يكلم عمرواً
فقال واصل لعمرو لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلوة يستحق اسم
النفاق فقال عمرو لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم
الفاسقون ثم قال في موضع آخر ان المنافقين هم الفاسقون فكان كل فاسق

منافقا

منافقا اذ كانت الف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق فقال له واصل اليس
قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون واجمع
اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا كفرت
صاحب الكبيرة من اهل الصلوة بقول الله تعالى والكافرون هم الظالمون فعرف
بالف ولام التعريف اللتين في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
كما قال في القاذف واولئك هم الفاسقون فسميته منافقا لقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان اى ما اولى ان يستعمل
في اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلف
فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل الست تجد اهل الفرق
على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من
اسمائه لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا
قال السيد رض يعني بالشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا
والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما
عدا ذلك من اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق
لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التي اختلف فيها
فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق
ولا مشرك ولا كافر فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما
بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد علي من حضر اني تارك
المذهب الذي اذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلوة قائل
بقول ابي حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب
فاستحسن الناس هذا من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختصت
به هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن ابن ابي الحسن في تسميته مرتكب الكبيرة
من اهل الصلوة بالنفاق وحكى غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن

البصري كان جلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا رئيسين
مقدمين في اصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة
فاجتمع اليه جماعة من اصحاب الحسن وكان قتادة اذا جلس مجلسه سأل
عن عمرو واصحابه فيقول لما فعلت المعتزلة فسموا بذلك قال قدس الله
روحه اما ما الزمه واصل بن عطا لعمرو بن عبيد اولاً فسديد لازم
واما ما كلمه به ثانيا فغير واجب ولا لازم لان الاجماع وان لم يوجد في
تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق او غيره من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق
فغير ممتنع ان يسمى بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشئ وان
كان دليلاً على صحته فليس فقده دليلا على فساده وواصل تمام الزم
عمروا ان يعدل عن التسمية بالنفاق لاختلاف فيه ويقتصر على التسمية با
لفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه ان يقال قد ا
تفقوا اهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب
ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب او يقول انهم اجمعوا على استحقا
للعقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان اقول بما اتفقوا عليه وانفي
ما اختلفوا فيه فاذ قيل له استحقاقه للخلود او فعل المستحق به من
العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل ذلك
فيما عول عليه وبطل على كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على
وجوب الامتناع منه وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على
ان المقدمة التي قدمها لا تشبه ما الزم عليها لان الاجماع او لمن الا
ختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم
عليه واصل عمراً في سكانين الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف
هو في تسميته بما عداه من الاسماء فلا تعارض بينهما وله ان يأخذ بالاجماع
في موضعه ويقول فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع

من القول

من القول لا يوجب بطلانه وحكى ان واصلاً كان يقول اراد الله تعالى من
العباد ان يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى اني انا الله فعرفه نفسه
ثم قال له فاخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على
ذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا يعني صدقوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر عملوا او عملوا وعلموا
وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطاء اقبل في رفقة فاحسوا
بالخوارج وكانوا قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا
ليس من شانكم فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شانك فقال للخوارج
له ما من انت واصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله
ويقيموا احدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا احكامه فجعلوا يعلمونه
احكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين
فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه فابلغونا مأمننا فساروا با
جمعهم حتى بلغوهم الامن وحكى ان محمداً وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا
ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما اخرج واصل ودعا
الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القسم البلخي ان عبد الله قال لابنه محمد
كل خصالك يا بني محمودة الا قولك بالقدر فقال له ابه افتشئ اقدر على
تركه ام لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابداً
قال قدس الله روحه يقول ان كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر
فلم تعاتبني على شئ لا اقدر على تركه فاما عمرو بن عبيد فيكنى ابا عثمان مولى
لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه
من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال
وكان ابوه عبيد شرطيا وكان عمرو متزهداً فكانا اذا اجتازا معا على الناس

قالوا هذا شرّ الناس ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وابانا
رح قال على بن الجعد هو عبيد بن باب وكان نوابا للحكم بن ايوب قال وكان
باب مكاريا له دكان معروف يقال له دكان باب وكان فارسيا وللفرزدق
معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته ولفحش فيه وذكروا ابو الحسين الخياط ان
مولد عمرو عبيد وواصل بن عطاء جميعا فى سنة ثمانين قال ومات عمرو فى سنة
اربع وستين سنة وروى ان عمروا استاذن على المنصور فدخل
عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال انى عمرو بن عبيد وكانت على المد
المنصور جبة يمانية محققة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم
قال هات لى قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال له در من خلفى فغط الجبة
وازرر على قال الربيع ولم اكن ارى ان احدا يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن
عبيد قال فدخل عليه رجل آدم مربوع الكدنة بين عينيه اثر السجود حسن
الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك فى توقيره للخليفة واعظامه اياه
فسلم فاجتذبه المنصور ليجلس معه فابى وطرح نفسه بين يديه فسايله وا حفى
به فلما اراد عمرو القيام قال له عظنى يا ابا عثمان واوجز قال له ان ما فى
يديك لست يوارثه عن احد وانما هو شئ صار اليك وقد كان فى يد غيرك
قبلك ولو دام لك لبقى فى يد الاول والسلم وعن الاصمعى قال قال مطر
الوراق لعمرو بن عبيد انى لارحمك مما يقول الناس فيك فقال عمرو افتسمعنى
اقول فيهم شيئا قال لا قال فاياهم فارحم وقال خالد بن صفوان لعمرو بن
عبيد لم لا تاخذ منى فتقضى دينا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له
عمرو اما دين فليس على واما صلة رحى فلا تجب على وليس عندى قال فما يمنعك
ان تاخذ منى قال يمنعنى انه لم ياخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا والله
اكره ان اذل لك ويقال ان ابن لهيعة اتى عمرو بن عبيد فى المسجد الحرام فسلم
عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمن ما تقول فى قوله تعالى ولن تستطيعوا

ان تعدلوا

ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك فى محبة القلوب التى لا
يستطيعها العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن فى القسمة من النفس
والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فلا تميلوا كل
الميل فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات
زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد اتى
يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك
كان فرعك وان امرءا ذهب اصله وفرعه لحرى ان يقل بقاؤه فقيل ان
عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا المعنى فقال صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة
تصان فما يبدو العين مصونها ارى المرء دينا للمنا وما لها مطال اذا
حلت بنفس ديونها فما ذا بقاء الفرع من بعد اصله ستلقى الذى لاقى
الاصول غصونها واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله
فبعض اللوم عاذلتى فانى ستغنينى التجارب وانتسابى الى عرق الثرى
وشجت عروقى وهذا الموت يسلبنى شبابى واخذ ذلك لبيد فى قوله فان
انت لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الاوائل فان لم
تجد من دون عدنان والد ودون معد فلتزعك العواذل واخذه ايضا
فى قوله تود ابنتاى ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر ونظر
اليه محمود الوراق وابرهيم ابن العباس الصولى اما محمود ففى قوله اذا ما
انتسبت الى آدم فلم يك بينكما من اب وجازت سنوك بك الاربعين وصرت
الى جانب الاجنب ودب البياض خلال السواد فاصبحت فى شية الاشهب
فكيف تؤمل طول الحيوة ان كان حلمك لم يعزب واما ابرهيم ففى قوله نعى
نفسى الى ابى وخير ابن منقلى بموعظة رآها فى ابيه كما رأيت ابى وكان ابا
نواس لحظ هذا المعنى فى قوله وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب
فى الهالكين عريق اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

روى ان عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمرو الغلابى وهو يجود بنفسه
فقال له ان الله تعالى تعبدك فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك
ووضع عنك فى هذه الحال عمل الجوارح ولم نكلفك الا العمل بقلبك فا
عطه بقلبك ما يجب له عليك وروى ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن
عبيد فتذاكروا السخاء فاكثروا فى وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده
فقال ما اصبتم صفته ان السخى من جاد بماله تبرعا وكف عن اموال الناس
تورعا وذكر اسحق بن الفضل الهاشمى قال انى لعلى باب المنصور يوما
والى جنبى عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع
البساط برجله وجلس دونه فالتفت الى عمارة فقال لا تزال بصرتكم تر
مينا منها باحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان
عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال
اجب امير المؤمنين جعلت فداك قال فمر متكيا عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل
الذى استحمقته قد ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال اللبث ثم
خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابن عثمان فما برح حتى
الى بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عمارة على
الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولى عهدكم لقضيتم ذمامه
قال فما غاب عنك مما فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا
فقال الربيع ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا
ثم انتقل اليه والمهدى معه عليه سواده وسيفه ثم اذن له فلما دخل سلم عليه
بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه وتحفى به ثم ساله عن نفسه
وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال له يا ابا عثمن عظنا فقال
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر ومر فيها
الى آخرها وقال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد فبكى بكاء شديدا كانه لم يسمع

تلك الآيات الا تلك الساعة فقال زدنى فقال ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها
فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الامر الذى صار اليك انما كان فى يد
من كان قبلك ثم افضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك وانى احذرك
ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى اشد من بكائه الاول حتى رجف
جنباه وفى رواية اخرى انه لما انتهى المنصور الى آخر السورة قال يا امير المؤمنين
ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل بهم مثل ما نزل بهم فاتق الله فان
من وراء بابك نيرانا تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول
الله فقال يا ابا عثمان انا نكتب اليهم فى الطوامير نامرهم بالعمل بالكتاب والسنة
فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل اذن الفارة يجزئك من الطوامير
الله تكتب اليهم فى حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم فى حاجة الله فلا ينفذ
ونها انك والله لو لم ترض من عمالك الا بالعدل اذا لتقرب اليك به من لا نية له فيه
قال المرتضى رضى الله عنه رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان بن مجالد
رفقا يا امير المؤمنين فقد اتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الامر وانتشر
لا ابا لك وماذا خفت على امير المؤمنين ان بكى من خشية الله وفى رواية اخرى
ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو راسه فقال له من انت فقال
ابو جعفر او لا تعرفه يا ابا عثمن فقال لا ولا ابالى ان لا اعرفه فقال هذا اخوك
سليمان بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن ام مجالد خزنت
نصيحتك عن امير المؤمنين ثم اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته
يا امير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم فانت كالاخذ بالقرنين
وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث
وحدك ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئا فقال له المنصور يا ابا عثمان
اعنى باصحابك استعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك اهله قال بلغنى ان محمد بن
عبد الله بن الحسن كتب اليك كتابا قال قد جاءنى كتاب يشبه ان يكون كتابه

قال فبماذا اجبته قال اوليس قد عرفت رأيي في السيف ايام كنت تختلف
الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تخلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك
تقية لاحلفن لك تقية قال له انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة
الف درهم تستعين بها على زمانك قال لا حاجة لي فيها قال والله لتأخذنها
فقال والله لا اخذتها فقال له المهدي يحلف امير المؤمنين وتحلف
فترك المهدي واقبل على المنصور وقال من هذا الفتى قال هذا ابني محمد وهو
المهدي وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته
لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به
اشغل ما تكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال نعم يا ابن اخي اذا حلف
ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك قال المنصور يا ابا عثمن هل
من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال عن
حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشأ يقول كلكم طالب
صيد كلكم ماشي رويد وروي ان هشام بن الحكم قدم البصرة فاتى حلقة
عمرو ابن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اليس قد جعل الله لك عينين
قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في ملكوت السموات والارض فاعتبر قال وجعل
لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعوم واجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس
كلها ثم قال وجعل لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ما ادركته
فيميز بينها قال فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها
اماما ترجع اليه ايرضى لهذا الخلق الذي حشا بهم العالم الا يجعل لهم اماما ير
جعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه ثم دار هشام
في حلق البصرة فما امسى حتى اختلفوا وروى ابو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد
على سليمن بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمن اخبرني عن صاحبك
يعني الحسن حين يزعم ان عليا عليه السلام قال اني وددت اني كنت آكل الحشف بالمدينة

ولم اشهد مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا
لانه ظن ان امير المؤمنين عليه السلام شك ولكنه يقول ود انه كان يأكل
الحشف بالمدينة ولم يكن هذه الفتنة فقال له فقوله في عبد الله بن العباس
يفتينا في القملة والقميلة وطار باموالنا في ليلة فقال له كيف يقول هذا
ابن عباس رحمة الله عليه لم يفارق عليا عليه السلام حتى قتل وشهد صلح
الحسن عليه السلام واي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه
السلام الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ويرشه وقالوا
انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ
نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل
الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال الله تعالى فوربك لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته
منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل او السكوت عن الجور
الذي لا يجوز على الله تعالى قال خلاد الادقط حدثني زميل لعمرو بن عبيد
قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي
امران قط احدهما لك فيه رضى والآخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على
هواي فاغفر لي ومر ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع على ليال من
مكة على طريق البصرة فانشأ يقول صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به
على مران قبرا تضمن مؤمنا متخشعا عبد الاله ودان بالفرقان واذا الرجال
تنازعوا في شبهة فصل الخطاب بحكمة وبيان فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا
ابقى لنا عمرا وابا عثمان فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل ابن عبيد الله
بن مكحول العبدي وقال ابو القسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد سنة
اربع وثلثين ومائة وقال ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلثين ومائة
وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومائتين فكانت سنه مائة

سنة قال البردعي لحق ابا الهذيل في آخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب
عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وقيل كف بصره وفاته واخذ ابو
الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل ابن عطاء وقيل ان ابا الهذيل
في حداثته بلغه ان رجلاً يهوديا قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها
فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي اكلمه فقال له عمه يا بني كيف
تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد من ان تمضي
بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا
اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان نجمع على ما تدعونه فتقدمت
اليه فقلت له اسالك ام تسالني فقال بل اسالك فقلت ذاك اليك فقال
لي اتعترف بان موسى عليه السلام نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك
فقلت له ان كان موسى الذي تسالني عنه هو الذي بشر بنبيي عليه السلام
وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق وان كان غير من وصفت فذلك
شيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال له اتقول
ان التورية حق فقلت هذه المسئلة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التورية
التي تسالني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلام فتلك حق وان لم تكن
كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي احتاج ان
اقول لك شيئا بيني وبينك قال فظننت انه يقول شيئا من الخير فتقدمت اليه
فسارني وقال لي امك كذي وكذي وام من علمك لا يكني وقدر اني اثب به فيقول
وثبوا بي وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس وقلت اعزكم الله قد وقفتم
على مسالته اياي وعلى جوابه اياه فقالوا بلى قلت افليس عليه ان يرد جوابي
ايضا فقالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم
من علمني وانما قدر اني اثب عليه فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه وقد عرفتكم
شانه بعد الانقطاع فانصروني فاخذته الايدي من كل جهة وخرج هاربا من البصرة

وعن ابي العيناء قال قال لي ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان تنقلب الارض
اعلاها اسفلها فقال الا يكن هذا اليوم بالارض فانه لبالناس وقال ابو
الهذيل قال لي المعذل بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع
اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين
لي ما يذهب بالريب عني فقال له خبرني عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلوا من ان
يكون اكذبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم تاركون له فاستطاعة للخروج
فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون اي يستطيعون الخروج وهم يكذبون
فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا
الوجه او يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون اي ان اعطيتهم الا
ستطاعة لم يخرجوا فيكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون
فعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل
للآية معنى ثالث غير الوجهين الذين وصفنا وحكى سليمان الرقي ان ابا
الهذيل لما ورد ستر من رأى نزل في غرفة الى ان تطلب له دار تصلح له قال فمررت
به فقلت له يا ابا الهذيل اتنزل في مثل هذا المنزل فانشدني يقولون زين
المرء يأتي رحله الا ان زين الرجل يأتي راكبه وعن ابي مجالد قال رايت رجلا
وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح فقال له من جمع بين
الزانيين يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون القوا
دون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت فخجل
الرجل وسكت وقال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم
قوم انه الاصم خبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة وذكر القاذف فقال اجلدوهم ثمانين جلدة فايهما اكثر قال الحد الزاني
فقلت بكم قال بعشرين قلت فخبرني عن الجلد اهو بالجلاد قال لا قلت افهو

السوط قال لا قلت افهو ظهر المجلود قال لا قلت افهو الانفراج الذى بين
السوط ظهر المجلود قال لا قلت افثم شئ غير هذا هو الجلد قال لا قلت
فانما تقول ان لا شئ اكثر من لا شئ بعشرين فانقطع وقال ابو الهذيل قلت
لمجوسى ما تقول فى النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص
اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت
فالجوع والعطش قال فقرها الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال
بهمن الملك فقلت ما فى الدنيا شر من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها
ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته
ثم سلحوها على رأس بهمن اعز ملائكة الله فانقطع المجوس وخجل مما لزمه
ودخل ابو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع
مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذى قد رفعه الامير لنوفيه بمعرفته
حقه قال رجل من اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام قال
ذلك علم يبطل افاساله قال سل فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه
قال اءكل هذه ام لا فقال نأكلها فوضعها ابو الهذيل فقال لست آكلها
قال فتعيدها الى يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له الحسن
لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لى لا تأكلها فآكلها خلافا عليه فيقول لى
قد اصبت فى المسالة الاولى وقال نعمان المنانى يوما لابى الهذيل دل على
حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال
لخصمه احضر معى الى القاضى ولا تحضر بينتك وذكر محمد بن الجهم صاحب
الفراء قال رأيت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان فى ايام المأمون فسال سهل
بن هرون ابن راهبون ان يكتب له كتابا فى حاجة له الى حفصويه صاحب
المجيس ونهض ابو الهذيل فاملى على سهل بن هرون ان الضمير اذا سالتك
حاجة لابى الهذيل خلاف ما ابدى فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بخلف

الوعد والزلة كيما ليحسن ظنه فى غير منفعة ولا رفد حتى اذا طالت شقاوة
جده ورجا الغنى فاجبهه بالرد وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما
يضر بابلغ الجهد وانظر كلا مى فيه فارم به خلف الثريا منك فى البعد
وكذاك فافعل غير محتشم ان جئت اسالك فى ابى الهندى قال قدس الله روحه
ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن
ابى الازهر قال حدثنا ابو العيناء قال كان لى صديق فجاءنى يوما فقال لى
اريد الخروج الى فلان العامل واحببت ان تكون معى اليه وسيلة وقد سالت
من صديقه فقيل لى ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك فاحب ان تأخذ لى
كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لى فى اى شئ جاء ابو عبد الله
فقلت مسلما وقاضيا للحق وفى حاجة لبعض اصدقائى وهى كذى وكذى
فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فانى فى غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان
من غد وجه الى بالكتاب مختوما فقلت لابنى وجه بهذا الكتاب الى فلان
ففيه حاجته فقال لى ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغى ان نفضه وننظر ما فيه
ففعل فاذا فى الكتاب كتابى اليك مع من لا اعرفه وقد كلمنى فيه من لا اوجب
حقه فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم اذمك فلما قرأت
الكتاب مضيت الى الجاحظ من فورى فقال يا ابا عبد الله قد علمت انك
انكرت ما فى الكتاب فقلت اوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بينى
وبين الرجل فيمن اعتنى به فقلت لا والله ما رأيت رجلا اعلم بطبعك وما
جبلت عليه من هذا الرجل يعنى صاحب الحاجة علمت انه لما قرأ الكتاب قال
ام الجاحظ عشرة الف وام من يساله فقلت له يا هذا اتشتم صديقنا
فقال هذه علامتى فيمن اشكره وفى رواية اخرى ان ابا العيناء سلم
الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال
له ابو العيناء طينته اهون من ظنه قال السيد قدس الله روحه واظن

ان ابا العيناء تنبه على فض الكتاب وقرائه بخبر طرفة بن العبد والمتلمس
الضبعي المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واختصا به
ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرض به في الشعر المشهور في الرواية
فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على
طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال لهما
انى قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما
فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق متكشفا يتبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتنا
ول القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما لصاحبه هل رأيت اعجب
من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا
واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري
فاوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة
فقال له اتقرأ يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فاذا
فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة
فقال تعلمن والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه عليك
فقال كلا والله ما كان ليجسر على قومي بمثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فالقى
المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال قذفت بها بالثني من جنب كافر كذلك اقنو كل
قط مضلل رضيت لها بالماء لما رايتها يجول بها التيار في كل جدول كافر
نهر بالحيرة واقنوا اقنى والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته
وقال المتلمس ايضا من مبلغ الشعراء عن اخويهم نباء فتصدقهم بذاك
الانفس اودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حبائه المتلمس القى
صحيفته ونجت كوره وجناء مجمرة المناسم عرمس عيرانه طبخ الهواجر لحمها
فكان نقبتها اديم املس اطريفة بن العبد انك حائن ابساحة الملك الهمام تمرمر
القى الصحيفة لا اباك انه يغشى عليك من الحباء النفوس ها هنا الدنية

ومضى

ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال
المتلمس عصانا فما لاقى الرشاد وانما يبين من امر الغوي عواقبه فاصبح محمولا
على ظهر آلة تمج نجيع الجوف منه ترائبه فالا تجللها يعالوك فوقها وكيف
توقى ظهر ما انت راكبه ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمروا وبلغه
ان عمروا يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه فقال آليت حب العراق الدهر
اطعمه والحب يأكله في القرية السوس وجوى المثل بصحيفة المتلمس فقال
الفرزدق يذكر الشعراء الذين اورثوه اشعارهم وهب القصائد لي النوابغ
اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول واخو بني قيس وهن قتلنه و
مهلهل الشعراء ذاك الاول يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي
ونابغة بني شيبان ويعني بابي يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة
وذو القروح امرؤ القيس واخو بني قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن
قتلنه يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب المتلمس
وطرفة في هذه القصة هو النعمن بن المنذر وذلك اشبه بقول طرفة
ابا منذر كانت غرورا صحيفتي فلم اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي ابا منذر
افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض وابو منذر
هو النعمن بن المنذر وكان النعمن بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة
النعمن فلا يجوز ان يكون عمرو قتله ويشبه ان يكون القصة مع النعمن
مجلس آخر وكان ابو سهل بشر بن المعتمر من وجوه اهل الكلام ويقال ان جميع
معتزلة اهل بغداد كانوا من مستجيبيه وقال ابو القسم البلخي انه من اهل
بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان ابرص وحكى انه كان
يوما في مجلسه وعنده اصحابه ومعهم مجبر يسئلهم ويقول اتحمدون
الله على ايمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكانه يحب ان يحمد على ما لم يفعل
وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله مما لم

يعن عليه ولم يدع اليه وهو يشغب اذا قبل ثمامة بن اشرس فقال بشر للمجبر
قد سالت القوم واجابوك وهذا ابو معن فاساله فسئله عن المسئلة
وقال له هل يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدنى عليه
لانه امرنى به ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية عليه والدعاء اليه
فانقطع المجبر وقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ وكان بشر يقع
فى ابى الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون
لا يعلم وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس لا يعلم
ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه من ان يكون
من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان يكون بنبيل المنظر سخيف
المخبر احب اليه من ان يكون بنبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد
عجباً منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع ولبشر
اشعار كثيرة يحتج فيها على اصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير احدا
اقوى على المخمس والمزدوج مما قوى عليه بشر وانه كان اكثر فى ذلك واقدر
من ابان اللاحقى وهو القائل ان كنت تعلم ما اقول وما تقول فانت عالم
او كنت تجهل ذا وذاك فكن لاهل العلم لازم اهل الرياسة من ينازعهم
رياستهم فظالم سهرت عيونهم وانت عن الذى قاسوه حالم لا تطلبن
رياسة بالجهل انت لها مخاصم لولا مقامهم رأيت الدين مضطرب
الدعائم فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان مقدما فى العلم
بالكلام حسن الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعانى وانما اداه الى
المذاهب الباطلة التى تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وانتغاله وقيل
انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق جرى على احد آبائه وقيل للنظام
ما الاختصار فقال الذى اختصاره فساد وقال لرجل اتعرف فلانا المجوسى
فقال نعم ذاك الذى خلق وسط رأسه كما يفعل اليهودى فقال النظام

لا المجوسى عرفت ولا اليهودى وصفت قال الجاحظ وذكر النظام عبد
الوهاب الثقفى فقال هو احلى من امن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد
جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع
الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه يا تاركى جسدا بغير فواد اسرفت
فى الهجران والابعاد ان كان تمنعك الزيارة اعين فادخل الى بعلة العواد كيما اراك
وتلك اعظم نعمة ملكت يداك بها منيع قيادى ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد وله ايضاً تأمله طرفى فالم خده فصار مكان
الوهم من نظرى اثر وصافحه قلبى فالم كفه فمن صفح قلبى فى انامله عقر ومر
بقلبى خاطر فجرحته ولم ار خلقا قط يجرحه الفكر يمر فمن لين وحسن
تعطف يقال به سكر وليس به سكر ويقال ان ابا العتاهية قال
انشدت النظام اذا هم النديم له بلحظ تمشت فى محاسنه الكلوم فقال
ينبغى ان ينادم هذا اعمى قال السيد رضى الله عنه وابيات النظام تتضمن
معنى بيت ابى العتاهيه ولسنا ندرى ايهما اخذ من صاحبه والنظام
يكرر هذا المعنى كثيراً فى شعره فمن ذلك قوله رق فلو برزت سرابيله علقه
الجو من اللطف يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكى الايماء بالطرف وحكى ان ابا
النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه
وفى يده قدح زجاج يا بنى صف لى هذه الزجاجة فقال ابمدح ام بذم قال
بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراءها قال فذمها
قال سريع كسرها بطئ جبرها قال فصف هذه النخلة واوماء الى نخلة فى داره
قال ابمدح ام بذم قال بمدح قال هى حلو مجتناها باسق منتهاها ناظر اعلاها
قال فذمها قال هى صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل
يا بنى نحن الى التعلم منك احوج قال السيد قدس الله روحه هذه بلاغة
من النظام حسنة لان البلاغة هى وصف الشئ ذماً او مدحاً باقصى ما يقال

فيه وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن بهجائها
واختبر بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذاك ان عمارة وانسا
وقيسا والربيع بني زياد العبسيين وفدوا على النعمن بن المنذر ووفد عليه
العامريون بنو ام البنين وعليهم ابو البراء عامر بن مالك ابن جعفر بن كلاب
وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة
بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذوابة وكان الربيع بن
زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى
الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى
عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا
يوما بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلا
بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا لعداوته لبني جعفر
لانهم كانوا اسروه فصدّ النعمان عنهم حتى نزع القبة عن ابي براء وقطع النزل
فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم
فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم
ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها فاتاهم تلك الليلة وهم
يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا له اليك عنا
فقال اخبروني فلعل لكم عندي فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا
ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت ام لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا
له خالك قد غلبنا على الملك واصدّ عنا وجهه فقال هل تقدرون على ان
تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فارجز به رجزا ممضا مولما لا يلتفت
اليه النعمن بعده ابدا قالوا له وهل عندك ذاك قال نعم قالوا فانا نبلوك
بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها
بالارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض فاخذها بيده فقال هذه البقلة

التربة

التربة التفلة الرذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها
ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع
والمقيم عليها قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها قلعا فحربا
لجارها وجدعا فالقوا بي اخا عبس ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس
فقالوا نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتموه
نائما فليس امره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتموه ساهرا فهو
صاحبكم فرمقوه بابصارهم فوجدوه وقد ركب رحلا يكدم واسطته حتى
اصبح فلما اصبحوا قالوا انت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له
ذوابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمن فوجدوه يتغدى
ومعه الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوة بالوفد فلما فرغ من الغداء
اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمن حاجتهم فاعترض
الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احد شقي رأسه وارخى ازاره وانتعل نعلا
واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا ارادت الهجاء فمثل بين
يديه ثم قال يا رب هيجا هي خير من دعه اذ لا تزال هامتي مقزعه نحن بني ام البنين
الاربعه ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المدعدعه والضاربون
الهام تحت الخيضعه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه ان استه من برص
ملمعه وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه كانما يطلب
شيئا ضيعه فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذلك
انت قال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمن افّ لهذا الطعام لقد خبثت
على طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما اني قد فعلت بامه لا يكني وكانت في حجره
فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة غير فعل وانت المرء قال
هذا في ربيبته قال السيد قدس الله روحه ووجدت في رواية اخرى اما
انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح

وصدقه عليها نجينا له ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعادوا
على الى براء القبة وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان
يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه انى قد تخوفت ان يكون
قد وقع فى صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث الى من يجردنى ليعلم
من حضرك من الناس انى لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا
بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على رد ما زلت به الالسن فالحق باهلك
ثم كتب اليه النعمن فى جملة ابيات جوابا عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من شئ اذا قيلا واخبرنا بهذا الخبر
ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابى
عبيدة واخبرنا به المرزبانى ايضا قال حدثنى محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا
احمد بن عبيد بن ناصح النحوى قال اخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبى
عن عبد الله بن مسلم البكائى وقد كان ادرك الجاهلية وفى حديث كل واحد
زيادة على الآخر ولم نات بجميع الخبر على وجهه بل اسقطنا منه ما لم يحتج اليه
واوردنا ما اوردناه منه بالفاظه قال السيد قدس الله روحه اما قوله
نحن بنى ام البنين الاربعه فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم
جميعا وام البنين هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت
مالك بن جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل
بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيعة
بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية ابن مالك معود الحكام وانما سمى
معود الحكام بقوله وعود مثلها الحكام بعدى اذا ما الحق فى الاشياع نابا
وولدت عبيدة الوضاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه
من غير ذلك فاما الجفنة المدعذعة فهى المملوة واما الخيضعة فان الاصمعى
يذكر ان لبيدا قال تحت الخضعة يعنى الجلبة فسوته الرواة وقيل ان الخيضعة

اصوات

اصوات وقع السيوف والخيضعة ايضا البيضة التى تلبس على الرأس
والخيضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك فاما ابيت اللعن فان ابا حاتم قال
سألت الاصمعى عنه فقال معناه ابيت ان تأتى من الامور ما تلعن عليه فاما
الاشاجع فهى العروق والعصب الذى على ظهر الكف وقد روى اكل يوم
هامتى مقزعه والقزع تساقط بعض الشعر او الصوف وبقاء كبش اقزع
ونعجة قزعاء فاما الجاحظ فهو ابو عثمن عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابى
القلمس عمرو بن قلع الكنانى ثم الفقيمى وذكر المبرد انه ما رأى احرص على
العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضى
فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع فى يده كتاب قرأه من اوله الى آخره اى كتاب كان
واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب فى خفه فاذا قام من بين يدى المتوكل للبول
او الصلاة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذى يريده ثم
يصنع مثل ذلك فى رجوعه حتى يأخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق فانى ما دخلت
عليه قط الا وفى يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه
قال البلخى تفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة تحصل من الطباع وهى مع ذلك فعل
للعباد على الحقيقة وكان يقول فى سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد على انها
وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد ولا يعرف
الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه
وشغفه به والفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه وكان
الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابى دواد
للعداوة التى كانت بين احمد ومحمد فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل
له لم هربت فقال خفت ان اكون ثانى اثنين اذ هما فى التنور يريد ما صنع بمحمد بن
عبد الملك من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب
به حتى مات وروى انه اتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفى عنقه سلسلة

وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي دواد قال الله ما علمتك الا متناسيا
للنعمة كفورا للصنيعة معدنا للمساوى وما فتئني باستصلاحي لك ولكن
الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداء دخليتك وسوء اختيارك
وغالب طبعك فقال الجاحظ حفض عليك ابدك الله فوالله لان يكون
لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولان اسئ وتحسن احسن في الاحدوثة
عنك من ان احسن فتسئ ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل
بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا
كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق
والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة
والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك
ثم اتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الان حديثك يا با عثمان
وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك على حذر ممن تخاف
وقال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخزيمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت
فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول
ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد
سهم الصواب الى غرض المعنى وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة بكلام
العامة وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني اكتب خطا رديا
في ورق ردي متقارب السطور فقال لي ما احسبك تحب ورثتك
فقلت وكيف ذاك قال لاني اراك تسئ بهم فيما تخلفه وذكر ابو العباس
المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل زاه انت والله احوج الى هوان
من رجل كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر
وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما اتعرف مثل قول اسمعيل بن القسم ولا خير
فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب فقلت نعم قول كثير ومنه اخذ

فمن

فقلت لها يا عز كل مصيبة اذا وطنت يوما لها النفس ذلت وروى يموت
بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه نسب الجماز مقصور اليه
منتهاه تنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو اقفاه يتحاجى من ابو الجماز
فيه كاتباه ليس يدري من ابو الجماز الا من يراه اخبرنا المرزباني قال اخبرني
علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العيناء قال انشدني الجاحظ
لنفسه في الخضاب زدت فتاة من بني هلال فاستعجلت الي بالسؤال ما لي
اراك فائق السبال كانما كرعت في جريال ما ينبغي مثلك من امثالي تنح قد لي
ومن حيالي قال المرتضى رض كانما كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر
الجاحظ للينه وضعف كلامه وذكر ابو العيناء قال حدثني ابرهيم رياح قال
انشدني الجاحظ يمدحني بدا حين اثرى باخوانه ففلل عنهم شباة العدم
وذكره الحزم ريب الزمان بالعرف قبل الندم قال ابرهيم فذاكرت بهما احمد بن ابي
دواد فقال قد انشدنيها يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد انشدنيهما
يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا
يفضل قول ابي نواس وانشد ودار ندامى عطلوها وادلجوا بها اثر منهم
جديد ودارس مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم واني على امثال تلك لحابس ولم ادر منهم
غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس اقمنا بها يوما ويوما و
ثالثا ويوما له يوم الترحل خامس تدار علينا الراح في عسجدية حبتها
بانواع التصاوير فارس قرارتها كسرى وفي جنباتها مهى تدريها بالقسي
الفوارس فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس قال
الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا با عثمن لو نقر هذا الشعر لطن
قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال السيد قدس الله روحه
اخذ ابو نواس قوله ولم ادر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار

البسابس من ابی خراش الهذلی فی قوله ولم ادر من القی علیه رداءه سوی انه قد سل
عن ماجد محض ویقال ان اباخراش اول من مدح من لا یعرفه وذلك ان خراش
اسرهو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه علی خراش حین شغل القوم
بقتل عروة ونجاه فلما تفرغوا له قالوا افلت منی ویقال بل راه فی الاسر رجل من بنی
عمه فالقی علیه رداءه لیجیره به وقال له النجاء وتلك فقال ابو خراش فی ذلك
حمدت الهی بعد عروة اذ نجا خراش وبعض الشر اهون من بعض فاقسمت
لا انسی قتیلا رزیته بجانب قوسی ما مشیت علی الارض علی انها تعفو الکلوم
وانما نوکل بالادنی وان جل ما یمضی ولم ادر من القی علیه رداءه سوی انه
قد سل من ماجد محض واخبرنا المرزبانی قال حدثنی ابرهیم بن محمد بن شهاب
قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمر البرذعی المتکلم قال صرت الی منزل الجاحظ فی اول
ما قدمت من بلدی وقد اعتل علته التی فلج فیها فاستاذنت علیه فخرج الی الخادم
من منزله فقال لی یقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت
عنه وذکر یموت بن المزرع قال وجه المتوکل فی السنة التی قتل فیها ان یحمل
الیه الجاحظ من البصرة وساله الفتح ذلك فوجده لا فضل فیه فقال لمن
اراد حمله وما یصنع بامرئ لیس بطائل ذی شق مائل ولعاب سائل
وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل وقال المبرد سمعت الجاحظ یقول انا من
جانبی الایسر مفلوج فلو قرض بالمقاریض ما علمت ومن جانب الایمن منقرس
فلو مر به الذباب لالمت وبی حصاة لا ینسرح لی البول معها واشدما علی
ست وتسعون وقال یوما لمتطبب یشکوا الیه علته اصطلحت الاضداد
علی جسدی ان اکلت باردا اخذ برجلی وان اکلت حارا اخذ براسی وتوفی
فی سنة خمس وخمسین ومائتین مجلس آخر تاویل آیة ان سال سائل عن قوله تعا
لیس البر ان تولوا وجوهکم قبل المشرق والمغرب ولکن البر من آمن بالله والیوم
الآخر والملائکة والکتاب والنبیین وآتی المال علی حبه ذوی القربی والیتامی

والمساکین وابن السبیل والسائلین وفی الرقاب واقام الصلوة واتی الزکوة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرین فی البأساء والضراء وحین البأس اولئك الذین
صدقوا واولئك هم المتقون فقال کیف ینفی کون تولیة الوجوه الی الجهات من البر
وانما یفعل ذلك فی الصلوة وهی بر لا محالة وکیف خبر عن البر بمن والبر کالمصدر
ومن اسم محض وعن ای شیء کنی بالهاء فی قوله تعا وآتی المال علی حبه وما المخصوص
بانها کنایة عنه وقد تقدمت اشیاء کثیرة وعلی ای شیء ارتفع الموفون وکیف
نصب الصابرین وهم معطوفون علی الموفین وکیف وحد الکنایة فی مواضع
وجمعها فی آخر فقال من آمن وآتی المال واقام الصلوة ثم قال والموفون والصابرین
یقال له فیما ذکرته اولا جوابان احدهما انه تعالی اراد لیس الصلوة هی البر کله
ولکنه ما عدد فی الآیة من صروف الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا
انکم اذا توجهتم الی الجهات بصلاتکم فقد احرزتم البر باسره وحزتموه بکماله بل
یبقی علیکم بعد ذلك معظمه واکثره الثانی ان النصاری لما توجهوا الی
المشرق والیهود الی بیت المقدس واتخذوا هاتین الجهتین قبلتین واعتقدوا
فی الصلوة الیهما انها بر وطاعة خلافا علی الرسول صلعم اکذبهم الله تعالی فی ذلك
وبین ان ذلك لیس من البر اذ کان منسوخا بشریعة النبی صلی الله علیه وآله التی
تلزم الاسود والابیض والعربی والعجمی وان البر هو ما تضمنته الآیة فاما اخباره
عن البر بمن فیه وجوه ثلثة اولها ان یکون معنی البر ههنا البار وذا البر وجعل
احدهما فی مکان الآخر والتقدیر ولکن البار من آمن بالله ویجری ذلك مجری قول
الله تعالی ان اصبح ماؤکم غورا یرید غائرا ومثل قول الشاعر ترتع ما رتعت
حتی اذا ادکرت فانما هی اقبال وادبار اراد انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل
جیادهم نوحا علیهم مقلدة اعنتها صفوتا اراد نائحة علیهم ومثله هریقی
من دموعهما سجاما ضباع وجاوبی نوحا قیاما والوجه الثانی ان العرب قد تخبر
عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر

بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من امن بالله وقول العرب انما البر الذى يصل
الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول
الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى فجعل
ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه الثالث ان يكون المعنى ولكن
البر بر من آمن بالله فحذف البر الثانى واقيم من مقامه كقوله واشربوا فى قلوبهم
العجل اراد حب العجل قال الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابى مرحب
اراد كخلالة ابى مرحب وقال النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل
فى ذى المطارة عاقل اراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطاهم
الطريق اى اهل الطريق وحكى عن بعضهم اطيب الناس الزبد اى اطيب
ما ياكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صباحى زيدا اى صباح زيد
وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اى ليس على من اكل مع
الاعمى حرج وفى قوله تعالى ورابعهم كلبهم قال صاحب كلبهم وذكروا
انه كان راعيا تبعهم فاما ما كنى عنه بالهاء فى قوله تعالى واتى المال على حبه
ذوى القربى ففيه وجوه اربعة اولها ان تكون الهاء راجعة الى المال الذى
تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال واضيف الحب الى المفعول ولم
يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامى كاشتراء طعامك والمعنى
كاشترائك طعامك والوجه الثانى ان تكون الهاء راجعة على من امن بالله
فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه
والوجه الثالث ان ترجع الهاء على الايتاء الذى دل عليه اتى والمعنى واعطى
المال على حب الاعطاء ويجرى ذلك مجرى قول القطامى هم الملوك وابناء
الملوك لهم والآخذون به والساسة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله
الملوك عليه ومثله قول الشاعر اذا نهى السفيه جرى اليه وخالف والسفيه
الى خلاف اراد جرى الى السفيه الذى دل ذكر السفيه عليه والوجه

الرابع ان تكون الهاء ترجع الى الله تعالى لان ذكره قد تقدم فيكون المعنى واتى
المال على حب الله تعالى ذوى القربى واليتامى فان قيل فاى فائدة فى ذلك
وقد علمنا الفائدة فى ايتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون
اشرف وامدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم
هى الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد قلنا اما المحبة عندنا فهى الارادة
الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا وتوسعا فيقولون
فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون زيد عمرا بمعنى انه يريد منافعه
لان التعارف جرى فى استعمال الحذف والاختصار فى المحبة دون الارادة
وان كان المعنى واحدا وقد ذكر ان لقولهم زيد يحب عمرا مزية على قولهم
يريد منافعه لان اللفظ الاول ينبئ عن انه لا يريد الا منافعه وانه لا يريد
شيئا من مضاره والثانى لا يدل على ذلك فحصلت له مزية وعلى هذا المعنى
نصف الله سبحانه بانه يحب اولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى فيه انه
يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فاما وصف احدنا بانه يحب
الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعاته ولا يصح
المعنى الذى ذكرناه فى محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه
ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح ان يكون محبا له على هذا المعنى لانه
باعتقاده ذلك فيه قد خرج من ان يكون عارفا به فمحبته فى الحقيقة لا تتعلق
به ولا تتوجه اليه كما نقول فى اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه
الها فقد عبدوا غير الله تعالى فاما الفائدة فى اعطاء المال مع محبة الله تعالى
فهى ظاهرة لان اعطاء المال متى قارنته ارادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته
استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثوابا وكان
ضايعا وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب للمال
الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق

شيئاً من الثواب وانما يؤثر حبه للمال فى زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه
من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب
له لا يستحق الثواب وهذا الوجه ينسبق اليه فى هذه الآية وهو احسن ما قيل
فيها وقد ذكر فيها وجه آخر وهو ان يكون الهاء راجعة الى من آمن ايضاً
وينتصب ذوى القربى بالحب ولا يجعل لآتى منصوباً لوضوح المعنى ويكون
تقدير الكلام واعطى المال على حال حبه ذوى القربى واليتامى على محبته اياهم
وهذا الوجه ليس فيه مزية فى باب رجوع الهاء التى وقع عنها السؤال
وانما يبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب وذلك غير ما وقع
السؤال عنه والاجوبة الاول اقوى واولى فاما قوله تعالى والموفون
ففى رفعه وجهان احدهما ان يكون مرفوعاً على المدح لان النعت اذا طال
وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم
قال الزجاج وهذا اجود الوجهين والوجه الآخر ان يكون معطوفاً على من آمن
ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوى المؤمنين والموفون بعهدهم فاما نصب
الصابرين ففيه وجهان احدهما المدح لان مذهبهم فى الصفات والنعوت
اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم ويفردوه
فيكون غير متبع لاول الكلام من ذلك قول الخرنق ابنة بدر ابن هفان لا يبعدن
قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبين معاقد
الازر فنصب ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعاً على ان يتبع آخر الكلام
اوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين
وينصبون الطيبين والوجه فى النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك قول
الشاعر انشده الفراء الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم
وذا الرأى حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة
وذا الرأى على المدح وانشد الفراء ايضاً فليت التى فيها النجوم تواضعت

على

على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا فى كل محل ولزبة اسود الشرى يحمين
كل عرين ومما نصب على الذم قوله سقونى الخمر ثم تكنفونى عداة الله من كذب
وزور والوجه الآخر فى نصب الصابرين ان يكون معطوفاً على ذوى القربى
ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوى القربى والصابرين قال الزجاج وهذا
لا يصلح الا ان يكون والموفون رفع على المدح للمضمرين لان ما فى الصلة
لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوى الوجه الاول
فاما توحيد الذكر فى موضع وجمعه فى آخر فلان من آمن لفظه لفظ الوحدة
وان كان فى المعنى للجمع فالذكر الذى اتى بعده موحداً لانه اجرى على اللفظ
وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون
والصابرين فعلى المعنى وقد اختلف قراء القراء السبعة فى رفع الراء ونصبها
من قوله تعالى ليس البر فقرأ حمزة وعاصم فى رواية حفص ليس البر بنصب الراء
وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون
البر بالرفع والوجهان جميعاً حسنان لان كل واحد من الاسمين وخبرها
معرفة فاذا اجتمعا فى التعريف تكافآ فى جواز كون احدهما اسماً والآخر
خبراً كما تتكافأ النكرات وحجة من رفع البر انه لان يكون البر الفاعل
اولى لان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول
بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلى الفعل وتقول ضرب
غلامه زيد فيكون التقدير فى الغلام التاخير فلولا ان الفاعل اخص بهذا
الموضع لم يجز هذا كما لم يجز فى الفاعل ضرب غلامه زيداً حيث لم يجز فى الفاعل
تقدير التاخير كما جاز فى المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة
من نصب البر ان يقول كون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر فى انها
لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا
اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب فى الاختصاص من المظهر

حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوى
ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابى قال قال ابن الكلبى لما كان بعد يوم الهباءة جاور
قيس بن زهير النمر بن قاسط فقال لهم انى قد جاورتكم واخترتكم فزوجونى امراة
قد ادبها الغناء واذلها الفقر فى حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكيس النمرى
وقال لهم ان فى خلالا ثلثا انى غيور وانى فخور وانى انف ولست افخر حتى ابدا
ولا اغار حتى ارى ولا انف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل
عنهم قال انى موصيكم بخصال وناهكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها
تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به
يعيش الناس واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسالة ومنع من تريدون
منعه قبل الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى
وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكا اخى
والبغى فانه قتل زهيرا ابى وعن الاعطاء فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن
الاسراف فى الدماء فان يوم الهباءة الزمنى العار ومنع الحرم الا من الاكفاء
فان لم تصيبوا لهن الاكفاء فان خير مناكحها القبور او خير منازلها واعلموا
انى كنت ظالما مظلوما ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا اخى وظلمتهم بان
قتلت من لا ذنب له قال المرتضى قدس الله روحه اما قوله انهاكم عن
الرهان فاراد المراهنة فى سباق الخيل وذلك ان قيس بن زهير راهن
حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه داحس والغبراء وفرسى حذيفة
الخطار والحنفاء وقال بعض بنى فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها
لذلك وانما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بنى
عبس والخبر فى شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا
الغاية من واردات الى ذات الاصاد وجعلوا القصبة فى يد رجل من بنى

ثعلبة

ثعلبة ابن سعد يقال له حصين ويد رجل من بنى العشراء من بنى فزارة وملئوا
البركة ماء وجعلوا السابق اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة ابن بدر
وقيس بن زهير اتيا المدى الذى ارسلت الخيل فيه ينظران اليها والى خروجها
فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك
الخداع من اجرى من مائة يعنى من مائة غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة
فجعل خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس فقال
قيس جرى المذكيات غلاب فارسلها مثلا والمذكيات المسان من الخيل
وروى غلاء اى كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض
مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فارسلها مثلا
ويروى يعدون الجدد اى يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة
اكمنوا بالثنية كمينا لينظروا فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن
الغاية فجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مصلية
حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر فى اثارها فجعل يبددها
فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وطرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت
الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلوءوها عن البركة ثم
لطموا داحسا وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس فى اخر الناس
وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسيهم وجرى من الخلاف
فى اخذ سبق ما قد شرحته الرواة وقد قيل فى بعض الروايات ان الرهان
والسباق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفى ذلك يقول قيس كما لاقيت
من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد هم فخروا على بغير فخر لهم صعب القياد
وكنت اذا منيت بخصم سوء دلفت له بداهية نآد ثم ان قيسا اغار
على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بنى فزارة فهموا بالقتال
فحمل الربيع بن زياد العبسى دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ويقال

ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له ملك وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب
منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل ديته مائة عشراء
فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطه
قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بنى غراب بن فزارة
فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسى
مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر
قال نام الخلق وما اغمض حار من سيئ النباء الجليل السارى من مثله تمسى
النساء حواسرا وتقوم معولة مع الاسحار من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه يضربن اوجههن
بالاسياد قد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار افبعد
مقتل مالك بن زهير ترجوا النساء عواقب الاطهار ما ان ارى فى قتله
لذوى الحجى الا المطى تشد بالاكوار ومجنبات ما يذقن عذوقه يقذفن بالمهرات
والامهار ومساعرا صدء الحديد عليهم فكانما طلى الوجوه بقارفا ما خبر مقتل
زهير بن جذيمة العبسى ابى قيس فاختلفت الرواية فى سببه فيقال ان هوازن
بن منصور كانت تؤتى الاتاوة زهير بن جذيمة ولم يكثر عامر بن صعصعه
بعد فهم اذل من يد فى رحم فاتت عجوز من هوازن الى زهير بن جذيمة بسمن
فى نحى فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتى تتابعت على الناس فذاقه فلم يرضى
طعمه فدعها اى دفعها بقوس فى يده عطل فى صدرها فسقطت فبدت
عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الى ماكان فى صدرها من الغيظ
وكانت يومئذ قد امرت بنوعامر بن صعصعة اى كثرت فالى خالد بن جعفر
ابن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعى وراء عنقه حتى اقتل او يقتل وفى ذلك
يقول خالد بن جعفر اريغونى اراعنكم فانى وحذفة كالشجا تحت الوريد
مقربة اواسيها بنفسى والحفها ردائى فى الجليد لعل الله يمكننى عليها جهارا

من زهيرا او اسيد فاما تثقفونى فاقتلونى فمن اثقف فليس الى خلود ويقال
بل كان السبب فى ذلك ان زهير بن جذيمة لما قتل فى غنى من قتل بابنه
شأس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حاتما فقال يا زهير
اما آن لك ان تشتفى وتكف يعنى مما قتل بشأس فاغلظ له زهير وحقره
فقال خالد اللهم امكن يدى هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير ابن جذيمة
ثم اعنى عليه فقال زهير اللهم امكن يدى هذه البيضاء الطويلة من عنق
خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير وقتله قال انتم والله
الذين لا علم لهم ثم اجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتفق نزول
زهير بالقرب من ارض بنى عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة
جذيمة وام ولده فمر به اخوها الحرث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه
ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاوثقوه فقال اخته لبنيها ايزوركم خالكم فتوثقونه
وقالت تماضر لاخيها الحرث انه ليريبنى اكبئنانك وقرونك الاكبئنان النعم
والقروت السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير فانه رجل بذارة غيذان
شنوءة قال الاثرم البيذارة الكثير الكلام والغيذارة السيئ الخلق ثم حلبوا له
رطبا واخذوا منه يمينا ان لا يخبر عليهم ولا ينذر بهم احدا فخرج الحرث
حتى اتى بنى عامر فقعد الى سمرة تجتمع اليها بنو عامر والقى الوطب تحتها و
القوم ينظرون ثم قال ايتها الشجرة الذليلة اشربى من هذا اللبن فانظرى
ما طعمه فقال القوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا
اللبن فاذا هو حلو كم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب
فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكبا فرسه حذفة فلقوا
زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير
ونادى يا بنى عامر اقتلونى والرجل واستغاث زهير ببنيه فاقبل اليه
ورقاء بن زهير يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلث ضربات فلم يغن شيئا

وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندج رأس زهير فقتله
وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير رأيت زهيرا تحت كلكل خالد فاقبلت اسعى
كالعجول ابادر فشلت يميني يوم اضرب خالدا ويستره عني الحديد المظاهر
فيا ليت اني قبل ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر فاما خبر الهباءة
فان بني عبس وبني فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا
وخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة
ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فاين العود وابن
الاحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم
فارسلها مثلا قتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحارث بن زهير
حملا واخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير اخيه وكان حمل بن بدر
اخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك تعلم ان خير الناس
ميت على جفر الهباءة لا يريم ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع
النجوم ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم اظن الحلم دل على قومي
قد يستجهل الرجل الحليم ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم
وقال قيس ايضا شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان اك قد بردت بهم غليلي فلم اقطع بهم الا بناني مجلس آخر تأويل آية
ان سأل سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا
يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال اي وجه لتشبيه الذين
كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة
وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا متأملا محصلا يقال
له في هذه الآية خمسة اجوبة اولها ان يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا
والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل
معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة

لانهم

لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعاءه وانذاره فينصرفون عن
قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما
في عدم الانتفاع به وجائز ان يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي
لهم كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه الاسد فاضاف
الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر فلست مسلما
ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير اتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نعلاك من جلد
البعير فسبحان الذي اعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير اراد بتسليمي على الامير
ونظائر ذلك كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم
التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى
مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب
العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود فجاز التقديم والتاخير
لوضوح المعنى انشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره
معناه يحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء ايضا كانت فريضة ما تقول
كما كان الزناء فريضة الرجم المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد ايضا
وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اراد ما تزيد مخافة
وعل على مخافتي ومثله كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه ارضه
ومثله ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره باد الى الشمس اجمع
اراد مدخل رأسه الظل وقال الراعي فصبحته كلاب الغوث يوسدها
مستوضحون يرون العين كالاثر يريد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم
قبل دنو الافق من جوزائه فقلب وقال العباس بن مرداس فديت بنفسه
وقال ابن مقبل ولا تهيبني الموماة اركبها اذا تجاوبت الاصداء بالسحر
اراد لا اتهيب الموماة وهذا كثير جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل
الذين كفروا ومثلنا او مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق اي مثلهم في الاعراض

ومثلنا فی الدعآء والتنبیه والارشاد کمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثانی
اکتفآء بالاول ومثله قوله تعا وجعل لکم سرابیل تقیکم الحر واراد الحر والبرد
فاکتفی بذکر الحر من البرد کما قال ابو ذویب عصیت الیها القلب انی لامره
مطیع فما ادری ارشد طلابها اردا رشد ام غی فاکتفی بذکر الرشد
لوضوح الامر والجواب الرابع ان یکون المراد ومثل الذین کفروا فی دعائهم
الاصنام التی یعبدونها من دون الله تعالی وهی لا تعقل ولا تفهم ولا تضر
ولا تنفع کمثل الذی ینعق دعآء ونداء بما لا یسمع صوته جملة والدعاء والندآء
علی هذا الجواب ینتصبان بینعق والا توکید للکلام ومعناها الالغاء
قال الفرزدق هم القوم الا حیث سلوا سیوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم
والمعنی هم القوم حیث سلوا سیوفهم والجواب الخامس ان یکون
المعنی ومثل الذین کفروا فی دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم
ایاها کمثل الراعی الذی ینعق بغنمه ویناديها فهی تسمع دعاءه ونداءه
ولا تفهم معنی کلامه فشبه ما یدعوه الکفار من المعبودات دون الله تعالی
بالغنم من حیث لا تعقل الخطاب ولا تفهم ولا نفع عندها فیه ومضرة وهذا
الجواب یقارب الذی قبله وان کانت بینهما مزیة ظاهرة لان الاول
یقتضی ضرب المثل بما لا یسمع الدعآء والنداء جملة ویجب ان یکون
مصروفا الی غیر الغنم وما اشبهها مما یسمع وان لم یفهم وهذا الجواب
یقتضی ضرب المثل بما یسمع الدعآء والندآء وان لم یفهمهما والاصنام
من حیث کانت لا تسمع الدعآء جملة یجب ان یکون داعیها ومنادیها اسوء حالا
من منادی الغنم ویصح ان ینصرف الی الغنم وما اشبهها مما یشارك
فی السماع ویخالف فی الفهم والتمییز وقد اختلف الناس فی ینعق فقال
اکثرهم لا یقال نعق ینعق الا فی الصیاح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق
ینعق بالغنم والابل والبقر والاول اظهر فی کلام العرب قال الاخطل

فانعق

فانعق بضأنك یا جریر فانما منتك نفسك فی الخلآء ضلالا وقال ایضا نعق
الغراب ونعق بالغین المعجمة اذا صاح من غیر ان یمد عنقه ویحرکها فاذا مدها
وحرکها ثم صاح قیل نعب ویقال ایضا نعب الفرس ینعب نعبا ونعیبا و
نعبانا وهو صوته ویقال فرس منعب ای جواد وناقة نعابة اذا کانت
سریعة تأویل خبر روی عن النبی صلی الله علیه وآله انه خرج مع اصحابه الی
طعام دعوا الیه فاذا بالحسین علیه السلام وهو صبی یلعب مع صبیة فی
السکة فاستنتل رسول الله صلی الله علیه وآله امام القوم فطفق الصبی یفر مرة
ها هنا ومرة ها هنا ورسول الله صلی الله علیه وآله یضاحکه ثم اخذه فجعل
احدی یدیه تحت ذقنه والاخری تحت فاس رأسه واقنعه فقبله
وقال انا من حسین وحسین منی احب الله من احب حسینا حسین سبط
من الاسباط قال السید قدس الله روحه استنتل تقدم یقال استنتل
الرجل استنتالا وابرنتاء ابرنتآء وابرندع ابرنداعا اذا تقدم هکذا ذکره
ابو بکر بن الانباری ووجدت بعض المتقدمین فی علم اللغة یحکی فی کتابه
قال تقول استنتلت لامره استنتالا اذا استعددت له واستنتل
الرجل تفرد من القوم ویقال استنتل اشرف والمعانی تتقارب والخبر یلیق بکل
واحد منها وحکی هذا الرجل فی کتابه الذی ذکرناه ابرنتاه وابرندع ایضا
انه من الاستعداد فاما السکة فهی المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنی
طفق ما زال قال الشاعر طفقت تبکی واسعدها فکلانا ظاهر الکمد وفاس
الرأس طرف القمحدوة المشرف علی القفا ومعنی اقنعه رفعه هکذا ذکر ابن
الانباری وقال غیره اقنع ظهره اذا طاطاه ثم رفعه برفق فاما الاسباط
فاصلها فی ولد اسحق عم کالقبآئل فی بنی اسمعیل عم وقال ابن الانباری هم
الصبیة والصبوة بالیاء والواو معا حدثنا ابو القسم عبید الله بن عثمان قال
اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحکیمی قرآءة علیه قال املا علینا ابو العباس

احمد بن يحيى ثعلب وقال اخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخس مائة
من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز
قيل فمائة من الضأن قالت قرية لا حمى بها قيل فمائة من الابل قالت
بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فمائة من الخيل قالت طغى عند من كانت
ولا توجد قيل فمائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزى المجلس لا لبن فيحلب
ولا صوف فيجز ان ربط عيرها دلى وان ارسلته ولى وبهذا الاسناد
عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخسف والخص قال كل ذلك يقال ما احسن
شئ قالت غادية في اثر سارية في نجاء قاوية قال نجاء ارض مرتفعه لان
النبات في موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نجاء اى رابية ليس بها رمل
ولا حجارة قال والجمع النجاخى ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان
السيل يصرع الشجر فيقذفه في الاودية ثم يلقى عليه الدمن قال السيد قدس
الله روحه ومما يدل على ان نبت الرابية احسن قول الاعشى ما روضة من رياض
الحزن معشبة التزى يج الندى جنجاثها وعرارها فخص الحزن للمعنى الذي
ذكرناه وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب جاءنا بطعام لا ينادى وليده
اى جاء بطعام كثير لا تزاد فيه زيادة ووقع في امر لا ينادى وليده يقول
لا يدعى له الطبيان ولا يستعان الا بكبار الرجال فيه قال السيد قدس الله
روحه وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من الشدة
تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل
شدة ولكل امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة
فاذا اهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم
صار مثلا لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعار في كل موضع يراد به الغاية
وانشد لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرايع جود لا ينادى وليدها
وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودفة الاسدي على معن بن

زائدة الشيباني فقال ان رايت اكرمك الله ان تضعني من نفسك بحيث
وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو اعتقني الله فيها بكرمك
من تنصف الرجال بعدك لم يكن كثيرا واني قد مت الرجاء واحسنت الثناء
ولزمت الحفاظ ثم انشأ يقول يا معن انك لم تنعم على احد فشاب نعماك
تنغيص ولا كدر فانظر الي بطرف غير ذي مرض فربما صح لي من طرفك
النظر ايام وجهك لي طلق يخبرني اذا سكت بما تخفي وتضطمر ومن هواك
شفيع ليس يغفلني وان نابت وان قلت بي الذكر قد كنت اثرت عندي
مرة اثرا فقد تقارب يعفو ذلك الاثر فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره
واجمع بفعلك ما قد كاد ينتشر ما نازع العسر في اليسر مذ علقت كفي
بحبلك الاظفر اليسر وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير بان يدال لطول
الجفوة العسر وايما كان من عسر وميسرة فان حظك فيه الحمد والشكر فقال
معن اوما كنا اعطيناك شيئا قال لا قال اما الذهب والفضة فليسا عندنا
ولكن هات تختا من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان حمل عليه ابن عياش
وحبيب بن بديل فاعطاهما معه تختين وقال غرمتني يا ودفة تختي ثياب
قال السيد قدس الله روحه وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا شاعرا
ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك
عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة
فلما قتل رثاه فقال الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها
لجمود عشية قام النائحات وشققت جيوب بايدي مأتم وخدود فان
تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود فانك لم تبعد على متعهد
بلى كل من تحت التراب بعيد اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القسم بن مهرويه قال حدثني
ابو يزيد الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد

بن عمر بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم
متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فاخذ بلجام بغلته ثم
جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له وتفرقوا عنه قال له انت ويحك
قال انا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه
ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطى مروان
بن ابى حفصة مائة الف درهم على ان قال لك معن بن زائدة الذى زيدت
به شرفا على شرف بنو شيبان ان عد ايام الفعال فانما يوماه يوم ندى
ويوم طعان قال كلا يا امير المؤمنين ولكنى اعطيته على قوله ما زلت يوم
الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمن فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان قال احسنت يا معن وفى خبر آخر انه دخل على
المنصور فقال له ويلك ما اظن ما يقال فيك من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك
اياهم الا حقا قال وكيف ذاك يا امير المؤمنين قال بلغنى انك اعطيت شاعرا
كان يلزمك الفى دينار وهذا من الشرف الذى لا شئ مثله فقال يا امير المؤمنين
انما اعطيته من فضول مالى وغلات ضياعى وفضلات رزقى وكففته
عن عرضى وقضيت الواجب من حقه على وقصده الى وملازمته لى قال
فجعل ابو جعفر ينكت بقضيب فى يده الارض ولم يعاوده القول واخبرنا
المرزبانى قال اخبرنى على بن يحيى عن عبد الله بن ابى سعد الوراق عن خالد بن
يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من اهل خراسان
وكان من ولاة الرشيد قال حدثنى معن بن زائدة قال كنا فى الصحابة سبع
مائة رجل فكنا ندخل على المنصور فى كل يوم قال فقلت للربيع اجعلنى فى آخر
من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون فى اولهم ولا باخسهم نسبا فتكون
فى آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم
وعلى دراعة فضفاضة وسيف حنفى اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها

من قدامى وخلفى فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بى يا معن
صيحة انكرتها فلبيته فقال الى فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض
وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه
وقال انك لصاحبى يوم واسط لا نجوت ان نجوت منى قال قلت يا امير المؤمنين
تلك نصرتى لباطلهم فكيف نصرتى لحقك قال فقال لى كيف قلت فاعدت
عليه القول فما زال يستعيد نى حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا
واسفر لونه وقال يا معن ان باليمن هنات قلت يا امير المؤمنين ليس
لمكتوم رأى وهو اول من ارسلها مثلا فقال انت صاحبى فاجلس قال
فجلست فامر الربيع باخراج كل من كان فى الدار وخرج الربيع فقال ان صاحب
اليمن قد هم بالمعصية وانى اريد ان اخذه اسيرا ولا يفوتنى شئ من ماله قلت
ولنى اليمن واظهر انك قد ضممتنى اليه ومر الربيع ان يزيح عللى فى كل ما احتاج
اليه ويخرجنى فى يومى هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين
فوقع فيه باسمى وناولنيه ثم دعا الربيع فقال انا قد ضممنا معنا الى صاحب
اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس الا وهو راحل
قال ثم ودعنى فودعته وخرجت الى الدهليز فلقينى ابو الوالى فقال يا معن
اعزز على ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت له انه لا غضاضة على الرجل ان يضمه
سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرأت
عليه العهد وقعدت فى مجلسه وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن
بن زائدة ابن ابى عاصية وابن ابى حفصة والضمرى فقال لينشد فى كل
واحد منكم امدح بيت قاله فى فانشده ابن ابى حفصة مسحت ربيعة وجه
معن سابقا لما جرى وجرى ذوو الاحساب فقال له معن الجواد بعثيره فيمسح وجهه
من الغبار وقيل من العثار وغيرهما وانشده الضمرى انت امرؤ همك المعالى
ودلو معروفك الربيع ويروى ودون معروفك الربيع وشانك الحمد تشتريه

يشيعه عنك من يشيع فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم يسمني ولم تذكر
فمن شاء انتحله وانشد ابن ابى عاصية ان زال معن بنى زياد لم يزل
لندى الى بلد بغير مسافر ففضله عليهم وروى ان معن بن زائدة بثلثمائة
اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا شيبان ننشدك
الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا اخا
شيبان ننشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل
ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان فى سنة احدى وخمسين ومائة
وروى ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون فقال له يا ابا العباس
من اشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم قال امير المؤمنين اعرف بهذا منى
قال عبد الله اشعرهم الذى يقول فى معن بن زائدة ايا قبر معن كنت اول
حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا ايا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان
حيا ضقت حتى تصدعا والابيات للحسين بن مطير الاسدى وهى تزيد
على هذا المقدار واولها الما على معن فقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا
وفيها فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مربعا ولما مضى معن
مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم اجدعا مجلس آخر تأويل آية ان سأل
سائل فقال ما الوجه فى قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق وفى موضع آخر وقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر هذا
القول يقتضى ان قتلهم قد يكون بحق وقوله ومن يدع مع الله الها آخر
لا برهان له به وقوله تعالى الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله
تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا وقوله
لا يسئلون الناس الحافا والسؤال عن كل هذه الايات من وجه واحد الجواب
ان للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند

من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة فى النفى وتأكيده فمن ذلك قولهم
فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير
عنده على وجه من الوجوه ومثله قل ما رأيت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله
لا يرى لا قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه
العود الديافى جرجرا يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره اى انه لا منار له
فيهتدى بها والعود المسن من الابل والديافى منسوب الى دياف قرية بالشام
معروفة وسافه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا شمه
عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك قال ابن احمد لا يفزع
الارنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر اراد ليست بها اهوال فتفزع الارنب
وقال النابغة يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد اراد
ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس وصم حوام ما يقين من الوجى كأن
مكان الردف منه على رال يصف حوافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى
فالوجى هو الحفا ويقين اى يتوقين يقال وقى الفرس اذا هاب المشى فاراد
انه لا وجى بحوافره فيتهيبن الارض من اجله والرال فرخ النعام وشبه اشراف
عجزه بعجز الرال وقال الآخر لا يغمز الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
اراد ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقال
سويد بن ابى كاهل من اناس ليس فى اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع
ولم يرد ان فى اخلاقهم فحشا اجلا ولا جزعا غير سئ وانما اراد نفى الفحش
والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون
انه لا يقرب الخنا لا نفى الاسراع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو بنى
جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى منهم اصيبوا فى بعض حروبهم فحملت النساء
هؤلاء القتلى حتى اتين بهم الحى ولم تأت عير اهلها بالذى اتت به جعفر
يوم الهضيبات عيرها اتتهم بعير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام المزيت

خميرها يعني ان العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القوم القتلى وقوله لم تكن هجرية اى لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه اراد انها لم تحمل تمراً ولا حنطة وما يجعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لابد ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا عن غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وجهه ايضاً انه لو كان هناك عمد لرايتموه فاذا نفى رؤية العمد نفى وجود العمد كما قال الشاعر لا يهتدى بمناره اى لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار لاهتدى به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفياً لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتأكيد في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان لا يسرع الى الخنا وقل ما رأيت مثله اذا ارادوا به تأكيد نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسئلون الناس الحافاً معناه لا مسئلة تقع منهم ومثل الاول ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا والفائدة ان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنه

باب في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم ومستحسن كلامهم

احد المعمرين الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج هي ام مالك بن ادد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة تسمى مذحجاً واسمها مدلة بنت ذى مهجشان قال ابو حاتم السجستاني جمع الحرث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد اتى على ستون ومائة سنة ما صافحت

بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندى مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر واني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام وما عليه احد من العرب غيري وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار وتوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً وان موتاً في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن وكل جمع الى تباين الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها العمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد الزوم الخطية يعقب البلية سوء الرعة يقطع اسباب المنفعة الضغائن تدعو الى التباين ثم انشاء يقول

اكلت شبابي فافنيته ... وانضيت بعد دهور دهورا

ثلثة اهلين صاحبتهم ... فبادوا واصبحت شيخا كبيرا

قليل الطعام عسير القيام ... قد ترك الدهر خطوي قصيرا

ابيت اراعي نجوم السماء ... اقلب امري بطونا ظهورا

قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة الحب والكنة هي امرأة اخي الرجل وامرأة ابن اخيه فاما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عنده قناعها اى لم تتبذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون الا من امر محزن مولم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمق ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي على افن اى وجدان المال يغطي على حمق الاحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة فاما قوله

النصيحة بجر الفضيحة فيشبه ان يكون معناه ان النصيح اذا نصح من لا يقبل
نصيحته ولا يصغى الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بستره وباح
بمكنون صدره فاما سوء الرعة فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع اذا كان
حسن الطريقة ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو ابن ربيعة بن كعب بن سعد بن
زيد بن مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر
ببيت قاله وهو ينش الماء في الربلات منها رشيش الرضف في اللبن الوغير
الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل لحمة غليظة فكذا
ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير
لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب اخذ من وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر
ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب او حقد وقال اصحاب
الانساب عاش المستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة وادرك الاسلام
او كاد يدركه اوله وقال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا
حتى قال ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا هل ما بقا
الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا وهو القائل اذا ما المرء صم فلم يكلم واودى
سمعه الا ندايا ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر يحترش العظايا يلاعبهم
وودوا لو سقوه من الذيفان مترعة ملايا فلا ذاق النعيم ولا شرابا ولا يشفى
من المرض الشفايا اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما لم يكلم به فاختصره
ويجوز ان يريد انه لم يكلم لليأس من سماعه فاعرض خطابه لذلك وقوله اودى
سمعه الا ندايا اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادى
به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه
قد تناهى الى ملاعبة الصبيان وانسهم به ويشبه ان يكون خص العشي بذلك
لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا اي

بصيدها

يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضرب بكفه ليحسبه الضب
افعى فيخرج اليه فيأخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن امثالهم هذا
اجل من الحرش يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب وقال ابن
دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب
الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت هذا الحرش فقال هذا اجل
من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذ
يفان السم والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة ومن المعمرين دويد بن
زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم ابن الحاف بن قضاعة بن ملك بن مرة بن مالك
بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربع مائة سنة وستا وخمسين سنة
قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا تعد العرب
معمرا الا من عاش مائة سنة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه اوصيكم
بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة
اطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز
لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنية لا تأسوا على فائت
وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا
فتخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا
خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الارض وما ذلك بمؤد الى روحا ولكن راحة
نفس خامرها الاشفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد في حديث آخر انه قال
اليوم يبنى لدويد بيته يا رب نهب صالح حويته ورب قرن بطل اردينه
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته لو كان للدهر بلى ابليته او كان
قرني واحدا كفيته ومن قوله القى على الدهر رجلا ويدا والدهر ما اصلح
يوما افسدا يفسد ما اصلحه اليوم غدا قوله اطعنوا شزرا واضربوا
هبرا معنى الشزر ان يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله

على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر مجر العين وقال الاصمعي يقال نظر الى
اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك وقوله هبرا قال ابن دريد
يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم الهبرة والهبرة
وسيف هبار وهابر واللحم هبير ومهبور والمحالة الحيلة وقوله بالجد لا بالكد
اى يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود
فاذا كسرت الجيم فهو الانكماش فى الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد اى تجلدوا
ولا تتبلدوا وقوله فتطبعوا اى تدنسوا والطبع الدنس ويقال طبع السيف يطبع اذا
ركبه الصدأ قال ثابت قطنة العتكى لا خير فى طمع يدنى الى طبع وغفة من قوام العيش
تكفينى وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت
الشجرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصون جمع موصى
وبنو سهوان ضرب به مثلا اى لا يكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا عن
الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه ان الذين يحتاجون
الى ان يوصوا بحوائج اخوانهم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم وانت غير غافل
ولا ساة عن حاجتى وقوله فارحبوا اى وسعوا والرحب السعة والروح الزاحم
وقوله فى الشعر غيل فالغيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار من اليد ومن
المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن
زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلبين وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف
بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك ابن حمير قال ابو حاتم عاش
زهير بن جناب مائتى سنة وعشرين سنة واوقع مائتى وقعة وكان سيدا مطاعا
شريفا فى قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من اهل زمانه كان
سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب
فى ذلك الزمان شرف وحازى قومه والحزاة الكهان وفارس قومه وله البيت فيهم
والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال يا بنى انى قد كبرت سنى وبلغت حرسا من دهرى

فاحكمتني التجارب والامور تجربة واحتيال فاحفظوا عنى ما اقول وعوه اياكم
والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة
للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان يكونوا بالاحداث مغترين ولها امنين
ومنها ساخرين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فان الانسان
فى الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه
وشماله ثم لا بد ان يصيبه قوله حرسا من دهرى يريد دهرا والحرس الدهر
قال الراجز فى سنبة عشنا بذاك حرسا والسنبة المدة من الدهر والتواكل ان يكل
القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل اذا كان لا يكفى نفسه ويكل امره الى
غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض كل ما نصبته للرمى وتعاوره اى تداوله
قال السيد قدس الله روحه وقد ضمن ابن الرومى معنى قول زهير بن جناب
الانسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه
وواقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد ان يصيبه ابياتا فاحسن كل الاحسان
والابيات كفى بسراج الشيب فى الراس هاديا لمن قد اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلى لرامى المنايا تحسبينى ناجيا عدا الدهر يرمينى
فتدنوا سهامه لشخصى اخلقان يصبن سواديا وكان كرامى الليل
يرمى ولا يرى فلما اضا الشيب شخصى رمانيا اما البيت الاخير فانه ابدع فيه
وغرب وما علمت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر على
الانسان الحاجز بينه وبين من اراد رميه لظلمته والشيب مبديا لمقاتله
هاديا الى اصابته لضوءه وبياضه وهذا فى نهاية حسن المعنى واراد بقوله
رمانى اصابنى ومثله قول الشاعر فلما رمى شخصى رميت سواده ولا بد ان يرمى
سواد الذى يرمى وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ولم يكن فى العرب
انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لشدة رأيه يسمى كاهنا ولم يجمع قضاعة
الا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغى لامرأة

ان تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت عنى والا ضربتك بهذا العمود
فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك الا يا القوم لا ارى
النجم طالعا ولا الشمس الا حاجبى بيمينى معزبتى عند القفا بعمودها يكون نكيرى
ان اقول ذبينى امينا على ستر النساء وربما اكون على الاسرار غير امين فللموت
خير من حداج موطأ مع الظعن لا يأتى المحل الحين وهو القائل ابنى ان اهلك
فقد اورثتكم مجدا بنيه وتركتكم ابناء سادات زنادكم وريه من كل ما نال
الفتى قد نلته الا التحيه ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه وخطبت
خطبة حازم غير الضعيف ولا العييه فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه
من ان يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه وهو القائل ليت شعرى والدهر
ذو حدثان اى حين منيتى تلقانى اسبات على الفراش خفات ام بكفى مفجع حران
وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره لقد عمرت حتى ما ابالى احتفى فى صباح
ام مسائى وحق لمن اتت مائتان عاما عليه ان يمل من الثواء قوله معزبتى معنى امرأته
يقال معزبة الرجل امرأته وطلته وجنته كل ذلك امرأته وقوله امينا على ستر النساء
فالسر خلاف العلانية والستر النكاح ايضا قال الحطيئة وَيَحْرُمُ سرّ جارهم عليهم
ويأكل جارهم انف القصاع وقال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم اننى
كبرت وان لا يحسن السر امثالى وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لانه اذا كبر
وهرم لم يتهيبه النساء ان يتحدثن بحضرته باسرارها تهاونا به وتعويلا على ثقل
سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه امينا على نكاح النساء لعجزه عنه وقوله
حداج موطأ الحداج مركب من مراكب النساء والجميع احداج وحدوج والظعن والا
ظعان الهوادج والظعينة المرأة فى الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون فى الهوادج
والجميع ظعاين وانما خبر عن هرمه وان موته خير من ركونه مع الظعن فى جملة النساء
وقوله زنادكم وريه الزناد جمع زند وزندة وهما عودان تقدح بهما النار فى احدها
فروض وهى ثقب فالتى فيها الفروض هى الانثى والذى يقدح بطرفه هو الذكر

بنفسي

فيسمى الزند الاب والزندة الام وكنى بزنادكم وريه عن بلوغهم ماربهم تقول
العرب وريت بك زنادى اى نلت بك ما احب من النجح والنجاة ويقال للرجل
الكريم وارى الزناد فاما التحية فهى الملك فكانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته
الا الملك وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التى قد بلغت تسع
سنين وهى اشد ما تكون ولفظ البازل فى الناقة والجمل سواء والكوماء
العظيمة السنام والولية برذعة تطرح على ظهر البعير تلى جلده والبجال الذى
يبجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى اى يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه
والتهادى المشى الضعيف وقوله اسبات فالسبات سكون الحركة ورجل
مسبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض
او جوع والمفجع الذى قد فجع بولد له او قرابة والحران العطشان المتلهب
وهو ههنا المحزون على فتلاة ومما يروى لزهير بن جناب اذا ما شئت
ان تسلى حبيبا فاكثر دونه عدد الليالى فما سلى حبيبك مثل نائى ولا بلى جديدك
كابتذال مجلس آخر ومن المعمرين ذو الاصبع العدوانى واسمه حرثان بن محرث بن
الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان
وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وانما سمى الحرث عدوان لانه عدا
على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينيه وقيل ان اسم ذى الاصبع محرث بن حرثان
وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه
بذى الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فسلت فسمى بذلك ويقال انه عاش
مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام
العرب فى الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم وروى عنه لا يبعدن عهد الشباب
ولا لذاته ونباته النضر لولا اوليك ما حفلت متى عوليت فى حرج الى قبرى
هزئت اثيلة ان رات هرمى وان انحنى لتقادم ظهرى وكان لذى الاصبع بنات
اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن خدمتك وقربك احب الينا

ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة ما فى نفسها
فقالت الكبرى الا هل اراها ليلة وضجيعها اغر كنصل السيف غير مهند
عليم بادواء النساء واصله اذا ما انتمى من سراهلى ومحتدى ويروى من اهل
سرى ومن اصل سرى فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية
الا ليت زوجى من اناس اولى عدى حديث الشباب طيب الثوب والعطر
لصوق باكباد النساء كانه خليفة جان لا ينام على وتر ويروى لا ينام على هجر
فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة الا ليته يكسى
الجمال بديه له جفنة تشقى بها المعر والجزر له حكمات الدهر من غير كبرة تشين
فلا فان ولا ضرع غمر فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا وقلن للرابعة قولى
فقالت لا اقول فقلن يا عدوة الله علمت ما فى انفسنا ولا تعلمينا ما فى
نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن
اربعهن فتركهن حولا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت
خير زوج يكرم الحليلة ويعطى الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب
البانها جزعا ويروى جرعا بالراء وناكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفنا معا
فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت
خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تالف الفناء وتملا
الاناء وتودك السماء ونساء مع نساء فقال حظئت ورضيت ثم اتى الثالثة
فقال يا بنية كيف زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر فما مالكم قالت المعزى
قال وما هى قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها ادما ويروى ادما بالفتح لم نبغ
بها نعما فقال لها جذوة مغنية ويروى جدوى مغنية ثم اتى الصغرى
فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما
مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضان جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن
وصم لا يسمعن وامر مغويتهن يتبعن فقال ابوها اشبه امرأ بعض بزه

فمضت

فمضت مثلا قال السيد قدس الله روحه اما قول احدى بناته فى الشعر اشم فا
فالشمم هو ارتفاع ارنبة الانف وورودها يقال رجل اشم وامراة شماء وقوم شم
قال حسان بن ثابت بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
والشمم الارتفاع فى كل شئ فيحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه
من ورود الارنبة لان ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز ان يريد بذلك الكناية
عن تزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الامور ورذائلها وخص الانوف بذلك لانه
الحمية والغضب والانف فيها ولم يرد طول انفهم وهذا اشبه بان يكون مراده
لانه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون فى الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء
اعراضهم وجميل اخلاقهم وافعالهم كما يقول القائل جاءنى فلان بوجه ابيض
وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وانما يعنى ما ذكرناه وقول المراة اشم
كنصل السيف يحتمل الوجهين ايضا وقول حسان من الطراز الاول اى افعالهم
افعال ابائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا اخلاقا مذمومة لا تشبه نجارهم
واصولهم وقولها عين مهند اى هو المهند بعينه كما يقال هذا هو بعينه وعين
الشئ نفسه وعلى الرواية الاخرى غير مهند اى ليس هو السيف المنسوب
الى الهند فى الحقيقة وانما هو مشبه به فى مضائه وقولها من سراهلى اى من اكرمهم
واخلصهم يقال فلان فى سر قومه اى فى صميمهم وشرفهم وسر الوادى اطيبه
ترابا والمحتد الاصل وقول الثانية اولى عدى فانما معناه ان يكون لهم اعداء
لان من لا عدو له هو الغسل الرذل الذى لا خير عنده والكريم الفاضل
من الناس هو المحسد المعادى وقولها لصوق باكباد النساء تعنى فى المضاجعة
ويحتمل ان تكون ارادت فى المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن
له وميلهن اليه وهو اشبه وقولها كانه خليفة جان اى كانه حية للصوقه
والجان جنس من الحيات فخففت لضرورة الشعر وقول الثالثة يكسى الجمال
بديه فالندى هو المجلس وقولها له حكمات الدهر تقول قد احكمته التجارب

وجعلته حكيما فاما الضرع فهو الضعيف والغمر الذى لم يجرب الامور وقول
الكبرى يكرم الحليلة ويعطى الوسيلة فالحليلة هى امراة الرجل والوسيلة الحاجة
وقولها تشرب البانها جزعا فالجزع جمع جزعة وهو الماء القليل يبقى فى الاناء
وقولها مزعا المزعة البقية من دسم ويقال ما لها جزعة ولا مزعة هكذا ذكر ابن
دريد بالضم فى جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة واذا كسرت فينبغى
ان يكون تشرب البانها جزعا وتكسر المزعة ايضا ليزدوج الكلام فتقول
وناكل لحمانها مزعا قال المزعة بالكسر هى القطعة من الشحم والمزعة بالكسر
ايضا من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع
والتشقيق يقال انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبى فى عدوه يمزع مزعا اذا
اسرع وقوله مال عميم اى كثير وقول الثانية نودك السقاء من الودك الذى
هو الدسم وقول الثالثة نولدها فطما الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع
وقولها نسلخها ادما فالادم جمع ادام وهو الذى يؤكل تقول لو انا فطمناها
عند الولادة وسلخناها للادم من الحاجة لم ننتفع بها نما وعلى الرواية الاخرى
ادما من الاديم وقوله جذوة مغنية فالجذوة القطعة وقول الصغرى جوف
لا يشبعن الجوف جمع جوفاء وهى العظيمة الجوف والهيم العطاش ولا ينقعن
اى لا يروين ومعنى قولها وامر مغويتهن يتبعن اى القطيع من الضأن
يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع فى الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضأن توصف
بالبلادة اخبرنا ابو الحسن محمد بن على الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
ابو حاتم عن ابى عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا به العكلى عن ابى خالد عن
الهيثم بن عدى عن مسعر بن كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلى قال لما قدم
عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس الى فرائضهم فاتيناه
فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد
الملك عذير الحى من عدوان كانوا حية الارض بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على

بعض ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض ومنهم حكم يقضى فلا ينقض
ما يقضى ومنهم من يجير الناس بالسنة والقرض ثم اقبل على رجل كنا قدمناه
اماما جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه
يقوله ذو الاصبع فتركنى واقبل على ذلك الجسيم فقال وما كان اسم ذى الاصبع
فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه حرثان فاقبل عليه وتركنى فقال لم سمى
ذا الاصبع فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل
عليه وتركنى فقال من ايكم كان قال لا ادرى فقلت انا من خلفه من بنى ناج
فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبع مائة ثم اقبل على فقال كم عطاؤك
قلت اربع مائة فقال يا ابن الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلثمائة وزدها فى
عطاء هذا فرحت وعطائى سبع مائة وعطاؤه اربع مائة وفى رواية
اخرى انه لما قال له من ايكم كان فقال لا ادرى فقلت انا من خلفه من بنى
ناج الذين يقول فيهم الشاعر فاما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عينيك
من كان هالكا اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا
ويروى لا احاول فاضحى كظهر العود جب سنامه يدب الى الاعداء احدب
باركا ويروى فاضحى كظهر العود جب سنامه تحوم عليه الطير احدب
باركا وقد رويت هذه الابيات لذى الاصبع ايضا ومن ابيات ذى
الاصبع السائرة قوله الا اشرف الضغن المبين منهم واضحك حتى يبدو الناب
اجمع واهدئه بالقول هدنا ولو يرى سريرة ما اخفى لبات يفزع معنى
اهدئه اسكنه ومن قوله ايضا اذا ما الدهر جر على اناس شراشره اناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا ومعنى الشراشر هاهنا
الثقل يقال القى عليه شراشره وجراميزه اى ثقله ومن قوله ذهب الذين
اذا راونى مقبلا هشوا الى ورحبوا بالمقبل وهم الذين اذا حملت حمالة ولقيتهم
فكانبى لم احمل ومن قوله وهى مشهورة لى ابن عم على ما كان من خلق مختلفان

فاقليه ويقليني ازدى بنا اننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني لاه
ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني اني لعمرك ما بابي
بذي غلق عن الضيوف ولا خيري بممنون ولا لساني على الادني بمنطلق بالفا
حشات ولا اغضي على الهون ماذا عليّ وان كنتم ذوي رحمي ان لا احبكم ان
لم تحبوني يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
كل امرئ صائر يوما لشيمته وان تخلق اخلاقا الى حين وانتم معشر زيد على
مائة فاجمعوا امركم طرا فكيدوني لا يخرج القسر مني غير مابية ولا الين لمن
لا يبتغي ليني قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا فضرب النعام مثلا اي لا يطمئن
اليه ولا يطمئن الي يقال شالت نعامة القوم اذا جلوا عن الموضع وقوله لاه
ابن عمك قال قوم اراد لله ابن عمك وقال ابن دريد اقسم واراد والله ابن عمك
وقوله عني اي علي والديان الذي يلي امره ومعنى فتخزوني اي تسوسني والهون
الهوان وقوله اضربك حيث تقول الهامة اسقوني قال الاصمعي العطش
في الهامة فاراد اضربك في ذلك الموضع اي على الهامة بحيث تعطش وقال
اخرون العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور
حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذه
باطل ويجوز ان يغنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج
القسر مني غير مابية فالقسر القهر اي ان اخذت قسرا لم ازدد الا اباءة
ومن المعمرين معد يكرب الحميري من آل ذي رعين قال ابن سلام وقال معد
يكرب وقد طال عمره اراني كلما افنيت يوما اتاني بعده يوم جديد يعود
بياضه في كل فجر ويأبى لي شبابي ما يعود ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال
انه بقي الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع
اخبرني عما ادركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية قال انا الذي
اقول ها انا ذا آمل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا فقال قد رويت

هذا

هذا الشعر من شعرك وانا صبي قال وانا القائل اذا عاش الفتى مائتين عاما
فقد ذهب اللذاذة والفتاء قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك
يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة
في فترة عيسى عم وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الاسلام قال اخبرني
عن فتية من قريش متواطئ الاسماء فقال سل عن ايهم شئت قال اخبرني
عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء جزم ومقرى ضخم قال فاخبرني
عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني
عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين
ضررها قال فاخبرني عن عبد الله ابن الزبير قال جبل وعر ينحدر عنه الصخر
قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري قال
السيد قدس الله روحه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سؤال
عبد الملك له انما كان في ايام معاوية لا في ولان الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام
ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد
مما ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ
مائتي سنة قال الا ابلغ بني بني ربيع فاشرار البنين لكم فداء باني قد كبرت ودق
عظمي فلا تشغلكم عني النساء وان كنائني لنساء صدق وما الى بني ولا اساؤا
اذا كان الشتاء فادفئوني فان الشيخ يهدمه الشتاء واما حين يذهب كل
قر فسربال خفيف او رداء اذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة
والفتا وقال حين بلغ مائتين واربعين سنة اصبح مني الشباب قد حسر
ان كان ولى فقد ثوى عصرا ودعنا قبل ان نودعه لما قضى من جماعنا وطرا
ها انا ذا آمل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا ابا امرئ القيس هل سمعت
به هيهات هيهات طال ذا عمرا اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس
البعير ان نفرا والذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

من بعد ما فوق اسرّبها اصبحت شيخاً اعالج الكبرا قوله عطاء حذم اى سريع
وكل شئ اسرعت فيه فقد حذمته وفى الحديث اذا اذنت فترسّل واذا اقمت
فاحذم اى اسرع والمقرى الاناء الذى يقرى فيه وقوله ما الى بنى ولا اساؤا
اىلم يقصروا والالى المقصر مجلس آخر ومن المعمرين ابو الطمحان القينى
واسمه حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش مائتى سنة
فقال فى ذلك حنتنى حانيات الدهر حتى كانى خاتل ادنو الصيد قريب الخطو
يحسب من رآنى ولست مقيدا انى بقيد قال ابو حاتم السجستانى حدثنى عدة
من اصحابنا انهم سمعوا يونس ابن حبيب ينشد هذا بن البيتين وينشد ايضاً تقارب
خطو رجلك يا دويد وقيدك الزمان بشر قيد وهو القائل وانى من القوم
الذين هم هم اذا مات منهم سيد قام صاحبه نجوم سماء كلما غاب كوكب
بدا كوكب تأوى اليه كواكبه اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى
نظم الجزع ثاقبه ومازال منهم حيث كان مسوّد تسير المنايا حيث سارت
كتائبه ومعنى البيتين الاولين يشبه قول اوس بن حجر اذا مقرم منا ذرا حد
نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم ولطفيل الغنوى مثل هذا المعنى وهو قوله
كواكب دجن كلما انقض كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب وقد اخذ
الخزيمى هذا المعنى فقال اذا قمر منا تغور او مات خبا بدا قمر فى جانب الافق
يلمع ومثل ذلك خلافة اهل الارض فينا وراثة اذا مات منا سيد قام صاحبه
ومثله اذا سيد منا مضى لسبيله اقام عمود الملك اخر سيد وكان مزاحماً
العقيلى نظر الى قول ابى الطمحان اضاءت لهم احسابهم ووجوههم فقال
وقد احسن وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلى
ويقارب ذلك قول حجية بن المضرب السعدى اضاءت لهم احسابهم فضاءلت
لنورهم الشمس المضيئة والبدر وانشد محمد بن يحيى الصولى فى معنى بيت ابى
الطمحان من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضئ بهم اضاء وهم حلوا

من الشرف

من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حيث شاؤا فلو ان السماء دنت لمجد ومكرمة
دنت لهم السماء وابو الطمحان القائل اذا كان فى صدر ابن عمك احنة فلا تستثرها
سوف يبدو دفينها وهو القائل اذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب
صفوها لم يكدر الوقيعة المستنقع فى الصخرة للماء ويقال للماء اذا زل عن صخرة
فوقع فى بطن اخرى هو ماء الوقائع وانشد والذى الرمة ونلنا سقاطاً من حديث
كانه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع ويقال للماء الذى يجرى على الصخر ماء الحشرج
وللماء الذى يجرى بين الحصى والرمل ماء المفاصل وانشدوا لابى ذويب مطافيل
ابكار حديث نتاجها يشاب بماء مثل ماء المفاصل وانشد ابو محلم السعدى لابى
الطمحان بنى اذا ما سامك الذل قاهر عزيز فبعض الذل اتقى واحزم ولا تحم من بعض الامور
تعززا فقد يورث الذل الطويل التعزز وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية
الجعفرى وروى لابى الطمحان ايضاً فى مثل هذا المعنى يا رب مظلمة يوماً لطيت
لها تمضى على اذا ما غاب نصارى حتى اذا ما انجلت عنى غيابتها وثبت فيها وثوب
المخدرى الضارى ومن المعمرين ايضاً عبد المسيح بن بقيلة الغسانى وهو عبد
المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمى
بقيلة لانه خرج فى بردين اخضرين على قومه فقالوا له ما انت الا بقيلة فسمى
بذلك وذكر الكلبى وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلثمائة وخمسين سنة وادرك
الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً وروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة
وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الى رجلاً من عقلائكم وذوى اسنانكم فبعثوا
اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل يمشى حتى دنا من خالد فقال له انعم صباحا ايها
الملك قال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر
ابى قال فمن اين خرجت قال من بطن امى قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم
انت قال فى ثيابى قال اتعقل لا عقلت قال اى والله واقيد قال ابن كم انت قال
ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط انى اساله عن الشئ وينحو فى غيره

قال ما اجنبك الا عما سألت فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب
استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما هذه
الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجئ الحليم ينهاه قال كم اتى لك
قال خمسون وثلثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفأ الينا
فى هذا الجرف ورأيت المرأة من اهل الحيرة تضع مكتلها على رأسها لا تزود الا
رغيفا واحدا حتى تأتى الشام ثم قد اصبحت اليوم خرابا يبابا وذلك دأب الله
تعالى فى العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه فى كفه فقال له خالد ما هذا
فى كفك قال السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومى
واهل بلدى حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم
ذلا وبلاء اشربه فاستريح من الدنيا فانما بقى من عمرى اليسير قال خالد
هاته فاخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذى لا يضر مع
اسمه شئ ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه صدره طويلا ثم عرق فافاق
كانما نشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال قد جئتكم من عند شيطان
اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع
لهم فصانعوهم على مائة الف درهم وانشاء ابن بقيلة يقول ابعد المنذرين ارى
سواما تروح بالخورنق والسدير تحاماه فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالى الزئير
وصرنا بعد هلك ابى قبيس كمثل الشاء فى اليوم المطير يريد ابا قابوس فصغره
ويروى كمثل المعز تقسمنا القبائل من معد علانية كايسار الجزور ونؤدى الخرج
بعد خراج من قريظة والنضير كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساءة او سرور
ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بنى بقيلة قال
لقد بنيت للحدثان حصنا لو ان المرء تنفعه الحصون طويل الرأس اقعس
مشمخرا لانواع الرياح به حنين ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة والناس ابناء
علات فمن علموا ان اقل فمجفو ومحقور وهم بنون لام ان راوا نشبا فذاك بالغيب

محفوظ

محفوظ ومحفور وهذا يشبه قول اوس بن حجر بنى ام ذى المال الكثير يرونه
وان كان عبدا سيد الامر جحفلا وهم لمقل المال اولاد علة وان كان محضا فى
العمومة مخولا وذكر ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديرا
فلما احتفر موضع الاساس وامعن فى الاحتفار اصاب كهيئة الكهف فدخله
فاذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة
حلبت الدهر اشطره حياتى ونلت من المنى بلغ المزيد وكافحت الامور وكافحتنى
ولم احفل بمعضلة كؤود وكدت انال فى الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى
الخلود ومن المعمرين النابغة الجعدى واسمه قيس بن كعب بن عبد الله بن عدس
بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى ابا ليلى
وروى ابو حاتم السجستانى قال كان النابغة الجعدى اسن من النابغة الذبيانى
والدليل على ذلك قوله تذكرت والذكرى تهيج على الهدى ومن حاجة المحزون
ان يتذكرا ندامى عند المنذر بن محرق ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا
كهول وفتيان كان وجوههم دنانير مما شيف فى ارض قيصرا فهذا يدل على
انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبيانى كان مع النعمن بن المنذر بن
محرق قوله سيف يعنى جلى والمشوف المجلو ويقال ان النابغة غبر ثلثين
سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان
وكان ديوانه بها وهو الذى يقول فمن يك سائلا عنى فانى من الفتيان ايام
الخنان وايام الخنان ايام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض فى انوفهم
وحلوقهم مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان فابقى
الدهر والايام منى كما ابقى من السيف اليمانى تفلل وهو مأثور جراز اذا
جمعت بقائمه اليدان وقال ايضا فى طول عمره لبست اناسا فافنيتهم وافنيت
بعد اناس اناسا ثلثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستآسا معنى المستآس
المستعاض وروى هشام ابن محمد الكلبى انه عاش مائة وثمانين حجة

وروى ابن دريد عن ابى حاتم فى موضع آخر ان النابغة الجعدى عاش مائتى سنة
وارك الاسلام وروى له قالت امامة كم عمرت زمانه وذبحت من عتر على
الاوثان العتيرة شاة تذبح لاصنامهم فى رجب فى الجاهلية ولقد شهدت
عكاظ قبل محلها عنها وكنت اعد مل فتيان والمنذر بن محرق فى ملكه وشهدت
يوم هجائن النعمن وعمرت حتى جاء احمد بالهدى وقوارع تتلى من القران ولبست
بالاسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان وله ايضا فى طول عمره
المرء يهوى ان يعيش وطول عيش ما يضره تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو
العيش مره وتتابع الايام حتى ما يرى شيئا يسره كم شامت بى ان هلكت
وقائل لله دره وروى ان النابغة الجعدى كان يفتخر ويقول انبت النبى صلى
الله عليه وسلم وانشدته بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجوا فوق ذلك
مظهرا فقال صلعم اين المظهر يا ابا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال اجل
ان شاء الله ثم انشدته فلا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا فقال صلعم لا يفضض
الله فاك وفى رواية اخرى لا يفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة
سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفى رواية اخرى قال فرايته قد بلغ الثمانين
ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو احسن الناس
ثغرا معنى ترف تبرق وكان الماء يقطر منها قال السيد قدس الله روحه
ومما يشاكل قوله الجنة فى جواب قول النبى صلعم اين المظهر يا ابا ليلى وان كان
يتضمن العكس من معناه ما روى من دخول الاخطل على عبد الملك بن مروان
مستغيثا من فعل الجحاف السلمى وانه انشده لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة
الى الله منها المشتكى والمعول فان لم تغيرها قريش بحلمها يكن عن قريش مستماز
ومرحل فقال عبد الملك له الى اين يا ابن اللخنا فقال الى النار قال لو قلت غيرها
قطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدى بقوله

الى الجنة

الى الجنة واول قصيدة الجعدى التى ذكرنا منها الابيات خليلى غضا
ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر اوذرا ولا تسئلا ان الحياة
قصيرة فطيرا الروعات للحوادث اوقرا وان كان امر لا تطيقان دفعه
فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا يهيج الاسى عند الندامة ثم ما يقرب
شئ غير ما كان قدرا الم تعلما ان الملامة نفعها قليل اذا ما الشئ ولى
فادبرا لوى الله علم الغيب عمن سواءه ويعلم منه ما مضى وتاخرا وفيها
يقول وجاهدت حتى ما احسن ومن معى سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا يريد
انى كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معنى وفيها يقول
ونحن اناس لا نعود خيلنا اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا وننكر يوم الروع الوان
خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا وليس بمعروف لنا ان نردها
صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا اخبرنا المرزبانى قال انشدنا على بن سليمان
الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة
الجعدى تلوم على هلك البعير ظعينتى وكنت على لوم العواذل زاريا الم تعلمى
انى رزيت محاربا فما لك منه اليوم شئ ولا ليا ومن قبله ما قد رزيت
بوحوح وكان ابن امى والخليل المصافيا فتى كملت خيراته غير انه جواد فما
يبقى من المال باقيا فتى كان فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا
اشم طوال الساعدين سميدع اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا السميدع السيد
السيد ومما يروى للنابغة الجعدى عقيلية او من هلال بن عاص
بذى الرمث من وادى المنار خيامها اذا ابتسمت فى البيت والليل
دونها اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها وذكر الاصمعى عن عمرو بن العلاء
قال سئل الفرزدق عن النابغة الجعدى فقال صاحب خلقان يكون
عنده مطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعى وصدق الفرزدق بينا
النابغة فى الكلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان فذهب ثم

انشدله سماكك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب وقالت سليمى ارى
رأسه كناصية الفرس الاشهب وذلك مزوقعات المنون ففيئ
اليك ولا تعجبى اتين على اخوى سبعة وعدن على ربعى الاقرب ثم يقول بعدها
فادخلكا الله برد الجنان جذلان فى مدخل طيب فلان كلاه حتى لو ان ابا الشمقمق
قال هذا البيت كان رديًا ضعيفاً قال الاصمعى وطريق الشعر اذا ادخلته
فى باب الخير لان الا ترى ان حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والاسلام
فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى النبى صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر
عليهما السلام وغيرهما لان شعره مجلس آخر مسئلة تتعلق بما ذكرناه
ان سأل سائل فقال كيف يصح ما اوردتموه من تطاول الاعمار وامتدادها
وقد علم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل
اليه ومنهم من ينزل فى انكاره درجة فيقول انه وان كان جايزا من طريق
القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات وان العادات
اذا وثق الدليل بانها لا تخرق الا على سبيل الاية والدلالة على صدق نبى من الانبياء
علم ان جميع ما روى من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت
الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة ولخرجه
عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر فى الحقيقة وما
المقتضى لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده
ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا وغير حى حيا وان شئت
ان تقول هو استمرار كون الحى الذى لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا
وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان نحالة واحدة حيا
بان له عمرا بل لا بد من ان يراعوا فى ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار
وان قل وشرطنا جواز ان يكون غير حى او يكون لكونه حيا ابتداء
احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت عظمته ممن لا يوصف

بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى
وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية ومن المعانى ما يختص به عز وجل ولا
يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجرى مجرى فمتى فعل تعالى الحياة و
ما تحتاج اليه من البنية وهى مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج اليه فليست
تنتفى الا بضد يطرأ عليها او بضد ينفى ما تحتاج اليه والاقوى انه لا ضد
لها فى الحقيقة وانما تنتفى بانتفاء ما تحتاج اليه ولو كان للحياة ضد على
الحقيقة لم يخل بما نقصده من هذا الباب فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدها
او ضد ما تحتاج اليه ولا نقض ناقض بنية الحى استمر كون الحى حيا ولو كانت
الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى
قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالى بين فعلها وبين فعل ما تحتاج اليه فيستمر
كون الحى حيا فاما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص
بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك
عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه
وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة
ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما اتى من احال ذلك من حيث
اعتقد ان استمرار كون الحى حيا موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة
متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال ان يدوما ولو اضافوا ذلك الى فاعل
مختار متصرف لخرج عندهم من باب الاستحالة فاما الكلام فى دخول ذلك فى العادة
او خروجه عنها فلا شك فى ان العادة قد جرت فى الاعمار باقدار متقاربة يعد
الزائد عليها خارقا للعادة الا انه قد ثبت ان العادات قد تختلف فى الاوقات
وفى الاماكن ايضا ويجب ان يراعى فى العادة اضافتها الى من هى عادة له فى
المكان والوقت وليس يمتنع ان يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج
حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف ولا ان يكثر الخارق للعادة حتى يصير

حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان تكون العادات
في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار واستدادها ثم تناقص ذلك
على تدريج حتى صارت عادتنا الان جارية بخلافه وصار ما يبلغ مبلغ تلك الاعمار
خارقا للعادة وهذه جملة فيما اردناه كافية **باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة
التي تسميها قوم المسكتة** اعلم ان اجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتوثر
اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب اتى بعد لأي وورد بعد
تقاعس لم يكن له في النفوس وقع ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع وان
كان المتثاقل اعرق في نسب الاصابة واخذ باطراف الحجة ولهذا قيل احسن الناس
جوابا واحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي يأتي اجوبتها بعد لأي وفكرة
وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعوية بن ابي
سفيان وقد ساله عن البلاغة فقال ان تصيب فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ
ثم اختصر بعد ذلك فقال لا تخطئ ولا تبطئ ولطول الفكرة والاغراق في الروية
مذهب واوان لا يحمد فيهما التسرع والتعجل كما لا يحمد في اوان السرعة التثاقل
والتايد وانما تحمد السرعة في اجوبة المحاورة والمناظرة وترادا الفكرة والروية
للاراء المستخرجة والمور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في تاملها
فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال
الاحنف بصفين اغبوا الراي فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله
بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له لا خير في الراي الفطير
والكلام القضيب وشوور ابن التوام الرقاشي فامسك عن الجواب وقال ما احب
الخبز الا بائتا فاما قولهم ثلث يعرفن في الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات
والثقة بكل احد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الروى والمشاورة والاحوال
التي يستحب فيها التايد والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط
وذلك مذموم لا اشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه روى ان بعض ازواج

النبي صلى الله عليه وآله وسلم سالته متى يعرف الانسان ربه فقال عليه السلام
اذا عرف نفسه وقال له صلعم رجل اني اكره الموت فقال له ع الك مال قال نعم
قال قدم مالك فان قلب كل امرئ عند ماله وقال يهودي لامير المؤمنين ع ما دفنتم
نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت
اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
وروى انه لما فرغ من دفن النبي ع سأل عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت
منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام فهلا ذكرتم الانصار قول النبي صلعم يقبل
من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له ع
ابن الكواء يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل له
ما طعم الماء فقال طعم الحياة وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس
واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان
ع اذا اطراه رجل فقال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي
احمد بن اسمعيل قال حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار
يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عبد العزيز
وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالاكرام واعظمه
من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ قال او ما تعرفه
قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رايت اعجز من هؤلاء
القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما لئن خرج لاسوءنه فقال له عبد
العزيز لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب
سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال وخرج موسى بن جعفر فقام اليه نفيع الانصاري
فاخذ بلجام حماره ثم قال له من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد
حبيب الله ابن اسمعيل ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض

الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم لحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضى
مشركوا قومى مسلمى قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمدا خرج لنا اكفاءنا من قريش خل
عز الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف بخزى فقال له عبد العزيز الم اقل لك ويقال ان معوية
استشار الاحنف بن قيس فى عقد البيعة لابنه يزيد فقال له انت اعلم بليله ونهاره
وقال احمد بن يوسف لابى يعقوب الخزيمى مدحك لمحمد بن منصور اجود من مراثيك فيه
فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس على الهادى
فى حياة المهدى فدهش فقال السلم عليك يا امير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد
امير المؤمنين وقال معاوية بن ابى سفيان لعقيل بن ابى طالب وكان جيد الجواب
حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان اخى اثر دينه على دنياه وانت اثرت دنياك على
دينك فاخى خير لنفسه منك وانت خير لى منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بنى هاشم
فقال هو منا فى الرجال ومنكم فى النساء وقال له معوية يوما وقد دخل عليه هذا
عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل رضى الله عنه هذا معاوية عمته حمالة الحطب
وعمة معاوية ام جميل بنت حرب ابن امية وكانت امرأة ابى لهب وقال له يوما يا
يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا
عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح وقال له ليلة الهرير
بصفين يا ابا يزيد انت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم وقيل لسعد بن المسيب
وقد كف الا تقدح عينك قال حتى افتحها على من ودخل معن بن زائدة على المنصور
فقال له كبرت يا معن قال فى طاعتك قال وانك لتتجلد على اعدائك قال وان فيك
لبقية قال هى لك وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة
يتحدث بها بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولوم القدرة لاحد
اولى بهما منك وقال رجل لعمرو بن العاص لا تفرغن لك قال اذا وقعت فى الشغل
وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص المعلب بالاشدق الى من اوصى بك ابوك
فقال ان ابى اوصى الى ولم يوصى بى وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته

الوفاة قد اوصيت بك فلانا فالقه بعدى فقال يا ابة اذا لم يكن للحى الا وصية الميت
وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملى انشدنى بعض قولك فى الخمر فانشده
كميت اذا شجت وفى الكأس وردة لها فى عظام الشاربين دبيب فقال له شربتها
ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان رابك نعتى لها لقد رابنى معرفتك بها
ولما اتى معوية نعى الحسن بن على عليهما السلام بعث الى ابن عباس وهو لا يعلم
الخبر فقال له هل عندك خبر من المدينة قال لا قال اتانا نعى الحسن واظهر سرورا
فقال ابن عباس اذن لا ينسئ الله فى اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه
قد ترك صبية صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر قال واحسبه قد كان بلغ سنا
قال مثل سوله لا يجهل قال معاوية لو قال قائل انك اصبحت سيد قومك
قال اما وابو عبد الله الحسين بن على عليهما السلام حى فلا فلما كان من غد اتى
يزيد بن معاوية ابن عباس وهو فى المسجد يعزى فجلس بين يديه جلسة المعزى واظهر
حزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب ال حرب
ذهب حلم قريش وروى ان وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز فاراد فتى
منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو اسن
منك فقال له تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحى قال انشد كثير عبد
الملك بن مروان على ابن ابى العاصى دلاص حصينة اجاد المسدى نسجها
فاذالها فقال له هلا قلت كما قال الاعشى واذا تكون كتيبة ملمومة شهباء
يخشى الذائدون نهالها كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما
ابطالها فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم ويشبه ذلك ما روى
عن ابى عمرو بن العلاء انه لقى ذا الرمة فقال له انشدنى قصيدتك ما بال
عينك منها الماء ينسكب فانشده اياها فلما انتهى الى قوله تصغى اذا شدها
بالكور جانحة حتى اذا ما استوى فى غرزها تثب فقال له ابو عمرو قول الراعى
احسن مما قلت وهو تراها اذا قام فى غرزها كمثل السفينة او اوقر ولا تعجل

المرء عند البروك وهى بركبته ابصر فقال ذو الرمة ان الراعى وصف ناقة ملك
وانا وصفت ناقة سوقة وحكى الصولى ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد
بيته الذى حكيناه فقال سقط والله الرجل فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب
للدابة وهو نسع مضفور وقوله تصغى يريد تميل رأسها كانها تسمع لانها
ليست بنفور بل مودبة مقومة والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس
فاحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة فى مدحه للخصيب ابن عبد الحميد
فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر فلم يرض بان وصفها بالاصغاء
حتى وصفها بالوقر وهو الثقل فى الاذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه وميله
الى جهة الحديث اشد والد قال السيد قدس الله روحه وانى لا استحسن
القصيدة التى من جملتها هذا البيت الذى اوردناه لابى نواس لانها دون
العشرين بيتا وقد نسب فى اولها ثم وصف الناقة باحسن وصف ثم مدح
الرجل الذى قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق
يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة هى يا منة امتنها السكر ما ينقضى
منى لها الشكر اعطتك فوق مناك من قبل قد كن قبل مرامها وعرتنى اليك
بها سوالفه رشأ صناعة عينه السحر ظلت حميا الكاس تبسطنا حتى تهتك
بيننا الستر فى مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر اما قوله حلت
الخمر فيحتمل ان يريد به ان ما وصفه به من طيب الموضع وتكامل السرور به وحصول
المأمول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر وملجيا الى تناولها ورافعا التحرج فيها
على مذهب الشعراء فى المبالغة ويكون فائدة وصفها بانها حلت المبالغة فى
وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل ان يكون عقد على نفسه واولى ان لا يتناول
الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجا له من يمينه
على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم الى ان يأخذوا بثارهم ويجرى
قول الشنفرى حلت الخمر وكانت حراما وبلأى ما المت تحل ويحتمل ان يريد

بحلت

بحلت نزلت واقامت من الحلول الذى هو المقام لا من الحلال فكانه وصف
بلوغ جميع ارابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جماع
اللذات وهو الوجه وان لم يشر اليه احد ممن تقدم فى تفسير هذا البيت
فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا
وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه واقرب الى
الصواب ولقد تجوب بى الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر اراد بصام وقف
وذلك وصف له بالامتداد والطول والعفر الظباء اللواتى فى الوانهن حمرة تخالطها
كدرة وقالت من القايلة وهى وقت نصف النهار لا من القول شدنية رعت الحمى
فاتت ملء الجبال كانها قصر شدنية منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال
لمكر ذو شدن تثنى على الحاذين ذا خصل تعماله الشذران والحاذ موخر الفخذ
والشذران رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط وللحضر يخطر وتعماله اى عمله
اما اذا رفعته شامذة فتقول رنق فوقها نسر يعنى بشامذة اى مبالغة فى رفع ذنبها
ويقال رنق الطائر اذا نشر جناحيه طائرا من غير تحريك اما اذا وضعته خافضة
فتقول ارخى خلفها ستر وتسف لحيانا فتحسبها فترسما يقتاده اثر معنى تسف
اى تدنى رأسها من الارض والمترسم الذى يتبع الرسم ويتامله ومعنى يقتاده اثر
اى هو معنى بطلب الاثر وموكل بتتبعه يقال اثر واثر واثر ثلث لغات وقد وهم
الصولى فى تفسير هذا البيت لانه قال ان ابا نواس جمع الاثر اثارا ثم جمع الاثار
اثرا ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه وانما ذهب
عليه انه يقال فى الاثر اثر فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادم ملطم حر
فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر تبرى لانقاض اضر بها جذب
البرى فخدودها صعر معنى تبرى تنبرى اى تعرض لهذه الانقاض والانقاض
جمع نقض وهو البعير الذى قد اهزله السفر والكد والبرى جمع برة وهى الحلقة
تكون فى انف البعير يذلل بها يرمى اليك بها بنو امل عتبوا فاعتبهم بك الدهر

انت للخصيب وهذه مصر فقد فقا فكلا كما بحر لا تقعدا بى عن مدا ملى شيئا فما لكما به
عذر ويحق لى اذ صرت بينكما الا يحل بساحتى فقر **مجلس آخر** قال السيد قدس
الله روحه ثم نعود الى ما كنا اخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات روى ان رجلا
نظر الى كثير الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن على عليهما السلام يمشى فقيل له اتركب
وابو جعفر يمشى فقال هو امرنى بذلك وانا بطاعته فى الركوب افضل منى فى
عصيانى اياه فى المشى وروى ان دعاة خراسان صاروا الى ابى عبد الله الصادق
عليه فقالوا له اردنا ولد محمد بن على فقال اولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا
له لو اراد الله بنا خيرا لكنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابى عبد الله اردت
الخروج علينا فقال نحن نبذل عليكم فى دولة غيركم فكيف نخرج عليكم فى دولتكم وقال
عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك فى الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل
واللون مرمد وانما قربنى اليك عقلى فهبه لى وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار
لحاجبه وقد ولى منهزما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لى بذلك فقال والله
لئن لم تفعل لاسوءنك فقال وددت انك تقدر على ذلك وقال يحيى بن خالد لشريك
علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون
وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغنى انك بخيل فقال ما اجمد فى حق ولا اذوب فى باطل
وقيل لابى دواد الايادى ونظر الى بنته تسوس فرسه اهنتها يا ابا دواد فقال
اهنتها بكرامتى كما اكرمتها بهوانى ومثل ذلك قول اعرابى لحقه ذل على باب
السلطان اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التى لا تهينها ودخل
عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذى كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور
فقال مظلوم يا امير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة غصبنى ضيعتى
فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لى بخصم قال له
وكيف قال ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لى فهى له ولا اقوم
من مجلس شرفنى به امير المؤمنين لاقعد فى ادنى منه بسبب ضيعة وقال هشام
ابن عبد الملك لرجل فى الكعبة سلنى حاجتك فقال لا اسأل فى بيت الله غير الله وهرب
سليمن بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول وقل لن ينفعكم الفرار ان
فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذلك القليل نطلب وقيل
ان الجعد بن درهم جعل فى قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام فقال لاصحابه انا خلقت
ذلك لانى كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام فقال ليقل كم هو وكم
الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر الذى يسعى
الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المأمون للفضل بن سهل انى اخاف
عليك اقواما يعادونك فلا تركب الا فى جيش فقال الفضل ما اخاف غيرك فان امنتنى
من نفسك لم يضرنى انسان وقيل لابى ثور ما تقول فى حماد بن زيد بن درهم وحماد
بن سلمة بن دينار فقال بينهما فى العلم كقيمة ما بين ابويهما فى الصرف واراد المأمون
تقبيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين
ان الله عز وجل ولاك علينا بالامانة فلا تقبلنا فاضرب عن ذلك وقال رجل لابن
عباس زوجنى من فلانة وكانت يتيمة فى حجره فقال لا ارضاها لك لانها تستشرف فقال
الرجل قد رضيت انا فقال ابن عباس الآن لا ارضاك لها ويشبه هذا الخبر من وجه خبر
رواه المدائنى قال ارسل عمر بن عبد العزيز رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس
بن معاوية المزنى وبين القسم بن ربيعة الجوشنى من بنى عبد الله بن عطفان فيولى القضاء
انفذهما فقدم البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامى ايها الرجل سل عنى وعن القسم
فقيهى المصر الحسن وابن سيرين فمن اشارا عليك بتوليته فوله وكان القسم يأتى الحسن
وابن سيرين ولم يكن اياس يأتيهما فعلم القسم انه ان سألهما اشارا به فقال للشامى لا تسأل
عنى ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا هو افضل منى وافقه واعلم بالقضاء
فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغى ان تقبل منى وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني
وانا كاذب فقال اياس للشامى انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه
من النار ان تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال

الشانئ اما اذ فطنت لهذا فانى اوليك فاستقضاه ولما امضى معاوية بيعة يزيد جعل الناس
يقرظونه فقال يزيد لابيه ما ندرى انخدع الناس ام يخدعوننا فقال معاوية يا بنى
من تخادع لك ليخدعك فقد خدعته وسمع عبد الملك ابن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه
وقد سمع صوت قصار يقول ليتنى كنت غسالا لا اعيش بما اكسب يوما بيوم فبلغ ابا
حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه وقال الواثق للجاحظ
يوما ما منانى فقال لو كان الذى اضعفنى اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيق
فكيف اكون على دينه وقال ابن عباس رضى الله عنه للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين
عليه السلام اليهم نشدتكم الله ايما اعلم بالتنزيل والتأويل اعلى ام انتم قالوا على
فقال ليس تدرون لعل الذى حكم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون فرجع اكثرهم
وقال عتبة بن ابى سفيان لعبد الله بن عباس ما منع على بن ابى طالب ان يجعلك
احد الحكمين فقال ام والله لو بعثنى لاعترضت مدارج انفاسه اطير اذا اسف واسف
اذا طار ولعقدت له عقدا لا ينتقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى
اجل والآخرة خير لامير المؤمنين عليه السلام من الدنيا وقال ابو جعفر محمد بن
على عليهما السلام لكثير استدحت عبد الملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى
وانما قلت له يا شجاع والشجاع حية ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث
موات فتبسم ابو جعفر وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت
الائم من اصحابك اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم
يأتونا فى حال القوة منا عليهم ويفارقونا فى حال الضعف منا عنهم وقيل لابرهيم
النخعى متى كنت فقال حين اصبح الى ورئى رجل يصلى صلاة خفيفة فقيل له ما هذه
الصلوة فقال صلوة ليس فيها رياء اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن
ابى الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح
سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله والآت لم يسمع بمثلها فاراد ان يرى الناس عظيم
ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفى صحنها قدور

يرتقى اليها بسلاليم واذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشى قد اقبل والناس جلوس
على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لى
فى معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان يأذن له كان عبد الله يضعف
وكان قد تسور حائطا الى امرأة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب دخلت
يا ابا ساسان فقال اجل اسن عمك عن تسور الحيطان قال ارأيت هذه القدور قال هى
اعظم من ان لا ترى قال ما احسب بكر بن وائل رأى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو
رآها سمى شبعان ولم يسم عيلان قال له يا ابا ساسان من الذى يقول عزلنا وامرنا
وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغى من تحالف قال اعرفه واعرف الذى يقول وخيبة
من يخيب على غنى وباهلة بن يعصر والرباب قال فمن الذى يقول كان فقاح الازد حول
ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وائل قال اعرفه واعرف الذى يقول قوم قتيبة امهم
وابوهم لولا قتيبة اصبحوا فى مجهل قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرأ شيئا من القرآن
قال نعم اقرأ منه الكثير الطيب هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فاغضبه فقال والله لقد بلغنى ان امرأة الحضين حملت اليه وهى حبلى من غيره قال
فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشى فيقال
ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله
غيرك ولقى شريك النميرى رجلا من بنى تميم فقال له التميمى يعجبنى من الجوارح البازى
فقال له شريك وخاصة اذا صاد القطا اراد التميمى بقوله البازى قول جرير
انا البازى المطل على نمير واراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح تميم بطرق
اللوم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت وساير شريك النميرى عمر بن
هبيرة الفزارى على بغلة فجاورت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها
فقال شريك انها مكتوبة فقال له عمر ما اردت ذلك قال شريك ولا انا اردته
ظن شريك ان عمر اراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير فغض الطرف انك
من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا وعنى شريك بقوله انها مكتوبة قوله لا تأمنن

فزارتيا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار   وانشد ابو تمام الطائي احمد بن
المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ الى قوله في حلم احنف في شجاعة
عامر في جود حاتم في ذكاء اياس قال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال كيف
قال لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول ابي العكوك
في ابي دلف رجل ابر على شجاعة عامر باسا وغبر في محيا حاتم فاطرق الطائي ثم رفع
رأسه وانشد لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والبأس فالله
قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس وقال ابن هبيرة لابي دلامة وكان
مولى لبني امية لما ظهرت المسودة لانخذن لك منهم عبدا صالحا يخدمك فلما علت
كلمتهم وفشت دعوتهم قال ابو دلامة ليت الله قيض لي منهم مولى صالحا اخدمه
وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك
فقال انا خزانة تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض فحيث ترى حقدا
على ذي اساءة فثم ترى شكرا على حسن القرض اذا الارض ادت ريع ما انت زارع
من البذر فيها فهي ناهيك من ارض وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك
مروان قال ما اقول في رجل انت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال
نعم ولكن حال بيننا اين وقدر وقد اعطيت الله عهدا ان سألتني لاصدقنك
ولئن خليت عني لاطلبنك ولئن عذبتني لاصبرن لك فامر بقتله اما البين فهي
الارض الواسعة قال ابن مقبل بسرو حمير ابوال البغال به اني تسديت وهنا
ذلك البينا وقيل لابي العتاهية لما قال عتب ما للخيال خبريني ومالي خرجت
من العروض فقال انا اكبر من العروض وقال عبد الملك بن مروان للهيثم ابن الاسود
ما مالك قال قوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له لم لم تخبره فقال ان كان
كثيرا حسدني وان كان قليلا ازدراني واغتاب الاعمش رجلا من اصحابه
فطلع الرجل على تفيئة ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون

غيبة فقال قل له انت حتى تكون نميمة   وقال معاوية لعمرو بن العاص هل
غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى يوم اشرت علي بمبارزة علي بن ابي
طالب عليه السلام وانت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى
المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان قتلته فقد قتلت
قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك وخلوت بملكك واما ان قتلك
فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال معاوية لهذه
انشد علي من الاولى فقال عمرو افكنت من جهادك في شك فتكون منه
الساعة قال دعني منك الآن وقيل للاحنف وقد رأى مسيلمة الكذاب كيف
هو قال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وروى المبرد قال قال زياد لابي
الاسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنا بك في بعض امورنا فقال ان كنت
تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد عقلي ورأيي فهما اقوى واوفر ما كانا
وكان ابو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة وروى عن الشعبي
انه قال قاتل الله ابا الاسود ما كان اعف اطرافه واحضر جوابه دخل على
معوية بالنخيلة فقال له معاوية اكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت
صانعا قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم والفا من الانصار وابنائهم
ثم اقول يا معشر من حضر ارجل من المهاجرين احق ام رجل من الطلقاء فلعنه
معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك وقد روي ان ابا الاسود طلب ان يكون
في الحكومة وقال لامير المؤمنين عليه السلام في وقت الحكمين يا امير المؤمنين
لا ترض بابي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب
القعر مع انه يمان وما ادري ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة الا عقدت
له اشد منها وانهم قد رموك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني
اثنين فليس صاحبهم الا من تقرب وكان في الخلاف عليهم كالنجم فابى عليه السلام
عليه وروى محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود كان نازلا في بني قشير وكانوا

نجا الفوته في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يرمونه بالليل فاذا اصبح
شكا ذلك فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان
الله يرميني ما اخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما في العرب احد احب الي طول
بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم
امرا علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فانشا يقول يقول الارذلون بنو
قشير طوال الدهر لا تنسى عليا احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا
احبهم لحب الله حتى اجيء اذا بعثت على هويا فان يك حبهم رشدا اصبه ولست
بمخطئ ان كان غيا فقالوا شككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا قول الله تعالى
يقول وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين افترون الله تعالى شك اما قوله
هويا فانها لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى والعصى والتقى قال
قال ابو ذويب سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع وروى
ان ابا الاسود دخل على معاوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا الاسود فلو علقت
تميمة تدفع عنك العين فقال افنى الشباب الذي ولى وبهجته كر الجديد من آت
ومنطلق لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئا اخاف عليه لذعة الحدق ويروى
انه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم اقاربك في هذا الثوب
فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال قد اعطيت به كذى وكذى
قال انما تخبرني عما فاتك وروى انه كان ماشيا في طريق فقال له راكب الطريق
الطريق فقال له عن الطريق تعدلني ومرض ابو الاسود الدولي فقيل له هذا امر الله
قال فاك اشد له وقيل ان امرأة ابي الاسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت
ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له
سقاء وحجري له فناء فقال ابو الاسود ابهذا تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله
لقد حملته من قبل ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه فقالت ولا سواء لانك حملته
خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها امرأة عاقلة

يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها فاخلق ان تحسن ادبه وقال رجل لابي الاسود انت
والله ظريف لفظا وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل قال وما خير ظرف لا يمسك
ما فيه وسلم عليه اعرابي يوما فقال ابو الاسود كلمة مقولة قال اتأذن لي في
النزول قال وراءك اوسع قبلك وقال وهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال
عيالي احق منك قال ما رأيت الام منك قال نسيت نفسك قال وساله رجل
شيئا فمنعه فقال ما اصبحت حاتميا قال بلى والله فقد اصبحت حاتميا من حيث لا تدري
اليس حاتم الذي يقول اماوي اما مانع فمبين واما عطاء لا ينهنهه الزجر

مجلس آخر اخبرنا ابو عبيد المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن
محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمن بن عبد الملك اتي بيزيد بن ابي مسلم مولى
الحجاج في جامعة وكان رجلا دميما تقتحمه العين فلما راه سليمن قال لعن الله
من اجرك رسنك وولى مثلك فقال يا امير المؤمنين رأيتني والامر عني مدبر ولو
رأيتني وهو علي مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولا استجللت ما استحقرت فقال
له سليمن اين ترى الحجاج ايهوي في النار ام قد استقر فقال يا امير المؤمنين
لا تقل كذى فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب
الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك
الوليد فضعه حيث شئت وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد
الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من انت فقال انا خالد بن صفوان
بن الاهتم فقال له العبدري انت خالد لكن هو خالد في النار وانت ابن صفوان
وقال الله عز وجل كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من الاهتم
فقال له خالد يا اخا بني عبد الدار اتتكلم وقد هشمتك هاشم وامتك بنو امية
وخرمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا
اخرجوا فقام العبدري محموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال له الاشعث
اتعلمني بك يا ابن ام شريح لقد عهدتك وان شانك لشوين فقال له شريح انت امرؤ

تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك وروى ابو العيناء عن العتبي قال دخل
الفرزدق الى سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال اليك
فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا فان يكن الهجاء احل قتلي
فقد قلنا لشاعركم وقال لا ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد كانهم يرون به الهلالا فقال له الحطيئة هذا والله ايها
الامير الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم يا غلام اقدمت امك الحجاز قال لا ولكن
قدمه ابي اراد الحطيئة بقوله ان كانت قدمت الحجاز فقد وقعت عليها وكنت مني
واراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه ابي اي وقع بامك فكنت انت اخي ويشبه ذلك
ما روي ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد
فقال له الفرزدق كيف ترى شعري فقال الكميت حسن بسن فقال له الفرزدق
ايسرك اني ابوك قال اما ابي فلا اريد به بدلا ولكن يسرني ان لو كنت امي
فقال له الفرزدق اكتم هذه على عمك يا ابن اخي فما مر بي مثلها وقيل ان عبد الملك
ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الراي فقال له لما حضر مجلسه اليس قد ردك
الله على عقبيك فقال له الرجل او من رد عليك يا امير المؤمنين فقد رد على عقبيه
فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى لشريك يا با عبد الله عزلوك عن القضاء
وما رأينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض بان اباه
خلع من ولاية العهد وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية
وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك
قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر ولو ذبح الضبي بالسيف لم يجد من اللوم
للضبي لحما ولا دما وروي عن المأمون انه قال ما اعياني جواب احد قط مثل جواب
ثلثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على الفضل
لانه ولدك فها انا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع على من جعل لي مثلك ولدا
والثاني رجل احضرته يزعم انه نبي الله موسى عليه السلام فقلت له ان الله تعالى

اخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء فقال لي متى فعل ذلك
موسى اليس بعد ان لقي فرعون فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى
والثالث ان جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا الي يشكون من عاملها فقلت ارضوا
بواحد اسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو
العفيف الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا امير المؤمنين
هو كما ذكرت فواس بين رعيتك في العدل فصرفته عنهم ودخل عدي بن حاتم بن
عبد الله الطائي على معاوية فقال له ما فعل الطرفات يعني طريفا وطرافا وطرفة
قال قتلوا مع علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك
واخر بنيه فقال عدي بل ما انصفته انا اذ قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق
له يقترض شيئا منه فاجابه يشكو اضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا جعلك الله صادقا
وان كنت صادقا جعلك الله كاذبا وان كنت معذورا فجعلك الله ملوما وان كنت
ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم معاوية فقال لو كان
حليما ما سفه الحق ووصف رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويلك وهل اغمد سيفه
وفي قلبه على احد شيء وقال زياد لرجل حضره اين منزلك فقال وسط البصرة قال
فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد
فقال الرجل داري بين اهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين
فقدمت تسعة فهم لي وبقي واحد لا ادري اهو لي ام انا له وقال رجل لابن سيرين
اني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال ما احب ان احلك مما حرم الله عليك وخطب
الحجاج يوم جمعة فاطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك
فامر به فحبس فجاءه اهله فشهدوا انه مجنون فقال ان اقر عندي بالجنون اطلقته
فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني وحدث
الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا با سعيد عمن قال وما تصنع بعمن اما انت
فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه كيس

فى درهم اتماكس فى درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذلك مالى جدت به وهذا
عقلى بخلت به وروى ان ابا العيناء محمد بن القسم اليمامى حدث بعض الزبيريين
بفضائل اهله فقال له الزبيرى اتجلب التمر الى هجر فقال ابو العيناء نعم اذا
اجدبت ارضها وعاوم نخلها وكان ابو العيناء من احضر الناس جوابا واجودهم
بديهة واملحهم نادرة وروى الصولى عن ابى العيناء قال لما دخلت على المتوكل
دعوت له وكلمته فاستحسن خطابى فقال لى يا محمد بلغنى ان فيك شرا فقلت
يا امير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسئ باسائته فقد زكى
الله تعالى وذم فقال فى التزكية نعم العبد انه اواب وقال فى الذم هماز مشاء بنميم
مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر
اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما ففيم عرفت الخير والشر
باسمه وشق لى الله المسامع والفما وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبى و
الذمى بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك من ذلك وروى انه قال له يوما الى كم
تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا وروى انه قال له المتوكل
يوما انى لافرق من لسانك فقال له ان الشريف فروقة ذو احجام وان اللئيم
ذو امنة واقدام وقال له يوما وقد دخل عليه اشتقتك والله يا ابا العيناء
فقال له يا سيدى انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد
فمتى اراد عبده دعاه وروى انه قال يوما ما بقى احد فى مجلسى الا اغتابك
وذمك عند ما جرى من ذكرك غيرى فقال ابو العيناء اذا رضيت عنى كرام
عشيرتى فلا زال غضبانا على لئامها وذكر ابو العيناء قال قال لى المتوكل كيف
ترى دارى هذه فقلت رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا وامير المؤمنين
جعل الدنيا فى داره وقال ابو العيناء قال لى المتوكل من اسخى من رأيت ومن ابخل
من رأيت فقلت يا امير المؤمنين ما رأيت اسخى من احمد بن ابى دواد ولا ابخل
من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقلت رأيته يحرم القريب

كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال اجبت الى من
اطرحته فسخيته والى من استكتبته فبخلته فقلت يا امير المؤمنين ان الصدق ما هو
فى موضع من المواضع انفق فيه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء
فاذا نسب الناس السخاء الى البرامكة فانما ذاك سخاء امير المؤمنين الرشيد واذا نسب
الناس الحسن بن سهل والفضل بن سهل الى السخاء فانما ذاك سخاء امير المؤمنين
المأمون واذا نسبوا احمد بن ابى دواد الى السخاء فذاك سخاء امير المؤمنين
المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك
والا فما بال هؤلاء القوم لم ينسبوا الى السخاء قبل صحبتهم للخلفاء فقال لى صدقت
وسرى عنه وقال له المتوكل يوما ما اشد عليك فى ذهاب البصر فقال له فقد
رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك وقال له يوما اريدك لمجالستى فقال لا اطيق
ذلك وما اقول هذا على جهلى بما لى فى هذا المجلس من الشرف ولكن انا رجل محجوب والمحجوب
تختلف اشارته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز على ان تكلم بكلام غضبان ووجهك راض
وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هاتين هلكت قال صدقت
وروى انه قال له يوما لولا انك ضرير لنادمتك فقال ان اعفيتنى عن رؤية الهلال
وقراءة نقش الخواتيم فانى اصلح وقال له المتوكل ما تقول فى ابن مكرم والعباس بن
رستم فقال هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما فقال بلغنى انك تودهما فقال لقد
ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما بلغنى ان سعيد بن عبد الملك
يضحك منك فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقال ابو العيناء
قال لى المنتصر ما احسن الجواب قلت ما اسكت المبطل وحير المحق وقيل لابى العيناء
ابرهيم بن نوح النصرانى عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم وراه زرقان وهو يضاحك نصرانيا فقال يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العيناء لا ينهيكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم فى الدين واخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى

الصولي قال اخبرنا ابو العيناء قال كان سبب اتصالي باحمد بن ابي دواد ان قوماً من اهل
البصرة عادوني وادعوا علي دعاوي كثيرة منها اني رافضي فاحتجت الى ان خرجت
عن البصرة الى سر من راى فالقيت نفسي على باب ابن ابي دواد وكنت نازلاً في داره اجالسه
في كل يوم وبلغ القوم خبري فتشخصوا نحوي الى سر من راى فقلت له ان القوم
قد قدموا من البصرة يداً علي فقال يد الله فوق ايديهم فقلت ان لهم مكراً فقال ويمكر الله
والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله فقلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي لله درك
اي جنة خائف ومتاع دنيا انت للحدثان متخمط يطاء الرجال عليه فطاد
الفنيق دوارج القردان ويكبهم حتى كان رؤسهم مأمومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى بصير كانه بابان فقال لابنه ابي الوليد اكتب
هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن ابي العيناء الصموت الكلابي
على انه رجل وقال لي وكيع حفظي انها الصموت الكلابية على انها امرأة ودخل
ابو العيناء على الحسن بن سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة الاف درهم فقال والله
ما استكثر كثيرك ايها الامير ولا استقل قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر
كثيرك لانك اكثر منه ولا استقل قليلك لانه اكثر من كثير غيرك وقال عبيد الله
بن يحيى بن خاقان يوماً اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم احتج اليك
وقال له يوماً قد تبينت فيك الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك
عن غضبي انما يغضب الرجل على من هو دونه فاما على من هو فوقه فلا ولكن احزنني
تقصيرك فسميت حزني غضباً ويقال ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم
ديناً واكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه ابو العيناء مرات كثيرة بعقب اسلامه
فحجب وقيل انه مشغول بصلاته فقال ابو العيناء لكل جديد لذة ودخل يوماً على
ابي الصقر اسمعيل بن بلبل في وزارته فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك عنا قال سرق
حماري قال وكيف سرق قال لم اكن مع الذي سرقه فاخبر بما كان قال له هلا اكتريت

واستعرت

واستعرت او اشتريت قال قعد بي عن الشرا افلاسي وكرهت منة العواري وذلة المكاري
فوهب له حماراً ووصله وادناه ابو الصقر يوماً ورفعه فقال تدنيني حتى كاني بعضك
وتبعدون حتى كاني ضدك وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان ايضاً وقد رفعه الى كم
ترفعني ولا ترفع بي رأساً وقال له وقد ساله عن حاله انا بك مغبوط الظاهر مرحوم
الباطن ويقال ان ابا علي البصير قال لابي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة
في اي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت شحاذاً سائلاً
لانه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني
محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابو العيناء قال ما رأيت قط احسن شاهداً
عند حاجة من ابن عايشة قلت له يوماً كان ابو عمر المخزومي يقصدك كثيراً ثم جفاك
فقال فان تناعنا لا تضرنا وان تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم ثم قال ولا
ادري لمن هذا البيت فقلت انا ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال
تصرم مني ود بكر بن وائل وما خلت دهري ودهم يتصرم قوارص تاتيني وتحتقرونها
وقد يملاء القطر الاناء فيفعم وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال
جرير بن خرقاء العجلي يجيبه لقد بوأتك الدار بكر بن وائل وضمت لك الاحشاء
اذ انت مجرم ليالي تمنى ان تكون حمامة بمكة يغشاها الستار المحرم فان تناء عنا
لا تضرنا وان تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم فقال ابن عايشة انت والله يا بني
ممن ستصدق في العلم مخايله وتكثر عليه دلائله وقال ابو العيناء لابي الصقر بن بلبل
وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا
قال السيد قدس الله روحه وهذا يشبه قول ابرهيم بن العباس الصولي ولكن الجواد
ابا هشام وفي العهد مأمون المغيب بطئ عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع
الخطوب ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض
الاوقات فان ابا العيناء بقي بعد ابرهيم زماناً طويلاً لان ابرهيم توفي في سنة ثلث
واربعين ومائتين وابو العيناء توفي سنة اثنتين او ثلث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه

من الكلام قاله لابى الصقر فى وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم بن العباس بزمان طويل
ويشبه بيتا ابرهيم ان يكونا ماخوذين من قول اوس بن حجر وليس اخوك الدائم
العهد بالذى يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائى اذا كنت آمنا وصاحبك
الادنى اذا الامر اعضلا ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو
اسد ضارا اذا هيجته واب برا اذا ما قدرا يعلم الابعد ان اثرى ولا يعلم الادنى اذا
ما افتقرا ويشبه هذا ان يكون ماخوذا من قول المرار الفقعسى اذا افتقر المرار
لم ير فقره وان ايسر المرار ايسر صاحبه ومما يشبه قول المرار بعينه قول ابرهيم بن العباس
ايضا فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت رأى خلة
من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت ومن قول المتنخل الهذلى ابو مالك
قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه وهذا البيت الذى رويناه للهذلى من جملة ابيات
يرثى بها المتنخل اباه وقيل يرثى اخاه اولها لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف
قواه ولا بالدله نازع يغارى اخاه اذا ما نهاه معنى له نازع اى خلق سوء ينزعه
ويغارى اى يلاحى ويشارز ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد نساه العرد الشديد
يقال وتر عرد وعرند بالنون شديد والنساعرق معروف اذا سدته سدت
مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه معنى سدته من المساودة التى هى المسارة والسواد
هو السرار ايضا كانه قال اذا ساودته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة
وكانه اراد اذا كنت فوقه وسيدا له اطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئا
كفاك وقوم ينشدونه اذا سسته سست مطواعة ولم اجد ذلك فى رواية الآمدى
ابا مالك فى امرنا هوام فى سواه ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون
فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
فقال ما تأويل هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كانه مخالف له

الجواب قيل له فى هذه الآية وجوه منها ما ابتداناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه
واحترزنا فيه من المطاعن واجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبه اولها ان يكون
تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الايات وعن العز والكرامة اللذين
يستحقهما من ادى الواجب عليه فى ايات الله تعالى وادلته وتمسك بها والايات
على هذا التأويل يحتمل ان تكون سائر الادلة ويحتمل ان تكون معجزات الانبياء عليهم
السلام خاصة وهذا التأويل يطابقه الظاهر لانه تعالى قال ذلك بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين فبين ان صرفهم عن الايات يستحق بتكذيبهم ولا يليق
ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التى يظهرها على
الانبياء بعد قيام الحجة بما تقدم من اياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب
من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم خلاف ذلك
لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون بها عنها ويكون الصرف على
احد وجهين اما بان لا يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها
بحيث ينتفع بها غيرهم فان قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين
زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة فى التكليف
ولانا به نعلم صدق الرسول المؤدى الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف
يوجب تعريف المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه
الذى تكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولا الا من جهة
المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرايع واظهار المعجز على يده
لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق فى هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث
اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم ذلك فى وجوب البعثة
وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلى الذى لا فرق فى
حسنه بين ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد
قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن

في اظهارها فائدة وكانت عبثا فافترق الامران فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله
ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الايات
لا يكون مستحقا بذلك قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا لم يرد
به تعليل قوله تعالى ساصرف عن اياتي بل يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه في ترتيب
الكلام وهو قوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لان من كذب بايات الله وغفل عن تأملها
والاهتداء بنورها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد وضل ضلالا بعيدا ورجوع
لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله ساصرف لان رجوع اللفظ
في اللغة الى اقرب المذكورين اليه اولى ويمكن ايضا ان يكون قوله تعالى كذبوا باياتنا وان كان
بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجه ان التكذيب لما كان معلوما منهم لو اظهرت
لهم الايات جعل كانه واقع وبني الخطاب عليه ولهذا نظائر في اللغة كثيرة او يكون جوابا
لمحذوف كانه قال ذلك بانه متى ما اظهرنا لهم اياتنا كذبوا بها ويجري ما ذكرناه اولا
مجرى قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وانه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال
وثالثها ان يكون معنى ساصرف عن آياتي اي لا اوتيها من هذه صفته واذا
صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا وليس لاحد ان يقول
هلا قال ساصرف اياتي عن الذين يتكبرون والآيات هاهنا هي المعجزات التي يختص بها الانبياء
فان قيل فاي فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا باياتنا واي معنى لتخصيصه
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يؤتي الآيات والمعجزات الا الانبياء دون غيرهم
وان كان ممن لا يتكبر قلنا الخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لان
من كذب بايات الله لا يؤتى معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع
من ايتائه الآيات علة اخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتاء الايات وان منع
غيره ويجري هذا مجرى قول القائل انا لا اود فلانا لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادرا
ان يوده لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى يمنع من مودته ويجوز ان يكون

الآية خرجت على ما يجري مجرى التسبب وان يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز
ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين فاكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون المراد
بالايات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق
بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تاول اهل
الحق بالطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على ان المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن
ويكون معنى ساصرفهم عنها اي اعدل بهم عنها واخص بها المؤمنين المصدقين
باياتي وانبيائي وهذا التأويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم عن الآيات
الله تعالى وخامسها ان يريد تعالى اني اصرف من رام المنع من اداء اياتي وتبليغها لانه
من الواجب على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض
في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك من الناس فتكون الايات هاهنا
القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحملتها الرسل والصرف وان كان متعلقا
في الآية بنفس الآيات فقد يجوز ان يكون في المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها
واذا ساغ ان يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالايات ساغ ان يعلقه
بما يمنع من تبليغها واداءها واقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى ذلك
بانهم كذبوا باياتنا راجعا الى ساصرف بل نرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية
وسادسها ان يكون الصرف هاهنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من
شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره وكذبه
وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي شهد عليها بالانصراف عن الحق
والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم بما ذكرناه والتسمية
به من موجب تكذيبهم وغفلتهم عن ايات الله واعراضهم عنها وسابعها انه تعالى لما علم

ان الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق سيصرفون عن النظر فى آياته والايمان بها اذا اظهرها
على ايدى رسله جاز ان يقول ساصرف عن اياتى فيريد ساظهرها ينصرفون لسوء
اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم سابخل فلانا وساخطئه اى اسأله ما يبخل
ببذله وامتحنه بما يخطئ فيه ولايكون المعنى سافعل فيه البخل والخطاء والآيات على
هذا الوجه جائز ان تكون المعجزات دون سائر الادلة الدالة على الله تعالى وجائز ان تكون
جميع الادلة ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا غير راجع
الى ساصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة وثامنها ان يكون الصرف هاهنا
معناه المنع من ابطال الايات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان يكون ادلة وحججا
فيكون تقديم الكلام انى بما اوتيه من حججى واحكمه من اياتى وبيناتى صارف للمبطلين والمكذبين
عن القدح فى الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الاحكام والتأييد يفترصونه ويغتنمونه من تمويه الحق ولبسه بالباطل ويجرى هذا مجرى قول احدنا قد منع
فلان اعداءه بافعاله الكريمة وطرائقه المهذبة وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم
عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذى ذكرناه **فان قيل** اليس فى المبطلين من طعن
على آيات الله تعالى واورد الشبه فيها مع ذلك **قلنا** لم يرد الله تعالى الصرف عن
الطعن الذى لا يؤثر ولا يشتبه على من احسن النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون
الشئ فى نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريئا من الطعن
وان طعن فيه بما لا يؤثر الا ترى ان قولهم فلان قد اخرس اعداءه عن ذمه ليس يراد به
انه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى فيه انه لم يجعل للذم عليه طريقا ومجالا
ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا يرجع الى ما قبله بلا فصل
ولا يرجع الى قوله ساصرف وتاسعها ان الله عز وجل لما وعد موسى عليه السلام وامته
لهلاك عدوهم قال ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق فاراد جل
وعز انه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما قد كان منهم من
التكذيب بايات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه

الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا اهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم
بعد صرفهم عن اياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف
عنهم وخروجهم عن صفات اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال فيه ان العقوبة لا تكون
الا مضامة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل
واماتة الله تعالى الامم وما يفعله بهم من بوار واهلاك لا يقترن اليه ما لا بد ان يكون
مقترنا الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى باوليائه على سبيل الا
متحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع
ان يضم الله تعالى الى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الاهلاك والبوار اللعن
والذم والاستخفاف ويأمرنا بان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الايلام على وجه
العقوبة وبشروطها ولا يمتنع ان يكون الله تعالى يتعبد ويأمر باهلاكهم وقتلهم على وجه
الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك اليه من حيث وقع بامره وعن اذنه
فان قيل ما معنى قوله تعالى يتكبرون فى الارض بغير الحق كان فى التكبر ما يكون بالحق
قلنا فى هذا وجهان احدهما ان يكون ذلك على سبيل التاكيد والتغليظ والبيان عن ان
التكبر لا يكون الا بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجرى
قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى الذى ذكرناه ومثله قوله تعالى
ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا لم يرد النهى عن الثمن القليل دون الكثير بل اراد به تاكيد القول
بان كل ثمن يؤخذ عليها يكون قليلا بالاضافة اليها يكون المتعوض به عنها مغبونا
مبخوسا خاسر الصفقة والوجه الآخر ان فى التكبر ما يكون ممدوحا لان من تكبر عن الفواحش
والدنايا وتباعد من فعلها وتجنب اهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق
وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغى والاستطالة على ذوى الضعف والفخر
عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى
اليه وارشد الى الثواب المستحق عليه ومستحق بذلك الذم والمقت فلهذا شرط تعالى ان يكون

التكبر بغير الحق وقوله تعالى في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والبغي بغير الحق يحتمل ايضا هذين الوجهين اللذين ذكرناهما فان اريد بالبغي
المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تاكيدا واخبارا عن ان هذه
صفته وان اريد بالبغي الطلب وذلك اصله في اللغة كان الشرط في موضعه لان
الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق فان قيل ما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الرؤية هاهنا
العلم او الادراك بالبصر وهب انها يمكن ان يكون في قوله تعالى وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها محمولة على رؤية البصر لان الآيات والادلة مما يشاهد كيف تحمل
الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه ولا يصح ان يرجع بها الا الى
المذاهب والاعتقادات التي لا تجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد
رؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء
لا يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلثة اوجه احدها ان يكون المراد
بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الادلة والايات
لانها مما يدرك بالبصر وتسمى بانها سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد
وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون
والمدغلون في الدين ليوقعوا بها الشبهة على اهل الايمان وتسمى بانها سبيل الغي واذا كان
النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر باهلها
انه يصير الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية العلم الا ان العلم لا يتناول
كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها لا من هذا الوجه الا ترى
ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاداتهم وحججهم الا انهم يجهلون
كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين وا
واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون
صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى وصفهم

بالعناد

بالعناد وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغي
ومميزين بينهما غير انهم للميل الى اعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون
عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم
يجحدون الحق وهو يعلمونه ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا
والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار
وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق
بكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب هاهنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها
كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلام جاز فتكون الايات هاهنا هي الكتب المنزلة دون
سائر المعجزات فان قيل فما معنى ذمه تعالى لهم بانهم كانوا عن الآيات غافلين الغفلة
على مذاهبكم من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف
على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد هاهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه
انهم لما اعرضوا عن تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان
ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى
وكما يقول احدنا لمن يستبطيه ويصفه بالاعراض عن التامل والتبين انت ميت وراقد
لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر
المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلعم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين
من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه واله عند ذلك
اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا الى طاعتك وعما يرويه انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم ما من قلب ادمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله
تعالى فاذا شاء ان يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه ابن حوشب قال
قلت لام سلمه زوج النبي صلعم ما كان اكثر دعاء النبي صلعم قالت كان اكثر دعائه يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله اكثر دعائك يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله

عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ فقال ما تأويل هذه الاخبار على ما يطابق اصول
التوحيد وينفي التشبيه او ليس من مذهبكم ان الاخبار التي يخالف ظاهرها الاصول
ولا يطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذبها وبطلانها الا بعد ان لا يكون لها
في اللغة مخرج ولا تأويل وان كان لها ذلك فبا ستكراه وتعسف ولستم ممن يقول ذلك
في هذه الاخبار فما تأويلها **الجواب** ان الذين يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الاخبار
وهو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي ايضاً
الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر حسن قال الراعي
يصف راعياً حسن القيام على ابله ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها
اذا ما اجدب الناس اصبعا وقال الطفيل الغنوي يصف محلا كميت كركن الباب
احيا بناته مقاليتها واستحشتهن اصبع وقال لبيد بن ربيعة من يبسط الله
عليه اصبعا بالخير والشر باي اولعا يملاء له منه ذنوبا مترعا وقال حميد بن ثور
اغر كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يجتذبها واصبع وقال آخر واز زنات
ليس فيهن ابن ذو اصبع وذو فطن وقال آخر اكرم بزار واسقه المشعشعا فان
فيه خصلات اربعا حذاوجودا وندى واصبعا والاصبع في كل ما اوردناه المراد
بها الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي الا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين
حسنتين **فان قيل** هذا قد ذكرتم كما حكيتم الا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية
ها هنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى **قلنا** يحتمل ان يكون الوجه في ذلك
نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين او كالنوعين وان كان كل قبيل منهما في
نفسه ذا عدد كثير لان الله تعالى قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما انعم
به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء
به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن ان يكون الوجه في تسميتهم الاثر
الحسن بالاصبع هو من حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم
في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علقة وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا

يقولا يدا في مكان الاصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الاصبع لانها من اليد
وفي الاصبع التي هي الجارحة ثماني لغات اصبع بفتح الالف والباء واصبع بفتح الالف
وكسر الباء واصبع بضم الالف والباء واصبع بضم الالف وفتح الباء واصبوع بضم الالف
والواو واصبع بكسر الالف والباء واصبع بكسر الالف وضم الباء واصبع بكسر الالف
وفتح الباء وفي هذه الاخبار وجه آخر وهو اوضح مما ذكر واشبه بمذاهب العرب
في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو ان يكون المعنى في ذكر الاصابع الاخبار عن تيسر
تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته
الا ترى انهم يقولون هذا الشيء في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا
ارادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتاول المحققون
قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فكانه صلى
الله عليه وآله لما اراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير
مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين اصابعه
كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل وجريا على مذاهب العرب في اخبارهم
عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب ان يكون مقدما على الوجه
الاول ومعتمدا لانه واضح جلي ويمكن ان يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه
المخالفون من ان الاصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم استظهارا في الحجة واقامة
لها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الاصبعين
يحركهما الله بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالاصابع من حيث
كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كان جميع افعاله يضاف
اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما
غيره تعالى فقيل انهما اصبعان له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره
انما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الاعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر
على تحريكه وتصريفه منفردا عما جاوره غيره تعالى فمن اين للمبطلين المتاولين هذه الاخبار

باهوائهم وضعف ارآئهم ان الاصابع ها هنا اذا كانت لحما ودما فهى جوارح
الله تعالى وما هذا الوجه الذى ذكرناه ببعيد وعلى المتأول ان يورد كل ما يحتمل
الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض فى القوة والوضوح ونحن
نعود الى تفسير ما لعله ان يشتبه من الابيات التى استشهدنا بها اما قول الحد
وجوداً وندى واصبعا فمعنى الحد ها هنا المضاء والنفاذ وقول الآخر
وادرنات لعيس فيهن ابن فالارزنات العصى والابن العقد فاما قول حميد بن
ثور فى كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة من الناس والمنكب الناحية واما
معنى ابيات لبيد فانه اراد من يسق الله اليه خيراً ويصرف عنه شراً
انما فعل ذلك به ليسبغ له حتى ينتهى منتهاه واما بيت طفيل الغنوى فمعناه ان هذا
الفحل الذى وصفه بانه كميت وانه كركن الباب لتمامه وشدته لما ضرب فى الابل
التى وصفها عاشت اولادها التى هى بناته بعد ان كن مقاليت والمقلات التى لا يعيش
لها ولد فكان هذا منه اثراً جميلا عليها فاما بيت الراعى فمعنى قوله ضعيف العصا
يريد انه قليل الضرب لها اما لانهن لا يحوجنه سداداً وتأديبا او لشفقته
عليهن وهذه كناية فى نهاية الحسن واختصار شديد لانه قد يجوز ان يكون ضعيف
العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها فى الضرب فيختارها قوية ويجوز
ان يكون تحذف واراد ضعيف فعل العصا وقوله بادى العروق يعنى عروق رجليه لفسادها
من السعى فى اثر هذا الابل واراد بالاصبع ان له عليها فى جذب الناس اثراً جميلا لحسن
قيامه وتعهده وقد قيل انما سمى الراعى لبيت قاله فى هذه القصيدة بعد بيتين
من البيت الذى انشدناه وهو لها امرها حتى اذا ما تبوأت باخفافها ماوى تبوّء
مضجعا هذا قول الاصمعى وقال السكرى سمى بذلك لقوله فى هذه القصيدة
ايضا هدان اخو وطب وصاحب علبة يرى المجد ان يلقى خلاء ومرتعا وروى عن بعض
بنى نمير انه قال انما سمى بذلك لقوله بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها
القراد مقيلا فقال بعض بنى نمير لما سمع هذا والله ما هو الا راعى ابل فبقيت

عليه

عليه وقال محمد بن سلام انما سمى الراعى لكثرة وصفه للابل وحسن نعته لها واسمه
عبيد بن حصين بن جندل وكنيته ابو جندل وقيل ابو نوح مجلس آخر تأويل آية
ان سأل سائل عن قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك ما المراد بالنفس
فى هذه الآية وهل المعنى والمراد بالنفس فيهما ما رواه ابو هريرة عن النبى صلعم انه قال
يقول الله عز وجل اذا احب العبد لقائى احببت لقاءه واذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى
واذا ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم واذا تقرب الى شبراً تقربت اليه ذراعا
واذا تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا اولا يطابقه الجواب قلنا ان النفس فى اللغة
لها معان كثيرة مختلفة ووجوه فى التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان
وهى اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات
الشئ الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله والنفس الانفة من قولهم
ليس لفلان نفس اى لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان فى كذى اى ارادته
قال الشاعر فنفساى نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهابها ونفس تقول
اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد
لم احج قط فنفس تقول لى حج ونفس تقول لى تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك
هم يقول حج وهم يقول تزوج وامره بالحج وقال الممزق العبدى ويروى لمعقر بن حمار البارقى
الا من لعين قد نآها حميمها وارقها بعد المنام همومها فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس
تعزيها ونفس تلومها وقال النمر بن تولب العكلى اما خليلى فانى لست معجله حتى يؤامر
نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطى الجزيل واخرى ترضع الغنما اراد انه
بين نفسين نفس تأمره بالجود واخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان
البخيل يرضع اللبن عن الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدى
اليه منه وقيل للئيم راضع وقال كثير فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة من اليأس ما ينفك
هم يعودها ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كى يزداد غيظا حسودها والنفس
العين التى تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اى عين وروى ان رسول الله

صلعم كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين
عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابى النفوس الذى يصيب الناس
بالنفس وذكر رجلاً فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوبا وقال عبيد الله بن
قيس الرقيات يتقى اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم وقال مضرس
ابن ربعى الفقعسى واذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسد
وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمن الفساد ابن عبد الملك فاسلم
سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد والنفس ايضا من
الدباغ بمقدار الدبغة تقول اعطنى نفساً من دباغ اى قدر ما ادبغ به مرة
والنفس الغيب يقول القائل انى لا اعلم نفس فلان اى غيبه وعلى هذا تأويل قوله
تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اى تعلم غيبى وما عندى ولا اعلم غيبك
وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذرك نفسى اى عقوبتى وبعض المفسرين
حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه يحذركم عقوبته وروى ذلك
عن ابن عباس والحسن وآخرون قالوا معنى الآية ويحذركم الله اياه وقد روى
عن الحسن ومجاهد فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك ما ذكرناه من التأويل
بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه فى ذلك
ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد فى ستره منزلتها وسمى
باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة فى وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن ان يقول
تعالى مخبرا عن نفسه ولا اعلم ما فى نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما فى نفسى
ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء ان يقول انا لا اعلم ما فى نفس الله تعالى
وان حسن على الوجه الاول ولهذا نظائر فى الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر
الذى ذكره السائل فتأويل ظاهر وهو خارج على مذهب العرب فى مثل هذا الباب
معروف ومعناه ان من ذكرنى فى نفسه جازيته على ذكره لى واذا تقرب الى شبرا
جازيته على تقربه الى وكذلك الخبر الى آخره فسمى المجازاة على الشئ باسمه اتساعا

كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب ولما اراد تعالى المبالغة فى وصف ما يفعله بهم من الثواب
والمجازاة على تقربهم بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعا
وذراعا اشارة الى المعنى من ابلغ الوجوه واحسنها مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل
فقال ما تأويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر
مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه
وعن اى شئ زاغت الابصار وباى شئ تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل له
فى هذه الآية وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف
المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند العرب
اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره اى رئته وليس
يمتنع ان يكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التأويل
قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب
توصف بالوجيب والاضطراب فى احوال الجزع والهلع قال الشاعر كان قلوب
ادلائها معلقة بقرون الظباء وقال امرؤ القيس ولا مثل يوم فى قدارات
ظللته كانى واصحابى على قرن اعفرا ويروى فى قدار ظللته اراد المبالغة فى وصف
نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص
الظبى لانه اكثر تحركا واضطرابا لنشاطه ومرجه وسرعته وقد قال بعض الناس
ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته فى هذا البيت فيليق قوله على قرن اعفرا بالتأويل
المذكور بل وصف اماكن كان فيها مسرورا متنعما الا ترى قوله قبل هذا البيت بلا فصل
الا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا فيكون معنى
قوله على قرن اعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف تشبيهه لارتفاعه

وطوله بقرن الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والاول للاصمعي واما قول الآخر
الاقل خيرا الشان كيف تغيرا فاصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا فلا يحتمل الا الشدة
والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون
كانهم على قرن ظبي ويحتمل انه يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون
معنى عن ها هنا معنى الباء فقال عن قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفر وقد ذكر
في هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الآية على هذا التأويل ان القلوب
لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون
المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في
الحقيقة فالغي ذكر كادت لوضوح الامر فيها ولفظة كادت ها هنا للمقاربة
مثل قول قيس بن الخطيم اتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف
راكب ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب معناه قاربت
ان تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان احدهما
انه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوة من الناس ووحشته والآخر ان يكون
اراد انه وحش الا ان راكبا واقف به يعني نفسه وقال نصيب وقد كدت يوم
الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم اموت لمبكاها اسا ان لوعتي
ووجدي بسعدى شجوه غير منجم معنى المنجم المقلع وقال ذو الرمة وقفت
على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني
احجاره وملاعبه وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى ادخلت العرب على كاد
جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان اجودهما
قام عبد الله بعد ابطاء ولاي ومثله قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون
اي ذبحوها بعد ابطاء وتأخير لان وجدان البقرة عسر عليهم ويروى انهم اصابوها
ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا
يفعلوا اما لانهم لم يقفوا عليها او لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الآخر في قولهم ما كاد

عبد الله يقوم اي ما يقوم عبد الله ويكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لاحكم
لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يريها اي لم يرها اصلا
لانه جل وعز لما قال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد وسائر المناظر
فيكد على هذا التأويل زيدت للتأكيد والمعنى اذا اخرج يده لم يرها وقال قوم معنى
الآية اذا اخرج يده راها بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع
من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزائدة وقال اخرون معنى الآية اذا اخرج
يده لم يرد ان يراها لان ما شاهده من تكاثف الظلمات اياسه من تامل يده وقوى
في نفسه انه لا يدركها ببصره وحكي عن العرب اولئك اصحابي الذين اكاد انزل
عليهم اي اريد ان انزل عليهم وقال الشاعر كادت وكدت وتلك خير ارادة
لو عاد من لهو الصبابة ما مضى اي ارادت واردت وقال الافوه الاودي
فان تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الامر الذي كادوا اي ارادوا وقال بعضهم
معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اي اردنا ليوسف وقال الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما يشهد لمن جعل لفظة يكد زائدة
في الآية قول الشاعر سريع الى الهيجاء شاك سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس
اي فما ان يتنفس قرنه ويكاد من زيدة للتوكيد وقال حسان وتكاد تكسل ان تجي فراشها
في جسم خرعبة وحسن قوام معناه وتكسل ان تجيء فراشها وقال الآخر والا الوم
النفس فيما اصابني والا اكاد بالذي نلت ابجح اي لا ابجح بالذي نلت ولو لم يكن
الامر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل غيلان عن ابيه عن جده
غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فانشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدة
الحائية التي يقول فيها اذا غير النائي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال اذا غير النائي
المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فاخبرت ابي بما كان من قول ذي الرمة

واعتراض ابن سبرمة عليه فقال اخطاه ذو الرمة في رجوعه عن قوله الاول واخطاء
ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله عز وجل اذا اخرج يده لم يكد يراها اى لم يرها
فاما قوله عز وجل ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فيحتمل ان يكون
المعنى اريد اخفيها لكى تجزى كل نفس بسعيها ويجوز ان يكون زائدة ويكون المعنى
ان الساعة آتية اخفيها لتجزى كل نفس وقد قيل فيه وجه آخر وهو ان يتم الكلام
عند قوله تعالى ان الساعة آتية اكاد ويكون المعنى اكاد آتى بها ويقع الابتداء بقوله
تعالى اخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي هممت ولم افعل
وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله اراد وكدت اقتله فحذف الفعل لبيان معناه
وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ اكاد اخفيها يعني اخفيها على هذا اظهرها
وقال عبدة بن الطيب يصف ثورا يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن
الارض تحليل اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه وقال امرؤ القيس
فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد اراد لا نظهره وقال النابغة
تخفي باظلافها حتى اذا بلغت يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما وقد روى اهل العربية
اخفيت الشئ بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته وكان القراءة بالضم تحتمل الامرين
الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار
كان الكلام في كاد واحتمالها للوجوه الثلثة التي ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى
الستر والتغطية فان قيل اى معنى لقوله انى استرها لتجزى كل نفس بما تسعى او اظهرها
على الوجهين جميعا واى فائدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لانه تعالى اذا ستر عنا
وقت الساعة كانت دواعينا الى فعل الجميل والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها
بعينه كنا ملجئين الى التوبة بعد مفارقة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف
واستحقاق الثواب به فصار ما اريد من المجازاة للمكلفين بسعيهم وايصال ثواب
اعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فاما اذا كانت لفظة
اخفيها بمعنى الاظهار فوجهه ايضا واضح لانه تعالى انما يقيم القيمة ويقطع التكليف

ليجازى كلا باستحقاقه ويوفى مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسئ باستحقاقه فوضح
وجه قوله تعالى اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا قال السيد قدس
الله روحه وجدت ابا بكر محمد بن القسم الانبارى يطعن على جواب من اجاب في قوله تعالى
وبلغت القلوب الحناجر بان معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولابد
ان تكون منطوقا بها ولو جاز ضميرها لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم
فتاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا
الذى ذكره غير صحيح ونظن ان الذى حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن
قتيبة لان من شانه ان يرد كل ما يأتى به ابن قتيبة وان تعسف في الطعن عليه والذى
استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وان لم يكن
في صريحه الا ترى انهم يقولون اوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع ما
مات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلانا لم يبق فيه روح وما اشبه
ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولابد من اضمار كاد فيه وقال جرير ان العيون
التى في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا وانما المعنى انهن كدن يقتلننا هذا
اكثر في الشعر والكلام من ان نذكره وليس بممتنع فاما قوله يحيين قتلانا فالاظهر
في معناه انهن لم يزلن ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما اشبه
ذلك وسمى هذه الامور حياة كما سمى اضدادها قتلا وقد قيل ان معنى يحيين
انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم
يحين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناه ضعيف ركيك
واذا كان الامر على ما ذكرناه لم يمتنع ان يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت
الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله
لم يقم عبد الله فخطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب
القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله واراد كاد يقوم فقد افاد ما لا يفيده قوله
لم يقم فاما قوله تعالى زاغت الابصار فمعناه زاغت عن النظر الى كل شئ فلم تلتفت الا

الى عدوها ويجوز ان يكون المراد بزاغت الابصار اي حارت ومالت عن القصد في النظر
دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون
وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يريد
الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله به من النصر وشكوا
في خبره تعالى كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فظن المؤمنون
ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق
ورسوله وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها مجلس آخر تأويل
آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم
فكأنه قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فائدة فيه الجواب قلنا في هذه الآية وجوه منها
ان يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة
والفراغ منه في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى
امر بني اسرائيل بالاستراحة من الاعمال وقيل واصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة
شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر وان سبتته مال جثلا كأنه سدى
واهلات من نواسج خثعما اراد وان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك القطع لان
السبت القطع والسبت ايضا الحلق يقال سبت شعره اذا حلقه وهو يرجع الى معنى
القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال عنترة بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى
نعال السبت ليس بتوأم ويقال لكل ارض مرتفعة منقطعة مما حولها سبناء وجمعها
سباني فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وتصرفكم ومن
اجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الاحد وجمع
يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس في ابتداء
الخلق فقال اهل التورية ان الله تعالى ابتداه في يوم الاحد فكان الخلق في يوم الاحد
والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول
التورية وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الاحد

وهذا قول اهل الانجيل فاما قول اهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان في يوم السبت
واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول الاخير يمكن ان يسمى اليوم بالسبت
من حيث قطع فيه بعض خلق الارض فقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد ومنها ان يكون
المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتا ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده
واحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد سبحانه ان يمتن علينا بان جعل نومنا
الذي يضاهي فيه بعض احوالنا احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا
عن الحياة والادراك فجعل التأكيد بذكر المصدر قائما مقام نفي الموت وسادا مسد قوله
وجعلنا نومكم ليس بموت ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو ان السبات
ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات
هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت
وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الامر على هذا لم يجر قوله تعالى
وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان
علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان
التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق
والانزعاج والهموم هي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون
معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح قال السيد قدس الله روحه وجدت
ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان
ابن قتيبة اخطأ في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل
بمعنى استراح واراح ويعتمد على الجواب الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد
به ابن قتيبة من قوله سبتت المرأة شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما
يكون بازالة الشداد الذي كان مجموعا به وقطعه والمقدار الذي ذكره ابن الانباري
لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا
كانتا

عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يختص الراحة اذا كانت
على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة فى الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن فى امتناع
قولهم سبت الرجل بمعنى استراح فى كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون
اسماً للراحة عند النوم والذى يبقى على ابن قتيبة ان يبين ان السبات هو الراحة
والدعة ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذى ذكره يمكن ان يكون
المراد به القطع دون التمدد والاسترسال فان قيل فما الفرق بين جواب ابن
قتيبة وجوابكم الذى ذكرتموه اخيراً قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة
جعل السبات نفسه راحة وجعله عبادة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد
ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد
وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشئ
لا يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس
السبات اياها بعينها على ان فى الجواب الذى اختاره ابن الانبارى ضرباً من الكلام
لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذى ذكره وهو
السبات ويحتاج فى اثبات مثل هذا البناء الى سمع عن اهل اللغة وقد كان
يجب ان يورد من اى وجه اذا كان السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على
هذا المعنى ولم نره فعل ذلك تأويل خبر ان قال قائل ما تأويل الخبر الذى روى
عن النبى صلعم ان الميت ليعذب ببكاء الحى عليه وفى رواية اخرى ان الميت يعذب
فى قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضاً فقال سمعت
النبى صلى الله عليه وآله يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا
اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح
مؤاخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضاً ذلك بادلة السمع مثل قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما
يطابقها والمعنى فى الاخبار التى سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا اوصى

موص بان يناح عليه ففعل ذلك بامره وعن اذنه فانه يعذب بالنياحة وليس معنى
يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النياحة والبكاء بل المعنى انه يؤاخذ بامره بها ووصيته
بفعلها وانما قال صلى الله عليه وآله ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم
والنوح فيأمرون به ويوكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم قال طرفة
بن العبد فان مت فانعينى بما انا اهله وشقى على الجيب يا ام معبد وقال بشر بن ابى
خازم لابنته عميرة فمن يك سائلاً عن بيت بشر فان له بجنب الرده بابا ثوى
فى ملحد لا بد منه كفى بالموت نايا واغترابا رهين بلى وكل فتى سبيلى فاذرى الدمع
وانتحبى انتحابا وقد روى عن ابن عباس فى هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر
رسول الله صلعم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب فى قبره وقد روى
انكار هذا الخبر عليه ايضاً عن بعض ازواج النبى صلعم وانها قالت لما اخبرت
بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال ان اهل الميت ليبكون
عليه وانه ليعذب بجرمه قال السيد قدس الله روحه معنى وهل اى ذهب وهمه
الى غير الصواب يقال وهلت الى الشئ فانا اهل وهلاً اذا ذهب وهمك اليه و
وهلت عنه اهل وهلاً اذا نسيته وغلطت فيه و وهل الرجل يوهل وهلاً اذا
فزع والوهل الفزع فاما القليب فهى البئر وجمع القلب قال حسان بن ثابت
يذكر قتلى بدر من المشركين يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب فى قليب
الم تجدوا حديثى كان حقاً وامر الله يأخذ بالقلوب وقال اخر يبكى على قتلى بدر من
المشركين فماذا بالقليب قليب بدر من القينات والشرب الكرام وماذا بالقليب
قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام ومعنى وهله فى ذكر القليب انه روى ان النبى
صلعم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون
ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلام انهم الآن ليعلمون ان الذى
كنت اقول لهم هو الحق واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل
القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة

وغيرهم ● وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم قايما يصلى بمكة ● واناس من قريش فى حلقة فيهم ابو جهل بن هشام
قال ما يمنع احدكم ان يأتى الجزور التى نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتى به حتى
اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجآء به
حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لى يومئذ منعة لمنعته وجاءت
فاطمة عليها السلام وهى صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت
على رؤسهم فاوسعتهم شتماً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه
على صاحبه من الضحك فلما سلم النبى صلعم اقبل الى القوم فقال اللهم عليك بفلان
وفلان فلما راوا والنبى صلعم قد دعا عليهم اسقط فى ايديهم ● فوالله الذى لا اله غيره
ما سمى النبى صلى الله عليه وآله يومئذ احداً الا وقد رأيته يوم بدر وقد اخذ برجله
يجر الى القليب مقتولا قوله فيأخذ سلاها اى جلدتها التى فيها ولدها ما دام فى بطنها
والجمع الاسلاء ● وقال ابن حبيب الاسلاء التى فيها الاولاد ● قال الاخطل يطرحن
بالثغر السحال كانما يشققن بالاسلاء اردية العضب ● وقال الشماخ والعيس
دامية المناسم ضمر يقذفن بالاسلاء تحت الاركب ● وقال الفراء سقط فى ايديهم
من الندامة واسقط لغتان وهى بغير الف اكثر واجود ● ويمكن ان يكون فى قوله
يعذب ببكاء اهله عليه وجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلمه
ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تألم بذلك فكان عذاباً
له ● والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الذى لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل
كثيرا بحيث يستعمل الالم والضرر ● الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه بالضرر
والالم قد عذبتنى بكذا وكذا وآذيتنى كما يقول اضررت بى والمتنى ● وانما لم يستعمل
العقاب حقيقة فى الآلام المبتداة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التى
لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا فى العذاب **تأويل خبر** ان سأل سائل عن الخبر
الذى يرويه ابو هريرة عن النبى صلعم انه قال ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه

من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمة منه
وفضل يقولها ثلثا فقال اليس فى هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب
وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك **الجواب** ● قلنا فائدة الخبر ومعناه
بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان
العبد لو احوج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل
بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلام اراد ان احداً لا يدخل الجنة بعمله
الذى لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه ● وهذا هو الحق
الذى لا شبهة فيه ● فاما الثواب فما نابى القول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى
تفضل بسببه الذى هو التكليف ● وهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شئ ابتداءً
وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كانه اوجبه على نفسه بالتكليف
وكذلك التمكين والالطاف وكل ما يجلبه ويوجبه التكليف ● ولولا ايجابه على
نفسه بالتكليف لما وجب **فان قيل** فقد سمى الرسول عم ما يفعل به فضلاً فقال
الا ان يتغمدنى الله برحمة منه وفضل **قلنا** هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة
النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذى ذكرناه وان حملنا قوله عم
برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهى ايضاً فضل وتفضل
لان سببها غير واجب ● فاما قوله عليه السلام يتغمدنى فمعناه يسترنى ● يقال
غمدت السيف فى غمده اذا سترته ● قال الشاعر نصبنا رماحاً فوقها جد عامر
كظل السماء كل ارض تغمدا ● فالجد ههنا الحظ ● وشبه ما قسم لعامر من الغلبة
والظفر بظل السماء الذى يستر كل شئ ويظهر عليه ● اخبرنا ابو القسم
عبيد الله بن عثمان بن يحيى ابن جنيقا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمى
قراءة عليه قال املى علينا ابو عباس احمد بن يحيى ثعلب النحوى قال اخبرنا
ابن الاعرابى قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور هو
المكروب وانشدنا ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب ثم

فالوا تحبّها قلت بهراً عدد القطر والحصى والتراب قال السيد قدّس الله روحه
وقد قيل في معنى قوله بهراً غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القسم بن اسمعيل قال حدثنا التوزي عن ابي عمرو الاسدي
قال سمعت اباعمرو بن العلاء يقول عمر بن ابي ربيعة حجة في العربية وما اخذ عليه
شئ الا قوله ثم قالوا تحبّها قلت بهراً وله عندي فيه عذر اراد الخبر لا الاستفهام
كانهم قالوا انت تحبّها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فاكّد هو اخبارهم بجواب
فهذا حسن وبهراً يجوز ان يكون اراد نعم حبّاً بهراً بهراً ويكون ايضاً بمعنى عجباً
وتعساً دعاء عليهم اذ جهلوا من حبّه لها ما لا يجهل مثله وانشد ابو عمرو لحي الله
قومي اذ يبيعون مهجتي بجارية بهراً لهم بعدها بهرا قال ابو عمرو ويكون بهراً بمعنى
ظاهراً يريد حبّاً ظاهراً من قولهم قمر باهر وقد حكى بعض الرواة انه قال قيل لي هل
تحبّها قلت بهراً والرواية الاولى هي المشهورة ولعلّ من روى ذلك فرّ بهذه الرواية
من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي من جملة ابيات منها
من رسولي الى الثريا بانّي ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب وهي مكنونة تحيّر منها في اديم
الخدّين ماء الشباب سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها بما تحلّ اغتصابي ازهقت ام
نوفل اذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متاب حين قالت لها اجيبي فقالت من دعاني
قالت ابو الخطاب ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب ثم قالوا
تحبّها قلت بهراً عدد القطر والحصى والتراب والثريا هذه التي عناها عمر اموية
وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر بن
عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث ابن امية الاصغر
وذكر الزبير بن بكار ان الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحرث بن امية
الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جواب العبلي الذي قتله داود
بن علي واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن
يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن افلح قال اخبرني بلال مولى ابن ابي

عتيق في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه
قال لما سمع ابن ابي عتيق قول عمر من رسولي الى الثريا قال اياي اراد وبي نوّه لا جرم والله
لا اذوق اكالاً حتى اشخص اليه لاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوماً من بني
الديل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين واغلى لهم بهما
فقلت له استوضعهم شيئاً اودعني اماكسهم فقد اشتطوا فقال لي ويحك اما علمت
ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احديهما وركبت الاخرى فسار سيراً شديداً
فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريد لا يفوتك فقال ويحك ابادر حبل الود ان
يتقضبا وما ملح الدنيا ان يتم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلاً غير
محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن ابي عتيق عن راحلته وقال
لعمر اركب اصلح بينك وبين الثريا فانا رسولك الذي سالت عنه فركب معه فقدمنا
الطائف فقال ابن ابي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني سفر المدينة اليك فجئتك به
معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه
من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكررنا راجعين الى
المدينة ولم يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة واحدة وفي الثريا يقول عمر ايضاً لما تزوجها
سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بابي الابيض وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد
العزيز بن مروان ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان هي شامية
اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان **مجلس آخر تأويل آية** ان سال سائل
عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال ما الفائدة في قوله ما غشيهم وقوله
وغشيهم يدل عليه واستغنى به عنه لانه غشيهم لا يكون الا للذي غشيهم وما
الوجه في ذلك **قلنا** قد ذكر في هذا اجوبة احدها ان يكون المعنى فغشيهم
من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال
تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرّقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا
الوجه حكي عن الفراء وذكره ابو بكر بن الانباري واعتمده وغيره اوضح منه

واليم هو البحر قال الشاعر وبنى تبع على اليم قصراً عالياً مشرفاً على البنيان
وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشى موسى واصحابه وذلك ان
موسى عم واصحابه وفرعون واصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان
فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم في
البحر طريق يبس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء البحر ما غشى موسى
وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا التاويل يكون الهاء والميم
في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كنى عنه بقوله فغشيهم لان الاولة كناية
عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها انه غشيهم
من عذاب اليم واهلاكهم ما غشى الامم السالفة من الهلاك والعذاب عند
تكذيبهم انبياءهم واقامتهم على رد اقوالهم والعدول عن ارشادهم والامم
السالفة وان لم يغشهم العذاب والاهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب
واهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم انبياءهم فشبه بينهم وبين هؤلاء
من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها ان يكون
المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم
الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب الذين لحقاهم من قبل البحر ويمكن في الاية
وجه اخر لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا
اللفظ وهو ان تكون الفائدة في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم تعظيم الامر
وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم
وكما قال تعالى وفعلت فعلتك التي فعلت وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا
الباب قولهم للرجل هذا هذا وانت وانت وفي القوم هم هم قال الهذلي
رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم وقال ابو النجم
انا ابو النجم وشعري شعري كل ذلك اذا ارادوا تعظيم الامر وتكبيره **تاويل**
اية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب

من حيث لا يشعرون فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيد قوله
فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الاول لا يذهب وهم احد الى ان السقف
يخر من تحتهم **الجواب** قيل له في ذلك اجوبة اولها ان يكون معنى على بمعنى عن
فيكون المعنى فخر عليهم السقف من فوقهم اي خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله
تعالى واياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه فيكون
على وعن بمعنى من اجل الدواء وكذلك يكون معنى الاية فخر من اجل كفرهم السقف
من فوقهم قال الشاعر ارمي عليها وهي فرع اجمع وهي ثلث اذرع واصبع اراد
ارمي عنها لان كلام العرب رميت عن القوس فاقام على مقام عن ولو انه قال
تعالى على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز ان يتوهم متوهم
ان السقف خر وليس هم تحته وثانيها ان يكون على بمعنى اللام والمراد فخر لهم
السقف فان على قد يقام مقام اللام وحكى عن العرب ما اغيظك علي وما اغمك
علي يريدون ما اغيظك واغمك لي قال الطرماح يصف ناقة كان مخواها على ثفناتها
معرس خمس وقعت للجناجن اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدور فاقام
اللام مقام على وقد يقول القائل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه
ولا يريد انه كان تحته فاخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاه ما فهمت ولجاز
ان يتوهم متوهم في قوله فخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربعه ووقفت
عليه دابته واشباه ذلك وللعرب في هذا مذهب ظريف لطيف لانهم لا يستعملون
لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر المكروه الضار ويستعملون اللام
وغيرها في ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قوله
خربت عليه ضيعته ولا ولدت على جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له
جاريته وهكذا من شانهم اذا قالوا قال علي وروى علي فانه يقال في الشر و
الكذب في الخبر والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمن لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمن حسن ان يقال

يتلون عليه ولوكان خبر الفيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
وقوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر عرضت نصيحة منى ليحيى
فقال غششتنى والنصح مر وما بى ان اكون اعيب يحيى ويحيى طاهر الاخلاق بر ولكن
قد اتانى ان يحيى يقال عليه فى بقعاء شر فقلت له تجنب كل شئ يقال عليك ان الحر حر
ومثله قول الفرزدق فى عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتتبع
شعره ويخطئه ويلحنه لقد كان فى معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوى على
القصائدا فقال على ولم يقل عنى للمعنى الذى ذكرناه وثالث الوجوه فى الاية ان يكون
من فوقهم تاكيدا للكلام وزيادة فى البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
والقلب لا يكون الا فى الصدر ونظاير ذلك فى الكتاب وكلام العرب كثيرة تاويل
خبر ان سال سايل عن الخبر الذى يرويه نافع عن ابى اسحق الهجرى عن ابى الاحوص
عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلعم انه قال ان هذا القرآن مادبة الله تعالى
فتعلموا مادبته ما استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله فقال
ما تاويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المادبة فى كلام العرب هى الطعام يصنعه
الرجل ويدعوا الناس اليه فشبه النبى صلعم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن
ونفعه وفائدته عليه اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعى وانتفاعه به
يقال قد ادب الرجل يادب فهو آدب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال للمادبة
المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مادبة بفتح الدال قال طرفة بن العبد
نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر ومعنى الجفلى انه عم بدعوته
ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى اذا خص بها بعضا دون بعض ومعنى
ينتقر من النقرى قال بعض هذيل وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى
المثرين داعيها لا ينبح الكلب فيها غير واحدة عند الصباح ولا تسرى افاعيها
معنى يصطلى بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يده لشدة
البرد فى الفرث مستدفيا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها انه يخص

بدعائه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم فى المكافاة وقال آخر قالوا ثلاثاؤه
خصب ومادبة وكل ايامه يوم الثلثاء وقال الهذلى يصف عقابا كان قلوب الطير
فى جوف وكرها نوى القسب يلقى عند بعض المادب اراد جمع مادبة وقد روى هذا
الحديث بفتح الدال المادبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها
مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه ان الله تعالى انزل
القرآن ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء فى مادبة ومادبة والقرآن مذكر
بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة والكفر مخبثة
لنفس المنعم وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة فى باب المدح على جهة
التشبيه بالداهية ورجل هلباجة فى باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال
لطعام الاملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان العذيرة ولطعام
بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفره
النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذى تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر
اذا النفساء لم تخرس ببكرها غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها الحتر الشئ القليل
وقال اخر كل الطعام تشتهى ربيعة الخرس والاعذار والنقيعة ويروى العرس
وينشد ايضا فى النقيعة قول الشاعر انا لنضرب بالسيوف رؤسهم ضرب القدار
نقيعة القدام فالقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال ابو زيد يقال لطعام
الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة
وقال الفراء الشندخى طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد
يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال
للطعام الذى يتعلل به قبل الغداء السلفة واللهنة يقال لهنوا ضيفكم اى
اطعموه اللهنة قال الشاعر عجبت عاوضها منغل طعامها اللهنة اواقل
وقال ابن السكيت فلان ياكل الوذمة اذا كان ياكل اكلة فى اليوم وقال
الاصمعى فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة فى اليوم والليلة قال بشار

فاستغن بالوجبات عن ذهب لم يبق قبلك لامرئ ذهبه وقال ابن السكيت
قال الاصمعى لرجل اسرع فى سيره كيف كان سيرك فقال كنت اكل الوجبة
وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب
الملع فجيتكم لمسى سبع قوله انجو الوقعة معناه اقضى حاجتى مرة فى اليوم
وهو من النجو وقوله اسير الوضع فالوضع سير فيه بعض الاسراع والملع
سيرا شد منه فاراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة ان يقف ظهره قبل
ان يبلغ الارض التى يقصدها ويقال شر السير الحقحقة اى السير الشديد
الذى يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر اذا ما اردت الارض ثم
تباعدت عليك فضع رحل المطية وانزل اى استرح حتى تقوى على السير
فان جهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعانى التى
يسال عنها والذى قيل فيه ما ذكرناه ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا بعدت
عليك ارض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ما عز مطلبه الصبر وما جرى مجرى
ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال الاخر
فى معنى البيت الاول تقطع بالنزول الارض عنا وبعد الارض يقطعه النزول
وقوله جئتكم لمسى سبع معناه لمساء سبع ليال ويقال للذى يحضر طعام القوم
من غير ان يدعوه اليه الوارش وقول العامة طفيلى مولد لا يوجد فى العتيق
من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد من وليمة
من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش طفيلى تشبيها بطفيل هذا فى وقته ويقال للذى
يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل قال امرؤ القيس فاليوم فاشرب
غير مستحقب اثما من الله ولا واغل ويقال الوغل لما يشرب به قال الشاعر ان اك
مسكيرا فلا اشرب الوغل ولا يسلم منى البعير وقوله صلى الله عليه وآله ان
اصفر البيوت لبيت اصفر من كتاب الله معناه ان اخلى البيوت والصفر عند
العرب الخالى من الآنية وغيرها ويمكن فى قوله مادبة وجه آخر وهو ان يكون

وجه التشبيه للقرآن بالمادبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق اليه وامرهم بالاجتماع
عليه فسماه عليه السلام مادبة لهذا الوجه لان المادبة هى التى يدعى الناس
اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول لان الاول تضمن ان وجه
التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى المادبة بما يصيبه
من الطعام وهذا الوجه الاخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس فى الدعاء
اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد ان يريد عليه السلام بالخبر المعنيين
معا فلا تنافى بينهما اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال
اخبرنا ابو حاتم قال كنا فى مجلس الاصمعى اذا اقبل اعرابى فقال اين عميدكم فاشرنا
الى الاصمعى فقال له ما معنى قول الشاعر لا مال الا العطاف تؤزره ام ثلثين وابنة
الجبل لا يرتقى النزف ذلاذله ولا يعدى نعليه من بلل فقال الاصمعى عصرة نطفة
تضمنها لصب تلقى مواضع السبل او وجبة من جناة اشكلة ان لم يرعها بالقوس
لم تنل قال فادبر الاعرابى وهو يقول لم ار كاليوم عضلة قال ابن دريد انما وصف
رجلا خائفا فى راس جبل يقول لا مال له الا العطاف وهو السيف تؤزره ام ثلثين
يعنى كنانة فيها ثلثون سهما وابنة الجبل يعنى القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل
النبع وغيره وقوله لا يرتقى النزف ذلاذله لانه فى راس جبل فلا ثم هناك يتعلق
بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدى نعليه عنه والعصرة الملجأ والنطفة الماء المجتمع فى صخر
او غيره من بقية ماء المطر واللصب الشق فى الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشعب
والسبل المطر والوجبة ان ياكل كل يوم مرة والاشكل السدر الجبلى واحدته اشكلة
يقول فهذه النطفة والوجبة من الاشكلة عصرتاه وقوله ان لم يرعها بالقوس
يعنى انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس قال السيد قدس الله روحه وانما جعل
الاصمعى انشاد باقى الابيات دلالة على معرفة معناها لانه يبعد ان يعرفها ولا يعرف
معناها والاعرابى انما سال عن المعنى فاقام انشاده لها مقام تفسيرها فا
ستغنى الاعرابى بذلك وعلم بانما من للابيات معرفته بمعناها وكان الاصمعى كثيرا اذا انشد

شيئا من الشعر ينشد فی معناه فی الحال فمن ذلك ان اسحق بن ابرهيم الموصلی انشده يوما
لنفسه اذا كانت الاحرار اصلی ومنصبی وقام بنصری خازم وابن خازم عطست
بانف شامخ وتناولت بدای الثریا قاعدا غير قايم قال فلما فرغت من انشادهما انشد
بعقب ذلك الا ايها السائلی جاهلا ليعرفنی انا انف الكرم نمت بی الكرام بنو عامر
فروعی واصلی قريش العجم قال فجاء والله بالشعری الذی نخوته وعملت بيتی عليه
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانی قال حدثنا محمد بن يحيی الصولی قال حدثنا عون
بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابرهيم قال ما انشدت الاصمعی شيئا قط الا انشدنی
مثله كانه اعده لی فانشدته يوما للاعشی علقتها عرضا وعلقت رجلا غيری وعلق
اخری غيرها الرجل فانشدنی من وقته قلتك اخت بنی لؤی اذ رمت واصابت بكل
سواها واعارها الحدثان منك مودة واعار غيرك ودها وهواها وذكر ابو العيناء
قال كان الاصمعی اذا سمع انسانا ينشد شعرا فی معنی انشد فی ذلك المعنی من غير
ان يريه انه اراده فانشده رجل قول القطامی والناس من يلق خيرا قائلون
له ما يشتهی ولام المخطئ الهبل فانشد هو قول قعنب الفزاری فمن يلق خيرا
يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم علی الغی لائما وروی ميمون ابن هرون
قال سمعت اسحق ابن ابرهيم يقول انشدت الاصمعی قول الاعشی طلبا ان ينشدنی
مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
او تنزلون فانا معشر نزل فانشدنی لربيعة بن مقروم ولقد شهدت الخيل
يوم طرادها بسليم اوظفة القوائم هيكل فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام
اركبه اذا لم انزل وروی عن اسحق ابن ابرهيم ايضا انه قال دخل الی الاصمعی
يوما وعندی اخ للعمانی الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به اخو العمانی
فقال له من هذا قال هو الباهلی الذی يقول فما صحفة ما دومت باهلة لرب طيب
من فيها ولا اقط رطب فقال له قبل ان يستتم الكلام هو علی كل حال اصلح من
قول اخيك العمانی يا رب جارية حوراء ناعمة كانها عومة فی جوف راقود

قال اسحق فقلت له اكنت اعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بی شیء الا وانا اعرف
منه طرفا مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالی وقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصاری المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال ای معنی لقوله
بافواههم ومعلوم ان القول لا يكون الا بافواه الجواب قلنا القول يحتمل معنيين
فی كلام العرب احدهما القول باللسان والاخر بالقلب فالقول الذی يضاف
الی القلب هو الظن او الاعتقاد ولهذا المعنی ذهبت العرب بالقول مذهب الظن
فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتی تقول محمدا منطلقا يريدون متی تظن قال
الشاعر اما الرحيل فدون بعد غد فمتی تقول الدار تجمعنا اراد متی تظن الدار
وقال الآخر اجهالا تقول بنی لؤی لعمر ابيك ام متجاهلينا اراد تظن بنی لؤی
وقال توبة بن الحمير الا يا صفی النفس كيف تقولها لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تخبر ان شطت بنا غربة النوی ستنعم ليلی او يفك اسيرها اراد كيف تظنها
فلما كان القول يستعمل فی الامرين معا افاد قوله تعالی بافواههم قصر المعنی علی ما يكون
باللسان دون القلب ولو اطلق القول لم يأت بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنی
الآخر ومما يشهد لذلك قوله تعالی اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
فلم يكذب تعالی قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق بل كذب
ما يرجع الی قلوبهم من الاعتقادات ووجه آخر وهو ان تكون الفائدة فی قوله
تعالی بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الا الی مجرد
القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله
حقا اذا كان راجعا الی برهان فتكون اضافة القول الی اللسان يقتضی ما ذكرناه
من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك فی قوله او يكذبه هكذا تقول
بلسانك وليس الشان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكانهم
ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك

وانما يقولون كذا بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان
ولا يرجع فيه الا الى اللسان ووجه آخر وهو ان يكون الفائدة فى ذلك التأكيد فقد
جرت به عادة العرب فى كلامها وما تقدم من الوجهين اولى لان حمل كلامه تعالى على
الفائدة اولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة **تأويل آية اخرى** ان سأل
سائل عن قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فقال اى معنى
لرد الايدى فى الافواه واى مدخل لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلام **الجواب**
قلنا فى ذلك وجوه اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم فى افواههم
عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبياء عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره
المبالغ فى معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة فى المغيظ المحنق انه يعض
على اصابعه ويفرك انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك
من الافعال وثانيها ان يكون الهاء فى الايدى للكفار المكذبين والهاء التى فى الافواه
للرسل عليهم السلام فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا
بايديهم الى افواه الرسل مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكت منا لصاحبه والراد
لقوله وثالثها ان تكون الهاء التى فى الايدى والتى فى افواه معا للرسل والمعنى
انهم كانوا يأخذون ايدى الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا
كلامهم ورابعها ان يكون الهاء آن جميعا ترجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون
المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايدى انفسهم على افواههم مشيرين
لهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا تسكيت غيره
ومنعه عن الكلام من وضع اصبعه على فى نفسه وخامسها ان يكون المعنى فردوا
القول بايدى انفسهم الى افواه الرسل اى انهم كذبوهم ولم يصغوا الى قولهم
فالهاء الاولى للقوم والثانية للرسل والايدى انما ذكرت مثلا وتأكيدا كما يقول
القائل اهلك فلان نفسه بيده اى وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره

وسادسها

وسادسها ان المراد بالايدى النعم وفى محمولة على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين
والتى قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اى ردوا وعظهم وانذارهم و
تنبيههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا ان تكون الهاء
التى فى الايدى للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل
لفظة فى على الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك
ورضيت عليك وحكى فى لغة طى ادخلك الله بالجنة يريدون فى الجنة فيعبرون
بالباء عن المعنى فى كذلك يصح ايضا ان يعبر وا بفى عن الباء قال الشاعر وارغب
فيها عن لقيط ورهطه ولكننى عن سنبس لست ارغب اراد وارغب بها فحمل فى على
الباء وسابعها وهو جواب ابى مسلم بن بحر وزعم انه اولى من غيره قال المضمرون
فى قوله ايديهم الرسل وكذلك المضمرون فى افواههم والمراد باليد هنا ما نطق
به الرسل من الحجج والبينات التى ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد فى كلام
العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد
وكل ذلك شاهد من كلامهم والذى اتى به الانبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو
النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما كان ما تلفظ به الانبياء قومهم
وينذرونهم به انما يخرج من افواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم فى افواههم
اى انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير فى ذلك للرسل
اليهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا عليهم انا ملهم غيظا
لان رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا اليد الى فيه الا اذا كانت يده فى فيه
فيخرجها ثم يردها قال السيد قدس الله روحه وليس ما استنكره ابو مسلم
من رد الايدى الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه
وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذى وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ
هذا القول تحقيقا لساغ تجوزا واتساعا وليس يجب ان تؤخذ العرب بالتحقيق
فى كلامها فان تجوزها واستعمارها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك

انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شئ وتكرر منهم فلهذا جاز ان يقول ردّوا
ايديهم فى افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة
عنه بالردّ وهذا يبطل استضعاف للجواب اذا صرفا الى مراده تأويل آخر
روى ان مسلماً الخزاعى ثم المصطلقى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه
وآله وقد انشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى لا تأمنن وان امسيت
فى حرم ان المنايا بجنبى كل انسان واسلك طريقك تمشى غير مختشع حتى ما يمنى لك
المانى فكل ذى صاحب يوماً يفارقه وكل زاد وان ابقيته فان والخير والشر مقرونان
فى قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ادركته
لاسلم فبكا مسلم فقال ابنه يا ابة ما يبكيك من مشرك مات فى الجاهلية فقال يا بنى
لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد قوله ما يمنى لك المانى
معناه ما يقدّر لك القادر قال الفرّاء يقال منى الله عليك الموت اى قدّر عليك
الموت وقال يعقوب منالك الله بما يسرك اى قدّر لك ما يسرك وانشد لعمرو بن
عمرو لقد ساقها المنا الى جدث بوذى له بالاهاضب قال ابن الاعرابى ساقها المنا
ساقه القدر وانشد ابن الاعرابى منت لك ان تلاقينى المنايا احاد احاد فى الشهر
الحلال معناه قدّرت لك وقال ابو عبيدة فى قوله تعالى من نطفة اذا تمنى معناه
اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة انما سمى منا لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى
اى يقدّر فيه وقيل ايضاً بما يمنى فيه من الدم وقيل انما سمى بذلك لان ابرهيم
عليه السلام لما انتهى اليه قال له الملك تمن قال اتمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى
يذكر ويؤنث والتذكير اجود قال الشاعر فى التذكير سقى منا ثم رواه وساكنه
ومن ثوى فيه واهى الودق منبعق وقال الآخر فى التانيث ليومنا بمنى اذ نحن
ننزلها اسر من يومنا بالعرج او ملل فاما قوله والخير والشر مقرونان فى قرن
فالقرن الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان
فى الدنيا خير صرف لا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان ويجوز ايضاً ان يريد ان لسرعة

تقلب

تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان الخير والشر مقرونان مجموعان معاً لتقارب
ما بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما ايضاً الاجدان والملوان والفتيان
والردفان والعصران قال الشاعر ان الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن
يفسد الناس وقال الآخر وامطله العصرين حتى يملنى ويرضى بنصف الدين
والانف راغم وقال ابو عبيدة ويقال لليل والنهار ابنا سبات وانشد ابن الاعرابى
وكنا وهم كابنى سبات تفرقا سوى ثم كانا منجداً وتهامياً ويقال للغداة والعشى
القرنان والبردان والصرعان اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى قال
اخبرنا ابو عبد الله محمد الحكيمى قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوى
قال انشدنا ابن الاعرابى لرفيع الوالبى كذبتك ما وعدتك امس صلاح وعسى يكون
لما وعدت نجاح برء من السقم الطويل ضمانه لا يستوى سقم بكم وصحاح اصلاح
انك قد رميت نوافذاً وجوائفاً لبست لهن جراح ولقد رأيتك بالقوادم لمحة
وعلى من سدف العشى رياح معنى رياح ها هنا اى على وقت من العشى ومثله
رواح وقوم يرونه بالكسر وليس بشئ ما كان ابصر فى بغرات الصبى فاليوم قد شفعت
لى الاشباح ومشى بجنب الشخص شخص مثله والارض نائية الشخوص براح حلق
الحوادث لمتى فتركن لى رأساً يصل كانه جماح وذكا باصداغى وقرن ذوابتى قبس
المشيب كانه مصباح قال كانه جماح من املاسه وجماح سهم وقصبة يجعل عليه
طين ثم يرمى به الطير وبهذا الاسناد لبعضهم ارى الناس للصعلوك حرباً ولا
ارى لذى نشب الاخليلاً مصافياً ارى المال يغشى ذا الوصوم فلا ترى ويدعى من الا
شراف من كان غانياً الصعلوك الفقير وهو ايضاً القرضوب والسبروت والوصوم
العيوب وبهذا الاسناد لعقيل بن علفة انى ليحمدنى الصديق اذا اجتدى مالى
ويكرهنى ذووا الاضغان وابيت تخلجنى الهموم كاننى دلو السقاة تمد بالاشطان
واعيش بالبلل القليل وقد ارى ان الرموس مصارع الفتيان واخبرنا
ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا على بن ابى منصور قال اخبرنى محمد بن موسى عن دعبل

بن علي قال قال عقيل بن علفة وذكر الابيات الثلثة وزاد فيها ولقد علمت لئن
هلكت ليذكرن قومي اذا علن النجي مكاني قال السيد قدس الله روحه وكان
عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروى المدائني قال
قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة ما اخشن اموالكم فقال ما نال له احدنا
عن صاحبه تفضلاً قال ثم ايها قال موارثنا قال فايها اشرف قال ما انتفدنا
بوقعة خولت نعما وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم يؤمن
قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به مننا وابقينا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم
قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا
فليصف الرجل قومه وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك افما
تخشى عليهن الفساد قال كلا انى خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال
الجوع والعرى قال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن قال له عبد الملك
يوماً ما لك تهجوا قومك قال لانهم اشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت
عنها رتعت وقال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط
بالعنق فاما معنى علفة اسم ابيه فان ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاة الرطبة
يكون تحت الزهر من البقل وغيره وقال ابو سعيد السكرى العلفة ضرب من
اوعية بذر بعض النبات مثل قشرة الباقلى واللوبياء وهو الغلاف الذى يجمع
عدة حب وقيل ان عقيلا كان يكنى بابى الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً
بشدة الغيرة وروى ابو عمرو بن العلاء انه رحل يوماً ابنة له وانشا يقول
انى وان سيق الى المهر الف وعبدان وزود عشر احب اصهارى الى القبر
وذكر الاصمعى ان عقيلاً كان لغيرته اذا رأى الرجل يتحدث الى النساء اخذه ودهن
ارفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه فى قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن
وروى الاصمعى قال كان عقيل بن علفة فى بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته
الجرباء فانشا يقول قضت وطراً من دير سعد وربما على عجل ناطحنه بالجماجم

ثم اقبل على ابنه فقال آخر يا عملس فقال واصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى
من الادلاج ميل العمائم ثم اقبل على ابنته فقال اجيزى يا جرباء فقالت كان الكرى سقاهم
صرخدية عقاراً تمشت فى المطا والقوائم قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله
ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوتها فقاتلوه دونها ثم رماه احدهم
بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل ان بنى رملونى بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا اود يقوم شنشنة اعرفها من اخزم الشنشنة الطبيعة والسجية
وقيل الشبه وهذا مثل اجتلبه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل وللدهر اثواب فكن
فى ثيابه كلبسته يوماً اجد واخلقا وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم وان كنت
فى الحمقى فكن انت احمقا **مجلس آخر تأويل آية** ان سأل سائل عن قوله تعالى والى الله
ترجع الامور فقال كيف يصح القول بانها رجعت اليه وهى لم تخرج عن يده **الجواب**
قلنا قد ذكر فى ذلك وجوه احدها ان الناس فى دار المحنة والتكليف قد يفتر
بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم
وقد تدخل عليهم الشبه لتقصيرهم فى النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد
قوم الاصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التى لا تسمع ولا تبصر
ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى فى استحقاق العبادة ويضيف
كل هؤلاء افعال الله تعالى فيهم الى غيره فاذا جاءت الاخرة وانكشف الغطاء
واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل
وايقن كل انه لا خالق ولا رازق ولا نافع غير الله تعالى فردوا اليه امورهم
وانقطعت اما لهم من غيره وعلموا ان الذى كانوا عليه من عبادة غيره وتاميله
الضر والنفع غرور وزور فقال والى الله ترجع الامور لهذا المعنى والوجه
الثانى ان يكون معنى الاية ان الامور كلها لله تعالى وفى يده وقبضته من غير
خروج ورجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجع على من فلان مكروه بمعنى
صار الى منه ولم يكن سبق مكروه الى قبل هذا الوقت وكذلك قد يقولون قد عاد

على من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر فان تكن الايام
احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب اى صارت لها ذنوب لم يكن من قبل
بل كان قبلها احسان فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة
والوجه الثالث انا قد علمنا ان الله قد ملك العباد فى دار التكليف امورا
تنقطع بانقطاع التكليف وافضاء الامر الى الدار الاخرة مثل ما ملكه الموالى من العبيد
وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انتهاء
ما ذكرناه من الامور التى يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون هو وحده مالكها ومدبرها
ويمكن فى الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بها ان الامر ينتهى الى ان لا يكون موجود
قادر غيره ويفضى الامر فى الانتهاء الى ما كان عليه فى الابتداء لان قبل انشاء الخلق
هكذا كانت الصورة وبعد فنائهم هكذا تصير ويكون الكناية برجوع الامر اليه
عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقى لانه عاد الى ما كان عليه متقدما ويحتمل ايضا
ان يكون المراد بذلك انه الى قدرته تعود المقدورات لان ما افناه من مقدوراته
الباقية كالجواهر والاعراض الباقية ترجع الى قدرته ويصح منه ايجاده
لعوده الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح فى مقدورات البشر وان كانت
باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدورات القدر باستحالة العود
اليها من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير وهذا ايضا حكم هو تعالى
المتفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد مجلس آخر تاويل آية
ان سأل سائل عن قوله عز وجل وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها
وابوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة
عن غيرها فان كان الاول فما الفائدة فى اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان
كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها قيل له فى هذه الآية وجوه اولها ما ذكر
من ان الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل
من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فدلهم الله تعالى على ان هذا من فعلهم لا بر

فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلعم واله عن التطير
وقال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اى لا يعدى شئ شيئا وقال عليه السلام
لا يورد ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا ينبغى
ان يوردها على ابل لغيره صحاح لانه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقا لا لاجل
العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح ان يقول انما لحق ابلى هذه الآفة من تلك الابل
وهى اعدت ابلى فنهى النبى صلعم عن هذا ليزول المادة بين الفريقين والظن القبيح
وثانيها ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا فى غير الاشهر الحرم
لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ولكن دخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا
كانوا من اهل المدر نقبوا فى بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا
من ابواب البيوت فنهاهم الله عز وجل عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر
وان البر غيره وثالثها وهو جواب ذكره ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر
بان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من ابوابها
معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند اهله ورابعها وهو جواب ابى على الجبائى
ان تكون الفائدة فى هذا الكلام ضرب المثل واراد ليس البر ان يأتى الرجل الشئ من
خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته تخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم
والخطاء وبين ان البر التقوى وامر باتيان الامور من وجوهها وان تفعل على
الوجوه التى لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا
لان العادل فى الامر عن وجهه كالعادل فى البيت عن بابه وخامسها ان تكون
البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب
تسمى المرأة بيتا قال الشاعر ما لى اذا انزعها صايت اكبر غيرنى ام بيت اراد بالبيت
المرأة ومما يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذى حكيناه عن ابى على الجبائى والجواب عن
عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمى قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال انشدنا ابن الا

اني عجبت لام الغمر اذ هزئت من شيب رأسي وما بالشيب من عار ما شقوة المرء بالاقتار
يقتره ولا اسعاده يوماً باكثار ان الشقي الذي في النار منزله والفوز فوز الذي
ينجو من النار لا ادخل البيت احبوا من مؤخره ولا اكسر في ابن العم اظفاري اعوذ
بالله من امر يزين لي شتم العشيرة او يدني من العار وخير دنيا ينسي امر اخرة وسوف
يبدي لي الجبار اسراري فقوله لا ادخل البيت احبوا من مؤخره يحتمل ان يريد به انني
لا اتي الامور من غير وجوهها على احد الاجوبة في الاية ويحتمل ايضاً انني لا اطلب
الخير الا من اهله على جواب ابي عبيدة ويحتمل وجهاً آخر وهو ان يريد انني لا اقصد
البيت للريبة وللفساد لان من شان من يسعى الى افساد الحرم ويقصد البيوت
للريبة ان يعدل عن ابوابها طلباً لاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه بهذا القول
القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد
انه لا يندي ابن العم مني السوء ولا يتألم بشيء من جهتي فاكون كاني قد خرجته باظفاري
وكسرتها في لحمه في هذه كنايات بليغة مشهورة للعرب ويجري مجرى هذه الابيات
ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن جعشم واني لعف عن زيارة جارتي
واني لمشنوء الي اغتيابها اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها زؤوراً ولم تنبح علي
كلابها وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من اي حوك ثيابها وان قراب
البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الامور اجتنابها قال المرتضى قدس الله
روحه وقد جمعت هذه الابيات نفراً عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه
زيارة جارته عند غيبة بعلها كنا وخص حال الغيبة لانها ادنى الى الريبة واخص
بالتهمة فقال ولم تنبح علي كلابها اراد اني لا اطرقها ليلاً ومستخفياً متنكراً فتنكرني
كلابها فتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم لا ادخل البيت
احبوا من مؤخره وقد روي ولم تأنس الي كلابها وهذا معنى آخر كانه اراد ليس يكثر
الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس بي كلابها لان الانس لا يكون الا مع المواصلة
والمواترة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها يحتمل ان يريد به ايضاً تاكيد نفي

زيارتها

زيارتها وطروقها عن نفسه لانه اذا ادمن الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم يزرها
وصارمها لم يعرف ويحتمل ان يريد انني لا اسال عن احوالها واحاديثها كما يفعل اهل
الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها كناية مليحة عن انه
لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها وبالاسناد المتقدم لحارثة بن بدر
الغداني اذا الهم امسى وهو داء فامضه ولست بممضيه وانت تعادله ولا تنزلن
امر الشديدة بامرئ اذا هم امر عوقته عواذله فما كل ما حاولته الموت دونه ولا دونه
ارصاده وحبائله وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذي تحدث من لاقيت انك فاعله
وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة اذا صال لم ترعد عليه خصائله ولا تجعلن سره
الى غير اهله فتقعد ان افشى عليك تجادله ولا تسال المال البخيل ترى له غنى بعد ضره
اورثته اوائله ارى المال افياء الظلال فتارة يؤب واخرى يختل المال خاتله
معنى آمرت شاورت والخصائل كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الابيات زيادة على
القدر الذي ذكرناه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا
محمد بن العباس قال حدثني المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات التناثة
قول حارثة بن بدر الغداني لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ حفي ولا ذي خلة لي واصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل فشر الاخلاء الكثير غوائله وقل لفؤاد ان نزا بك
نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله معنى افرخ اي اسكن يقال افرخ روعه
اذا سكن وما كل ما حاولته الموت دونه وذكر البيتين الذين بعده وزاد وكن
انت توعي سر نفسك واعلمن بان اقل الناس بالسر حامله اذا ما قتلت الشيء
علماً فبح به ولا تقل الشيء الذي انت جاهله ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله
لنا نبعة كانت تقينا فروعها وقد بلغت الا قليلاً عروقها وانا لتستحلي المنايا
نفوسنا وتترك اخرى مرة لا نذوقها وشيب رأسي قبل حين مشيبه رعود
المنايا بيننا وبروقها قوله لنا نبعة كانت تقينا فروعها مثل ضربه وانما اراد
عشيرته واهل بيته وقد روى هذه الابيات علي بن سليمن الاخفش عن ابي

العباس ثعلب وزاد فيها رايت المنايا باديات وعودًا الى دارنا سهلًا الينا طريقها
وقد قسمت نفسى فريقين منهما فريق مع الموتى وعندى فريقها وبينا ترجى النفس
ما هو نازح من الامر لاقت دونه ما يعوقها وروى ابو العيناء قال انشد الشعبى
عبد الله بن جعفر الابيات الثلثة الاول فقال عبد الله لمن هذا الشعر يا شعبى فقال
لحارثة بن بدر فقال نحن لحق بهذا ثم امر للشعبى باربع مائة دينار ومن مستحسن
قول حارثة ولقد وليت امارة فرجعتها فى المال سالمة ولم اعول ولقد منعت
النصح من متقبل ولقد رفدت النصح من لم يقبل فباى لمسه لامسلم التمس وباى
حيلة حايل لم احتل يا طالب الحاجات يرجوا نجحها ليس النجاح مع الاخف الاعجل فاصدق
اذا حدثت تكتب صادقا واذا خلفت مماريا فتحلل معنى تكتب صادقا ان يكون
صادقا عند الله وقوله فتحلل اى استثن واذا رايت الباهشين الى العلى غبرًا اكفهم
بربث فاعجل معنى الباهشين الى العلى المادين ايديهم الى الشئ المشتهين له
واحذر مكان السوء لا تنزل به واذا نبا بك منزل فتحول واذا ابن عم لج بعض
لجاجه فانظر به عذره ولا تستعجل واذا افتقرت فلا تكن متخشعا ترجوا الفضائل
عند عند المفضل استغن ما اغناك ربك بالغنى واذا تكون خصاصة فتجمل
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنى محمد بن ابى الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد
النحوى قال كان حارثة بن بدر الغدانى رجل تميم فى وقته وكان قد غلب على زياد
وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مشتهر
بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرنى مذ دخلت العراق لم يصكك
ركابى ركابه ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنقى اليه ولا اخذ
على الشمس فى شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننته
لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة ايها الامير
ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابى المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد كان
برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا احدث وانما انسب الى من يغلب على وانت رجل

تديم الشراب فمتى قربتك وظهرت منك رايحة الشراب لم امن ان يظن بى فدع الشراب
وكن اول داخل على وآخر خارج فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضرى ونفعى
افادعه للحال عندك قال فاختر من عملى ما شئت قال تولينى رامهرمز فانها
ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لى فولاه اياها فلما شيعه الناس قال
انس ابن ابى انيس وقيل ابن ابى اياس الدولى احار بن بدر قد وليت امارة فكن
جرذا فيها تخون وتسرق ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته فحظك من ملك العراقين
سرق وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق فان جميع الناس اما
مكذب يقول بما يهوى واما مصدق يقولون اقوالا ولا يعلمونها فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا وهذه الابيات تروى لابى الاسود الدولى
وانه كتب بها الى حارثة لما ردت اليه سرق ويزاد فيها وكن حازما فى اليوم ان الذى
به يجئ غد يوم على الناس مطبق ولا تعجزن فالعجز اوطاء مركب وما كل من يدعى الى
الخير يرزق اناما دعاك القوم عدوك اكلا فكل حارا وجع لست ممن يحمق ويقال
ويقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه الابيات بقوله جزاك اله الناس خير جزائه
فقد قلت معروفا واوصيت كافيا اشرت بامر لو اشرت بغيره لالفيتنى فيه لرأيك
عاصيا ويقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد فقال لحارثة
اى الشراب اطيب وكان يتهم فقال برة طاسارية واقطة غنوية وسمنة عنبرية
وسكرة سوسية ونطفة مسرقانية فقال للاحنف يا ابا بحر اى الشراب اطيب
فقال الخمر قال ما يدريك ولست من اهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفت انها اطيب
الشراب بهما قال وما هما قال رأيت من احلت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت
عليه يتناولها فعرفت انها اطيب الشراب ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن
زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بابيه اهان واقصى ثم ينتصحوننى واى امرئ
يعطى نصيحته قسرا رايت اكف المصلتين عليكم ملاء وكفى من عطائكم صفرا وانى
مع الساعى اليكم بسيفه اذا احدث الايام فى عظمكم كسرا متى تسئلونى ما على
وتمنعوا الذى لى لا استطع على ذلكم صبرا وقال يعاتبه وكم من امير قد تجبر بعد

ما مريت له الدنيا بسيفي فدرت اذا زبنته عن فواق انت به دعاني ولا ادعى اذا ما

افرت اذا ما هي احلولت تحاحق مقسمي ويقسم لى منها اذا ما امرت ربنته اى

دفعته عن ان يحلبها والفواق اجتماع اللبن فى الضرع بين الحلبتين ومعنى افرت تركته

يحلبها ويشبه ابيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدى يعاتب

معاوية ومروان واهل بيته من جملة قصيدة وهى ابيات قوية جدا عطاوكم للضا

رقابكم وندعى اذا كان حز الكراكر اخى اخوكم فى المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم فى الخطا

الاصاغر وتدنيكم الادنى اذا ما سالتم ونلقى بندى حين نسال باسر وان كان فينا

الذنب فى الناس مثله اخذنا به من قبل ناه وآمر معنى من قبل ناه وآمر اى من قبل

ان ننهى عنه او نؤمر باجتنابه وان جاءكم منا غريب بارضكم لو يتم له لوما جنوب المناخ

فهل يفعل الاعداء الا كفعلكم هوان السراة وابتغاء العوائر وغير نفسى عنكم ما فعلتم

وذكر هوان منكم متظاهر جفاوكم من عالج الحرب عنكم واعداوكم من بين جاب وعاشر

ولا تسئلونى عن هواى وودكم وقل فى فواد قد توجد نافر ولحارثة بن بدر يرثى زيادا لهفى

عليك للهفة من خائف يبغى جوارك حين ليس مجير اما القبور فانهن اوانس بجوار

قبرك والديار قبور عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم ماجور ردت

صنائعه اليه حياته فكانه من نشرها منشور قال المرتضى قدس الله روحه

واظن ابا تمام الطائى نظر الى قول حارثة ردت صنائعه فى قوله الم تمت يا شقيق

النفس مذ زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه واخبرنا على بن محمد الكاتب قال

قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن يعنى ابن اخى الاصمعى عن عمه قال مر

حارثة بن بدر الغدانى ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم الا قالوا

مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اوفق لعينى والذ فى سمعى مما

سمعته اليوم فقال حارثة ولكنى ما سمعت كلاما قط هو اكره الى منه ثم قال

ذهب الرجال فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسودد وهذا البيت

يقال انه لحارثة لا انه تمثل به واخبرنا المرزبانى قال حدثنى عبد الله بن جعفر قال

حدثنى محمد بن يزيد قال قال الكنانى مر حارثة بن بدر بالاحنف بن قيس فقال لولا

انك مستعجل لشاورتك فقال اجل كانوا يكرهون ان يشاوروا الجائع حتى يشبع

والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق

مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا

والله سريع الحساب فقال اى تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة

فيه الجواب قلنا فى ذلك وجوه اولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على

اعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تاخر ويجرى مجرى قوله وما امر الساعة الا

كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان يعبر عن المجازاة او الجزاء بالحساب لان ما يجازى

به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب له اذا كان مماثلا مكافيا ومما يشهد

بان فى الحساب معنى المكافاة قوله عز وجل جزاء من ربك عطاء حسابا اى عطاء

كافيا ويقال احسبنى الطعام يحسبنى احسابا اذا كفانى قال الشاعر واذ لا ترى

فى الناس حسنا يفوتها وفى الناس حسن لو تاملت محسب معناه كاف وثانيها

ان يكون المراد انه عز وجل يحاسب الخلق جميعا فى اوقات يسيرة ويقال ان مقدار

ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل

يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على اعمالهم فى وقت واحد وهذا احد ما يدل على انه

تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج فى فعل الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفات تعالى

عنها لما جاز ان يخاطب اثنين فى وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض

الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبة الخلق على اعمالهم طويلة غير

قصيرة كما ان جميع ذلك وجب فى المحدثين الذين يفتقرون الى الآلات وثالثها ما ذكره

بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بنى

الدنيا ان يستعملوا الحساب والاحصاء فى اكثر امورهم اعلمهم الله انه يعلم ما يحسبون

بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان الحساب انما يراد به العلم وهذا جواب

ضعيف لان العلم بالحساب او المحسوب لا يسمى حسابا ولو سمى بذلك لما جاز ايضا

ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالاشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة وثانيها
ان الله سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسئل في وقت واحد سؤالات
مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل
اليه عند دعائه ومسئلته ما يستوجب بحده ومقدار فلو كان الامر على ما يتعاطاه
الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى انه سريع الحساب اي سريع
القبول للدعاء بغير احتباس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتبس
المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب مبني ايضاً على دعوى لان قبول
الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من اجاب
بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه والا فلا طائل فيما ذكره
ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم
يوم القيمة وموافقتهم عليها ويكون الفائدة في الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب
الساعة كما قال تعالى سريع الحساب وليس لاحد ان يقول فهذا هو الجواب الاول
الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الآية هو
الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى
المحاسبة والمقابلة بالاعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب
اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضا على ابي علي الجبائي في اعتماده
اياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وعسره
وزمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب
امر الآخرة والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتدئ به بل قد حكي
عن الحسن البصري واعتمده ايضاً قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن
سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لانه اعتمد على ان
مخرج الوعيد وليس كذلك لانه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

حسنة

حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالاشبه
بالظاهر ان يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا اتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار او يكون راجعاً الى الجميع
فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل اما ان يكون
وعداً خالصاً او وعداً على انه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكره الطاعن لكان
لقوله تعالى والله سريع الحساب على تاويل من اراد قصر الزمان وسرعة الموافقة
وجه وتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة
على اعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك
بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله
ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعلم ورغب في فعل الواجب فبهذا
نبصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة
على الاعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المقبحات فالتاويل الاول اشبه بالظاهر
ونسق الآية الا ان التاويل الآخر غير مدفوع ايضاً ولا مردود تاويل آية اخرى
ان سال سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب وقد يكون المعطي
بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها
ان تكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه
فالحساب ههنا راجع الى المرزوق لا اليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في
حسابي اي لم اؤمله ولم اقدر انه يكون وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف
لان الرزق اذا لم يكن محتسباً كان اهنا له واحلى وقد روي عن ابن عباس في تفسير
هذه الآية انه قال عنى بها اموال بني قريظة والنضير وانها تصير اليكم بغير حساب
ولا قتال وعلى اسهل الامور واقربها وايسرها وثانيها انه تعالى يرزق من
يشاء رزقاً غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين
فيكون نفي الحساب فيه نفياً للتضييق وبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء

فقال اي تمدح في الاعطاء بغير حساب صح

القليل محسوب قال قيس بن الحطيم انى سريت وكنت غير سروب وتقرب الاحلام
غير قريب ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم غير مصرد محسوب وثالثها ان يكون
المعنى انه يرزق من يشاء من غير طلب للمكافاة او راغب لفائدة تعود اليه او منفعة
ترجع عليه لان من شان اهل الدنيا ان يعطوا ليكافوا او لينتفعوا ولهذا يقال
فيمن يقصد بالعطية الى هذه الامور فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم و يناقشهم
فيما يوصله اليهم وما اشبه ذلك فلما انتفت هذه الامور من عطاياه
سبحانه جاز ان يقول انه يرزق بغير حساب ورابعها ما اجاب به قطرب
قال معنى الآية يعطى العدد الكثير لا مما يضبطه الحساب اذ يأتى عليه العدد
لان مقدوره تعالى لا يتناهى وما فى خزائنه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس
كالمعطى منا الالف من الالفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له و يمكن
منه محدود متناه ولا تناهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه وخامسها انه
يعطى عباده فى الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوا وازيد مما وجب لهم بمجازاته سبحانه
اياهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة وكما قال تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم و يغفر لكم
وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم و يزيدهم من فضله وسادسها ان يكون المعطى منا
غيره شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك فيكون فعله حسنا لا يسال عنه
ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به و يحاسب
عليه فنفى الله عز وجل عن نفسه ان يفعل من الرزق القبيح وما ليس له ان يفعله بنفى
الحساب عنه وانبا انه لا يرزق ولا يعطى الا على افضل الوجوه واحسنها وابعدها
من الذم وتجرى الآية مجرى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانما اراد
انه تعالى من حيث وقعت افعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان يسأل عنها وان سئل
العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها ان الله عز وجل اذا
رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطا من جهة الناس فليس

لاحد ان يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسئله ربه عن الرزق و تمكينه
وانما يساله عن انفاقه فى الوجوه التى ينفقه فيها يسقط للحساب من هذه الوجوه عما
يرزقه الله تعالى فلذلك قال عز وجل بغير حساب وثامنها ان يكون المراد بمن
يشاء ان يرزقه اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح ان يتناوله الحساب ولا
العدد والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه و يطابق هذه الآية
قوله تعالى فى موضع آخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب تاويل
خبر ان سال سائل عن الخبر الذى يروى عن زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه واله انه
قال توضؤا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيرته
النار لا يوجب وضوءا الجواب ان معنى توضؤا اى تنظفوا ايديكم من الزهومة لانه روى
ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون ايديهم من الزهومة و يقولون فقدها اشد
علينا من ريحها وامر عليه السلام بتنظيف الايدى لذلك فان قيل كيف يصح ان تحملوا
الخبر على اللفظ اللغوى مع انتقاله بالعرف الشرعى الى الافعال المخصوصة بدلالة ان
من غسل يده او وجهه لا يقول بالاطلاق توضأت ومتى سلم لكم ان الوضوء
اصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذى ذكرناه وكلامه عليه السلام اخص
بالعرف الشرعى وحمله عليه اولى من حمله على اللغة قلنا ليس ينكر ان يكون اطلاق
الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالافعال المعينة وكذلك
المضاف منه الى الحدث او الصلوة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى
مجراه فباق على اصله الا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام او من الغمر او توضأت
للطعام لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف واذا قال توضأت اطلاقا او توضأت
من الحدث او الصلاة فهم منه الافعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص
النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة فى اللغة الى فائدة فى الشرع على كل وجه كذلك
يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه و يبقى من الوجه الذى لم ينتقل منه على ما كان عليه فى اللغة
وقد ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين

ويختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين
ذلك ايضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم
وانما اراد غسل اليد بغير شك وروى عن قتادة انه قال غسل اليد وضوء
وروى عكراش ان رسول الله صلعم اكل وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه
ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منقلة
على كل حال الى الافعال الشرعية المخصوصة لصح ان نحمله في الخبر على خلاف ذلك
ونردها الى اصلها بالادلة وان كان الاولى لولا الادلة ان تحمل على مقتضى الشرع
فمن الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس ان النبي صلى الله عليه واليه اكل كتف
شاة وقام وصلى ولم يتوضا وروى عطاء عن ام سلمة قالت قربت جنبا مشويا
الى النبي صلى الله عليه واله فاكل منه ثم صلى ولم يتوضا وروى محمد بن المنكدر عن جابر انه
قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه واله ترك الوضوء مما مست النار
وكل هذه الاخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الاول لو كان له ظاهر فكيف وقد
بينا انه لا ظاهر له فاما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان
من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضاها ويقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء
قال الشاعر مساميح الفعال ذوو اناة مراجيح واوجههم وضاء والوضوء بضم
الواو المصدر وكذلك ايضاً التوضاء والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضاء به
وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد
يجوز ان يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا
حسن القبول مصدراً وهو مفتوح الاول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم
الا معنى المصدر وحده قال جرير اهوى اراك برامتين وقوداً ام بالجنينة من
مدافع اودا وقال آخر اذا سهيل لاح كالوقود فرداً كشاة البقر المطرود وقال
آخر واجتنا بكل يفاع ارض وقود النار للمتنورينا اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال

حدثنا

حدثنا ابرهيم بن المنذر قال حدثني ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر ابن عبد الرحمن
بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال اتيت عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود
يوماً في منزله فاذا هو مغتيظ ينفخ فقلت له ما لي اراك هكذا قال دخلت على اميركم
هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يردا على السلم
فقلت الا ابلغا عني عراك بن مالك فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر فقد جعلت تبدوا
شواكل منكما كانكما بي موقران من الصخر وطاوعتما بي غادراً ذا معاكة لعمري لقد اودى
وما مثله يودي فلولا اتقاء الله بقياي فيكما للمتكما لوماً احر من الجمر فمسا تراب
الارض منها خلقتما وفيها المعاد والمقام الى الحشر ولا تأنفا ان تغشيا فتكلما فما غشي
الاقوام شر من الكبر ولو شئت ادلى فيكما غير واحد علانية او قال عندي في سر معناه
لو شئت اغتابكما عندي غير واحد وقوله ذا معاكة يقال معك به وسدك به اذا تعرض
به لشر فان انا لم امر ولم انه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري وكيف تريان ابن تسعين
حجة على ما اتى وهو ابن عشرين او عشر لقد علقت ولو اكاد لو حول من القوم لا رخو
المراس ولا نزر قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك
يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برأ وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن
عمرو بن حزم وكانا صديقيه كناية بذكرها عن ذكر غيرهما وقد جاءت رواية
اخرى بان ابا بكر بن حزم وعراك بن مالك كانا يجبا زان على عبيد الله ولا يسلمان
عليه فقال الابيات يخاطبهما بها وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله
بن عتبة اذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري فللناس اعذر
هو السر ما استودعته وكتمته وليس بسر حين يفشو او يظهر وانشد
مصعب الزبيري لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة اواخي رجالاً لست مطلع بعضهم
على سر بعض ان صدري واسعه اذا هي حلت وسط عود بن غالب فذلك ود
نازح لا اطالعه تلاقت حيازيمي على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه اضالعه
بني لي عبد الله في سورة العلى وعتبة مجداً لا تنال مصانعه والبيت الاول يشبه

قول مسكين الدارمي وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض كان عندي
جماعها ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قوله تغلغل حب عثمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطور اكاد اذا ذكرت العهد
منها اطير لو ان انسانا يطير غني النفس ان ازداد حبا وكني الى وصل فقير
واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال احللت من قلبي هواك محلة ما حلها المشروب
والماكول واخذه المتنبي في قوله وللسر مني موضع لا يناله نديم ولا يفضي اليه شراب
وكان العباس بن الاحنف الم به في قوله لو شق عن قلبي قرى وسطه اسمك
والتوحيد في سطر وقول عبيد الله احسن من الجميع وبعده بيت المتنبي ولعبيد الله
بن عبد الله بن عتبة ايضا لعمر ابي المحصين ايام نلتقي لما لا نلاقيها من الدهر
اكثر يعدون يوما واحدا ان اتيتها وينسون ما كانت على الدهر يهجر ومن
مستحسن قوله لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق
اليح اروح بهم ثم اغدو بمثله ويحسب اني في الثياب صحيح اخذ هذا المعنى بشار
فقصر عنه في قوله يصبح محزونا ويمشي به وليس يدري ما له عنده مجلس
اخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عم قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا فقال اليس هذا تصريحا منه بان الله تعالى يجوز
ان يشاء الكفر والقبيح لان ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد اخبر انه لا يعود
فيها الا ان يشاء الله الجواب قيل له في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الملة
التي عناها الله تعالى انما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين
فيها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات في الله وصفاته
مما لا يجوز ان يختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من
حيث تبعت المصالح والالطاف والمعلوم من احوال المكلفين فكانه قال ان ملتكم

لانعود

لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وازال حكمها الا ان يشاء الله ان يتعبدنا
بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم
عنها وان كانت ضلالا وكفرا فقد كان يجوز فيما هو مثلها ان يكون ايمانا وهدى
بل فيها انفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي
لا يجوز ان يكون الا قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يتعبدهم
الله تعالى بتلك الملة مع قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها فيقال له لم ينف عودهم اليها على كل وجه وانما نفى العود اليها مع كونها
منسوخة منهيا عنها والذي علقه بمشية الله تعالى من العود اليها هو بشرط ان يامر
ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه اراد ان ذلك لا يكون ابدا من
حيث علقه بمشية الله تعالى لما كان معلوما انه لا يشاؤه وكل امر علق بما لا يكون فقد
نفي كونه على ابعد الوجوه ويجري الآية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط وكما يقول القائل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار او يشيب الغراب وكما
قال الشاعر وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل والقارظان
لا يؤوبان ابدا وكليب لا ينشر ابدا فكانه قال ان هذا لا يكون ابدا وثالثها ما ذكره
قطرب بن المستنير من ان في الكلام تقديما وتاخيرا وان الاستثناء من الكفار وقع لا من
شعيب فكانه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك
من قريتنا الا ان يشاء الله ان نعود في ملتنا ثم قال حاكيا عن شعيب عم وما يكون
لنا ان نعود فيها على كل حال ورابعها ان تعود الهاء التي في قوله فيها الى القرية
لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا
سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار
عليكم والظفر بكم فنعود اليها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم
الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكيا عنهم ولتعودن
في ملتنا كان معناه او لتكونن على ملة واحدة غير مختلفة ان يقول من بعد الا ان يشاء

الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشية انما كان بعد قوله وما
يكون لنا ان نعود فيها فكانه قال ليس نعود فيها الآن يشاء الله فكيف يصح هذا
للجواب قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى ان نعود فيها هو ان تصير ملتنا واحدة
غير مختلفة جاز ان يوقع الاستثناء على المعنى فيقول الا ان يشاء الله ان نتفق في
الملة بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق
قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه ما شاءه على كل حال بل من وجه وهو ان يؤمنوا
ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذى اجرى بالتكليف اليه ولو شاءه
على كل حال لما جاز ان لا يقع منهم فكان شعيبا عم قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابداً
الا بان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة
في ذلك واضحة لانه لو اطلق انا لا نتفق ابداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم ان
ذلك مما لا يمكن على حال من الاحوال فافاد بتعليقه له بالمشية هذا الوجه ويجرى
قوله الا ان يشاء الله مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لامن في الارض كلهم جميعاً
وسادسها ان يكون المعنى الآن يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلى بينكم وبينه
فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى او لو كنا كارهين
وسابعها ان يكون المعنى الآن يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان
اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله
او لو كنا كارهين يقوى هذا الوجه ايضاً فان قيل كيف يجوز من نبي من انبياء
الله تعالى ان يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع قلنا يجوز ان يكون
لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لي ولا لامتي ان نعود فيها
الآن يشاء الله بان يتعبد امتى باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز غير ممتنع
تأويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خير الصدقة ما ابقت
غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدء بمن تعول وقد قيل في قوله خير الصدقة
ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير ما تصدق به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم

فاذا خرجت

فاذا اخرجت صدقتك عنك الى من اعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك منها
ومثله في الحديث الاخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس رحمة الله في قوله
تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الآخر
ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسئلة اي تجزل له في
العطية فيستغني بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة
درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن المسئلة فذلك افضل من ان
يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتأويل الاول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وابدأ
بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر ايضاً انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله اليد العليا
خير من اليد السفلى قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من الآخذة وقال اخرون ان العليا
هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا
السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذى اعتق
والمولى هو الذى اعتق والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسؤال قال قدس الله
روحه عندي ان معنى قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر
من الوجهين جميعاً وهو ان تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى
يداً في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه صلعم اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية
القليلة وهذا حث منه عليه السلام على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف باوجز
الكلام واحسنه مخرجاً ويشهد لهذا التأويل احد التأويلين المتقدمين في قوله
ما ابقت غنى وهذا اشبه واولى من ان يحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل
المعطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن
يعطي ولفظة خير لا تحمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب فاما من جعل
الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضاً مع انه قد قال قولاً شنعاً
وعكس الامر على ما ذكره ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عم خير الصدقة
ما ابقت غنى وهي لا تبقى غنى الا ان تنقص عن غيرها واذا كانت العطية التي هي اجزل

وافضل فتلك لا تبقى غنىً والتى تبقى غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما تأويلنا
فمطابق للوجهين المذكورين فى قوله ما ابقت غنى لان من تأول ذلك على ان المراد بها
المعطى وان خير العطية ما اغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوله على
الوجه الآخر وحمل ابقاء الغنى على المعطى واهله واقاربه فتأويلنا ايضاً مطابق
له لانه قد يكون فى العطايا التى يبقى بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيل
وغير جزيل فقال عم خير الصدقة ما ابقت غنىً بعد اخراجها والعطية الجزيلة
التى يبقى بعدها غنىً خير من القليلة فمدح عليه السلام بعد ابقاء الغنى جزيل
العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى
قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمى قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوى قال
انشدنى ابن الاعرابى لثابت قطنة العتكى يا هند كيف بنصب بات يبكينى وعائر
فى سواد العين يوذينى كان ليلى والاصداء هاجعة ليل السليم واعيا من يداوينى
لما حنى الدهر من قوسى وعذرنى شيبى وقاسيت امر الغلظ واللين اذا ذكرت
اباغسان ارقنى هم اذا عرض السارون يشجينى كان المفضل عزاً فى ذوى يمن
وعصمة وثمالا للمساكين غيثاً لدى ازمة غبراء شاتية من السنين ومأوى كل
مسكين انى تذكرت قتلى لو شهدتهم فى حومة الحرب لم يصلوا بها دونى لا خير فى
العيش اذا لم يجن بعدهم حرباً تبئ بهم قتلى فتشفينى لا خير فى طمع يدنى الى طبع وغفة من قوام
العيش تكفينى انظر فى الامر يعذبنى الجواب به ولست انظر فيما ليس يعنينى لا اركب
الامر تزرى بى عواقبه ولا يعاب به عرضى ولا دينى لا يغلب الجهل حلمى عند مقدرة ولا
العضيهة من ذى الضغن تكبينى كم من عدو رمانى لو قصدت له لم ياخذ النصف منى
حين يرمينى قال السيد المرتضى قدس الله روحه وهذه الابيات يروى بعضها
لعروة بن اذينة وتداخل ابياتاً له على هذا الوزن وهى التى يقول فيها لقد علمت وما
الاشراف من خلقى ان الذى هو رزقى سوف يأتينى اسعى له فيعيينى تطلبه ولو قعدت
اتانى لا يعنينى كم قد افدت وكم اتلفت من نشب ومن معاريض رزق غير ممنون

فى

فما اشرت على يسر وما ضرعت نفسى لحالة عسر جاء يبلونى خيمى كريم ونفسى لا تحدثنى ان
الاله بلا رزق يخليني ولا اشتريت بمالى قط مكرمة الا تيقنت انى غير مغبون ولا عتبت
الى المجد ومحمدة الا اجبت اليه من ينادينى لا ابتغى وصل من يبغى مفارقتى ولا الين لمن
لا يبتغى لينى انى سيعرفنى من لست اعرفه ولو كرهت وابدو اجين يخفينى فعطنى
جاهداً واجهد على اذا لاقيت قومك فانظر هل تعطينى وقوم يخطئون فيروون
قوله لقد علمت وما الاسراف بالسين غير معجمة وذلك خطاء وانما اراد بالاشراف
انى لا استشرف واتطلع الى ما فاتنى من امور الدنيا ومكاسبها فلا تتبعها نفسى
قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولى ابيات فى معنى بعض ابيات ثابت
قطنة وعروة ابن اذينة التى تقدمت وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى
منذ اثنتى عشرة سنة والابيات تعاقبنى بوس الزمان وحفضه وادبنى حرب
الزمان وسلمه وقد علم المغرور بالدهر انه وراء سرور المرء فى الدهر غمه
وما المرء الا نهب يوم وليلة تخب به شهب الفناء ودهمه يعلله برد الحياة ونسيمه
ويغتره روح النسيم يشمه وكان بعيداً عن منازعة الردى فالقته فى كف المنية
امه الا ان خير الزاد ما سد فاقة وخير تلادى الذى لا اجمه وان الطوى
بالعز احسن بالفتى اذا كان من كسب المذلة طعمه وانى لانهى النفس عن كل لذة
اذا ما ارتقى منها الى العرض وصمه واعرض عن نيل الثراء اذا بدا وفى نيله
سوء المقال وذمه اعف وما الفحشاء منى بعيدة وحسبى فى صد عن الامر اثمه
وما العف من ولى عن السوء حزمه ولى فى معنى قوله وما الاشراف من خلقى ما خامر
الرزق قلبى قبل حاجته ولا بسطت له فى النائبات يدى كم قد ترادف لم احفل زيادته
ولو تجاوزنى ما فت فى عضدى ان اسخط الامر ادركه عنه مضطرباً وان اردته
من مذهب اجد ومعنى ما خامر الرزق قلبى اى لم اتمنه ولا تطلعت الى حضوره
ولا خطر لى ببال تنزيهاً وتقنعاً والوجه فى تخصيص نفى بسط اليد فى النوائب
ان النوائب يضرع عندها فى الاكثر المتنزه ويطلب المتعفف فمن لزم النزاهة

من ولى عن الضرب سيفه ولكن
صح

مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروة ومعنى البيت الثانى ظاهر فاما
الثالث فالمراد به اننى ممن اذا كره شيئا تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست
ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره وفيه فائدة اخرى
وهى اننى ممن لا تملكه العادات وتقتاده الاهواء بل متى اردت مفارقة خلق
الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك على متعذرا من حيث كان لرأى على هواى
السلطان والرجحان اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن ابرهيم
قال حدثنا احمد بن يحيى النحوى قال اخبرنا الزبير بن بكار قال حدثنى عروة بن
عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن اذينة نازلا مع ابى فى قصر عروة
بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه ان التى زعمت فوادك ملها خلقت هواك
كما خلقت هوى لها فبك الذى زعمت بها وكلاكما ابدى لصاحبه الصبابة
كلها ولعمرها لو كان حبك فوقها يوما وقد ضحيت اذن لاظلها واذا وجدت
لها وساوس سلوة شفع الضمير لها الى فسلها بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فادقها واجلها لما عرضت مسلما لى حاجة اخشى صعوبتها وارجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان اكثرها لنا واقلها فدنا فقال لعلها
معذورة فى بعض رقبتها فقلت لعلها قال عروة بن عبيد الله فجاءنى ابو السائب
المخزومى يوما فسلم على وجلس الى فقلت له بعد الترحيب بك الك حاجة يا ابا السائب
فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغنى انك سمعتها منه قلت اى
ابيات قال وهل يخفى القمر ان التى زعمت فوادك ملها فانشدته اياها فقال ما يروى
هذا الا اهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلى الذى
يقول ان كان اهلك يمنعونك رغبة عنى فاهلى بى اضن وارغب لقد عدا الاعرابى
طوره وانى لارجوا ان يغفر الله لابن اذينة فى حسن الظن بها وطلب العذر لها
فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى اروى هذه الابيات فلما رواها وثب
فقلت له كما انت يغفر الله لك حتى تأكل فقال والله ما كنت لاخلط بمحبتى لها

واخذى

واخذى اباها غيرها وانصرف قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه والهذلى
الذى عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى قول
عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا فى النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق
بوسا فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك فى جمالها وتمامها والبكور هو التقدم فى كل
وقت وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة وروى
ان سكينة بنت الحسين ابن على عليهما السلام مرت به فقالت يا ابا عامر انت الذى
تقول اذا وجدت اوار الحب فى كبدى اقبلت نحو سقاء القوم ابترد هبنى بردت
ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الاحشاء تتقد وانت القائل ايضا قالت وابثثتها
وجدى فبحت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولى فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصرى قال نعم قالت هن حرائر واشارت الى جواريها
ان كان خرج هذا من قلب سليم وانشد ابو الحسن على بن احمد عن احمد بن يحيى لعروة
كانها فى طلة صابها الندى وفارة مسك ضمنتها ثيابها فكدت لذكراها اطير
صبابة وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها اذا اقتربت سعدى لججت بهجرها
وان تغترب يوما يرعك اغترابها ففى اى هذا راحة لك عندها سواء لعمرى
نايها واقترابها وعاد الهوى منها كظل سحابة الاحت ببرق ثم مر سحابها قال
علم الهدى قدس الله روحه وهيهات هذا البيت الاخير من قول كثير وانى
وتهيامى بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت لك المرتجى ظل الغمامة كلما تبوأ منها
للمقيل اضمحلت كانى واياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلت وروى
يحيى بن على قال حدثنا ابو هفان قال اشعر ابيات قيلت فى الحسد والدعاء لهم بالكثرة
اربعة فاولها قول الكميت بن زيد ان يحسدونى فانى غير لائمهم قبلى من الناس اهل
الفضل قد حسدوا فدام لى ولهم ما بى وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد انا الذى
يجدونى فى صدورهم لا ارتقى صدرا منها ولا ارد لا ينقص الله حسادى فانهم
اسروا عندى من اللائى له الود د وقال عروة بن اذينة لا يبعد الله حسادى

وزادهم حتى بوّتوا بداء في مكنون انى رايتهم في كل منزلة اجل قدرا من اللآئى وقال
نصر بن سيار ان يحسدونى على ما بى وما بهم فمثل ما بى لعمرى جر لى الحسدا وقال معن
بن زائدة انى حسدت فزاد الله في حسدى لا عاش من عاش يوما غير محسود
ما يحسد المرء الا من فضائله بالعلم والظرف او بالبأس والجود وقال المرتضى قدس
الله روحه وقد لحظ البحترى هذا المعنى في قوله محسد بخلال فيه فاضلة وليس
تفترق النعماء والحسد واظن ابا العتاهية اخذ قوله كم غائب لك لم اسمع مقالته
ولم يرد ذلك لدينا غير تزيين كان عائبكم يبدى محاسنكم وصفا فيمدحكم عندى
ويغرينى ما فوق حبك حب لست اعلمه فلا يضرك ان لا تستزيدنى من قول عروة
بن اذينة لا بعد سعدى مريحى من جوى سقم يوما ولا قربها ان حم يشفينى اذا الوشاة
لحوا فيها عصيتهم وخلت ان سعدى اللوم يغرينى وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى
في قوله ما حطك الواشون عن من رتبة عندى ولا ضرك معتاب كانهم اثنوا ولم يعلموا
عليكم عندى بالذى عابوا ولعروة بن اذينة تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين
تخفى ذاهبات كروعة ثلة لمغار ذيب فلما غاب عادت راتعات الثلة القطعة
من الضأن وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال ونحدث روعات لدى
كل فزعة ونسرع نسيانا وما جاءنا امن وانا ولا كفران لله ربنا لك البدن ما تدرى
متى يومها البدن اخذه ابو العتاهية في قوله اذا ما رايتم ميتين جزعتم وان غيبوا
ملتم الى صبواتها واخذ عروة قوله ان الفتى مثل الهلال له نور ليالى ثم ينمحق يبلى
وتفنيه الدهور كما يبلى وينضى الجدة الخلق من قول بعض شعراء طى مهما يكن ريب
الزمان فاننى ارى قمر الليل المعذب كالفتى يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه وصورته
حتى اذا ما هو استوى تقارب يخبو ضوءه وسماعه ويمصح حتى يستسر ولا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه يعود الى مثل الذى كان قد بدا اخذه محمد بن يزيد
الكاتب فقال المرء مثل هلال عند مطلعه يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق يزداد
حتى اذا ما تم اعقبه كر الجديدين نقصانا فينمحق مجلس آخر تأويل آية ان سال

سال

سائل عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وما روت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين
المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون فقال كيف ينزل الله سبحانه السحر على الملائكة ام كيف تعلم الملائكة الناس
السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى الله باذنه
وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ولقد
علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ثم بقوله لو كانوا يعلمون الجواب قلنا في الآية
وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم ينعم النظر فيها اولها ان يكون ما في قوله
تعالى وما انزل على الملكين بمعنى الذى فكانه تعالى خبر عن طائفة من اهل الكتاب بانهم اتبعوا
ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمن وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله عز وجل من قرفهم
واكذبهم في قولهم فقال تعالى وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه
على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر
والذى انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال
فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد اعلمنا ضروب
المعاصى ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها الا ان الشياطين كانوا
اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين
لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من احد يعني
الملكين ومعنى يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى اعلمه قال القطامى
تعلم ان بعد الغى رشدا وان لتالك الغبر انقشاعا وقال كعب بن زهير تعلم رسول
الله انك مدركى وان وعيدا منك كالاخذ باليد ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم
والذى يدل على انها هنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما

نحن

فتنة فلا تكفر اى انهما لا تعرفان صفات السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا انما نحن محنة
وانما كان محنة من حيث القيا الى المكلفين امراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم
اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعا على ذلك لا تكفر باستعماله
ولا تعدل عن الغرض فى القاء هذا اليك فانه انما القى اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله
ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه
فى هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك
بسوء اختيارهم ضرراً عليهم وثانيها ان تكون ما انزل موضعه موضع جر ويكون
معطوفا بالواو على ملك سليمن والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك
سليمن وعلى ما انزل على الملكين ومعنى انزل على الملكين اى معهما وعلى السنتهما كما قال
تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اى على السنتهم ومعهم وليس بمنكر ان يكون
ما انزل معطوفا على ملك سليمن وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لان
رد الشئ الى نظيره وعطفه على ما هو اولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس
منهما ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذى انزل
على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج
وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد
عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ههنا معطوف على الشهر الحرام اى
يسئلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام وحكى عن بعض علماء اهل اللغة انه قال
العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل
خبره كقوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
وهذا واضح فى مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة والمعنى انهما لا يعلمان احداً بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه
وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام

عل

على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت فى نهيه حتى قلت له انك
ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة فى الكلام والاختصار الدال مع اللفظ
القليل على المعانى الكثيرة لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة عن بسط الكلام الذى ذكرناه ولذلك نظائر فى القران قال الله تعالى ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض فلولا الاختصار
لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولو كان معه اله اذا
لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب اى فيقال للذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله اكثر من ان نورد ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع
اليهما وقد نفا عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضاً
ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه فى قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر
والعطف عليه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك
قوله عز وجل سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى اى يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم
تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر ويجوز ان يكون معنى فيتعلمون منهما اى بدلاً
مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر
الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا اى بدله منه وكما قال الشاعر
جمعت من الخيرات وطباً وعلبة وصراً لاخلاف المزممة البزل ومن كل اخلاق الكرام نميمة
وسعيا على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه الخصال
الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا يغرون
احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر
المؤمن المقيم على دينه ويفرقون بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الآخر ان يسعوا بين
الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة

وثالث الوجوه في الآية ان نحمل ما في قوله وما انزل على الجحد والنفي فكانه قال واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت
من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين
من جملة الناس هذان اسماهما وانما ذكر بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان
المذكوران اللذان نفي عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود
فيما ذكر كانت تدعي ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل الى سليمن بن
داود عليهما السلام فاكذبها الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت
يرجعان الى الشياطين فكانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا
ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمن عليهما
السلام ويكون قوله تعالى على هذا التأويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين او من الانس المتعلمين
للسحر من الشياطين والعاطين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق
الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا
هذا فعل من لا يفلح وقول من لا ينجب ووالله ما حصلت الا على الخسران وليس
ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك
ويجوز ايضا على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هاروت وماروت
اسمين لملكين ونفي عنهما انزال السحر بقوله وما انزل على الملكين ويكون قوله وما
يعلمان من احد يرجع الى قبيلين من الجن او الى شياطين الجن والانس فتحسن
التثنية لهذا وقد روي هذا التأويل الاخير في حمل ما على النفي عن ابن عباس رحمة
الله وغيره من المفسرين وروي عنه ايضا انه كان يقرء وما انزل على الملكين
بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر
ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخر وهو ان نجعل

قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا
ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمن واتبعوا ما انزل على هذين الملكين
من السحر ولا يكون منزله اليهما بعض الضلال والعصاة ويكون معنى انزل وان كان
من الارض حمل اليهما لا من السماء انه من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من
نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى واما قوله تعالى وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن العلم من قولهم
اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا استمعته وعلمته وقال الشاعر في
سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار ومنها ان يكون الا زايدة فيكون
المعنى وما هم بضارين به من احد باذن الله ويجري مجرى قول احدنا لقيت زيدا الا
اني اكرمته اي لقيت زيدا فاكرمته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية وترك
المنع فكانه افاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين احدا الا بان يخلي الله تعالى
بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زايدا على منعهم بالزجر والنهي ومنها ان
يكون الضرر الذي عنى انه لا يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية
والاغذية التي يطعمه اياها السحرة ويدعون انها موجبة لما يقصد ونه فيه من الامور
ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة لان الاغذية لا توجب
ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم
وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق
بين الازواج لانه اقرب اليه في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين
فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوا له من الكفر
الا ان الفرقة لم تكن الا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وامر بالتفريق
بين المختلفي الاديان فلهذا قال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى
انه لولا حكم الله واذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين
له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ما روي انه كان

من دين سليمان عم انه من سحر بانت منه امرأته فاما قوله عز وجل ولقد علموا لمن اشتريه
ماله في الآخرة من خلاق ثم قوله لو كانوا يعلمون ففيه وجوه اولها ان يكون الذين
علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين او الذين خبّر عنهم بانهم
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمن والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين
لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه نفى وصفهم بانهم عالمون بانه
لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من عقاب
الله الذي لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان تكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم
لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا لغيره ما دعوتك اليه خير لك
واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب الا
انه لا يعمل بموجب علمه فحسن ان يقال له مثل هذا القول وقال كعب بن زهير يصف
ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا من زاده اذا حضراني قلت لو تعلمانه الم تعلما اني من الزاد
مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا
بما علماه فكانهما لم يعلماه ورابعها ان يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان
الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح الا انهم ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها
فقال تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ان الذي آثروه وجعلوه عوضا من
الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل مضمحل باطل وان المآل الى المستحق
في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله مجلس آخر تاويل خبر روى عقبة بن عامر عن النبي
صلعم انه قال لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقد ذكر متاولو حديث النبي صلعم
في هذا الخبر وجوها كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا اذكر ما اعتمدوه وبين ما فيه ثم
اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة ذهب الاصمعي الى ان من تعلم القرآن من المسلمين
لو القي في النار لم تحرقه فكنى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تاويله هذا
بالحديث بما روى عن سليمن بن محمد قال سمعت ابا امامة يقول اقرأوا القرآن ولا تغرنكم

هذه

هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن قال ابن قتيبة وفي الحديث
تاويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله صلعم لم تحرقه
النار على جهة الدلالة على صحة امر النبي صلعم ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى
كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام قال فيه تاويل ثالث وهو
ان يكون الاحراق انما نفي عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في اهاب
ثم القي في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لان الله
سبحانه ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري
رادا على ابن قتيبة معترضا عليه اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه
شيئا صحيحا اما قوله الاول فيرده ما روى عنه عليه السلام من قوله يخرج من النار قوم
بعد ما يحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل قال وقد روى ابو سعيد
الخدري عن النبي صلعم انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال الله سبحانه
انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر وكيف يصح
قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج
وغيرهم ممن يلحد في دين الله تعالى ويقرأ القرآن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر
ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن ومعناه قرأ القرآن وعمل به فاما من حفظ
الفاظه وضيع حدوده فانه غير واع له قال فاما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت
بعده فما روى هذا الحديث احد انه كان في دلائله عليه السلام ولو اراد ذلك دليلا لكان
صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق قال وقول ابن قتيبة
الثالث لا تحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح هذا القول
يوجب ان القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل
على هذا قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث لا
تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وانما يريد المصحف قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل
هذا الخبر انه لو كان القرآن في جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها وان احرقته فانها لا تذهبه

اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الاخيار من عباده والدليل على هذا قوله عز وجل
النبي صلعم فيما روى عنه انى منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نايما ويقظان فلم يرد
تعالى ان القرآن لو كتب فى شئ ثم غسل بالماء لم ينغسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا
يدرسه اذا كانت القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير فى كتاب الله وفى لغة العرب
قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون
الله حديثا فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد تعالى
ولا يكتمون الله حديثا فى حقيقة الامر لانهم وان كتموه فى الظاهر فالذى كتموه غير
مستتر عنه قال المرتضى قدس الله روحه والوجه الصحيح فى تأويل الخبر غير ما توهمه
ابن قتيبة وابن الانبارى جميعا وهو ان هذا من كلام النبى صلى الله عليه وآله على طريق
المثل والمبالغة فى تعظيم شان القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه
لو كتب فى اهاب والقى فى النار وكانت النار مما لا يحرق شيئا لعلو شانه وجلالته لم تحرقه
النار وهذا نظائره فى القرآن وكلام العرب وامثالهم كثيرة ظاهرة لا تخفى على من له
ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
ومعنى الكلام انا لو انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شئ
او خشية لامر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم و
قلتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله بان الكلام خرج مخرج المثل
بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومثل قوله تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثل قول الشاعر اما وجلال الله
لو تذكريني كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا فقالت بلى والله ذكرا لو انه تضمنه صم
الصفا لتصدعا ومثله فلو ان ما بى بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع بالحصى لهن
هبوب ومثله وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت ابكى عنده واخاطبه واسقيه حتى
كاد مما ابثه تكلمنى احجاره وملاعبه وهذه طريقة للعرب مشهورة فى المبالغة يقولون

هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير وينزل الوعول وليس ذلك بكذب
منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الامور لو تأتت ولو كانت
مما يسهل ويتيسر لشئ من الاشياء لتسهلت به ومن اجله فاما الجواب الاول المحكى
عن ابن قتيبة فالذى يفسده زايدا على ما رده ابن الانبارى انه لو كان الامر على ما ذكره
ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعى لكان النبى صلعم قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن حافظ
القرآن ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام
على القبايح امنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى فى قول ابى
امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانبارى فاما جواب ابن
قتيبة الثانى فمن اين له ان ذلك مختص بزمانه عم وليس فى اللفظ ولا فى غيره دلالة عليه
واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكر لما جاز ان يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا
اجمع معجزاته وضبطوها وفى وجداننا من روى ذلك وجمعه وعنى به غير عارف بهذه
الدلالة والآية ابطال لما توهمه فاما جوابه الثالث فباطل لان القرآن فى الحقيقة ليس
يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن
فى قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فايدة لان هذه سبيل كل كلام كتب
فى اهاب او فى غيره اذا احترق الاهاب لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة
هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانبارى وهذا يوجب ان القرآن غير المكتوب
لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان المكتوب هو القرآن وهذا
علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذى هو القرآن واذا كان المكتوب
فى المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانبارى فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد
يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه
واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون الآخر وهذا كله تخليط
من الرجلين لان القرآن غير حال فى الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب
وانما الكتابة امارة الحروف فاما ان تكون هى الكلام على الحقيقة او يوجد معها

الكلام مكتوباً لمحال   واما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله لاتسافروا بالقرآن
فذلك تجوز وتوسع وليس يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات
الاحكام والمعانى ومعترضة على ادلة العقول وقد تجوز القوم باكثر من هذا
فقالوا فى هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعى وفقه فلان ولم يقتض
ذلك ان يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين فى الدفتر   وقد بين الكلام
فى هذا الباب فى مواضع هى اولى به   فاما جواب ابن الانبارى الذى ارتضاه
لنفسه فلا طائل ايضاً فيه لانه لامزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر فى العالم
لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ فى صدور الرجال اذا كتب فى جلد ثم احرق
او غسل لم يذهب ما فى الصدور منه بل يكون ثابتاً بحاله فاى مزية للقرآن فى هذا
على غيره واى فضيلة   فان قال وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن
ان يدرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان هو تعالى المتولى لايداعه الصدور
لايتم ذلك فيه   الكل سواء لان غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب
فيه متى لم يكن محفوظ مودعاً للصدور   ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحتراق
الجلد   وهكذا القرآن لو لم يحفظ فى الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لايبطل بهذا
الشرط فصار الشرط فى بطلان غير القرآن وثباته كالشرط فى بطلان القرآن وثباته
فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لاتمسه   وهذا يبين ان الاولى
غير ما ذكرناه فى الخبر   وهو اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه
اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال انشدنا ابو حاتم قال
ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعنى ابن اخى الاصمعى عن عمه للحسين بن مطير الاسدى
وقال عبد الرحمن قال عمى لو كان شعر العرب هكذا ما اتهم منشده لاحب بالبيت الذى
انت هاجره   وانت بتلماح من الطرف زائره   فانك من بيت الى محبب واملح فى عينى
من البيت عامره   اصد حياء ان يلج بى الهوى وفيك المنى لولا عدو احاذره وفيك
حبيب النفس لو تستطيعه لمات الهوى   والشوق حين تجاوره   فان آته لم انج الا بظنة

وان بانه

وان بانه غيرى تنط بى جرائره وكان حبيب النفس للقلب واتر وكيف يحب القلب من
هو واتره   فان تمكن الاعداء احموا كلامه علينا فلن تحمى علينا مناظره   احبك يا سلمى
على غير ريبة ولا بأس فى حب تعف سرائره   ويا عاذلى لولا نفاسة حبها عليك لما
باليت انك خابره   بنفسى من لابد انى هاجره ومن انا فى الميسور والعسر ذاكره و
من قد لحاه الناس حتى اتقاهم ببغضى الا ما تجن ضمائره   احبك حباً لن اعنف بعده محبا
ولكنى اذا ليم عاذره   لقد مات قبلى اول الحب فانقضى ولو مت اضحى الحب قد مات
آخره   كلامك يا سلمى وان قل نافعى فلا تحسبى انى وان قل حاقره   الا لا ابالى اى
احى تحملوا اذا تمد البرقاء لم يحل حاضره   وانشد ابن الاعرابى للحسين بن مطير لعمرك
للبيت الذى لانطوره احب الينا من بلاد نطورها   تقلبت فى الاخوان حتى عرفتهم
ولا يعرف الاخوان الا خبيرها   ولا اصرم الخلان حتى يصارموا وحتى يسير واسيرة
لا اسيرها فانك بعد الشر ما انت واجد خليلا مديما شيمة لايديرها معنى
يديرها يقلبها تارة ههنا وتارة ههنا   وانك فى غير الاخلاء عالم بيان التى
يخفى عليك ضميرها   فلا تك مغرورا بمسحة صاحب من الود لاتدرى علام مصيرها
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها   وقد تغدر الدنيا
فيضحى غنيها فقيرا ويغنى بعد بوس فقيرها   وكاين ترى من حال دنيا تغيرت وحالت
صفا بعد ما كدر ادغديرها   ومن طامع فى حاجة لن ينالها ومن يائس منها اتاه بشيرها
ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل مطيعاً لها فى فعل شئ يضيرها فنفسك اكرم عن
امور كثيرة فمالك نفس بعدها تستعيرها   قال المرتضى قدس الله روحه ولى
فى معنى قول ابن مطير   وقد تغدر الدنيا   والبيت الذى بعده من جملة قصيدة
وكنت انس بالدنيا ولست ادرى الا امرأ تعرى من عواديها نصبوا اليها با
مال محببة كانتا ما نرى عقبى امانيها فى وحشة الدار ممن كان يسكنها كل اعتبار
لمن قد ظل باويها   لاتكذبن فما قلبى لها وصلنا وقد رأيت طلولا من مغانيها
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال انشدنا على بن سليمن الاخفش قال انشدنا

احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير لقد كنت جلدا قبل ان توقد النوى على كبدي نارا
بطيئا خمودها ولو تركت نار الهوى لتصرمت ولكن شوقا كل يوم يزيدها وقد كنت
ارجو ان تموت صبابتي اذا قدمت اياما وعهودها فقد جعلت في حبة القلب والحشا
عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها بمرتجة الارداف هيف خصورها عذاب ثناياها
عجاف قيودها يعني انها عجاف اللثات واصول الاسنان هي قيودها وقال ابو العباس
ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من الثنايا
محضرة الاوساط زانت عقودها باحسن مما زينتها عقودها وصفر تراقيها وحمر
اكفها وسود نواصيها وبيض خدودها وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة
اكفها من الخضاب تمنيننا حتى ترف قلوبنا رفيف الخزامى بات طل يجودها اخذ قوله
محضرة الاوساط من قول مالك بن اسماء بن خارجة وتزيدين اطيب الطيب طيبا
ان تمسيه اين مثلك اينا واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا وقد
روى ابو تمام الطائي في الحماسة بعض الابيات التي ذكرناها للحسين بن مطير وروى
له ايضا ويشبه ان يكون الجميع من قصيدة واحدة وكنت اذود العين ان ترد البكا
فقد وردت ما كنت عنه اذودها خليلي ما بال لعيشي عتب لو اننا وجدنا لايام
الصبى من يعيدها وروى ابو تمام ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها للحسين
بن مطير ولي نظرة بعد الصد ود من الجوى كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها هل الله
عاف عن ذنوب تسلفت ام الله ان لم يعف عنها معيدها وانشد ابو محلم لابن مطير
قضى الله يا اسماء ان لست بارحا احبك حتى يغمض العين مغمض وحبك بلوى غير
ان لا يسرني وان كان داء انني لك مبغض اذا انا رضت النفس في حب غيرها اتى
حبها من دونها يتعرض فيا ليتني اقرضت غيري صبابتي واقرضني صبرا على الشوق
مقرض ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة
واعرض حتى يحسب الناس انما بي الهجر لاها الله ما بي لك الهجر ولكن اروض النفس انظر
هل لها اذا فارقت يوما احبتها صبر ومن قول نصيب واني لاستحيي كثيرا واتقي عيونا

واستبقي المودة بالهجر وانذر بالهجران نفسي اروضها لتعلم عند الهجر هل لي من صبر
ويشبه ان يكون اخذ قوله فيا ليتني اقرضت جلدا مأخوذا من قول بعض العرب رق قلبه
البرق اللألئ رسبت بجنب الحمى وهنا فكاد يهيم فهل من معير طرف عين خلية فانسان عين
العامري كليم وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح ابى الناس ويب الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة
بصحيح واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال من ذا يعيرك عينه تبكي بها ارأيت
عينا للبكاء تعار واخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت
بن المزرع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعي فانشده رجل ابيات دعبل
اين الشباب وأية سلكا لا اين يطلب ضل بل هلكا لا تعجبي يا سلم من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى يا سلم ما بالشيب منقصة لا سوقة يبقي ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر وجد السبيل اليه مشتركا يا ليت شعري كيف نومكما
يا صاحبي اذا دمي سفكا لا تأخذا بظلامتي احدا قلبي وطرفي في دمي اشتركا قال
فاستحسنها كل من كان في المجلس واكثر التعجب من قوله ضحك المشيب برأسه فبكى
فقال الاصمعي انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدي حيث يقول اين اهل القباب
بالدهناء اين جيراننا على الاحساء جاورونا والارض ملبسة نور الاقاحي تجاد
بالانواء كل يوم عن الحوان جديد يضحك الارض من بكاء السماء وقد اخذه مسلم
صريع الغواني في قوله مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب قال المرتضى
قدس الله روحه ولابي الجناء نصيب الاصغر مثل هذا المعنى وهو قوله فبكى الغمام
به فاصبح روضه جذلان يضحك بالجميم ويزهو ولابن المعتز مثله لجت عليه كل طخياء
ديمة اذا ما بكت اجفانها ضحك الزهر ولابن دريد مثله تبسم المزن وانهلت مدامعه
فاضحك الروض دمع الضاحك الباكي وغازل الشمس نور ظل يلحظها بعين مستعبر
بالدمع ضحاك وروى عن ابي العباس المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض
من بكاء السماء من قول دكين الراجز جن النبات في ذراها وزكا وضحك المزن به حتى

بكا **مجلس آخر تاويل آية** ان سال سايل عن قوله عز وجل فاما الذين فى قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب **الجواب** قلنا
قد ذكر فى هذه الاية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون الراسخون فى العلم
معطوفين على اسم الله تعالى فكانه قال وما يعلم تأويله الا الله والراسخون
فى العلم وانهم مع علمهم به يقولون امنا به فوقع قوله يقولون امنا به موقع الحال
والمعنى انهم يعلمونه قائلين امنا به كل من عند ربنا وهذا غاية المدحة لهم لانهم اذا علموا
ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم
باداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على
الاول وتقديره ان يكون قوله يقولون امنا به على هذا التأويل لا ابتداء له قوله
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر
جملا ثم تلاها بالتفضيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله انك
رؤف رحيم وقال فى الذين تبوء الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة وقال فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وهذه الايات تدل على انه لا ينكر فى آية الراسخين فى العلم
ان يكون قوله تعالى يقولون امنا حالا لهم مع العلم بتأويل المتشابه ولو اشكل
شئ من ذلك لما اشكل قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا فى انه
موافق لقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به فان الصورتين واحدة
ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ فى عبد له كان يسمى بردا باعه
ثم ندم على بيعه وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه هامة تدعو صدى
بين المشقر فاليمامه الريح تبكى شجوه والبرق يلمع فى الغمامه فعطف البرق على

الريح ثم اتبعه بقوله يلمع كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا فى غمامه اى فى حال
لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة
ويمكن ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه
لهم ان يكون قوله يقولون آمنا به استينافا فجملة استغنى فيه عن حرف
العطف كما استغنى فى قوله تعالى سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما الجملة
الثانية فيه التباس بالجملة الاولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف
العطف كان حسنا ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثانى فى الاية ان يكون
قوله والراسخون فى العلم مستأنفا غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر عنهم بانهم يقولون
آمنا به ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لانه قد يسمى تأويلا قال الله تعالى
هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله والمراد بذلك لا محالة المتأول والمتأول الذى
لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب
والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغاير الى غير ذلك فكانه قال وما يعلم تأويل
جميعه على المعنى الذى ذكرناه الا الله والعلماء يقولون امنا به وقد اختار ابو على الجبائى
هذا الوجه وقواه وضعف الاول بان قال قول الراسخين فى العلم امنا به كل من عند
ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لا يعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولان
ما ذكره من وقت القيمة ومن التمييز بين الصغاير والكباير هو من تأويل القرآن
اذا كان داخلا فى خبر الله والراسخون فى العلم لا يعلمون ذلك وليس الذى ذكره بشئ
لانه لا يمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه امنا به على الوجه الذى قدمنا ذكره
فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك الا مع فقد العلم به وما المنكر من ان يظهر الانسان
بلسانه الايمان مما يعلمه ويتحققه فاما قوله ولان ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك
انما يكون تأويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على المتأول لا على الفائدة والمعنى
فاما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته الا الله فلا بد من دخول العلماء
فيه وليس يمكنه ان يقول ان حمل التأويل على المتأول اظهر من حمله على المعنى والفائدة

لانّ الامر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر فى الاستعمال واشبه بالحقيقة
على انه لو قيل ان الجواب الاوّل اقوى من الثانى لكان اولى من قوله من قبل انه لو كان المراد
بالتأويل المتأوّل لا القائرة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لانّ
فى متأوّل المحكم كاخبارة عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة فى كونه محكماً ما لا
يعرف تفصيله ولا كنهه الّا الله فاىّ معنىً لتخصيص المتشابه والكلام يقتضى توجهه
نحو المتشابه الاتى الى قوله فامّا الذين فى قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فخصّ المتشابه بالذكر والاولى ايضاً ان يكون
المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الاولى وقد علمنا ان الذين
فى قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الّذى هو
متأوّله فالوجه الاولى اقوى وارجح ويمكن فى الاية وجه ثالث لم يذكرهم ذكره
على ان يكون قوله والرّاسخون فى العلم مستأنفا غير معطوف ويكون المعنى وما
يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الّا الله وهذا واضح صحيح لانّ اكثر
المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحقّ الموافقة لادلّة العقول فيذكر المتأوّل
جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لانّ الّذى يلزم فى مثل ذلك ان يعلم
فى الجملة انه لم يرد من المعنى ما يخالف الادلة وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة
المتساوية فى الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا ان نعلم المراد بعينه وهذا مثل
الضلال والهدى اللّذين تبيّن احتمالهما الوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على
انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحقّ فنعلم فى الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم
المراد منها بعينه وغير هذا من الآى المتشابهة فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل
منها يختصّ بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والرّاسخون
فى العلم يقولون امنّا به اى صدّقنا بما نعلمه مفصّلا ومجملاً من المحكم والمتشابه
وانّ الكلّ من عند ربنا وهذا ايضاً وجه واضح اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى
قال اخبرنى محمد بن ابى الازهر قال انشدنا محمد بن يزيد لابى حية النميرى وهى ابيات

مختارة وخبرك الواشون الّا احبّكم بلى وستور الله ذات المحارم اصدّ وما الصّدّ
الّذى تعرفينه عزاء بنا الّا اجتراع العلاقم حياء وبقيا ان تشيع بيمة بنا وبكم اف
لاهل النمائم وانّ دما لو تعلمين جنيته على الحى جانى مثله غير سالم اما انه لو كان غيرك
ارقلت صعاد القنى بالرّاعقات اللهاذم ولكنه والله ما ظلّ مسلماً كبيض الثّنايا
واضحات الملاغم قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض
وقوله ما ظلّ مسلما اى ما ابطل دمه اذا هنّ ساقطن الحديث حسبته سقوط
حصى المرجان من سلك ناظم ويروى ساقطن الاحاديث للفتى ويروى ايضاً
ساقطن الحديث كانه رمين فاقصدن القلوب فلا ترى دماً مائراً الا جوى فى
الحيازم قال السيد قدّس الله روحه ومن مستحسن ما مضى فى هذه القصيدة قوله
كانّ لم ابرح بالغيور واقتل بتفتير ابصار الصّحاح السقائم ولم الد بالحدث الالف
الذى له غدائر لم يجرين فار اللطائم اذا اللهو يطبينى واذا استميله بجلولك العودين
وحف المقادم واذ انا منقاد لكل مقوّد الى اللهو حلّاف البطالات اثم ودوى ابن حبيب
مقوّد ومعنى حلّاف البطالات اثم اى حلّاف فى البطالات مهين المطايا متلف
عبرانى على ردّ ما اتلفته غير نادم ادى خير يومىّ الخسيس وان غلا بى اللوم لم احفل
ملامة لائم معنى خير يومىّ للخسيس اى اخبّ يومىّ الى الّذى هو اخسّ عند اهل
الرّاى والعقل وانشد ابو اسحق ابرهيم بن سفيان الزّيادى لابى حيّة وقال
اسمه هيثم بن الربيع ترحّل بالشباب الشّيب عنّا فليت الشيب كان به الرّحيل وقد كان
الشباب لنا خليلاً فقد قضّى مآربه الخليل لعمر ابى الشباب لقد تولّى حميدا ما يراد به
بديل اذ الايام مقبلة علينا وظلّ اراكة الدنيا ظليل وانشد المبرد قال
انشدنا ابو عثمان المازنى لابى حيّة زمان الصّبا ليت ايامنا رجعن لنا الصالحات
القصار زمان على غراف فطيّره الدهر عنّى فطارا فلا يبعد الله ذاك الغراب
وان هو لم يبق الا ادكاراً كان الشباب ولذّاته وريق الصبى كان ثوباً معاراً
ريق الصبى وريقه ورونقه اوّله وها زبة ان رايت لمتى تلفّع شيت بهما

فاستدار وقلدني منه بعد الحظام عذارا فما استطيع اعتذارا اجارتنا ان ريب الزمان قبلي نال الرجال الخيارا فاما ترى المنى هكذا فاسرعت منها الشيب النفارا فقد ارتدي وحفة ظلة وقد ابرز الفتيات الخفارا اما قوله وكان على غراب علاه فادبر الشباب والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول الاعشى وما طلابك شيئا لست مدركه ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا ولابي حية من قصيدة اولها الا يا سلمى اطلال جنساء وانعمى وخنساء مخماص الوشاحين مشبها الى الروح افنا رخطى المتجشم الا يا سلمى قبل ان ترمى النوى بنافذة تنض الفواد المتيم يقف عاشق لم يبق من روح نفسه ولا عقله المسلوب غير التوهم فقلن لها سرا فدينك لا يرح صحيحا وان لم تقتليه فالممى فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد ولقوله فقلن لها سرا فدينك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لابي الحسين القسم ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى ابن روميك هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فراه مضطرب العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول عتب ولا يفكر في عاقبة فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يا بني اني لم ارد باخراجك لطرده فاستعمل فيه بيت ابي حية النميري فقلن لها سرا فدينك لا يرح سليما والا تقتليه فالممي فحدث القسم ابن فراس بما جرى وكان اعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يغتال حتى يستراح منه وانا اكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات قال

الباقطاني

قطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول ابي حية رمتني وستر الله بيني وبينها عشية ارام الكناس رميم الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم قال المرتضى قدس الله روحه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني واصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح واما الاستعانة فهو ان تدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه لتصحح نظما او وزنا قال ومما يحتنا من قول ابي حية ايضا الا حي من اجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن الليا ليا اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية لقد طال ما عنيت راحلة الصبي وعلت شيطان الغوى المشوق وداويت قرح القلب منهن بالمنى وباللحظ لو يبذلنه المتسرق وسقينني كاس الهوى وسقيتها رقاق الثنايا عذبة المترقرق وخمصانة تفتر عن متنضد كنور الاقاحي طيب المتذوق ويروي عن متنسق يعني ثغرا على نسق واحد لا اختلاف فيه اذا مضغت بعد امتناع من الضحى انابيب من عود الاراك المخلق سقت شعث المسواك ماء غمامة فضيضا بخرطوم المدام المروق الامتناع الارتفاع يقال متع النهار وامتع اذا طال والمخلق الذي علق به الخلوق والطيب مزيدها وقال بعضهم عنى بالمخلق المملس والفضيض الذي حين سال من الغمامة اي كما فض والخرطوم سلاف الخمر وهو اول ما يخرج من غير عصر ولا دوس وان دقت فاها بعد ما سقط الندى بعطفي بخنداة رداح المنطق البخنداة الضخمة والرداح العظيمة الارداف شممت العرار الطل غب هميمة ونور الخزامى في الندى المتروق العرار بهار البرية والطل الغض الطري والهميمة مطر لين واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن هرون بن علي قال سمعت ابي وقد ذكر قول ابي حية نظرت

قوف

كانی من وراء زجاجة الی الدار من فرط الصبابة انظر فعینای طوراً تغرقان من
البکا فاعشی وطوراً تحسران فابصر فقال لو اعترضنی مملک یجب طاعته ویلزم
الانقیاد لامره فقال ای شعر اجود واولی بان یستحسن ولم یفسح لی فی ان امیز
المدح من الفخر والهجاء من التشبیه وسائر اصناف الشعر ومذاهب الشعراء فیه
لما عدلت عن هذین البیتین ویقال ان ابا احمد عبید الله بن عبد الله بن طاهر
اجاز بیتی ابی حیة هذین بقوله فلا مقلتی من غامر الماء تنجلی ولا دمعتی من مکمد
الوجد تقطر ولابی حیة من المبکیات الجلد حتی کانما یسح بعینیه الدموع شعیب
الشعیب مزادة من ادیمین یشعب احدهما بالآخر لبالی اهلا نا جمیعا وحولنا
سوائم منها رائح وغریب واذ یجتنین الذنوب وما لنا الیهن الا ودهن ذنوب ولابی
حیة اصد عن البیت الحبیب واننی لاصغی الی البیت الذی اتجنب ازور بیوتا
غیره ولا اهله علی ما عدی عنهم اعز واقرب وقطع اسباب المودة معشر غضاب
وهل فی احسن القول مغضب وان لاتنی یا ام عمرو نمیمة تدب بها بینی وبینک عقرب
وما بیننا لو انه کان عالما بذاک الا الی یولون ما یترتب حدیث اذا لم تخش عینا کانه
اذا ساقطته الشهد بل هو اطیب لو انک تستشفی به بعد سکرة من الموت کادت
سکرة الموت تذهب وقلت لها ما تامرین فاننی اری البین ادنی روعة تترقب
قال محمد بن یحیی الصولی ولا احسبه فی قوله لو انک تستشفی به بعد سکرة الا تبع قول
توبة بن الحمیر ولو ان لیلی الاخیلیة سلمت علی ودونی تربة وصفائح لسلمت
تسلیم البشاشة او زقا الیها صدی من جانب القبر صائح قال المرتضی قدس
الله روحه واول من سبق الی هذا المعنی فاحسن الاعشی فی قوله عهدی بها
فی الحی قد درعت صفراء مثل المهرة الضامر لو اسندت میتا الی نحرها عاش
ولم ینقل الی قابر حتی یقول الناس مما راوا یا عجبا للمیت الناشر ومعنی الناشر
المنشور یقال انشر الله المیت فنشر فهو ناشر بمعنی منشور مثل ماء دافق
بمعنی مدفوق وقال بعض اصحاب المعانی ان الجاریة التی وصفها ایضا

میتة

میتة بمعنی انها ستموت کما قال تعالی انک میت وانهم میتون ای ستموت فیکون
المعنی ان الناس عجبوا من ان یکون من یموت ینشر الموتی ومن قال هذا اجاز
نشر الله الموتی بمعنی انشر والقول الاول اظهر وما نظن الاعشی عنی غیره

مجلس آخر تأویل آیة ان سال سائل عن قوله عز وجل حاکیا عن یوسف علیه السلام
لا تثریب علیکم الیوم یغفر الله لکم وهو ارحم الراحمین فقال لم خص الیوم بالقول
وانما اراد لعفوه عنهم فی جمیع مستقبل اوقاتهم الجواب قلنا فی هذه الآیة وجوه
اربعة اولها انه لما کان هذا الوقت الذی اشار الیه هو اول اوقات التی کشف
فیها نفسه واطلعهم علی ما کان یستره عنهم من امره اشار الی الوقت الذی لو اراد
الانتقام لابتدأ فیه والذی متی عفا فیه عنهم لم یرجع الانتقام وثانیها ان یوسف
علیه السلام لما قدم توبیخهم وعدد علیهم قبیح ما فعلوه وعظیم ما ارتکبوه وهو مع
ذلک یستره عنهم نفسه ولا یفصح لهم بحاله قال لهم عند تبین امرهم لا تثریب علیکم الیوم
ای قد انقطع عنکم توبیخی ومضی عذلی ولا یمتد عنا عتابکم بالذنب فکان ذکر الیوم
دلالة علی انقطاع المعاتبة والتوبیخ وعلی ان الاوقات المتصلة بالیوم تجری مجراه
فی زوال الغضب وتمام العفو وسقوط المؤاخذة لهم علی ما سلف منهم وثالثها
ان ذکر الیوم المراد به الزمان والحین فوضع الیوم موضع الزمان کله المشتمل علی
اللیالی والایام والشهور والسنین کما یقول العربی لغیره قد کنت تستحسن شرب
الخمر فالیوم قد وقفت لترکها ومقتها یرید فی هذا الزمان ولا یرید یوما واحدا
بعینه ومثله قد کنت تقصر فی الجواب عن فنون العلم فالیوم ما تعجزک مسألة ولا تقف
عن مشکلة یرید بالیوم باقی الزمان کله وقال امرؤ القیس حلت لی الخمر وکنت امرأ
عن شربها فی شغل شاغل فالیوم فاشرب غیر مستحقب اثما من الله ولا واغل ولم
یقصد یوما بعینه ومثله الیوم یرحمنا من کان یغبطنا والیوم نتبع من کانوا لنا تبعا
وقال لبید وما الناس الا کالدیار واهلها بها یوم حلوها وغدوا بلاقع کل
ذلک لا یراد بذکر الیوم او الغد فیه الا جمیع الاوقات المستقبلة ورابعها ان یکون

المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان
المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب
ما قبله فاما معنى التثريب فان اباعبيدة قال معناه لا تشعب ولا معاقبة
ولا افساد قال الشاعر فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم
سرمد وقال ابو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه
وقال ابو مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو الجوف فكانه موضوع
للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى ابعد غاياتها تأويل خبر روى ابو عبيد
القسم ابن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد
عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب الزمارة
وقال ابو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الاخر انه نهى عن
كسب البغي قال ابو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج
اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون اماءهم على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قال فالعرض هو كسب البغي
الذي نهى النبي صلى الله عليه وآله عنه قال ابو عبيد ولا اعلم مم اخذت الزمارة
غير اني وجدتها في الحديث مفسرة وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكره ابو عبيد الا ما انكر
على من زعم انها الرمازة لان الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز اي بعينيها
وحاجبيها وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز بالشفتين ومن قول الله تعالى آيتك
الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار اسما
لها او كالاسم ولذلك قيل لها هلوك لانها تتهالك على الفراش اي على الرجل ثم
صار اسما لها دون غيرها من النساء وان تهالكت على زوجها وقيل لها حزبع لليتها
وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وان لانت وتثنت ونحوه قولهم
للبعير اعلم للشق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب ازل للزمع
ثم صار كالاسم له والمريب لا تكاد تعلن الكلام وانما تومض او ترمز او تصفر

قال الشاعر رمزت الي مخافة من بعلها من غير ان تبدي واهناك كلامها وقال الاخطل
احاديث سداها ابن حدراء فرقد ورمازة مالت لمن يستميلها وقال الراجز يومين
بالاعين والحواجب ايماض برق في عماء ناصب والعماء السحاب والناضب البعيد
وقال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو السعال قال واحسبه اراد انها
تتنحنح او تسعل ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن
من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف من كل شيء فاما الاصمعي فانه قال الصافر
ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا ارى القول
الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي ارجوا لكم ان تكونوا
في اخائكم كلبا كورهاء تقلي كل صفار لما اجابت صفيرا كان آيتها من قابس شيط
الوجعاء بالنار وهذه امرأة يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به وصفر لها فانته
فشيطها بميسم فلما اعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففنا واطرحنا كل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري والاختيار عندي الزمارة
معجمة الزاء على ما قال ابو عبيد لحجج ثلث احديهن اجماع اصحاب الحديث على الزمارة والحجة
الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن
قال عمرو بن احمر الباهلي يصف شرابا وغناء دنان حنانان بينهما رجل اجش غناؤه
زمر قال الاصمعي معناه غناؤه حسن كانه من مزامير داود والحجة الثالثة انهم سموا
الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قول العرب نعجة زمرة اذا كانت قليلة
الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر مطلنفئا لون الحصا
لونه يحجو عنه الزور ريش زمر المطلنفئ اللاصق بالارض والذر النمل والزمر القليل
فسميت البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشانها كما قيل لها فاجرة لميلها
عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال قال لبيد فان تتقدم تغش منها مقدما غليظا
وان اخرت فالكفل فاجر اي مائل والكفل كساء يوضع على ظهر البعير يوفي من العرق
قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولا ارى لاحدى الروايتين على الاخرى رجحانا

لان كل واحدة منهما قدات من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج فى اللغة وتاويل
يرجع الى معنى واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها الى ما ذكر
ابن قتيبة الى معنى التجود ومن رواها بالزاء المعجمة فالمرجع فى معناها الى ذلك
ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانبارى فالاولى ان يثبتا متساويين
ويكون الراوى مخيرا فيهما اخبرنا المرزبانى قال انشدنى محمد بن احمد الكاتب قال
انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابى للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن
ابى سلمى وما زلت ارجوا نفع سلمى وودها وتبعد حتى ابيض منى المسايح
وحتى رأيت الشخص يزداد مثله اليد وحتى نصف راسى واضح علا حاجبى
الشيب حتى كانه ظباء جرت منها سنيح وبارح وهزة اظعان عليهن بهجة
طلبت وريعان الصبى بى جامح فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان
من هو ماسح اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطى الاباطح
وشدت على حدب المهارى رحالها ولا ينظر الغادى الذى هو رائح فقلنا
على الحوص المراسيل وارتمت بهن الصحارى والصفاح الصحاصح وانشد ابن
الاعرابى تصدت بعينى شادن وتبسمت بجاء عن غرلهن غروب جرى الاسحل
الاحوى عليهن اوجرى عليهن من فرع الاراك قضيب اخبرنى ابو الحسن على بن محمد
الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال نا محمد بن الحسن البلعى قال حدثنا ابو حاتم
قال سمعت الاصمعى يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فقلت له هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن حزام العذرى لعفراء
ارانى تعرونى لذكراك روعة لها بين جلدى والعظام دبيب وما هو الا ان اراها فجاة
فابهت حتى لا اكاد اجيب واصرف عن رأى الذى كنت ارتائى ويعزب عنى علمه
ويغيب ويضمر قلبى عذرها ويعينها على فمالى فى الفؤاد نصيب فقال له الرشيد
من قال هذا وهما فى بى اقوله علما ولله درك يا اصمعى فانى اجد عندك ما يضل
عنا العلماء قال الصولى فاخذه العباس بن الاحنف فقال يهيم بحران الجزيرة قلبه
وفيها غزال فاتر الطرف ساحر يوازره قلبى على وليس لى يدان بمن قلبى على يوازره
واشار اليه ايضا فى قوله قلبى الى ما ضرنى داعى يكثر احزانى واوجاعى كيف احتراسى
من عدوى اذا كان عدوى بين اضلاعى واخذه سهل بن هرون الكاتب فقال
اعان طرفى على جسمى واعضائى بنظرة وقفت جسمى على دائى وكنت غرا بما تجنى على يدى
لا علم لى ان بعضى بعض اعدائى وقال البحترى ولست اعجب من عصيان قلبك لى يوما انا
كان قلبى فيك يعصينى وروى ابو عكرمة الضبى عن مسعود ابن بشر المازنى قال
قال لنا الاصمعى يوما ما احسن ما قيل فى صفة امراة عجزاء خميصة فانشد قول
الاعشى صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة اذا تاتى يكاد الخصر ينخزل وانشد قول
علقمة بن عبدة صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كانها رشا فى البيت ملزوم وانشد
قول ذى الرمة ترى خلقها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج اوينمرمر فقال
احسن ما قيل فيه قول ابى وجزة السعدى ادماء فى ضخ يكاد رداءها يقوى وتشبع
ما احب ازارها قال ابو عكرمة ومثله قول الحرث بن خالد المخزومى غرثان سمط وشاحها
قلق ريان من اردافها المرط واخبرنا المرزبانى قال نا محمد بن ابرهيم قال حدثنا ابو العيناء
قال حدثنا الاصمعى قال لما مات محمد بن سليمان بن على الهاشمى دخلت على اخيه جعفر ابن
سليمان وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلثا فانشدته لابن اذاكة الثقفى لعمرو
لئن ابتعت عينك ما مضى من الدهر او ساق الحمام الى القبر لتستنفدن ماء الشؤن باسرها
ولو كنت تمريهن من ثبج البحر فقلت لعبد الله اذ حن باكيا تعز وماء العين منهمر يجرى
تبين فان كان البكا ردها لكا على احد فاجهد بكاك على عمرو ولا تبك ميتا بعد احمد
على وعباس وال ابى بكر قال فامر فجئ بالطعام فاكل من ساعته قوله حن باكيا معناه
رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين بالخاء معجمة من الانف والحنين من الصدر
وهو صوت يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال سمعت التوزى يقول دخلنا مع الاصمعى الى اسمعيل
بن جعفر ليلة فى حاجة فانشده الاصمعى ابيات ابن هرمة اتيناك نرجوا حاجة ووسيلة

لديك وقد تخطى لديك الوسائل ونذكرو ذا شده الله بيننا على الدهر لم تذبب اليه
الفوائل فاقسم ما اكبأ زناد ك قادح ولا اكذبت فيك الرجاء القوابل ولا رجعت
ذا حاجة عندك علة ولا عاق خيراً عاجلاً منك آجل ولا لام فيك الباذل
الوجد نفسه ولا احتكمت في الجود منك المباخل لم يزد هذه الابيات فقضى
حاجته واجاب مسئلته قال السيد المرتضى قدس الله روحه ويشبه
ان يكون ابن هرمة اخذ قوله ولا اكذبت فيك الرجاء القوابل من قول الحزين
الكناني في زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فلما نودي بالحمائل واشتدّ بصول
باطراف القنا الذوابل تبينت الاعداء ان سنانه يطيل حنين الامهات الثواكل
تبين فيه ميسم العز والتقى وليداً يفدى بين ايدى القوابل واخبرنا علي بن محمد
الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا
ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي الرشيد يوماً يا اصمعي اتعرف للعرب اعتذاراً او ندماً
ودع النابغة فانه يحتج ويعتذر فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي خازم الاسدي
فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امه وكانت
ذات رأي والله لا يمحو هجاءه لك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر اني
على ما كان مني لنادم واني الى اوس بن لام لتائب واني الى اوس ليقبل توبتي
ويعرف ودّي ما حييت لراغب فهب لي حياتي فالحياة لقائم بشكرك فيها خير ما
انت واهب ساحمو بمدح فيك اذ انا صادق كتاب هجاء سار اذ انا كاذب
فقال الرشيد الاصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال
حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال سمعت
بيتين لم احفل بهما ثم قلت هما على حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند
الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم
في بيت مال السرور فقال ما فيه شئ فقال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك
الرشيد واقبل على عيسى فقال والله لتعطين الاصمعي سلفاً على بيت مال السرور

الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين فانشدت
الرشيد اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا وجداه في الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما في يديه فانما يكشف اخبار الرجال الدراهم قال فتجلى عن الرشيد وقال
لمسرور اعطه على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت الالفين وما كان
البيتان يساويان عندي درهمين مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن
قوله تعالى خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون الجواب قيل له قد ذكر
في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها فاولها ان يكون
معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره
من الامور لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعاً او يدفع عنه ضرراً ولهم عادة في استعمال
مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم
وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما انت
الا اكل وشرب وما اشبه ذلك قالت الخنساء تصف بقرة ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار وانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال
والادبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل في موضع آخر وكان الانسان
عجولا ويطابقه ايضاً قوله تعالى فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان
من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات
من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين على التثبت و
التأيد وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام
قلباً والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدوا على ذلك بقوله سبحانه وقد
بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر وبقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة
والمعنى ان العصبة تنوء بها وبقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت
الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون
استوى الحرباء على العود وبقول الاعشى لمحقوقة ان تستجيبي لصوته وان تعلمي

ان المعان موفق يريد ان الموفق معان ويقول الآخر على العبادات هداجون
قد بلغت نجران او بلغت سواتهم هجر والمعنى ان السوآت هي التي بلغت هجر
ويقول خداش بن زهير وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر يريد تشقى الضياطرة بالرماح ويقول الآخر تمشي به عود النعاج كأنها
عذارى ملوك في بياض ثياب يريد في ثياب بياض ويقول الآخر حسرت
كفي عن السربال اخذه فردا يجر على ايد المفيديتا يريد حسرت السربال عن كفي
ويقول ابن احمر وجرد طار باطلها نسيلا واحدث قوها شعرا قصارا اراد
طار نسيلها باطلا ويقول الآخر وقسورة اكتافهم في قسيهم اذا ما مشوا
لا يغرون من النساء اراد قسيهم في اكتافهم ويقول الآخر وهن من الاخلاف
والولعان اي الاخلاف والولعان منهن ويبقى على صاحب هذا الجواب مع
التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على القلب ان يقال له وما المعنى والفائدة في
قوله عز وجل خلق الانسان من عجل اتريدون بذلك ان الله تعالى خلق
في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف تكون
مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهيهم عن الاستعجال في الآية فيقول
ساريكم اياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهيهم عما خلقه فيهم فان قالوا لم يرد انه
تعالى خلقها لكنه اراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها قيل لهم هذا
هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير وان كان
هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القسم
البلخي هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسأل نفسه عنه فقال كيف جاز
ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم قدرة
على مغالبة طباعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك
مأمور بالتثبت قادر على ان يجانب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح
وامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع منه وهذا الذي ذكره البلخي تصريح

بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له ويجب ايضا ان
يكون المراد بمن هاهنا في لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون
فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب اولا مجاز ثم هو من بعيد المجاز
وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من مقام في كذلك على انه تعالى اذا
نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل فلا تستعجلون اي معنى لتقديم قوله اني خلقت شهوة
العجلة فيهم او الطبع الداعي اليها على ما عبر به البلخي وهذا الى ان يكون عذرا لهم اقرب
منه الى ان يكون حجة عليهم وايسر الاحوال ان لا يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون
لتقديمه معنى وفي الجواب الاول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع
من غير اضافة له اليه عز وجل فالجواب الاول اوضح واصح وثالثها جواب روي
عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا
قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل يكون عبارة عن الضعف او عن معناه
ورابعها ما حكي ان ابا الحسن الاخفش اجاب به وهو ان يكون المراد به ان الانسان خلق
من تعجيل الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان
قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه
المطابقة انهم لما استعجلوا بالايات واستبطؤوها اعلمهم تعالى انه ممن لا يعجزه شيء اذا
اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤونة بان قال له كن فكان
مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل
ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان
العجل الطين فكانه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال في موضع آخر وبدأ خلق
الانسان واستشهد بقول الشاعر والنبع ينبت بين الصخر ضاحية والنخل ينبت
بين الماء والعجل ووجدنا قوما يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف
ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحماة ولم يستشهد
عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا له وقد رواه ثعلب

عن ابى الاعرابى وخالف فى شئ من الفاظه فرواه والنبع فى الصخرة الصماء منتبه
والنخل ينبت بين الماء والعجل واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين
قوله تعالى فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة
الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات او يكون المعنى انه
لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف ان يهزأ
برسل الله تعالى وآياته وشرايعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى يذكر آلهتكم وسادسها ان يكون
المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل اى فى سرعة من خلقه لانه لم يخلقه
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى ابتداء
وانشأه انشاء فكانه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة فى خلقه له وانه عز وجل يرى
عباده من آياته وبيناته اولا اولا ما يقتضيه مصالحهم وتستد عيه احوالهم
وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق بعد خلق كل شئ آخر نهار يوم
الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس وروى ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه
الروح وبلغت اعالى جسده ولم تبلغ اسافله قال رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس
وثامنها ما روى عن ابن عباس والسدى ان آدم عليه السلام لما خلق وجعلت
الروح فى اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب
فهذا معنى قوله خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلثة المتأخرة مبنية على ان
المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره قال السيد المرتضى قدس الله روحه
وانى لاستحسن لمسكين الدارمى قوله رب امور قد بريت لحاءها وقومت من بها
ثم رشتها اقيم بدار الحزم ما لم اهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها واصلح
جل المال حتى تخالنى شحيحا وان حق عرانى اهنتها ولست بولاج البيوت لفاقة
ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها ابيت عن الادلاج فى الحى ناعما وارض بادلاج
وهم قطعتها الا ايها الجارى سنيحا وبارحا تعرض نفسا لو اشاء قتلتها

تعارض فخر الفاخرين بعصبة ولو وضعت لى فى اناء اكلتها وان لنا ربعية المجد كلها
موات آباء كرام ورثتها اذا قصرت ايدى الرجال عن العلى مددت يدى باعا عليهم
تنلتها وداع دعانى للعلى فاجبته ودعوة باغ فى الصديق خذلتها ومكرمة كانت
رعاية والدى فعلمنيها والدى ففعلتها وعوراء من قبل امرئ ذى قرابة
تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها رجاء غدا ان تعطف الرحم بيننا ومظلمة منه
بجنبى عركتها اذا ما امور الناس رثت وضيعت وجدت امورى كلها قدر ممنها
وانى سالقى الله لم ارم حرة ولم تمنى يوم ستر فخنتها ولا قاذف نفسى ونفسى
بريئة وكيف اعتذارى بعد ما قد قذفتها اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال
انا ابو ذر القراطيسى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا قال حدثنا عبد
الرحمن بن صالح الازدى ان رجلا من الانصار حدثه قال قال مسكين الدارمى
ولست اذا ما سرنى الدهر ضاحكا ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر ولا ما علا
عرضى لمالى وقاية ولكن اقى عرضى فيحرز وفرى اعف لدى عسرى وابدى
تجملا ولا خير فيمن لا يعف لدى العسرى وانى لاستحيى اذا كنت معسرا صديقى
واخوانى بان يعلموا فقرى واقطع اخوانى وما حال عهدهم حياء واعراضا وما بى
من كبر فان يك عارا ما اتيت فربما اتى المرء يوم السوء من حيث لا يدرى ومن يفتقر
يعلم مكان صديقه ومن يحى لا يعدم بلاء من الدهر ومن مستحسن قوله ان ادع
مسكينا فما قصرت قدرى ببيوت الحى والجدر وقيل ان مسكينا ليس باسمه وان
اسمه ربيعة وانما سمى بذلك لقوله وسميت مسكينا وكانت لجاجة وانى لمسكين
الى الله راغب ومعنى قصرت قدرى اى سترت يريد انها بارزة لا يحجبها
الستائر والحيطان ما مس رحلى العنكبوت ولا جدياته من وضعه عنه هذه كناية
مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لان العنكبوت انما تنسج على ما لا تناله الايدى
ولا يكثر استعماله والجدبات جمع جدية وهى باطن دفة الرحل لا اخذ الصبيان
التمهم والامر قد يغرى بالامر يقول لا اقبل الصبى وانا اريد التعريض بامه ومثله

لغيره ولا التي لذي الودعات سوطي لاعبه وربته اريد وانشد ابن الاعرابي شلد
اذا رأيت صبي القوم يلثمه ضخم المناكب لا عم ولا خال فاحفظ صبيك منه ان يدنيه
ولا يغرنك يوما قلة المال رجع الى تمام القصيدة ولرب امر قد تركت وما بيني وبين
لقائه ستر ومخاصم قاومت في كبد مثل الدهان فكان لي العذر ما علتي قومي بنو
عدس وهم الملوك وخالي البشر عمي زرارة عنه منتخل وابي الذي حدثته عمرو
في المجد غرتنا مبينة للناظرين كانها البدر لا يرهب الجيران غدرتنا حتى
يواري ذكرنا القبر لسنا كاقوام اذا كلحت احدى السنين فجارهم تمر
مولاهم لحم على وضم تنتابه العقبان والنسر ناري ونار الجار واحدة واليه
قبلي تنزل القدر يقال انه كانت له امرأة تماضر فلما قال ذلك قالت له اجل
انما ناره ونارك واحدة لانها اوقدت ولم توقد والقدر تنزل اليه قبلك لانه
طبخ ولم تطبخ وانت تستطعمه ما ضر جاري ان اجاوره ان لا يكون لبيته
ستر قال ويقال انها قالت له في هذا البيت ايضا اجل ان كان له ستر هتكته
اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما
سمعي وما بي غيره وقر وانشد عمر بن شبة لمسكين ايضا لا تجعليني كاقوام
علمتهم لم يظلموا لبنة يوما ولا ودجا اني لاغلاهم باللحم قد علموا نيا وارخصهم
باللحم ان نضجا انا ابن قاتل جوع القوم قد علموا اذا السماء كست آفاقها
رهجا يا رب امرين قد فرجت بينهما اذا هما نشبا في الصدر واعتلجا اديم
خلقي لمن دامت خليقته وامزج الحلو احيانا لمن مزجا واقطع الخرق بالخرقاء
لاهية اذا الكواكب كانت في الدجا سرجا ما انزل الله من امر فاكرهه الا
سيجعل له من بعده فرجا ما مد قوم بايديهم الى شرف الا رأونا قياما فوقهم
درجا وانشد ابو العباس ثعلب للضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب
عندي والمكان جديب وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم
خصيب وروى ثعلب لحاتم في لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه

غزال مقنع احدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع ومعنى
احدثه ان الحديث من القرى اي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض
بمحادثته فاكون قد محقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى وقال الاصمعي
احسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي الا ايها الغائر المستشيط علام تغار
اذا لم تغر فما خير عرس اذا خفتها وما خير بيت اذا لم يزر تغار على الناس ان ينظروا
وهل يفتن الصالحات النظر فاني ساخلي لها بينها فتحفظ لي نفسها او تذر
اذا الله لم يعطه ودها فلن يعطي الود سوط ممر ومن ذا يراعي له عرسه اذا
ضمه والمطي السفر وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله
واني امرؤ لا آلف البيت قاعدا الى جنب عرسي لا افرطها شبرا ولا مقسم لا ابرح
الدهر بيتها لاجعله قبل الممات لها قبرا اذا هي لم تحصن امام فنائها فليس
بمنجيها بنائي لها قصرا ولا حاملي ظني ولا قيل قائل على غيرة حتى احيط بها خبرا
فهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا وانشد
ابو العباس عن ابي العالية لمسكين ما احسن الغيرة في حينها واقبح الغيرة في كل
حين من لم يزل متهما عرسه مناصبا فيها لرجم الظنون يوشك ان يغريها بالذي
يخاف او ينصبها للعيون حسبك من تحصينها ضمها منك الى خلق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة فيتبع المقرون حبل القرين مجلس آخر تأويل آية
ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به
وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من ان يوسف عليه
السلام عزم على المعصية وارادها وانه جلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك
بان رأى صورة ابيه يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه متوعدا له على مواقعة
المعصية او بان نودي بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث الجواب قلنا
اذا ثبت بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات ان المعاصي

لا يجوز على الانبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب
او سنة الى ما يطابق الادلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا
لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه ولا يجوز ولهذه الآية وجوه
من التأويل كل واحد منها يقتضي براءة نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة
المعصية اولها ان الهم في ظاهر الآية متعلق بما لا يصح ان يتعلق به العزم والارادة
على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز ان تراد
او يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق
العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه عليه السلام انما هو ضربها او دفعها
عن نفسه كما يقول القائل قد كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان اي بان يوقع
به ضربا او مكروها فان قيل فاي معنى لقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه
والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن ان يكون الوجه
في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما هم
به اهلكه اهلها او قتلوه او انها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقرفه بانه دعاها
اليه وان ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بانه مثله
لا يجوز عليه فاخبر الله سبحانه بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء و يعني
بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث
القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان
جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه لهم بضربها ودفعها
وتقدم جواب لولا قبيح غير مستعمل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا
اما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير انا
لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم على الضرب والهم قد وقع الا انه انصرف
عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان رأى برهان ربه
لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله

ولولا فضل الله

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم
لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا
في الدنيا وتتفاخروا فيها وقال امرؤ القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس
تساقط انفسا اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب
على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله واضاف العزم على المعصية
اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا
ان رأى برهان ربه لفعله فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به
متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا اما الظاهر
فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح
لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليه فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه
عليها كما امن ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد لذلك من الكتاب قوله
تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه الى قوله في ضلال
مبين وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله عز وجل حاكيا عنها الآن
حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي موضع آخر قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والآثار واردة باطباق مفسري
القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تأويل الآية
ان يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان رأى
برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت
لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع
هلاك ولا قتل قال الشاعر فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
وقال آخر فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل فقدم الجواب في
البيتين جميعا وقد استشهد عليها ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله عز وجل ورحمته ومما يشهد

لهذا التاويل ان فى الكلام شرطا وهو قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه فكيف يحمل على
الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا لان جعل
جوابها موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز
ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بيّنا بما اوردناه من الا
مثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذى ذكروه لا يشبه ما اجزناه
وقد يجوز ان يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان
صدّنى فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذى يشبه الآية وليس
تقديم جواب لولا بابعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم
الحذف لان لا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف
والجواب الثالث ما اختاره ابو على الجبائى وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو
ان يكون معنى همّ بها اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز ان تسمى
الشهوة فى مجاز اللغة همّا كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّى وهذا اهمّ
الاشياء الىّ ولا قبح فى الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبح بتناول
المشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن البصرى قال اما همّها فكان اخبث الهمّ
واما همّه فما طبع عليه الرجال من الشهوة للنساء ويجب على هذا الجواب ان يكون قوله
تعالى لولا ان رأى برهان ربه متعلقا بمحذوف كانه قال لولا ان رأى برهان ربه
لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسمّوا الشئ باسم ما يقع فى الاكثر
عنده وعلى هذا لا ينكر ان يكون المراد بهمّ بها خطر بباله امرها ووسوس اليه
الشيطان بالدعاء اليها من غير ان يكون هناك همّ او عزم فسمّى الخطور بالبال همّا
من حيث كان الهمّ يقع فى الاكثر عنده والعزم فى الاغلب يتبعه وانما انكرنا ما ادّعاه
جهلة المفسرين ومحرّفوا القصاص وقرفوا به نبى الله عليه السلام لما فى العقول من الدلالة
على ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث كان منفرا عنهم وقادحا
فى الغرض المجرى اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف

عنه

عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع
فى مقدماته وقوله تعالى ايضا انه من عبادنا المخلصين يقتضى تنزيهه عن الهمّ بالزنا
والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تدل ايضا
على برائته من القبيح فاما البرهان الذى رآه فيحتمل ان يكون لطفا لطف الله له به
فى تلك الحال او قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصى والتنزه عنها ويحتمل ايضا
ما ذكره ابو على وهو ان يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه وعلى
ان من فعله يستحق العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية
صورة ابيه يعقوب عليه متوعدا له او النداء له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافى
المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضى ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا
ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء عليهم السلام واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم
ونحمد الله على حسن التوفيق روى احمد بن عبد الله بن العباس الصولى الملقب بطماس
قال كنت يوما عند عمى ابرهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى جلس الى جانبه
او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمى يا ابا تمام ومن بقى ممن يعتصم به ويلجأ
اليه فقال انت لا عدمت وكان ابرهيم طويلا انت والله كما قيل ممتد نجاد السيف
حتى كانه باعلى سنا فى فالج يتطوّح ويدلج فى حاجات من هو نائم ويورى كريمات
الندى حين يقدح اذا اعتمّ بالبرد اليمانى خلته هلالا بدا فى جانب الافق يلمح يزيد
على فضل الرجال فضيلة ويقصر عنه مدح من يتمدّح فقال له ابرهيم انت تحسن
قائلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له اكتبنى الابيات فقال هى لابى الجويرية
العبدى تخذها من شعره وروى عن يحيى بن البحترى قال رأيت ابى بذاكر جماعة
من امراء اهل الشام بمعان من الشعر فمر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه
فانشدوا انشادات كثيرة فقال لهم ابى قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال
احسب النوم حكاكا اذ رأى منك جفاكا منى الصبر ومنك الهجر فابلغ بى مداكا
بعدت همة عين طمعت فى ان تراكا او ما حقّ لعينى ان ترى من قد رآكا ليت

حظى منك ان نعلم ما بى من هواكا قال ابى انه تصرف فى معان من الشعر فى هذه
الابيات قال فكتبها عنه جماعة من حضر والابيات لابرهيم بن العباس الصولى
واخبرنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال لما بايع المأمون
لعلى بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وامر الناس بلبس الخضرة صار اليه
دعبل بن على وابرهيم بن العباس الصولى وكانا صديقين لا يفترقان فانشده
دعبل مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات وانشده ابرهيم
بن العباس على مذهبها قصيدة اولها ازالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع
اولاد النبى محمد قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التى عليها اسمه
وكان المأمون امر بضربها فى ذلك الوقت فاما دعبل فصار بالشطر منها الى قم
فاشترى اهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة الف درهم
واما ابرهيم فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولى ولم اقف من قصيدة
ابرهيم على اكثر من هذا البيت وقال وكان السبب فى ذهاب هذا الفن من شعره
وما حدثنى به ابو العباس احمد بن محمد بن الفرات والحسين بن على الباقطانى قالا
كان ابرهيم بن العباس صديقا لاسحق بن ابرهيم اخى زيدان الكاتب المعروف بالز
من فانسخه شعره فى على بن موسى الرضا رضى الله عنهما وقد انصرف من خرسان
ودفع اليه شيئا بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان ولى المتوكل وولى ابرهيم
بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وابن اخى زيدان فعزله عن
ضياع كانت فى يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال والح عليه واساء مطالبته
فدعا اسحق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض الى ابرهيم بن العباس فاعلمه
ان شعره فى على بن موسى بخطه عندى وبغير خطه و والله لئن استمر على ظلمى
ولم يزل عنى المطالبة لاوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابرهيم بن
العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر فى ذلك الى
الواسطة حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه انه لم يبق

عنده منه شئ فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى بن على المنجم ان
اباه على بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولى وما عرفت من شعر ابرهيم فى هذا
المعنى شيئا الا ابياتا وجدتها بخط ابى قال انشدنى اخى لعمة فى على بن موسى الرضا رض
من قصيدة كفى بفعال امرئ عالم على اهله عادلا شاهدا ارى لهم طارفا مونقا
ولا يشبه الطارف التالدا يمن عليكم باموالكم وتعطون من مائة واحدا فلا حمد الله
مستبصر يكون لاعدائكم حامدا فضلت قسيمك فى قعدد كما فضل الولد الوالدا
قال الصولى فنظرت فى قوله فضلت قسيمك فى قعدد فوجدت على بن موسى و
المأمون متساويين فى قعدد النسب وهاشم التاسع من ابائهما جميعا وروى
الصولى ان منشدا انشد ابرهيم ابن العباس وهو فى مجلسه فى ديوان الضياع
ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقاب قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال ولرب
نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها مخرج كملت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لا تفرج فعجب من جودة بديهته واخبرنا ابو الحسن على
بن محمد قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى القسم بن اسمعيل ابو ذكوان قال
كنت بالاهواز ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلى معونتها وخراجها فوصفت
له بالادب فامر باحضارى فلما دخلت عليه قرب مجلسى وقال تسلف انس
المطاولة فان الاستمتاع لا يتم الا به فانبسطت وتساءلنا عن الاشعار
فما رايت احدا قط اعلم بالشعر منه فقال لى ما عندك فى قول النابغة الم تر
ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب فانك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب فقلت اراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن
فى الشعر خبئ وهو انه اعتذر الى النعمن من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم
وقال انما فعلت هذا لجفائك بى فاذا اصلحت لى لم ارد غيرك كما ان من اضاءت له
الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فانى بمعنيين بهذا وبتفضيله قال فاستحسنت
ذلك منه وكان ابرهيم بن العباس من اصدق الناس لاحمد بن ابى دواد فعتب

على ابنه ابى الولد من شئ فذمّه ومدح اباه واحسن فى التخلص كل الاحسان فقال عفت
مساو وتبدّت منك واضحة على محاسن بقاها ابوك لنا لئن تقدمت ابناء الكرام
به تقدم اباء اللئام بكا ولابرهيم ايضاً تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضا
ويصدع قلبى ان يهب هبوبها قريبة عهد بالحبيب وانما هوكل نفس حيث كان
حبيبها تطلع من نفسى اليك نوازع عوارف ان اليأس منك نصيبها واخذ
هذا من قول ذى الرمة اذا هبت الارواح من نحو جانب به آل مى هاج شوقى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث كان حبيبها ولابرهيم ورد
البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات دنت باناس عن تناء زيادة وشط بليلى عن دنو
مزارها وان مقيمات بمنقطع اللوى لاقرب من ليلى وهاتيك دارها واخذ ذلك
من قول النظار الفقعسى يقولون هذى ام عمرو قريبة دنت بك ارض نحوها وسماء
الا انما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل اليه سواء و وجدت بعض اهل الادب
يظن ان ابرهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى فى قوله كن كيف شئت وانى تشاء
وابرق يمينا وارعد شمالا نجابك لومك منجا الذباب حمته مقاذيره ان ينالا
حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان اما الهجاء
فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل فاذهب فانت طليق عرضك انه
عرض عززت به وانت ذليل مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا
عن يوسف عليه السلام قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى
كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم هى الارادة
فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لان حبسه فى السجن وقطعه
عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو فى القبح يجرى مجرى ما دعى
اليه من الزنا وقوله من بعد والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن يدل على ان امتناعه
من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون
الى ان ذلك لايقع منه صرف النسوة عن كيده اولم يصرفهن الجواب قلنا اما قوله

رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ففيه وجهان من التأويل اولهما ان المحبة
متعلقة فى ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما
هو الجسم والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها او المتعلق بها
والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات و
معاصى بحسب الوجوه التى تقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس
واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته وا المشاق
التى تناله باستيطانه طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو اكره مؤمنا على
ملازمة بعض المواضع وترك التصرف فى غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل
المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر فى الآية يقتضى ما ظنوه وانه لابد
من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى الحابس
من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الامرين
ودل الدليل على ان النبى لا يجوز ان يريد المعاصى والقبائح اختص المقدر المحذوف
بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز
ان يقول السجن احب الى مما يدعوننى اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة ومن شأن
مثل هذه اللفظة ان تدخل بين ما وقع فيه اشتراك فى معناها وان فضل البعض
على بعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة فى مثل هذا الموضع وان لم يكن فى معناها
اشتراك على الحقيقة الا ترى ان من خيّر بين ما يحبه وما يكرهه جائز ان يقول
هذا احب الى من هذا وان لم يجز مبتدءاً ان يقول من غير ان يخير هذا احب الى
من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون
الآخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح
ان يريدهما فموضوع التخيير يقتضى ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب
على هذا متى قال كذا احب الى من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضوع التخيير وان
لم يكن الامران على الحقيقة يشتركان فى تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى

قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون ونحن نعلم انه لاخير فى العقاب وانما
حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصى على الطاعات وانهم
ما ركبوا المعاصى وآثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان فيها خيراً ونفعاً
فقيل اذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم فى قوله تعالى
اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك لاشتراك الحالين فى باب المنزلة وانهما
لم يشتركا فى الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن
مقيلاً ومثل هذا قد يتأتى فى قوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه لان المعصية
ودخول السجن مشتركان فى ان لكل واحد منهما داعياً وعليه باعثاً وان لم يشتركا
فى تناول المحبة فجعل اشتراكهما فى داعى المحبة اشتراكاً فى المحبة نفسها واجرى
اللفظ على ذلك ومن قرا هذه الآية بفتح السين فالتاويل ايضاً ما ذكرناه لان
السجن المصدر فيحتمل ان يريد ان سجنهم لى نفسى وصبرى على حبسهم احب الى من مواقعة
المعصية ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله والوجه الثانى ان يكون معنى
احب الى اى اهون عندى واسهل على وهذا كما يقال لاحدنا فى الامرين يكرههما
معاً ان فعلت كذا والا فعل بك كذا فيقول بل كذا احب الى بمعنى اسهل واخف
وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون انما عنى
فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التى هى الارادة وانما وضع
احب موضع احف والمعصية قد تكون اخف واهون من اخرى فاما قوله
والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن فليس المعنى على ما ظنه السائل بل المراد متى
لم تلطف لى بما يدعونى الى مجانبة المعصية ويثنينى الى تركها ومفارقتها صبوت
وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا
معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة فى ان النبى عم انما يكون معصوماً
عن القبائح بعصمته تعالى له وبلطفه وتوفيقه فان قيل الظاهر خلاف ذلك
لانه قال والا تصرف عنى كيدهن فيجب ان يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه

والذ

والذى ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى ارتفاع الكيد وانصرافه عنه قلنا
معنى الكلام والا تصرف عنى ضرر كيدهن والغرض به لانهن انما اجرين بكيدهن الى
مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف له فى الانصراف عنها فكان الكيد
قد انصرف عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما اجرى به اليه ولهذا يقال لمن
اجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئاً
وهذا بين بحمد الله ومنه تاويل خبر ان سأل سائل عن تاويل الخبر الذى يرويه
عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه واله قال فى خطبة طويلة خطبها من تتبع
المشمعة يسمع الله به الجواب ان المشمعة هى الضحك والمزاح واللعب يقال شمع
شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك قال ابو ذويب يصف الحمير
بقرار قيعان سقاها وابل واه فاثجم برهة لا يقلع فلبثن حينا يعتلجن بروضة
فيجد حينا فى العلاج ويشمع اراد ان هذا الحمار الذى وصف حاله مع الاتن واته
معهن فى بعض القيعان يعارك هذه الاتن ومعنى يعتلجن يعاض بعضها بعضاً
ويتراجن من النشاط فيجد الفحل معهن مرة واخرى يأخذ معهن فى اللعب فيشمع
وفى يجد لغتان يجد ويجد والمفتوح اول لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين
معاً وقيل ان معنى يشمع فى الحمار انه يتشمم ثم يرفع رأسه فيكشر عن اسنانه فجعل له
ذلك بمنزلة الضحك قال الشماخ ولو انى اشاء كننت نفسى الى لبات بهكنة شموع
وقال المتنخل الهذلى ولا والله نادى الحى ضيفى هدوءاً بالمساءة والعلاط سابدأهم
بمشمعة واثنى بجهدى من طعام او بساط اراد بقوله نادى الحى ضيفى اى لا ينادونه
من النداء بالسوء والمكروه ولا يلقونه بما لا يؤثر والعلاط من اغلطه واغتلط به
اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر واصله من علاط البعير وهو وسم فى عنقه
وقيل ان معنى نادى الحى من النادى اى لا يجالسونه بالمكروه والسوء ومعنى سابدأهم وأهم
بمشمعة اى بلعب وضحك لان ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد
الى ايناسه وبسطه ومنه قول الآخر ورب ضيف طرق الحى سرى صادف زاداً

وحدثنا ما انتهى ان الحديث جانب من القرى وروى الاصمعي عن خلف الاحمر
قال سنة الاعراب اذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه وما زحوه ايقن بالقرى
واذا اعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى تمنى بجهدي من طعام او بساط اي ابتغ ذلك
بهزا ومعنى الخبر على هذا ان من كان شانه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك
منهم اصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزء منه ويقارب هذا الحديث
من وجه حديث آخر وهو ما روى عنه صلى الله عليه وآله من يسمع الناس بعمله
يسمع الله به والمعنى من يرآء باعماله ويظهرها تقربا الى الناس واتخاذا للمنازل
عندهم يشهره الله تعالى بالريآء ويفضحه ويهتكه ويمكن ايضا في الخبر الاول
وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب ان يسموا الجزاء على الشئ باسمه
ولذلك نظائر في القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر ان يكون المعنى من تتبع
اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله ويجازيه على ذلك بر فسمى الجزاء على الفعل باسمه
وهذا الوجه ايضا ممكن في الخبر الثاني واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه قال اني لفي سوق ضرية وقد نزلت
على رجل من بني كلاب كان متزوجا بالبصرة وكان له ابن بضرية اذ اقبلت عجوز
على ناقة لها حسنة البزة فيها بقايا جمال فاناخت وعقلت ناقتها واقبلت
تتوكا على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي بحضرك
شئ قال لا فانشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الانصاري وقصيرة الايام
ودّ جليسها لو باع مجلسها بفقد حميم من مجذيات اخي الهوى غصص الجوى بدلال
غانية ومقلة ريم صفرآء من بقر الجوآء كانما خفر الحيآء بها رداع سقيم قال فجثت
على ركبتها واقبلت تخرش الارض بمحجنها وانشات تقول قفي يا اميم القلب نقرا
تحية ونشكوا الهوى ثم افعلي ما بدا لك فلو قلت طاء في النار اعلم انه هوى لك او مدن
لنا من وصالك لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي او ضلة من ضلالك
سل البانة العليا من الاجرع الذي به البان هل كلمت اطلال دارك وهل قمت

في ضلالهن

في ضلالهن عشية قيام سقيم القلب واخترت ذلك ليهنك امساكي بكفي على الحشا ورد
فراق دمعي رهبة من زيالك لئن ساءني ان نلتني بمساءة لقد سرني اني خطرت ببالك
قال الاصمعي فاظلمت والله على الدنيا لحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت
منها فقلت نشدتك الله لما زودتني من هذا فرأيت الضحك في عينيها وانشدت
ومستخفيات ليس يخفين زرننا يسحبن اذيال الصبابة والشكل جحن الهوى
حتى اذا ما ملكنه نزعن وقد اكثرن فينا من القتل مريضات رجع القول خرس عن الخنا تما
لقن اهواء القلوب بلا بذل موارق من خل المحب عواطف بحبل ذوي الالباب
بالجد والهزل تعنفني العذال فيهن والهوى يحذرني من ان اطيع ذوي العذل
قال السيد قدس الله روحه اما قول الانصاري وقصيرة الايام فاراد بذلك
ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر ايام جليسها لان
ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام ايضا حداثة
سنها وقرب عهد مولدها وان كان الاول اشبه بما اتى في آخر البيت ومعنى لو باع
مجلسها بفقد حميم اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البايع
والمشتري معا قال الفرآء سمعت اعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم اي اشتر لي تمرا
بدرهم وقال الشاعر فياعز ليت النأى اذ حال بيننا وبينك باع الود لي منك
تاجر اي ابتاع وقوله من مجذيات اخي الهوى اي من معطيات يقال احذيت
الرجل العطية او الغنيمة احذيه احذآء اذا اعطيته والاسم الحذية والحذوة
والحذيا كل ذلك العطية وقوله كانما خفر الحيآء بها رداع سقيم فالرداع
هو الوجع في الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحيآء كالسقيم او يريد بغير
لونها وصفرته من الحيآء كما يتغير لون السقيم ويجري ذلك مجرى قول
الاخيلية وتخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحيآء سقيما
اخبرني المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال نا ميمون بن هرون
الكاتب قال حدثني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية

فاسترشدته الى مكان فارشدنى وانشدنى ليس العمى طول السؤال وانما تمام
العمى طول السكوت على الجهل ثم رجعت الى البصرة فكنت بها حينا ثم قدمت
البادية فاذا انا بالاعرابى جالسا بين ظهرانى قوم وهو يقضى بينهم
فما رأيت قضية اخطأت قضية الصالحين من قضية فجلست اليه
فقلت يرحمك الله اما من رشوة اما من هدية اما من صلة فقال لا
اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما القى من عذل جليلة لى اياى فى طلب
المعيشة فقال لست فيها باوحد وانى لشريكك ولقد قلت فى ذلك شعرا فقلت
انشدنيه فانشدنى بانت تعيرنى الاقتار والعدما لما رأت لاخيها المال والخدما
عنف لرأيك ما الارزاق من جلد ولا من العجز بل معسومة قسما يا امة الله
انى لم ادع طلبا للرزق قد تعلمين الشرق والشأما وكل ذلك بالاجمال فى
طلب لم اردع عرضا ولم اسفك لذاك دما لو كان من جلد ذا المال او ادب
لكنت اكثر من نمل القرى نعما ارضى من العيش ما لم تحوجى معه ان تفتحى لسؤال
الاغنياء فما واستشعرى الصبر على الله خالقنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما
لا تحوجينى الى ما لو بذلت له نفسى لاعقبك التهمام والندما تالله سرك
ان الله خولنى ما كان خول الاعراب والعجما ما سرنى اننى خولت ذاك ولا
ان لا اقول لباغى حاجة نعما واننى لم احز عقلا ولا ادبا ولم ارث والدى مجدا
ولا كرما فعسرة المرء احرى فى معاشك من امر يجر عليك الهم والالما قال فوالله
ما انشدتها حتى حلفت ان لا تعذلنى ابدا حدثنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا
ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخى الاصمعى عن عمه قال رايت بقباء شابا
من بنى عامر ما رأيت بدويا افصح منه ولا اظرف فوالله لكانه سواظ يتلظى
فاستنشدته فانشدنى فلم انسكم يوم اللوى اذ تعرضت لنا ام طفل خاذلا قد تخلت
وقالت سانسيك العشية ما مضى واصرف منك النفس عما اجنت فما
فعلت لا والذى انا عبده على ما بدا من حسنها اذ ادلت ابت ساقات الحب

الا مقرها اليك وما نتنى اذا ما استقربت هواك الذى فى النفس امسى دخيلها
عليه انطوت احشاؤها واستمرت وانشدنى ايضا ديار التى طرقتك وهنا
بوتا روضة وذكاء زند تسائلنى واصحابى هجود وتثنى عطفها من غير صد
فلما ان شكوت الحب قالت فانى فوق وجدك كان وجدى ولكن حال دونك
ذو شذاذ اسير بفقده ويهر فقدى وبهذا الاسناد عن الاصمعى قال قعدت
الى اعرابى يقال له اسمعيل بن عمار واذا هو يفتل اصابعه ويتلهف فقلت له علام
يتلهف فانشا يقول عيناى مشؤمتان ويحهما والقلب حيران مبتلى بهما
عرفتاه الهوى بظلمهما يا ليتنى قبلها عدمتهما هما الى الحين قادتا وهما دل على ما اجن
دمعهما ساعذر القلب فى هواه فما سبب هذا البلاء غيرهما وبهذا الاسناد
عن الاصمعى قال نزلت ذات ليلة فى وادى بنى العنبر وهو اذ ذاك معان باهله
اى اهل واذا فتية يريدون البصرة فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتى تلك عليهم وانى
لوصب محموم اخاف ان لا استمسك على راحلتى فلما قاموا ليرحلوا ايقظونى فلما راوا
حالى رحلوا لى وحملونى وركب احدهم ورآى يمسكنى فلما امعن السير بنا دوا الا
فتى يحدو بنا او ينشدنا فاذا منشد فى سواد الليل بصوت ندحزين ينشد
لعمرك انى يوم بانوا فلم است خفاتا على اثارهم لصبور غداة المنقى اذ رميت بنظرة
ونحن على متن الطريق نسير فقلت لقلبى حين خف به الهوى وكاد من الوجد المبرح
يطير فهذا ولما تمض للبين ليلة فكيف اذا مرت عليه شهور واصبح اعلام الاحبة
دونها من الارض غول نازح ومسير واصبحت بجدى الهوى متهم النوى ارتد
اشتياقا ان يحن بغير عسى الله بعد النأى ان يسعف النوى ويجمع شمل بعدها
وسرور قال فسكنت والله الحمى عنى حتى ما احس بها فقلت لو ديعى انزل رحمك الله
الى راحلتك فانى متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيرا اخبرنا المرزبانى قال حدثنا
محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال حدثنى بعض اصحابنا عن الاصمعى
قال كان بالبصرة اعرابى من بنى تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت

المنازل الا لندخل ولا وضع الطعام الا ليوكل وما قدمت هدية فاتوقع رسولا
وما اكره ان اكون ثقلا ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اقتحم عليه مستأنسا واضحك
ان رايته عابسا فاكل برغمه وادعه بغمه وما اخترق اللهوات طعام اطيب من طعام
لا ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم ثم انشد كل يوم ادور في عرصة الحي اشم القتار شم
الذباب فاذا ما رأيت اثار عرس او ختان او مجمع الاصحاب لم ارع دون التقحم
لا ارهب دفعا ولكزة البواب مستهينا بما هجمت عليه غير مستأذن ولا هياب
فتراني الف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب ذاك ادنى بالتكلف والغرم وغبط
البقال والقصاب مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ونادى نوح
ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين
فقال ظاهر قوله تعالى انه ليس من اهلك يقتضى تكذيب قوله ان ابنى من اهلى والنبى
لا يجوز عليه الكذب فما الوجه فى ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه بانه عمل غير صالح
وما المراد به الجواب قلنا فى هذه الاية وجوه اولها ان يكون نفيه لان يكون من اهله
لم يتناول نفى النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعده الله بنجاتهم لانه عز وجل
كان وعد نوحا عليه السلام بان ينجى اهله الا ترى فى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق
ويدل عليه ايضا قول نوح ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق
الامران ولا يتنافيان وقد روى هذا التاويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين
والجواب الثانى ان يكون المراد بقوله تعالى ليس من اهلك اى انه ليس على دينك
واراد انه كان كافرا مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله و
يشهد لهذا التاويل قوله عز وجل على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه
انما خرج من احكام اهله لكفره وسوء عمله وقد روى هذا الوجه ايضا عن جماعة
من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله

اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه فى العمل فليس
منه من لم يؤمن وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له فى النية
والعمل فمن ثم قيل انه ليس من اهلك والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة
وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام انه ابنى على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى
ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس فى ذلك تكذيب لخبره لانه انما
خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعى واخبره الله تعالى بالغيب الذى لا يعلمه غيره
وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت
عنده فقال ونادى نوح ابنه لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا ابا سعيد يقول الله ونادى
نوح ابنه وتقول ما ابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت معناه ليس من اهلك
الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انه ابنه فقال اهل الكتاب
يكذبون وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد اذ فيه منافاة للقرآن
لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم البنوة ولانه ايضا استثناه من جملة
اهله بقوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول ولان الانبياء عليهم السلام يجب ان ينزهوا
عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله انبياءه عليهم
السلام ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد
حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة
لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس بانه
مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد فى تاويل الاية هو الوجهان المتقدمان
فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روى عن جماعة
من المتقدمين انهم قرؤا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل
وجه فاما الوجه فى الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب
عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على
ذلك بقول الخنساء ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظآر

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال واد بار ارادت فانما هى ذات اقبال
واد بار وقال قوم ان المعنى اصل ابنك هذا الذى ولد على فراشك وليس بابنك
على الحقيقة عمل غير صالح يعنى للخيانة من امرأته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن
ابنه على الحقيقة والذى اخترناه خلاف ذلك وقال آخرون ان الهاء فى قوله
عز وجل انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياى ما ليس
لك به علم غير صالح لانه قد وقع من نوح دليل السؤال والرغبة فى قوله رب
ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق ومعنى ذلك اى نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا
الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبى لان الصغاير تجوز عليهم ومن يمتنع
من ان يقع على الانبياء شئ من القبايح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة
الى السؤال بل الى الابن ويكون تقديم الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال
فلا تسألنى ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عم من بعد رب انى اعوذ بك ان
اسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان
يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك
وان لم يواقعه الا ترى ان الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك
قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون نهاه
فى هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلام انما سأله نجاة ابنه باشتراط
المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب فى مثل هذا الدعاء فاما القراءة
بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا
غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن
وليس وجهها بضعيف فى العربية لان من مذهبهم الظاهر اقامة
الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول
القايل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت
قولا حسنا وقال عمر بن ابى ربيعة المخزومى ايها القايل غير الصواب اخر

النصح واقلل عتابى وقال ايضا وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهن
اذا لفه منى ومن مالئ عينيه من شئ غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة كم من ضعيف العقل
منتكث القوى ما ان له نقض ولا ابرام سالت له الدنيا عليه باسرها فعليه
من رزق الاله ركام ومشيع جلد امين حازم مرس له فيما يروم مرام اعمى عليه
سبيله فكانه فيما يحاوله عليه حرام اراد كم انسان ضعيف القوى اخبرنا
ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنى محمد بن العباس قال حدثنا ميمون بن هرون
قال حدثنا اسحق بن ابرهيم الموصلى قال كان محمد بن منصور بن زياد المقلب
بفتى العسكر يميل الى الاصمعى ويفضله ويقوم بامره فقال فجئته يوما بعد موت
محمد وعنده عبد كان لمحمد اسود وقد ترك الناس واقبل عليه وسايله وتحفى
وحادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى افنيت عمر يومك به
فقال هذا غلام ابن منصور ثم انشدنى وقالوا يا جميل اتى اخوها فقلت
اتى الحبيب اخو الحبيب احبك والقريب بنا بعيد لان ناسبت بثنة من قريب
فقلت له وكنت افعل هذا كثيرا بلا استجر كلامه وعلمه يا ابا سعيد ذاك اخوها
وهذا غلامها فضحك وقال انشدنا ابو عمرو وقال غيره ارى كل دار طنتها
وان خلت لها حجج بيدى بمسك ترابها واقسم لو انى ارى نسبا لها ذياب
الفضا حبت الى ذيابها قال فجعلت اعجب من قرب لسانه من قلبه واجابته
حفظه له متى اراده وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلى قال قرأت على الاصمعى
شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت امن اجل اعرابية حل اهلها
بروض الشرى عيناك تبتدران فقال لى تعرف فى هذا البيت خباء باطنا
غير ظاهر قلت لا فسكت عنى فقلت ان كان فيه شئ فافدنيه فقال نعم اما
يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذى قدرة على ما يريد قال اسحق
وما رأيت احدا قط مثل الاصمعى فى العلم بالشعر وروى عن اسحق ايضا انه

قال قال لى الاصمعى ما يعنى امرؤ القيس بقوله فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذى تمائم محول فقلت تخبرنى فقال كان مفركا فيقول الهيت هؤلاء على
كراهتهن للرجال فكيف انا عند المحبات لهم وروى ان السبب الذى هاج التنافر
بين الاصمعى وابن الاعرابى ان الاصمعى دخل يوماً ذات يوم على سعيد بن سلم
وابن الاعرابى حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد ابا سعيد فانشد
الغلام ابياتاً لرجل من بنى كلاب رواها ابن الاعرابى وهى رأت نضوا اسفار
اميمة قاعداً على نضوا اسفار فجن جنونها فقالت من اى الناس انت ومن تكن
فانك راعى صرمة لا يزينها فقلت لها ليس الشحوب على الفتى بعار ولا خير الرجال
سمينها عليك براعى ثلة مسلحبة يروح عليها محضها وحقينها سمين الضواحى
لم تورقه ليلة وانعم ابكار الهموم وعونها ورفع ليلة فقال له الاصمعى من رواك
هذا قال مؤدبى فاحضره واستنشده فانشده ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر
البيت فقال انما اراد لم تورقه ليلة ابكار الهموم وعونها وانعم اى زاد على هذه
الصفة وقوله سمين الضواحى اى ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الاصمعى لابن
سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا لتأديب ولد الملوك واخبرنا
المرزبانى قال حدثنا احمد بن محمد المكى قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعى
قال ولد بشار بن برد اكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت
له يوماً من اين لك هذا الذكاء قال من فقدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير
من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاء وانشد لنفسه يفخر بالعمى
عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا وغاض ضياء
العين للعقل رافداً بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا وشعر كنور الروض لائمت
بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا واخبرنا المرزبانى قال اخبرنا محمد بن
العباس اليزيدى قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعى قال انشد رجل
وانا حاضر بشارا قول الشاعر وقد جعل الاعداء ينتقصونها وتطمع فيها

الس وعيون الا انما الليلى عصى خيزران اذا غمزوها بالاكف تلين فقال بشار
والله لو جعلها عصا مخ او زبد لما كان الا مخطئا مع ذكر العصا الا قال كما قلت
وحوراء المدامع من معد كان حديثها قطع الجنان اذا قامت لسبحتها تثنت
كان عظامها من خيزران يبسيك المنى نظر اليها ويصرف وجهها وجه الزمان
واخبرنى المرزبانى قال حدثنا على بن ابى عبد الله الفارسى قال حدثنا ابى عن
عمر بن شبة قال قال لى ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمن بن هشام
بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال قصيدة طويلة اولها نات على طول التجاور
زينب وما علمت ان النوى سوف تشعب وكان سليمان بخيلا فاعطاه
خمسة الف درهم لم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال ان امس منقبض
اليدين عن الندى وعن العدو محبس الشيطان فلقد اروح على اللئام مسلطا
ثلج المقيل منعم الندمات فى ظل عيش عشيرة محمودة تندى يدى ويخاف
قوط لسانى از زمان سربال الشباب مذيل واذ الامير على من جيرانى ديم
باحوية العراق اذا بدا برقت عليه اكلة المرجان فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى
وبوشك رؤيتها من الهملان فلقرب من تهوى وانت متيم اشفى لدائك
من بنى مروان فلما رجع الى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة
يقدمه ويؤثره لمدحه قيسا وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم
شانه واخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن
يحيى النحوى قال قال الاصمعى ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابى
خازم يفلجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية قطار ولا وصف احد
اللون باحسن من قول عمر بن ابى ربيعة وهى مكنونة تحير منها فى اديم الخدين ماء
الشباب شف عنها محقق جندى فهى كالشمس فى خلال السحاب ولا وصف
احد عينى امرأة الا احتاج الى قول عدى بن الرقاع لولا الحياء وان راسى قد بدا
فيه المشيب لزرت ام القسم وكانها وسط النساء اعارها عينيه احور من جآذر

جاسم وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينيه سنة وليس بنايم ولا وصف
احد بخيبًا الا احتاج الى قول حميد بن ثور محلى باطواق عتاق يبينها على الضر راعى
الضأن لو يتقوف ولا وصف احد ظليما الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة
هيق كان جناحيه وجؤجؤه بيت اطافت به خرقاء مهجوم ولا اعتذر احد الا
احتاج الى قول النابغة فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى
عنك واسع قال السيد قدس الله روحه اما قول حميد بن ثور محلى باطواق
عتاق فانه يريد ان عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتها وسماتها حلية
له من حيث كان موسوما بهما ومعنى يبينها على الضر اى يبينها ويعرفها هذا
الراعى فيعلم انه كريم والتقوف من القيافة فاما قول علقمة هيق فالهيق
ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اى عملته وابتنته وقيل ان خرقاء هاهنا
هى الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد فى الحاذقة وغير
الحاذقة ومعنى مهجوم اى مهدوم وقال الاصمعى معنى اطافت به عملته
تخرقت فى عمله يقول قد ارسل جناحيه كانه خباء امرأة خرقاء كلما رفعت
ناحية استرخت ناحية اخرى والوجه الثانى اشبه واملح فاما قول بشر
فى وصف الثغر وحسنه فاحسن منه واكشف واشد استيفاء للمعنى قول
النابغة كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ندى وانما وصف
اعاليه بالجفوف ليكون متفرقا متنضدا غير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ
الثغور ثم قال واسفله ندى حتى لا يكون قحلا يابسا بل تكون فيه الغضاضة و
الصقالة فيشبه غروب الاسنان التى تلمع وتبرق وروى الرياشى قال سمعت
الاصمعى يقول احسن ما قيل فى وصف الثغر قول ذى الرمة وتجلو بفرع من اراك
كانه من العنبر الهندى والمسك يصبح ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى
من رامة المتروح هجان الثنايا مغربا لو تبسمت لاخرس عنه كاد بالقول يفصح
مجلس آخر تاويل آية ان سال سايل عن قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم

انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف
يعذبهم بالاموال والاولاد ومعلوم ان لهم فيها سرورا ولذة وما تاويل قوله
وهم كافرون وظاهره يقتضى انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم
فى حال كفرهم لان القايل اذا قال اريد ان يلقانى فلان وهو لابس او على صفة كذا
وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال
والاولاد ففيه وجوه اولها ما روى عن ابن عباس رحمة الله وقتادة وهو
ان يكون فى الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب
المؤمنين معك اموال هؤلاء الكفار المنافقين واولادهم فى الحيوة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها فى الاخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد
على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا
يرجعون فالمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وانشد فى
ذلك قول الشاعر عشية ابدت جيدا دماء مغزل وطرفا يريك الاثمد
الجون احورا يريد وطرفا احور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه
ايضا ابو على قطرب وذكره ابو القسم البلخى والزجاج وثانيها ان يكون
معنى التعذيب بالاموال والاولاد فى الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم
وغنيمة اموالهم وسبى اولادهم واسترقاقهم وفى ذلك لا محالة ايلام لهم
واستخفاف بهم وانما اراد تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين
انه لم يرزق الكفار الاولاد والاموال ولم يبقها فى ايديهم كرامة لهم ورضا
عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحال معذبون بهذه النعم
من الوجه الذى ذكرناه فلا يجب ان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذا كانت هذه
عاجلتهم والعقاب الاليم فى النار آجلتهم وهذا جواب ابى على الجبائى وقد طعن
عليه بعض من لا تامل له فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار
لا تنالهم ايدى المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد اهل الكتاب ايضا

خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لانه لا يمتنع
ان يختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله تعالى محاربته
فاما الذين هم بحيث لا تنالهم الايدى او هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة اموالهم
فلا يقدح الاعتراض بهم فى هذا الجواب لانهم ممن اراد الله تعالى ان يسبى ويغنم
ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس فى ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه
غير مراد وثالثها ان يكون المراد تعذيبهم بذلك كل ما يدخله فى الدنيا عليهم
من الغموم والمصائب باموالهم واولادهم التى هى لهؤلاء الكفار والمنافقين عقاب
وجزاء وللمومنين محنة وجالبة للنفع والعوض ويجوز ايضا ان يراد به ما ينال
الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حى من العذاب
الدائم الذى قد اعده له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب
قد روى معنى اكثره عن قوم من متقدمى المفسرين وذكره ابو على الجبائى ايضا
ورابعها جواب يحكى عن الحسن البصرى واختاره الطبرى وقدمه على غيره
وهو ان يكون المراد بذكر ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرايض والحقوق فى اموالهم
لان ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا فيه انفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير
نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا قال السيد قدس الله
روحه وهذا وجه غير صحيح لان الوجه فى تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله
كالوجه فى تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق
على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضى وجوبه عليه والوجه فى تكليف
الجميع هذه الامور هى المصلحة واللطف فى التكليف ولا يجرى ذلك مجرى ما قلناه
فى الجواب الذى قبل هذا من ان المصائب والغموم قد تكون للمؤمنين محنة وللكافرين
عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة جميعا
ولا يجوز فى هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه واحد والمصلحة
فى الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا ليس التعذيب فى ايجاب الفرائض

عليهم

عليهم وانما هو اخراجهم لاموالهم على وجه التكره والاستثقال وذلك انه
اذا كان الامر على ما ذكروه خرج من ان يكون مراد الله لانه تعالى ما اراد منهم
اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذى هو طاعة وقربة فاذا اخرجوها
متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها
ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئا يصح ان يريده الله تعالى قال قدس الله
روحه وجميع هذه الوجوه التى حكيناها فى الآية الا جواب التقديم والتاخير
مبنية على ان الحياة الدنيا ظرف للعذاب فيتحمل كل متاول من القوم ضربا
من التاويل يطابق ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم
والتاخير اذا لم نجعل الحياة ظرفا للعذاب بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال
والاولاد المتعلق بهما لانا قد علمنا اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف
عن ظاهره لان الاموال والاولاد انفسها لا تكون عذابا والمراد على سائر وجوه
التاويل الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها
والغم عليها واباحة غنيمتها واخراجها عن ايدى مالكيها فكان تقدير الآية
انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم ويتصل بها واذا
صح هذا جاز ان تكون الحياة الدنيا ظرفا لافعالهم القبيحة فى اموالهم واولادهم
التى تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم الاموال فى وجوه المعاصى وحملهم الاولاد
على الكفر والزامهم الموافقة لهم فى النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذ
بهم بفعلهم فى اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم فى الحيوة الدنيا وهذا
وجه ظاهر يغنى عن التقديم والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه فاما قوله
تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون فمعناه تبطل وتخرج اى انهم يموتون على
الكفر وليس يجب اذا كان مريدا لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون
مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل
اهل البغى وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا للحرب باهل

النبي للمؤمنين وان اراد قتالهم على هذه الحال وكذلك قد يقول لغلامه اريد
ان تواظب على المصير الى في السجن وانا محبوس وللطبيب صر الى ولازمني وانا مريض
وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد اراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين
وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ان لا يكون قوله وهم كافرون حالا لزهوق انفسهم
بل يكون كانه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كله كافرون صائرون
الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون
معنى تزهق انفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة
الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت
روحه وما اشبه ذلك قال قدس الله روحه ذاكرني قوم من اهل الادب باشعار
المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه
وتقريظه وتفضيله ولخوا في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقه
واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ
غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها فلذلك قلت النظائر في شعره
ومدائحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل العين الا انه مع ذلك شاعر له
تجويد وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر شعراء اهله ويجب
ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني وحسن الالفاظ وو
قوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الابيات النادرة السائرة فكانه طبقة
بينهما وليس بمقصر دونهما شديدا ولا بمنحط عنهما بعيدا وكان اسحق بن ابرهيم
الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك ابو عمرو الشيباني وكان الاصمعي يقول
مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم
في التنبه على معانيه وبحسب ما يستشرطونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عند
ذلك ان اذكر مختار ما وقع الى من شعره وانبه على سرقاته ونظائر شعره وان املي

ذلك

ذلك في خلال المجالس واثنائها فمما نختار من شعره قصيدة يمدح بها المهدي
اولها اعادك من ذكر الاحبة عائد اجل واستخفتك الرسوم البوائد ويقول
فيها تذكرت من تهوى فابكاك ذكره فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد تحن ويأبى
ان يساعدك الهوى وللموت خير من هوى لا يساعد الا طالما انهبت دمعك
طائعا وجارت عليك الآنسات النواهد تذكرنا ابصارها مقل المها واعناقها
ادم الظباء العواقد تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در اسلمته
المعاقد اليك امير المؤمنين تجاذبت بنا الليل خوص كالقسي شوارد يمانية
ينأى القريب محله بهن ويدنو الشاحط المتباعد تجلي السرى عنها وللعيس
سوائم واعناق اليك قواصد الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنائل كفيه الا
كف الجوامد له فوق مجد الناس مجدان منهما طريف وعادي الجراثيم تالد واخو
ض غمرة الموت دونها واحواض عرف ليس عنهن ذائد ابادي بني العباس
بيض سوابغ على كل قوم بادبات عوائد هم يعدلون السمك من قبة الهدى
كما تعدل البيت الحرام القواعد سواعد عز المسلمين وانما تنوء بصولات الاكف
السواعد يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الاسلام والخلق راقد
كان امير المؤمنين محمدا لرافته بالناس للناس والد قال قدس الله روحه
اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در اسلمته المعاقد فكثير
في الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله اذا هن ساقطن
الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم وانما عنى بالمرجان
صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومثله قول
الآخر هي الدر منثورا اذا ما تكلمت وكالدر منظوما اذا لم تكلم ومثله من ثغرها
الدر النظيم ولفظها الدر النثير ونظيره قول البحتري واحسن غاية الاحسان
ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه فمن لؤلؤ تجلوه
عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ومثله قول الاخيطل الاهوازي

خلوت بها وسجف الليل ملقى وقد اصغت الى الغرم النجوم كان كلامها در نثير
ورونق ثغرها در نظيم ولغيره تبسمت فرأيت الدر منتظما وحدثت فرأيت الدر
منثورا ولآخر وتحفظ لامن ريبة يحذرونها ولكنها من اعين الناس تحفظ وتلفظ
درا في الحديث اناجى ولم نر درا قبل ذلك يلفظ ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء
وقرب من عصرنا هذا اظهرن وصلا اذا رحمن متيما وارين هجرا اذ خشين مراقبا
فنظمن من در المباسم جامدا ونثرن من در المدامع ذائبا قال قدس الله روحه
وليس قول ابى دهبل في صفة الحديث كتساقط الرطب الجنى من الاقناء لا نزرا ولا نزرا
من هذا الباب في شئ لان جميع ما تقدم انما هو في وصف الثغر وهذا في وصف حسن
الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء
ويشبه ان يكون اراد ايضا مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له با
لرطب ثم انه غض طرى غير مكرور ولا معاد لقوله الرطب الجنى فيجتمع له اغراض
الوصف له بالاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصف بالحلاوة ثم الفصاحة ثم الغضاضة
ونظير قول ابى دهبل قول ذى الرمة لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء
ولا نزر فاما قول مروان الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنايل كفيه الاكف الجوامد
فمثل قول ابى حنش النميرى في يحيى بن خالد البرمكي لا ترانى مصافحا كف يحيى اننى ان فعلت
اتلفت مالى لو يمس البخيل راحة يحيى لسمحت نفسه ببذل النوال ومثله قول ابن
الخياط المدنى في المهدى لمست بكفى كفه ابتغى الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدى
فلا انا منه ما افاد ذو والغنى افدت واعدانى فاتلفت ما عندى وقد قيل
ان هذا الشاعر كان مصرح بالهجاء لانه زعم ان الذى لمس كفه لم يفده شيئا بل اعداه
جوده فاتلف ماله ولم يرد الشاعر الا المدح ولقوله وجه وهو ان ذوى الغنى
هم الذين يستقر الاموال في ايديهم وتلبث تحت ايمانهم ومن اخرج ما يملكه
حالا بحال لا يوصف بانه ذو غنى فاراد الشاعر اننى لم افد منه ما يبقى في يدى
فاستقر تحت ملكى فلهذا قال لم افد ما افاد ذو والغنى ومن هذا المعنى قول مسلم

الى ملك

الى ملك لو صافح الناس كلهم لما كان حى في البرية يبخل ومثله قول العكوك لو لمس
الناس راحته ما بخل الناس بالعطاء واحسن من هذا كله واشبه بالمدح
وادخل في طريقته قول البحترى من شاكر عنى الخليفة بالذى اولاه من طول
ومن احسان ملأت يداه يدى وشرد جوده بخلى فافقرنى كما اغنانى حتى
لقد افضلت من افضاله ورأيت نهج الجود حيث ارانى ووثقت بالخلف
الجميل معجلا منه فاعطيت الذى اعطانى ومن هذا المعنى قول الآخر رأيت الندى
في آل عوف خليقة اذا كان في يوم سواهم تخلقا ولو جرت في ابياتهم لتعلمت
يداك الندى منهم فاصبحت مملقا ولابن الرومى يجود البخيل اذا ما رآك
ويسطو الجبان اذا غاليتك فاما قوله واحواض عز حومة الموت دونها واحواض
عرف ليس عنهن ذائد فيشبه ان يكون ابراهيم ابن العباس الصولى اخذه في قوله
لنا ابل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها ارضها وسماؤها فمن دونها ان
تستباح دماؤنا ومن دوننا ان تستباح دماؤها حمى وقرى فالموت دون
مرامها وايسر خطب عند حق فناؤها وقد احسن ابرهيم في ابياته كل
الاحسان فاما قوله يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الاسلام والخلق
راقد فكثير متداول ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات نعم الخليفة
للرعية من اذا رقدت وطاب لها الكرى لم يرقد ومثله ويظل يحفظنا ونحن
بغفلة ويبيت يكلؤنا ونحن نيام ومثله للبحترى اربيعة الفرس اشكرى يد منعم
وهب الاساءة للمسئ الجانى رد عنكم جاراته فبعثتم منه حمية انف غران
لم نكر عن قاصى الرعية عينه فتنام عن وتر القريب الدانى فاما قوله كان انتم
امير المؤمنين محمد الرأفة بالناس للناس والد فنظير قول بعض الشعراء في
يحيى بن خالد البرمكي احيا لنا يحيى فعال خالد فاصبح اليوم كثير الحامد يسخو
بكل طارف وتالد على بعيد غائب وشاهد الناس في احسانه كواحد وهو
لهم اجمعهم كالوالد ومن جيد قول مروان من قصيدة اولها خلت بعد نامر آل

ليلى المصانع وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع ويقول فيها ومالى الى
المهدى لو كنت مذنبا سوى حلمه الضافى على الناس شافع ولا هو عند التسخط
منه ولا الرضى بغير التى يرضى بها الله قانع تغض له الطرف العيون وطرفه
على غيره من خشية الله خاشع اما قوله ولا هو عند التسخط منه ولا الرضى
البيت فمثل قول اسجع ولست بخائف لابى على ومن خاف الا له فلن يخافا ومثله
امنى منه ومن خوف خيفته من خشية البارى ولابى نواس قد كنت خفتك
ثم امننى من ان اخافك خوفك اللاها ويشبه هذا المعنى ما روى عن امير المؤمنين
ع م انه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على الباب فقال له ما حملك
على ترك اجابتى قال كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك فقال عليه السلام
الحمد لله الذى جعلنى ممن يأمنه خلقه فاما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه
ان يكون مأخوذا من قول الفرزدق او ممن تنسب اليه هذه الابيات يغضى حياء
من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم **مجلس آخر تاويل آية** ان سال سائل عن قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان يحول
بين المرء وقلبه فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من انه
يحول بين الكافر وبين الايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة فى اجابته
الجواب قلنا اما قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك
انه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث منه عز وجل على
الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يسوف به المكلف
نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول
من قبل ان يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم
ما تسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوى ذلك قوله تعالى وانه اليه تحشرون
وثانيها انه يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه وان كان حيا وقد
يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير قلب قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى

لمن كان له قلب وقال الشاعر ولى الف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب الى اين اذهب
وهذا الجواب يقرب من الاول لانه تعالى اخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على
الطاعات قبل فوتها لانه لا فرق بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين
تعذرها بازالة العقل وثالثها ان يكون المعنى المبالغة فى الاخبار عن قربه من عباده
وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه
بادية ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نعلم
انه لم يرد تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى الذى ذكرناه واذا كان جل وعز
هو اعلم بما فى قلوبنا منا وكان ما نعلمه ايضا يجوز ان ننساه ونسهو عنه ونضل
عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه
معلوم فى الشاهد ان كل شئ يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد تعالى
المبالغة فى وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وان كان القرب الذى عناه
جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا لفظة القرب على غير معنى
المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبى من فلان وزيد منى قريب وعمرو بعيد
ولا يريدون بذلك قرب المسافة ورابعها ما اجاب به بعضهم من ان المؤمنين
كانوا يفكرون فى كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فاعلمهم
تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدله بالخوف الامن ويبدل عدوهم بظنهم انهم
قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن فى الآية وجه خامس
ع وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبائح
بالامر والنهى والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه
من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن موافقته رادع فكان
التكليف حائل بينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن موافقته وليس يجب
فى الحائل ان يكون فى كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منا على
غيره فى امر كان قد هم به وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الخط

في الانصراف عنه يصح ان يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله وقال عبد الله
بن قيس الرقيات حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب وسياط
على اكف رجال تقلب ونحن نعلم انه لم يحل الا بالتخويف والترهيب دون
غيرهما فان قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية قلنا وجه المطابقة ظاهر
لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله ولرسوله فيما يدعوان اليه من فعل الطاعات
والامتناع من المقبحات واعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما
يحول بين المرء وبين ما تدعوه اليه نفسه من المعاصي ثم المآب بعد هذا كله اليه
والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلا باستحقاقه فاما قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم
ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الطيبة
الدائمة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث على اجابة التي
تكسب هذه الحال وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو
فكانه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم
ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر المشركين
وتقليل لعددهم وفل لحدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا واستلانوا
جانب المؤمنين واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن هاهنا كانت الاستجابة
له عليه السلام في القتال تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولكم
في القصاص حيوة وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلها
بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان الطائع لما
كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حيوة ولما كان
الكافر العاصي لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت
ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة
وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون
المراد بالكلام الحيوة في الحكم لا في الفعل لانا قد علمنا انه عم كان مكلفا مأمورا

بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتلهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن
عدا اهل الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم
اذا خالفتم كنتم في الحكم غير احياء من حيث تعبد بقتالكم وقتلكم فاذا اطعتم كنتم
في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وانما اراد تعالى يجب
ان يكون آمنا وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع فاما المجبرة فلا شبهة لهم
في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل ان يحول بين المرء وبين الايمان ولا ظاهر للآية
يقتضي انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للآية ظاهر
يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لانصرفنا عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول
بين المرء وبين ما امره به واراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه
منفية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن محمد الجوهري قال ثنا
الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا احمد بن عمر بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد
الرحمن بن عوف قال حدثني محمد بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن
بن حذيفة ابن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال
ان الموت اهون مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم فقال
قم وخذ سيفي واطعن به حيث امرك ولا تعجل قال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتى
على القوم كلهم فاجابوه بجواب الاول حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس
لك فيما تأمروني به راحة ولي بذلك لك طاعة وهو هواك قال بلى قال فمرني
كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ سيفه
ووضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه كيف اصنع قال الق السيف انما اردت
ان اعلم ايكم امضى لما آمر به فانت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال
القوم انه سيقول فيما جئنا فاحضروه فلما امسى قال ولوا عيينة من بعدي
اموركم واستيقنوا انه بعدي لكم حام اما هلكت فاني قد بنيت لكم عن الحياة بما قدمت
قدامي واستوسقوا التي فيها مروتكم قود الجياد وضرب القوم في الهام والعرب

من قومكم والقرب ينفعكم والعبدان باعدوا والرمى للرامى ولى حذيفة اذ ولى
وخلفنى يوم الهباة يتيماً وسط ايتام لا ارفع الطرف ذلاً عند مهلكة الفتى العدو
بوجه خده دام حتى اعتقدت لواء قومى فقمت به ثم ارتحلت الى الحفنى بالشام فقضى
ما قضى من حق زائره عجت المطى الى النعمن من عام اسموا لما كانت الآباء تطلبه
عند الملوك فطرفى عندهم سام والدهر آخره شبه لاوله قوم كقوم وايام
كايام فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم من بين بان الى العليا وهدام قال
ثم اصبح ودعا بنى بدر فقالوا لوائى ورياستى لعيينة واسمعوا منى ما اوصيكم
به لا يتكل اخركم على اولكم فانما يدرك الاخر ما ادرك الاول وانكحوا الكفى والقوى
فانه عز حادث واذا حضركم امران فخذوا بخيرهما صدراً فان كل مورد
معروف واصحبوا قومكم باجمل اخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان
الخلاف يزرى بالرئيس المطاع واذا حاربتم عدوكم فاوقعوا ثم قولوا فانه لا خير
فى الكذب وصونوا الخيول فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون
الخيل واعزوا الكبير بالكبر فانى بذلك كنت اغلب الناس ولا تغزوا الا بالعيون
ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا للضيف
بالقرى فان خيره اعجله واتقوا فضحات البغى وفلتات المزاح ولا تجترؤا
على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن
فاخذ عيينة الرياسة وقال اطعت ابا عيينة فى هواه ولم تخلج صريمتى
الظنون وقد عرض الرئيس على بنيه فقال القوم هذا لا يكون سيحيى او يموت
فطاولوه وقتل المرء والدهر جنون فلم اقتل بحمد الله حصنا وكل فتى ستدركه
المنون ولم انكل عليه وكل امر اذا هونته يوما يهون فان يك بدؤ هذا
الامر غثا فاخره بنى بدر سمين وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة
بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمى لذلك
عيينة واذا عظمت عين الانسان لقبوه اما عيينة واما عيناه وروى

حتى

قيس بن ابى حازم ان عيينة ابن حصن دخل على رسول الله عليه واله فقال
هذا احمق مطاع وروى ايضاً انه كان يدلع لسانه للحسين بن على عليهما
السلام وهو صبى فيرى الصبى لسانه فيهش له فقال له عيينة الا اراك
تصنع هذا بهذا فوالله انه ليكون لى الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط
فقال رسول الله صلى الله عليه واله انه من لم يرحم لا يرحم ونعود الى ما كنا وعدنا
به من الكلام على شعر مروان فمما يختار من شعره قوله من قصيدة اولها صحا
بعد جهل فاستراحت عواذله واقصر عنه حين اقصر باطله ومن مدنى
اياّمه فتأخت منيته فالشيب لا شك شامله يقول فى المدح فيها هو المرء
اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله سر واحلى ما يلى الناس طعمه عقابه
امير المؤمنين ونائله ابى لما يأبى ذو الحزم والتقى فعول اذا ما جد بالامر فاعله
تزول الهوى لا السخط منه ولا الرضى لدى موطن الا على الحق حامله يرى ان مر الحق
احلى مغبة واجنى ولو كانت ذعافا مناهله وان طليق الله من هو مطلق
وان قتيل الله من هو قاتله وانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حق
مفاصله فاما قوله ومن مدنى اياّمه فتأخرت منيته فالشيب لا شك شامله
فمأخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفى والشيب غاية من تأخر حينه
لا يستطيع دفاعه من يجزع والاصل فى هذا قول امية ابن ابى الصلت من لم
يمت عبطة يمت هرما الموت كأس فالمرء ذائقها ويشبه ذلك قول الآخر
قل لعرسى ليس شيبى يعجب من يعش يا ام عمار يشب ومثله قول ابى العتاهية
يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالى من اتت ومثله البحترى ولا بد من ترك
احدى اثنتين اما الشباب واما العمر وبقاربه قوله ايضا والشيب مهرب
من جارى منيته ولا نجاء له من ذلك المهرب وقريب منه قول ابن المعتز
وقالت كبرت وانصبيت من الصبى فقلت لها ما عشت الا لاكبرا ولبعضهم
ولا بد من موت فاما شبيبة واما مشيب والشبيبة اصلح معنى قوله الشبيبة

اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والاسف على مفارقته
واذا اسن برم به اهله وهان عليهم فقده واما قوله هو المرء اما دينه فهو
مانع صوؤن واما ماله فهو باذله فمعناه متكرر في الشعر كثير جدا واحسن
شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم
بن الوليد يذكرنيك الجود والبخل والنهى وقول الخنا والحلم والعلم والجهل فالقاك
عن مذمومها متنزها والقاك في محمودها ولك الفضل واحمد من اخلاقك
البخل انه بعرضك لا بالمال حاشى لك البخل وقد احسن البحتري في قوله بلونا
ضرائب من قد نرى فما ان وجدنا لفتح ضريبا تنقل في سلفي سودد سماحا مرجى
وبأسا مهيبا وكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا فاما قول
نؤوك الهوى لا السخط منه ولا الرضى موطن الا على الحق حاسل فمعنى متداول
مطروق في الشعر وقد كرره في قوله اذا حن القين الرحال بيابه حططن بها
ثقلا وادركن مغنما الى ظاهر الاخلاق ما نال في رضى ولا غضب ما لا حراما ولا دما
واحسن من هذا قول ابي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات ثبت الخطاب اذا
اصطكت بمظلمة في رحله السن الاقوام والركب لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه
يوما ولا حجة الملهوف تستلب كانما هو في نادي قبيلته لا القلب يهفو
ولا الاحشاء تضطرب وتحت ذاك قضاء حز شفرته كما يعض بظهر الغارب
القتب لا سورة تتقى منه ولا بله ولا يخاف رضى منه ولا غضب ومنه
قول البحتري في ابن الزيات ايضا وجد الحق بين اخذ واعطاء وقصد في
الجمع والتبديد واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد
لا يميل الهوى به حيث يمضي الامر بين المقلى والمودود وسواء لديه ابناء ابراهيم
في حكمه وابناء هود مستريح الاحشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل
الحقود فاما قوله وان قتيل الله من هو قاتله فيشبه ان يكون مأخوذا من قول
يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد ان الذي عاش ختارا بذمته ومات عبدا

قتيل الله بالزاب فاما قوله وانك بعد الله للحكم الذي تصاب به من كل حق مفاصله
فيشبه قول ابي تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات واجمع العلماء
ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل في العلم لك القلم الاعلى الذي بشباته
تصاب من الامر الكلى والمفاصل له الخلوات اللاء لولا نجيها لما احتفلت للملك
تلك المحافل لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنا اشتارته ايد عواسل له
ريقة طل ولكن وقعها باثاره في الشرق والغرب وابل فصيح اذا استنطقته وهو
راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب
الفكر وهو حوافل اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكي واقبلت اعاليه في القرطاس وهي اسافل وقد رفدته
الخنصران وسددت ثلث نواحيه الثلث الانامل رأيت جليلا شانه وهو
مرهف ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل مجلس آخر تأويل آية اذ سال سائل
عن قوله تعالى فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم
وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فقال ما تأويل هذه الآية
او ليس ظاهرها يقتضي اننا لا نشاء شيئا الا والله تعالى شاءه ولم يخص ايمانا
من كفر ولا طاعة من معصية الجواب قلنا الوجه المذكور في الآية ان الكلام متعلق
بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما
تشاؤن الا ان يشاء الله اي لا تشاؤن الاستقامة الا والله تعالى مريدها
ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانما انكرنا ارادته المعاصي وليس
لهم ان يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه
كما ان السبب انما يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان
الذي ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله
وما تشاؤن الا ان يشاء الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق
بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه

وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالادلة الثابتة على ان الله تعالى لا يريد
المعاصي ولا القبائح على ان مخالفينا في هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم
لان العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريد والنبي ويعزموا عليه
فلا يقع لمنع او غيره وكذلك قد يريد النبي صلى الله عليه وآله من الكفار الايمان
وتعبدنا بان نريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا
كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز
لنا مثله بالحجة ويجري هذه الآية مجرى قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقوله تعالى وما يذكرون الا ان يشاء
الله في تعلق الكلام بما قبله **فان قالوا** فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم
من وجه آخر وهو انه عز وجل قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك يقتضي
انه يشاء الاستقامة في حال مشيتنا لها لان ان الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع
اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون
اليه من انه يريد الطاعات في حال الامر **قلنا** ليس في ظاهر الآية انا لا نشاء الا
ما شاءه تعالى في حال مشيتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيته لما نشاؤن
من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل
ما يدخل زيد هذه الدار الا ان يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام
ان يكون دخولهما في حال واحدة بل لا يمتنع ان يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول
زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على ما ذكروه فلم يبطل على تأويلنا معنى
الاستقبال فيها لان تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات الا بعد ان يشاءها
الله تعالى ومشية الله تعالى لها قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب
ابو علي محمد بن عبد الوهاب الى انه لا يمتنع ان يريد الطاعات حال وان كان قد ارادها
في حال الامر كما يصح ان يأمر بها امرا بعد امر لانه قد يصح ان يتعلق بارادته
ذلك منا بعد الامر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى انا نكون متى علمنا ذلك

كنا الى فعل الطاعات اقرب وعلى هذا المذهب لا معترض بما ذكروه والجواب الاول
واضح اذا لم نذهب الى مذهب ابي علي في هذا الباب على ان اقتضاء الآية للاستقبال
من اوضح دليل على فساد قولهم لان الكلام اذا اقتضى حدوث المشية واستقبالها
بطل قول من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله
من ان ارادته متجددة محدثة ويمكن في الآية وجه آخر مع حملنا اياها على العموم
ومن غير ان نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى ما تشاؤن شيئا
من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيته واقداركم عليها والتخلية بينكم
بينها ويكون الفائدة في ذلك الاخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد
على ما لم يقدره الله تعالى عليه وليس يجب ان يستبعد هذا الوجه لان ما تتعلق
به المشية في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم ان يعلقوا قوله الا ان يشاء الله
بالافعال دون ان نعلقه بالقدرة لان كل واحد من الامرين غير مذكور وكل هذا
واضح بين بحمد الله ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان وان فيما
يختار له قوله من قصيدة اولها طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها
يقول فيها مالت بقلبك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبى فاما لها وكانما
طرقت بنفحة روضة سحت بها ديم الربيع ظلالها باتت تسائل في المنام معرسا
بالبيد اشعث لا يمل سؤالها في فتية هجعوا غرارا بعد ما سئموا مراعسة السرى و
مطالها وكان تحنو نيابهم هندية نحلت واغفلت القيون صقالها انما ذكره في اول
القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب وقد قال
الناس في الطيف والخيال فاكثروا وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس
فيه عيال عليه وهو قوله انى سريت وكنت غير سروب وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت
من لهو امرئ مكذوب وقد احسن جرير في قوله اتنسى اذ تودعنا سليمى بفرع بشامة
سقي البشام بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام ومن امسي واصبح

لا اراه ويطربه اذا هجع النيام وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر
الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ولابى عبادة البحترى
فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر فانه تغلغل من اوصافه
واهتدى من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشعوفا بتكرار القول فيه
لهجا بابدائه واعادته وان كان لابى تمام فى ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن
لا يبلغ شاؤها فمما لابى تمام قوله زار الخيال لها لا بل ازاركه فكرا اذا نام فكر
الخلق لم ينم ظبى تقنصته لما نصبت له من آخر الليل اشراكا من الحلم ثم اغتدى
وبنا من ذكره سقم باق وان كان مشغولا عن السقم وقوله عادك الزور ليلة
الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالى ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت
طيف الخيال وقوله الليالى احفى بقلبى اذا ما خرجته النوى من الايام بالها
لذة تنهب الارواح فيها سرا من الاجساد مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير انا
فى دعوة الاحلام فاما البحترى فقوله فى هذا المعنى اكثر من ان نذكر جميعه لكنا
غير انا نشير الى نادره فمن ذلك قوله فلا وصل الا ان يطيف خيالها بنا تحت
جوشوش من الليل اسفع المت بنا بعد الهدو فساحمت بوصل متى نطلبه
فى الجد تمنع وما برحت حتى مضى الليل فانقضى واعجلها داعى الصباح الملمع
فولت كان البين يخلج شخصها اوان تولت من حشاى واضلعى ورب لقاء لم يؤمل
وفرقة لاسماء لم تحذر ولم تتوقع ارانى لا انفك فى كل ليلة تعاود فيها المالكية
مضجعى اسر بقرب من مليم مسلم واشجى ببين من حبيب مودع فكان لنا بعد
النوى من تفرق تزجيه احلام الكرى وتجمع وقوله وانى وان ظنت على بودها
الارتاح منها للخيال المورق يعز على الواشين لو تعلمونها ليال تزاورفيها
ونلتقى فكم غلة للشوق اطفات حرها بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق
اضم عليه جفن عينى تعلقا به عند اجلاء النعاس المرفق وقوله بلى وخيال من
اثيلة كلما تاوهت من وجد تعرض يطمع اذا زورة منه تقضت مع الكرى

تنبهت من وجد له اتفزع ترى مقلتى ما لا ترى فى لقائه وتسمع اذنى رجع ما ليس
تسمع ويكفيك من حق تخيل باطل ترد به نفس اللهيف فترجع وقوله اذا ما
الكرى اهدى الى خياله شفى قربه التبريح او نقع الصدا اذا انتزعته من يدى
انتباهة عددت حبيبا راح منى او غدا ولم ارمثلينا ولا مثل شاننا نعذب ايقاظا
وننعم هجدا وقوله فما نلتقى الا على حلم هاجد يحل لنا ناجد واك وهى حرام اذا ما نبا
ذلنا النفائس خلتنا من الجدا يقاظا ونحن نيام وقوله وليلة هومنا على العيس
ارسلت بطيف خيال يشبه الحق باطله فلولا بياض الصبح طال تشبثى بعطفى
غزال بت وهنا اغازله وقوله امنك تاوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى
من حبيب تخطى رقبة الواشين كرها وبعد مسافة الخرق المجوب بكاذبى وا صدقه
ودادا ومن كلف مصادقة الكذوب وقوله ما تقضى لبانة عند لبنى والمعنى بالغا
نيات معنا هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها فى الصدود تهجرو سنا بعد لائى
وقد تعرض منها طائف عرجت على الركب وهنا قال السيد قدس الله روحه
ووجدت ابا القسم الحسن بن بشر الآمدى مع ميله الى البحترى وانخطاطه
فى شعبه واجتهاده فى تاول ما اخذ عليه من خطاه وزلل يزعم ان البحترى
اخطا فى قوله هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها فى الصدود تهجر وسنا قال
لان خيالها يتمثل له فى كل احوالها يقظان كان او وسنان قال ولكن المجيد فى هذا
المعنى قوله ارد دونك يقظانا ويأذن لى عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا قال
والذى اوقع البحترى فى هذا الغلط قول قيس بن الخطيم ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه
فى النوم غير مصرد محسوب وكان الاجود ان يقول ما تمنعى فى اليقظة فقد
تؤتينه فى النوم اى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى حتى يكون النوم واليقظة
منسوبين اليه لان خيال المحبوب يتمثل فى حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه
يتسع من التاويل فى هذا لقيس ما لا يتسع للبحترى لان قيسا قال فقد تؤتينه فى النوم
ولم يقل تؤتينه نائمة وقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعى يقظى وانا يقظان

فقد توهّمته فی النوم ای فی نومی ولا یسوغ مثل هذا فی بیت البحتری لانه قال
وسنی ولم یقل فی الوسن قال قدّس الله روحه وقد یمکن من التأویل للبحتری
ما امکن مثله لقیس لکن الآمدی ذهب عن ذلک لان البحتری لما قال وسنی
دل علی حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال یشترک الناس فیها فی النوم
بالعادة کما ان الحال المعهودة للیقظة حال مشترکة بالعادة فقوله وسنی
ینبئ عن کونه هو ایضا نائما وانما اراد المقابلة فی زنة اللفظ بین یقظی وسنی
وقوله یقظی متی لم یحمل ایضا علی هذا المعنی لم یصح لانه لا بد ان یرید بذلک هجرتنا
فی احوال الیقظة ویکون معنی یقظی یتعدی الیه الا تری ان الآمدی حمل قول
قیس بن الخطیم یقظی علی معنی وانا یقظان وان لم یبین الوجه فیه فکیف ذهب
علیه مثل ذلک فی قول البحتری وقوله وسنی ویقظی مثل قول قیس یقظی
ولو مکن قیسا وزن الشعر من ان یقول وسنی فی مقابلة یقظی لعله ما عدل
عنه الی النوم لانه لم یکن علیه فی وسنی الا ما علیه فی یقظی وما یتأول له فی احد
الامرین یتأول له فی الآخر قال قدس الله روحه ولی فی الخیال وطروقه معنی
ما علمت انه سبق الیه من جملة قصیدة وزور تخطّی جنوب الملا فنادیت
اهلا بذا الزائر اتانی هدوّا وعین الرقیب مطروفة بالکری الغامر فاعجب به
یسعف الهاجعین ویحرمه مقلة الساهر وعهدی بتمویه عین المحب ینم علی
قلبه الطائر فلما التقینا بزعم الرقاد موّه قلبی علی ناظری ومعنی البیت الاخیر
ان الاحلام انما هی اعتقادات تحصل فی القلب لا حقیقة لاکثرها لان الانسان
یعتقد انه رأی لما یراه علی الحقیقة ومدرک لما لیس بمدرکه علی الحقیقة فالقلب
یخیل فی النوم للعین ما لا حقیقة له کما ان العین تخیل فی کثیر من الاحوال للقلب
ما لا حقیقة له فاما قول مروان فکانما طرقت بنفحة روضة البیت فیشبه
ان یکون ماخوذا من قول نهشل بن حری طرقت اسماء الرحال ودونها تنیان
من لیل التمام الاسود ومفاوز وصل الفلاة جنوبها بجنوب اخری غیر ان لم تعقد

رمل اذا ایدی الرکاب قطعنه قرعت متنا سمها بقف قردد وکان ریح لطیمة
هندیة وذکی جادی بنصع مجسد وندی خزامی الجو سوبقه طروق الخیال
به بعید المرقد اومن قول الآخر طرقتک زینب والمزار بعید بمعنی ونحن
معرسون هجود فکانما طرقت بریا روضة انف یسحسح مزنها ویجود
وهذا المعنی کثیر فی الشعر المتقدم والمتأخر جدا فاما قوله باتت تسائل
فی المنام معرسا البیت والبیتان اللذان بعده فقد قال الناس فی وصف
قلة النوم ومواصلة السری والادلاج وشعث السادین فاکثروا فمن احسن
ما قیل فی ذلک قول لبید ومجود من صبابات الکری عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجدنا فقد طال السری وقدرنا ان خنا الدهر غفل فلما عرس حتی هجته
بالتباشیر من الصبح الاول یلمس الاحلاس فی منزله بیدیه کالیهودی المصل
یتماری فی الذی قلت له ولقد یسمع قولی حیهل ومن ذلک قول ذی الرمة ولیل
کانثناء الرویزی جبته باربعة والشخص فی العین واحد والرویزی هو الطیلسان
وقد وری ایضا کجلباب العروس ادرعته وکل ذلک وصف له بالسواد لان
الطیلسان اسود وجلباب العروس اخضر والعرب تجمع بین الخضرة والسواد
احم علافی وابیض صارم واعیس مهری واشعث ماجد اخو شقة جاب
الفلاة بنفسه علی الهول حتی طوحته المطارد واشعث مثل السیف قد لاح جسمه
وجیف المهاری والهموم الاباعد سقاه الکری کاس النعاس فراسه لدین الکری
من آخر اللیل ساجد اقمت له صدر المطی فما دری اجائرة اعناقها ام قواصد تری
الناشئ الغرید یضحی کانه علی الرحل مما منه السیر عاصد ومن ذلک قول ابی
حیة النمیری واغید من طول السری برحت به افانین نقاض علی الاین مرجم
سریت به حتی اذا ما تمزقت توالی الدجی عن واضح اللون معلم اتخنا فلما ان جرت
فی دماغه وعینیه کاس النوم قلت له قم فما قام الا بین ایدی تقیمه کما عطفت
ریح الصبا خوط ساسم خطا الکره مغلوبا کان لسانه لما رد من رجع لسان

المبلسم وود بوسطى الحمش منه لواننا رحلنا وقلنا فى المناخ له نم مجلس
اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين
فى الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال اى معنى لاختصاص الارض
بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال
وفى كل مكان ولم نفى الاولياء عنهم وقد نجد اهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم
ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والابصار واكثرهم كان
يسمع باذنه ويرى بعينه الجواب قلنا اما الوجه فى اختصاص الارض بالذكر فلان
عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك منى ولا وزر ولا نفق فالوزر
الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجاء اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى
ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الارض وسهولها
لا تحجز بينهم وبين ما يريد ايقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من افعال البشر ولان معاقل
الارض هى التى يهرب اليها البشر من المكاره ويلجؤن الى الاعتصام بها عند المخاوف
فاذا نفى تعالى ان يكون لهم فى الارض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فاما قوله تعالى
وما كان لهم من دون الله من اولياء فمعناه انه لا ولى لهم ولا ناصر من عذاب الله
وعقابه لهم فى الاخرة ولا مما يريد ايضا ايقاعه بهم فى الدنيا وان كان لهم من يحميهم
من مكروه البشر وينصرهم ممن ارادهم بسوء وقد يجوز ان يكون ذلك ايضا بمعنى
الامر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم ان يتخذوا اولياء من دون
الله بل الواجب ان يرجعوا اليه فى معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره فاما قوله
تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ففيه وجوه احدها ان يكون
المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا
يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا للحق وذهابا عن سبيله فاسقطت
الباء من الكلام وذلك جائز كما جاز فى قولهم لاجزينك بما عملت ولاجزينك ما عملت

ولاحدثنك بما عملت ولاحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر نغالى اللحم للاضياف
نيا ونبذله اذا نضج القدور فاراد نغالى باللحم والوجه الثانى انه لاستثقالهم استماع
آيات الله تعالى وكراهتهم تذكرها وتدبرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع
السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان ان ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر
على ان يكلمه وكما يقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات
ما تستطيع ان تسمع الحق وما تطيق ان يذكر لك وكما قال الاعشى ودع هريرة
ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل ونحن نعلم انه قادر على الوداع وانما
نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون اى
ان ابصارهم لم يك نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع الاعراض عن تامل ايات الله تعالى
وتدبرها فلما انتفعت عنهم منفعة الابصار جاز ان ينفى عنهم الابصار نفسه
كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تامله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل
وما اشبه ذلك والوجه الثالث ان يكون معنى نفى السمع والبصر راجعا الى
آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام اولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض
يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون وهذا الوجه يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه وفيه ادنى بعد
ويمكن فى الآية وجه آخر وهو ان تكون ما فى قوله ما كانوا يستطيعون السمع ليست
للنفى بل تجرى مجرى قولهم لاواصلنك ما لاح نجم ولا قيمن على مودتك ما طلعت
شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم فى الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون اى انهم معذبون ما كانوا احياء فان قيل كيف يعبر عن كونهم
احياء باستطاعة السمع والابصار وقد يكونوا احياء من لا يكون كذلك قلنا
للعرب فى مثل هذا عادة لانهم يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عينى ومشت
قدمى وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الاغلب فى احوال الحى ان تنظر عينه
وتمشى قدمه فجعلوا الاغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر وما انس من شئ

تقادم عهده فلست بناس ما هدت قدمى نعلى عشية قالت والدموع بعينها
هنيئاً لقلب عنك لم يسله مسلى وانما ارادانى لا انسى ذلك ما حييت وكذلك
لا يمتنع ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للتسمع والابصار
ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم احياء والمرجع فى ذلك الى التأبيد لانه اذا
علق العذاب ببقائهم واحيائهم وعلمنا ان الاخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة
علمنا تأبيد العذاب ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما يختار له
قوله من قصيدته التى قد مضى اولها وتكلمنا عليها وضعو المحذو دلدى سواهم جنح
تشكو اكلوم صفاحها وكلالها طلبت امير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغدوها
اصالها نزعت اليك صواديا فتقاذفت تطوى الفلاة حزونها ورمالها يتبعن
ناجية يهز مراحها بعد النحول تليلها وقذالها هوجاء تدرع الزنى وتشقها شق
الشموس اذا تداع جلالها تنجو اذا رفع القطيع كما نجت خوجاء بادرت الظلام
ريالها كالقوس ساهمة اتتك وقد ترى كالبرج تملاء رحلها وحبالها هذه
الابيات فى وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة اللفظ مطردة النسج
وقد سبق الناس فى هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل يخوض
كاعطال القسى تقلقلت اجنتها من شقة ودؤب اذا معجل غادرته عند مبرك
اتيح لجواب الفلاة كسوت المعجل الملقى من الاجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذيب
وهن بناعوج كان عيونها بقايا قلات قلصت لنضوب مسانيف تطويها
مع القيظ والسرى تكاليف طلاع النجاد ركوب قديم ترى الاصواء فيه كانها
رجال قيام عصبوا بسبوب نعوم بنا عوم السفين اذا انجلت سحابة وضاح السراب
خبوب وقال مسلم بن الوليد الانصارى الى الامام تهادانا بارحلها خلق من
الريح فى اشباح ظلمان كان افلاتها والفجر يأخذها افلاة صادرة عن قوس حسبان
وقال بشار واذا المطى سبحن فى اعطافه فات بكاهل وتليل فكانه والناعجات
بردنه قدح تطلع من قداح مجيل ولبعض الحارثيين نهس الهجاير والظهاير

لحمها حتى تخدد لحمها المنطائر حرف تناهبها النجاء فلا ترى مما تخل شدقم او داعر
صبر اذا عطفت سوالفها البرى سمعت لهن كشاكش وجراجر ويخلن من عزز
النفوس وحذها جنا وهن اذا اختبرن اباعر امّا اذا ما اقبلت فكانها ذعرتها
دنها الفلاة نوافر امّا اذا ما اعرضت فكانها كدر توردن القطا فصوادر امّا اذا
ما ابركت فكانها صرح مشيدة وهن ضوامر قال قدس الله روحه وانى لاستحسن
قول بشامة ابن الغدير فى وصف الناقة بالسرعة كان يديها اذا ارقلت وقد جرن
ثم اهتدين السبيلا يدا سابح خر فى غمرة وقد شارف الموت الا قليلا اذا اقبلت
قلت مشحونة اطاعت لها الريح قلعا جفولا وان ادبرت قلت مذعورة من الربد
تتبع هيقا ذمولا ومعنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يعنى المطايا يقول كن
نشيطات يمرحن ويجرن فلا يلزمن لقصد الطريق بل يأخذن يميناً وشمالاً فلما
عضهن الكلال استقمن على المحجة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال يلزمها
جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول آخر كان يديها حين
جد نجاؤها يدا سابح فى غمرة يتذرع ومما يشاكل هذا المعنى او يقاربه قول الشماخ
كان ذراعيها ذراعا مدلة بعيد السباب حاولت ان تعذرا مجدة الاعراق
قال ابن ضرة عليها كلاما جار فيه واهجرا سنيه ذراعيها وهى تذرع فى سيرها
بذراعى امراة مدلة على اهلها ببراءة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاما
اهجر فيه اى افحش فهى ترفع يديها وتضعها تعذرا وتحلف وتنضح عن نفسها وقد قيل
ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهى تديم اظهارهما ليرى حسنهما وقوله بعيد
السباب اى فى عقيب المسابة قامت تعتذر الى الناس وقد يروونه بعيد الشباب
ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهى اقوم بحجتها من الحدثة الغرة ويشهد
لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر كان يديها حين يقلق ضفرها يدا نصف غيرى
تعذر من جرم وقوله حين يقلق ضفرها فيه سر وفائدة لان الضفر هو الانساع
وانما تقلق اذا اجهدها السير فضمرت فكانه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد

والكلال ومثله كان ذراعيها ذراعا بدية مجمعة لاقت ضرائر عن عفر سمعن
لها واستعجلت بكلامها فلا نسئ يفرى باليدين كما نفرى ويقاربه قول الآخر
الاهل تبلغنيهم على اللأواء والظنة وآة لحصى المعزاء فى لخفافها رنة اذا ما
عسفت قلت حماة فاضحت كنذو ومن شبه سرعة ايدى الابل بايدى النوائح
كعب بن زهير فقال كان اوب ذراعيها اذا عزفت وقد تلفع بالقور العساقيل وقال
للقوم حاديهم وقد جعلت ارق الجنادب يركضن الحصى قيلوا شد النهار ذراعا عيطل
نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون
معقول العساقيل اوايل السراب ولا واحد لها من لفظها واخبران ناقته من
شدة الحر وانقاد الظهيرة تمرح فى سيرها وتتذرع بيديها فشبه ذراعيها بذراعى
امرأة نصف تنوح على ابنها وقد نعى اليها فهى تشير بيديها وتوالى تحريكهما والعيطل
الطويلة العنق وجعلها نصفا لانها قد كادت تيأس من الولد فهو اشد لحزنها على
ابنها وتفجعها عليه والقور جمع قارة وهى ما ارتفع واستدار من الرمل واراد ان يقول
كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب ومثله وكانما رفعت يدى نواحة
شمطاء قامت غير ذات خمار وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من الياس من الولد
كما قال عمرو بن كلثوم ولا شمطا لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا وقد قيل
فى بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام ومثل ما تقدم من المعانى
قول الشاعر ياليت شعرى والمنى لا تنفع هل اغدون يوما وامرى مجمع وتحت
رحلى زفيان ميلع كانها نائحة تفجع تبكى لميت وسواها الموجع الزفيان الناقة
الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها فى السير لنشاطها بيدى نائحة
تنوح لقوم على ميتهم باجرة فهى تزيد فى الاشارة بيديها ليرى مكانها ومثله
بعينه قول ذى الرمة محانيق تضحى وهى عوج كانها بجوز الفلا مستأجرات نوائح
المحانيق اللواتى ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذى ذكرناه
وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى من وصف السرعة كان اوب يديها حين

اعجلها

اعجلها اوب المراح وقد نادوا بترحال سقط الكرين على مكنوسة زلق فى ظهر حنانة النيرين
مغوال معنى اوب ذراعيها اى رجعهما واوب المراح اذا اراح القوم عازب اموالهم
ليرحلوا وقد روى اوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح والنشاط والمقط
اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض البراح التى لا شئ فيها والزلق
المستوية من الارض والحنانة الريح والنيران جانبا هذه الارض ومغوال قيل انه
من صفات الريح وقيل من صفات الارض فان كان للريح فمعناه ان الريح تغول
الارض باسرها اى تملأها واذا كان للارض فالمعنى انها تغول من سلكها اى تهلكه
وتلخيص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدى ضارب بكرة فى الارض الواسعة
فى يوم عاصف وهذا من دقيق المعانى وحسن التشبيه والمبالغة ومثل بيتى الشماخ
قول المسيب بن علس مرحت يداها للنجاء كانما تكرو ابكفى ماقط فى قاع
فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء تهم بالاسراع معنى تكرو اى كانها
لاعب بكرة والسريعة يعنى نساجة والجداد الغزل الضعيف فاراد انها تسرع
الضرب بالحف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدى ناقته فى تذرعها
بيدى هذه النساجة قال الاصمعى الجداد هدب الثوب فيعنى ان هذه النساجة
قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى هدبه فهى تبادر لتفرغ منه قبل المساء وقريب
منه قول الآخر كان ايديهن بالقاع القرق ايدى جوار يتعاطين الورق فالقرق
الخشن الذى فيه الحصى وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص
الجوارى لانهن اخف يدا من النساء وقال آخرون القرق ههنا المستوى من الارض
الواسع وانما خص بالوصف لان ايدى الابل اذا اسرعت فى المستوى فهو احمد لها
واذا ابطات فى غيره فهو احمد لها ومن احسن ما قيل فى الاسراع قول المرار بن سعيد
فنالوا لواشعب الرجال فقلصت سود البطون كفضلة المتنمس ذكر قوما سفرا
هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسيروا ويعنى بسود البطون الابل والمتنمس الصائد
الذى قد اتخذ ناموسا وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا فى سرعتها بقطا

قد صاد الصائد بعضها فهن يطرن طيرانا شديدا ومثل هذا وان كان فى وصف
الخيل قول النابغة كالطير تنجوا من الشؤبوب ذى البرد فاما قول مروان يهز
مراحها بعد النحول نليلها وقذالها فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد
السآمة والجهد ما مضى واحسن من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى واعرابا
عنه قول الهذلى ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال وانما كان
هذا احسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجرى هذا
المجرى لان النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره فاما قوله
كالقوس ساهمة اتتك فقد اكثرت العرب فى وصف المطايا بالنحول وتشبيهها
بالقسى وغيرها وقد احسن كثير فى قوله نفى السير عنها كل داء اقامة فهن رذايا
فى الطريق ترايك وحملت الحاجات خوصا كانها وقد ضمرت صفر القسى العواتك
وقال سلم بن عمرو الخاسر وكانهن من الكلال اهلة او مثلهن عطايف الاقواس
قد طواها ما طوت من مهمة نائى الصوى ومناهج ادراس وقال ابو تمام
يصف ناقة انينا القادسية وهى ترنو الى بعين شيطان رجيم فما بلغت بنا
عسفان حتى رنت بلحاظ لقمن الحكيم وبدلها السرى بالجهل حلما وقد ادبها قد
الاديم اذاب سنامها قطع الفيافى ومزق جلدها فضح العصيم بدت كالبدر
وافى ليل سعد وابت مثل عرجون قديم وقال البحترى وخدان القلاص حولا
اذا قابلن حولا من انجم الاسحار يترقرقن كالسراب وقد خضن غمارا من
السراب الجارى كالقسى المعطلات بل الاسهم مبرية بل الاوتار وله ايضا
وهى العيس دهرها فى رتحال من خلول او فرقة من جميع رب مرت مرت نجاد
فطويه سرابا كالمنهل المشروع وسرى تنتحبه بالوخد حتى تصدع الليل
عن بياض الصديع كالبرى فى البرى ويحسبن احيانا نسوعا مجدولة فى نسوع
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدى الآية فقال كيف اضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح

الجواب

١٦٥

الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه اولها ان يكون قوله لما خلقت بيدى جاريا مجرى
قوله تعالى لما خلقت انا وذلك مشهور فى لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت
يداك وما جرت عليك يداك واذا ارادوا نفى الفعل عن الفاعل استعملوا
فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشى قدمه ولا ينطق لسانه
ولا تكتب يده وكذلك فى الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح فى الحقيقة
بل الفائدة فيه النفى عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد هاهنا النعمة ولا اشكال
فى انه احد محتملات لفظة اليد النعمة فاما الوجه فى تثنيتها فقد قيل فيه ان
المراد به نعمة الآخرة فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتى واراد
بالباء واللام وثالثها ان يكون معنى اليد هاهنا القدرة وذلك ايضا من محتملات
اللفظة معروف يقول القائل ما لى بهذا الامر يد ولا يدان وما جرى مجرى
ذلك المعنى انى لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على
الحقيقة بل اثبات كون القادر قادرا ونفى كونه تعالى قال ما منعك ان تسجد
لما خلقت وانا قادر على خلقه فعبر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذى هو عبارة
عن القدرة وكل ذلك واضح فى تاويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأناه من الكلام
على شعر مروان لمن قصيدته التى تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله احيا
امير المؤمنين محمد سنن النبى حرامها وحلالها ملك تفرع نبعة من هاشم مد
الاله على الانام ظلالها جبل لامته تلوذ بركنه رادى جبال عدوها فازالها
لم تغشها مما تخاف عظيمة الا اجال لها الامور مجالها حتى يفرجها اغر مبارك الفى
اباه مفرجا امثالها ثبت على زلل الحوادث راكب من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها فى المسلمين وفى العدو وبالها وقعت مواقعها
بعفوك انفس اذهبت بعد المخافة اوجالها امنت غير معاقب طرادها
وفككت من اسرائها اغلالها ونصبت نفسك خير نفس دونها وجعلت
مالك واقيا اموالها اما قوله احيا امير المؤمنين محمد سنن النبى حرامها

وحلالها فقد عابه عليه بعض من لا معرفة عنده بنقد الشعر فقال كيف يكون
في سنن النبي حرامها وما ذاك بمعيب لانه اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل
ومن سننه صلى الله عليه واله تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما المعيب من هذا
المعنى قول ابن الرقاع العاملي ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها و
فسادها ومثل قول مروان قول سلم الخاسر ولما وليت ذكرت النبي بتحليله
وتحريمه فاما قوله حتى يفرجها اعز مبارك البيت فكثير جدا للمتقدمين
والمحدثين والاصل فيه قول زهير وما كان من خير اتوه فانما توارثه اباء
ابائهم قبل وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل ومثل
لاخر وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصر ومثله
للربيع بن ابي الحقيق اليهودي اذا مات منا سيد قام بعده له خلف يكفي
السيادة بارع من ابنائه والعرق ينصر فرعه على اصله والعرق للعرق نازع
ومثله ترجو الغلام وقد اعياك والده وفي ارومته ما ينبت العود
واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال تجري اصاغرهم مجرى اكابرهم
وفي ارومته ما ينبت الشجر ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات
يخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النضار في شعبه ومثله قول نهشل بن
حري ارى كل عود ناميا في ارومة ابى نسب العيدان ان يتغيرا بنو الصالحين
الصالحون ومن يكن لاباء صدق يلقهم حيث سيرا ومثل لمسلم بن الوليد الانصاري
الح على الايام يفري خطوبها على منهج الفى اباه به قبل ولبشار على اعراقها تجري
الجياد ومثله وما في من خير وشر فانها سجية ابائي وفعل جدودي هم
القوم فرعي منهم متفرع وعودهم عند الحوادث عودي وللبحتري واذا ابو
الفضل استعار سجية للمكرمات فمن ابي يعقوب شرف تتابع كابرا عن كابر
كالرمح انبوبا على انبوب واري النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن
نجيب وله ايضا ما سعوا يخلفون عن ابائهم كل ساع منا يريد نصابه وله ايضا

وما تابع

وما تابع في المجد نهج عدوه كمتبع في المجد نهج ابيه وفي هذه القصيدة يقول مروان
هل تعلمون خليفة من قبله اجرى لغايته التي اجرى لها طلع الدروب مشمرا
عن ساقه بالخيل منصلتا يجذ نعالها فودا تربع الى اغر لوجهه نور يضيء امامها
وخلالها قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تحفظ فيها فاطالها حتى اذا وردت
اوائل خيله جيحان بث على العدو رعالها احمى بلاد المسلمين عليهم واباح سهل
بلادهم وجبالها ادمت دوابر خيله وشكيمها غاراتهن ولحقت اطالها لم تبق
بعد مقادها وطرادها الا نحائزها والا الها رفع الخليفة ناظري وراشني بيد
مباركة شكرت نوالها وحسدت حتى شخصها قبل اصبح باغيا في المشي مترف
شيمة مختالها ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها
اما قوله قصرت حمائله فالاصل فيه قول عنترة بطل كان ثيابه في سرحة
يحذى نعال السبت ليس بتوام او قول الاعشى الى ماجد كهلال السماء ازكى
وفاء ومجدا وخيرا طويل النجاد رفيع العماد يحمي المضاف ويعطي الفقيرا ومثله
طويل نجاد السيف عار جبينه كنصل اليماني اخلصته صياقله اذا هم بالمعروف
لم تجر طيره نحوسا ولم تسبق يداه عواذله ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي
واشعث طلاع الثنايا مبارك يقول نجاد السيف وهو طويل ولابي الجويرية
العبدي يمد نجاد السيف حتى كانه باعلى سنامي فالج يتطوح اذا اهتز في البرد
اليماني خلته هلالا بدا في جانب الافق يلمح ولابي عطاء السندي وازهر من بني
عمرو بن عمرو حمائله وان طالت قصار ولبعضهم في ال المهلب رايتكم اعز
الناس جارا واسمعهم اذا عدوا ذمارا حمائلكم وان كانت طوالا نزاها عن
شمائلكم قصارا ولبعض بني العنبر في معنى الطول فجادت به عبل العظام كانما
عمامته بين الرجال لواء ولاخر اشم طويل الساعدين كانما نناط الى جذع طويل
حمائله ولابن هرمة نناط حمائل الهندي منه بعاتق لا الف ولا ضئيل ولكن
تستقل به قواه على ماض بقائمه نبيل ولسلم الخاسر بقوم مع الرمح الرديني

قايما ويقصر عنه طول كل نجاد وللخثعمي يوازي الرديني في طوله ويقصر عنه
نجاد الحسام وللوالبي طول وطول فتى كفه تنهل بالطول انهلال الغمام
وطوله بفتال يوم الوغى وغيره فضل نجاد الحسام فاما قوله ولقد حذوت
لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها فقد ردد مروان معناه
في مواضع من شعره فقال شبيه ابيه منظرا وخليفة كما حذيت يوما
على اختها النعل وقال في موضع آخر احيا لنا سنن النبي سميه قد الشراك
به قرنت شراكا وقال ايضا صحيح الضمير سره مثل جهره قياس الشراك
بالشراك تقابله وقال ايضا تشابهتما حلما وعدلا ونايلا وحزما اذا اس
اقام واقعدا تنازعتما نفسين هذي كهذه على اصل عرق كان الفخر منلا كما
قاس نعلا حضرمي فقدها على اختها لم بال ان يجودا واخذ هذا المعنى ابو نواس
فقال تنازع الاحمدان الشبه فاتفقا خلقا وخلقا كما قد الشراكان والاصل
في هذا المعنى قول ابن ابي ربيعة فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي
حذوك النعل بالنعل ومثله للسيد بن محمد الحميري يتلون اخلاق النبي وفعله
كالنعل تشبه في المثال طراقها وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة
ابن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال من فر منكم فر عن
حريمه وجاره وفر عن نديمه انا ابن سيار على شكيمه مثل الشراك قد من اديمه
وكلهم يجري على قديمه فاما قوله وحسدت حتى قيل اصبح باغيا البيت ففي
معناه قول البحتري النت لي الايام من بعد قسوة وعاتبت لي دهري المسيء
فاعتبا والبستني النعمى التي غيرت اخي علي فاسى نازح الود اجنبا ومما يختار
لمروان قوله موفق لسبيل الرشد متبع يزينه كل ما ياتي ويجتنب تسمو العيون
اليه كلما انفرجت للناس عن وجهه الابواب والحجب له خلائق بيض لا يغيرها
صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول
ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الاخير من الثلثة الابيات

وكان ابن مناذر اياه اراد بقوله وقد سأل وهو بمجاور بمكة عمن ببغداد من
الشعراء فقيل له العباس بن الاحنف فقال انشدوني له فانشدوه لو كنت
عاتبة لسكن عبرتي املي رضاك وزرت غير مراقب لكن مللت فلم تكن لي حيلة
صد الملول خلاف العاتب فقال ابن مناذر اخلق بمن اقام بحيث التراب ان يصيب
خوزة قال قدس الله روحه ولا شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكن
ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد سبق ايضا اليه قال طريح
بن اسمعيل جوادا اذا جئته راجيا كفاك السؤال وان عدت عادا خلائقه
كسبيل النضار لا يعمل الدهر فيها فسادا ومثله للخريمي رايتك يا زيد زيد
الندى وزيد الفخار وزيد الكرام تزيد على نايبات الخطوب بذلا وفي سابغات
النعم كذا الخمر والذهب المعدني يجود هذا وذاك القدم وفي قوله الذهب المعدني
فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه
ومثله للاموي ياوي الى خلق لم يصده طبع كان جوهره من جوهر الذهب وبعضهم
ملك له خلق خليق بالعلى كسبيكة الذهب التي لا تكلف وقد اخذ الخبزارزي
هذا المعنى في قوله فلا تعن لتهذيب تكلفه لصورة حسنها الاصلي يكفيها ان الدنا
نير لا تجلى وان عتقت ولا تزاد على النقش الذي فيها وللجحظة مثله صديق لي له
ادب صداقة مثله حسب رعى لي فوق ما يرعى واوجب فوق ما يجب ولو نقدت
خلائقه لبهرج عندها الذهب مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن قوله نحن
اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع وما معنى مسحور
وما جرت عادته بقرفه بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى واذ هم نجوى فان
نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو موحد على
لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني بصوم صائمون
وبحمد محمودة وقد قال قوم ان معناه واذ هم اصحاب نجوى فحذف المضاف واقام

المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجى والقوم انجية فمن وحد بنى على مذهب
المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما اشبه
ذلك وقد قال الشاعر في التوحيد اتانى نجى بعد هدء ورقدة ولم يك فيما
قد بلوت بكاذب وانشد الفراء ظلت نساؤهم والقوم انجية يعدى عليها
كما يعدى على الغنم فاما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه
اولها ان يكون المراد ان تتبعون الا رجلا مسحورا متغير العقل لان المشركين
كان من مذهبهم عيب النبي عم وتضعيف امره وتوهين رأيه فكانوا في وقت
ينسبونه الى انه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل
وربما قذفوه بانه شاعر حوشي من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا
من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور وثانيها ان يريدوا بالمسحور
المسحور المخدوع المعلل لان ذلك احد ما تستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ
القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وقال امية بن ابى
الصلت فان تسئلينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وثالثها
ان السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها وفيها ثلث لغات سَحْرٌ وسُحْرٌ وسَحَرٌ
وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من اعلى الجوف وقيل انه الكبد فكان
المعنى على هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها
ان يكون معنى مسحورا اى ساحرا وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى
واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
اى ساترا والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لان ماضيه الفج فجاؤا
بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم على فلان وميمون
وهم يريدون شائم له ويامن لانه من شأمهم ويمنهم قال قدس الله روحه
ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الاخير فيقول العرب لا تعرف
فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام اهل الامصار وانما تسمى العرب من لحقه

الشوم مشؤما قال علقمة ابن عبدة ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته
لا بد مشؤم والوجوه الثلثة الاول اشبه واوضح ومما نجنا لمروان بن ابى
حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن ابن زائدة الشيباني اولها ارى القلب
امسى بالاوانس مولعا وان كان من عهد الصبى قد تمتعا يقول فيها ولما سرى
الهم الغريب قريته قرى من ازال الشك عنه وازمعا عزمت فعجلت الرحيل ولم اكن
كذى لوثة لا يطلع الهم مطلعا فامت ركابى ارض معن ولم تزل الى ارض معن
حيث ما كان نزعا نجائب لولا انها سخرت لنا ابت عزة من جهلها ان تورعا
كسونا رحال الميس منها غواربا تدارك فيها النى صيفا ومربعا فما بلغت صنعاء
حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنها واقلعا وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه
على الناس من معروف معن باوسعا تدارك معن قبة الدين بعد ما خشيت
على اوتادها ان تنزعا اقام على الثغر المخوف وهاشم تسامى سماما بالاسنة
منقعا مقام امرئ يأبى سوى الخطة التى تكون لدى غب الاحاديث ارفعا وما
احجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا رأوا مخدرا قد جربوه
وعاينوا الذى عند منهم مجزعا ومصرعا وليس بثانيه اذا شد ان يرى لدى
نحره زرق الاسنة شرعا له راحتان الحتف والغيث فيهما ابى الله الا ان تضرا
وتنفعا لقد دوخ الاعداء معن فاصبحوا وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا نجيب
مناجيب وسيد سادة ذوى المجد من فرعى نزار تفرعا لبان خصال الخير فيه
واكملت خمسا سنوه واربعا لقد اصبحت في كل شرق ومغرب بسيفك اعناق المريبين
خضعا وطئت خدود الحضرميين وطأة لها هد ركنا عزهم فتضعضعا فاقعوا
على الاذناب اقعاء معشر يرون لزوم السلم ابقى واودعا فلو مدت الايدى
الى الحرب كلها لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا اما قوله فما بلغت صنعاء حتى
تواضعت ذراها فزال الجهل عنه واقلعا فقد ردده في موضع آخر فقال
فما بلغت حتى حماها كلالها اذا عريت اصلابها ان تقيدا وهذا المعنى كثير

في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير اذا بلغوا المنازل لم تقيد وفي طوال
الكلال لها قيود وروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير ايكما فيه
اشعر قال فما هو فقيل قولك اضربها التهجير حتى كانها بقايا سلال لم يدعها
سلالها وانشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفى فقيل له
قد فضلته عليك فقال هو ذاك وقد اخذ هذا المعنى المؤمل بن اميل المحاربي
فقال كانت تقيد حين تنزل منزلاً فاليوم صار لها الكلال قيوداً ولابي نخيلة
قيدها الجهد ولم تقيد فهي سوام كالقنى المسند وما لها معقل من مزود منها
وما من شاحط مستبعد ومعنى قوله سوام اي هي رافعة رؤسها وشبهها
بالقنى لان القنى اذا ركز مال قليلا مع الريح فيقول في اعناقها ميل من الضعف
كما قال الشماخ فاضحت تفالى بالستار كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز
وكما قال حميد بن ثور بمثوى حرام والمطي كانه قنى مسند هبت لهن خريق
والخريق ريح شديدة تتخرق من كل وجهة ومعنى قول ابي نخيلة من مزود
اي من ثميلة تجتزها من الاجترار واراد انه لا شئ في اجوافها فتعلل به والمستبعد
ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس ثعلب اذا بلغوا المنازل لم تقيد ركابهم
ولم تشد بعقل فهن مقيدات مطلقات تقضم ما تشذب في المحل والاصل
في هذا قول امرئ القيس مطوت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن
بارسان ولعباد بن انف الكلب الصيداوي فمنسى لا اقيدها بحبل بها
طول الضراوة والكلال ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل بلانا بها
من سيف رمل كهيلة وفيها تنشاط من مراح وعجرف فما بلغت حتى تقارب
خطوها وبادت ذراها والمناسم رعف وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت
اذا ما ابيحت والمدامع ذرف وحتى مشى الحادي البطي يسوقها لها بخص
دام وداي مجلف البخص لحم الخف الذي تطاه عليه والداي فقار الظهر
المجلف المقشور وحتى بعثنا وما في يدها اذا حل عنها رمة وهي رسف

الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن في يدها قيد
اذا ما ابلنا قابلت عن ظهورها حواجيج امثال الاهلة شسف الحواجيج الطوال
من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى قتالها للغربان انها
اذا عريت ظهورها تقع الغربان عليها لتاكل دبرها فالابل تدفع الغربان بافوا
هها عن ظهورها وذلك قتالها اذا ما ارينا ها الازمة اقبلت الينا بحرات
الخدود تصدف فافي مراح الداعرية خوضها بنا الليل اذ نام الدثور الملفف
ومن احسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول
الشاعر وذات ماين قد غيضت جمها بحيث تستمسك الارواح بالحجر ردت
عوارى غيطان الفلا وبحت بمثل ابيالة من حايل العشر قوله ذات ماين يعني
سمنا على سمن وقيل بل عنى انها رعت كلأ عامين وقوله قد غيضت جمها يعني
انه اتعبها بالسير حتى ردها هزيلا بعد سمن فكانه غيض بذلك ماءها ومعنى
بحيث تستمسك الارواح بالحجر يعني الفلاة حيث لا يكون الماء فيقتسم الركب الماء
الذي معهم بالحجر الذي يقال لهم المقلة فيمسك ارماقهم وقوله ردت عوارى
غيطان الفلا اي ما رعت من كلاء هذه الاماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها
فردته حيث جهدها السير وهزلها والابيالة الحزمة من الحطب اليابس واخذ
هذا المعنى بعينه ابو تمام فقال رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء المزن
ينهل ساكبه فكم جزع واد جب ذروة غارب ومن قبل كانت انمكته مذانبه
فاما قوله فما اجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا فمأخوذ
من قول الاخر فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال وقريب منه قول
الاخر لعمرك ما الناس اثنوا عليك ولا قرظوك ولا عظموا ولو انهم وجدوا
مطعنا الى ان يعيبوك ما احجموا فانت بفضلك الجاتهم الى ان يجلوا وان يعظموا
ومثله اما لو راى فيك العدو نقيصة لحلب بتصريف العيوب واوضعا ولكنه
لما راك منزهاً من العيب غطى راسه وتقنعا ومثله قد طلب العاذل عيبنا

فما اصاب عيبا فانثنى عاذرًا وللبحترى فى معنى قول مروان فما احجم الاعدآء
عنك بقية من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد
غداة لقيت الليث خادر بجدد نابا للقآء ومخلبا شهدت لقد انصفته
يوم تنبرى له مصلتا عضبا من البيض مقضبا فلم ار ضرغامين اصدق منكما
عراكا اذا الهيابة النكس كذبا هزبر مشى يبغى هزبرا واغلب من القوم يغشى باسل
الوجه اغلبا ادل بشغب ثم هالته صولة راك لها امضى جنانا واشغبا فاحجم
لما لم يجد فيك مطمعا واقدم لما لم يجد عنك مهربا فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا
ولم ينجه ان حاد عنك منكبا حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك
ارتدت ولا حده نبا وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة او لا تبق للسيف
مضربا ومن صافى كلام مروان ورائقه ومما اجتمع له فيه جودة المعنى
واللفظ واطراد النسج قوله بنو مطر يوم اللقآء كانهم اسود لها فى غيل
خفان اشبل هم يمنعون الجار حتى كانما لجارهم بين السماكين منزل لهاميم
فى الاسلام سادوا ولم يكن كاولهم فى الجاهلية اول هم القوم ان قالوا اصابوا
وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا وما يستطيع الفاعلون
فعالهم وان احسنوا فى النائبات واجملوا ثلاث بامثال الجبال حباهم واحلامهم
منها الذى الوزن اثقل ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنًا ما من عدو
يرى معنًا بساحته الا يظن المنايا تسبق القدرا يلقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها
كالليث يزداد اقداما اذا زجرا اغر يحسب يوم الروع ذا البدو ردا
ويحسب فوق المنبر القمرا وله من قصيدة يصف يوما حارا ويوم عبوس
الآل حام كانما لظى شمسه مشبوب نار تلهب نصبنا له منا الوجوه وكنها
عصائب اسمال بها نتعصب ويشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى
ويوم من الشعرى يذوب لعابه افاعيه فى رمضائه تتململ نصبت له وجهى
ولا كن دونه ولا ستر الا الاتحمى المرعبل ولمروان من ابيات اجاد فيها يصف فيها

حلبوة

حديقة وهبها له المهدى ويذكر نخلها وشجرها اجاد فيها نواضر غلبا قد تدلت
رؤسها من النبت حتى ما يطير غرابها ترى الباسقات العم فيها كانها ظعائن
مضروب عليها قبابها ترى بابها سهلا لكل مدفع اذا ابنعت نخل فاغلق بابها
يكون لنا ما نجتنى من ثمارها ربيعا اذا الافاق قل سحابها حظائر لم يخلط باثمانها
الربى ولم يك من اخذ الدبات اكتسابها ولكن عطآء الله من كل مدحة جزيل
من المستخلفين ثوابها ومن ركضنا للخيل فى كل غارة حلال بارض المشركين
نهابها حوت غنمها اباؤنا وجدودنا بضم العوالى والدمآء خضابها اما قوله
حظائر لم يخلط باثمانها الربى ولم يكن من اخذ الدبات اكتسابها فكان ابن
المعتز نظر اليه فى قوله لنا ابل ما وفرتها دماؤنا ولا دعرتها فى الصباح المسالح
وفى ضد هذا قول ابى تمام كثرت فيهم المواشى الا انها من مناكح وديات ومثل
الاول قول حسان يهجو اقوما من قريش وما لكم لا من طراد فوارس ولكن من
الترقيح يا آل مالك مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن معنى قوله تعالى
كل شئ هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله ويبقى وجه ربك
وما شاكل ذلك من الآى المتضمنة لذكر الوجه الجواب قلنا الوجه ينقسم فى اللغة
العربية الى اقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه
ايضا اول الشئ وصدره ومن ذلك قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب
امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا آخره اى اول النهار
ومنه قول الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه
نهار اى غداة كل يوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل
من ذلك قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد بامره
وفعله الى الله سبحانه واراده بهما وكذلك قوله ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وهو محسن وقال الفرزدق واسلمت وجهى حين شدت ركائبى
الى آل مروان بناة المكارم اى جعلت قصدى وارادتى لهم وانشد الفرآء استغفر الله

ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل اى القصد ومنه قولهم فى
الصلوة وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض اى قصدت قصدى بصلاتى
وعملى وكذلك قوله تعالى فاقم وجهك للدين والوجه الاحتيال للامر قولهم كيف
الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اى ما الحيلة والوجه المذهب والجهة والناحية
قال حمزة ابن بيض الحنفى اى الوجوه انتجعت قلت له لاى وجه الا الى الحكم متى
يقل صاحبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم والوجه القدر والمنزلة ومنه
قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه من فلان اى اعظم قدرا وجاها ويقال
اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرؤ القيس ونادمت قيصر فى ملكه
فاوجهنى وركبت البريدا والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم
وهو وجه عشيرته ووجه الشئ ايضا نفسه وذاته قال الحمر بن جندل
السعدى ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة فافلت منها وجهه عند نهده اراد
فلته ونجاه ومنه قولنا انما افعل ذلك لوجهك ويدل ايضا على ان الوجه يعبر به عن
الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة
تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية
لان جميع ما اضيف الى الوجوه فى ظاهر الآى من النظر والظن والرضى لا يصح اضافته
على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله كل شئ هالك الا وجهه اى
كل شئ هالك الا اياه وكذلك قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه قوله ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام لما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذى الجلال كما قال تعالى تبارك
اسم ربك ذى الجلال والاكرام لما كان اسمه غيره ويمكن فى قوله كل شئ هالك
الا وجهه وجه آخر قد روى عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه
ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه نحو القربة اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك
بالله ولا تدع مع الله الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه

فهو هالك باطل وكيف يجوز للمشبهة ان تحمل هذه الآية والتى قبلها على الظاهر
اوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله
فاما قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقوله وما
اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمعلوم ان هذه الافعال مفعولة له ومقصود بها
ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل
ان يراد به فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ايضا ان يراد به
فثم رضى الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة وتكون الاضافة
بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال ولله المشرق والمغرب
فاينما تولوا فثم وجه الله اى ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وهذا واضح بين
بحمد الله اخبرنى ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولى قال
انحدرنا مع المكتفى بالله فى آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بحنة الى
تكريت فى حراقة فكانت تجنح كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت
اشدهم فزعا وكان فى الحراقة سواى من الجلساء يحيى بن على المنجم ومنوج بن محمود بن
مروان والقسم المعروف بابن حجابة فكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله
لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحترى يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا
ويمدح به احمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم فى مراكب اوله الم تر تغليس الربيع
المبكر وما حاك من وشى الرياض المنشر فقال انشدنى الموضع الذى ذكر هذا فيه
منها وكان نجيد العلم بالاشعار حافظا للاخبار فانشدته غدوت على الميمون
صبحا وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر اذا زجر النونى فوق علاته رايت خطيبا
فى ذوابة منبر يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر اذا ما علت
فيه الجنوب اعتلا له جناحا عقاب فى السماء مهجر اذا ما انكفى فى هبوة الماء خلته
تلفع فى اثناء برد محبر وحولك ركابون للهول عاقروا كؤس الردى من دارعين وحسر
تميل المنايا حيث مالت اكفهم اذا اصلتوا حد الحديد المذكر اذا رشقوا بالنار لم يك

رشقهم ليقلع الاعن شوآء مقتر يسوقون اسطولا كان سفينه سحائب صيف
من جهام وممطر صدمت بهم صهب العثانين دونهم ضراب كايقاد اللظى المتسعر
كان صحيح البحر بين مارحهم اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر تقارب من زحفيهم
فكانما تؤلف من وحش منفر فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى مقصصة فيهم وهام
مطير على حين لا نقع تطوحه الصبا ولا ارض تلفى للصريع المقطر وكنت ابن كسرى
قبل ذاك وبعده مليا بان توهى صفاة ابن قيصر جدجت له الموت الذعاف فعافه
وطار على الواح شطب مسمر مضى وهو مولى الريح يشكر فصلها عليه ومن يول
الصنيعة يشكر قال فاستجاد المكتفى بالله قوله على حين لا نقع تطوحه الصبا
فقال له يحيى بن على انشدنى ابن الرومى شعراً له فى هذا المعنى سنه ولم اعلم قط منذ
سباحة سوى الغوص والمضعوف غير مغالب ولم لا ولو القيت فيها وصخرة لوافيت
منها القعر اول راسب وايسر اشفاقى من الماء اننى امر به فى الكوز مر المجانب واخشى
الردى منه على كل شارب فكيف بامنيه على نفس راكب فقلت له انما اخذ ابن
الرومى بيته الثالث من قول ابى نواس فقال المكتفى وما قال فقلت حدثنى على بن
سراج المصرى قال حدثنى ابو وائل اللخمى قال حدثنى ابرهيم بن الخصيب قال وقف
ابو نواس بمصر على النيل فرآى رجلا قد اخذه التمساح فى النيل فقال اضمرت للنيل
هجرانا ومقلية مذ قيل لى انما التمساح فى النيل فمن راى العين من كثب فما ارى النيل الا
فى البواقيل قال الصولى البواقيل سفن صغار ثم اجرى المكتفى ذكر الشيب فقال العرب
تقول اظلم من شيب وظلمنى الشيب وشبت يا صولى فقلت جواب عبدك فى هذا
جواب معن بن زائدة الشيبانى لجدك المنصور وقال له كبرت يا معن فقال فى طاعتك
يا امير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وفيك بقية قال الحذ منه فنزع
المكتفى عمامته فاذا شيبتان فى مقدم راسه فقال لقد غمنى طلوع هاتين الشيبتين
فقلت انما يعيش الناس فى الشيب فاما السود فلا يصحب الناس خالصا اكثر من اربعين
سنة الى الخمسين وقد يعاش فى البياض الذى لا سواد فيه ثمانون سنة فانشدنى

يحيى

يحيى ابن على بن يحيى المنجم فى معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس الا ان بعد
العدم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا وانشدته ايضا ابياتا انشدها
اسحق بن ابرهيم الموصلى لبعض القيسيين لم ينتقص منى المشيب قلامة الا انحين
بدا الب والبس والشيب ان يظهر فان وراءه عمراً يكون خلاله متنفس قال
قدس الله روحه اما قول البحترى مضى وهو مولى الريح فقد كرر معناه فى قوله
من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغرى اشلى على متوبل اطراف القنا فنجا عتيق
عتيقة جرداء ولو انه ابطاهن هنيهة لصدرن عنه وهن غير ظماء فلئن
تبقاه القضاء لوقته فلقد عمت جنوده بفناء واظنه اخذ هذا المعنى من ابى
تمام فى قوله من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية لولا الظلام وقلة
علقوا بها بانت رقابهم بغير قلال فليشكر واجنح الظلام ودروذا فهم
لدروذا والظلام موال وقد اخطأ الصولى فى تفسير بيت ابى نواس بان
البواقيل سفن صغار لان البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة
تعمل من الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومى فى الكوز مر المجانب وانما اراد انى
لا امر بماء النيل الا اذا اردت شربه فى كوز او بوقال واظن الصولى استمر عليه الوهم
من جهة قوله فما ارى النيل وصرف ذلك الى انه اراد النيل بعينه على الحقيقة وانما
اراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار تسمى بواقيل الا من قول الصولى هذا ولو
كان ما ذكره صحيحا من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت ابى نواس بما ذكرناه
اشبه واليق وادخل فى معنى الشعر كيف تدخل شبهة فى ذلك مع قوله فمن راى
النيل راى العين من كثب ومن راى النيل فى السفن فقد راه من كثب ومن راى
ماءه فى الآنية على بعد لا يكون رائيا له من كثب فاما مدح الشيب وتفضيله على
الشباب فقد قال فيه الناس فاكثروا فمما تقدم من ذلك قول روبة بن العجاج
ويقال ان روبة لم يقل من القصيدة الا هذين البيتين ايها الشامت المعير بالشيب
اقلن بالشباب افتخارا قد لبست الشباب غضا جديدا فوجدت الشباب ثوبا

معارا ولعلى بن جبلة جفا طرب الفتيان وهو طروب واعقبه قرب الشباب
مشيب تجافت عيون البيض عنه وربما مددن اليه الوصل وهو حبيب
لعمرى لنعم الصاحب الشيب واعظا وان كان عنه للعيون نكوب خليط نهى
منتاب حلم وانه على ذاك مكروه للخلاط مريب ولآخر وتنكرت شيبى فقلت لها
ليس المشيب بناقص عمرى سيان شيبى والشباب اذا ما كنت من عمرى على قدر
ولآخر ان اكن قد رزيت اسود كالفحم واعقبت مثل لون الثغام فلقد اسعف
الكريم ولحوا اهله بالندى وابى الظلام غير ان الشباب كان رداء خاننا فيه
كفى دغامه ولآخر ان المشيب رداء للحلم والادب كما الشباب رداء للجهل واللعب
تعجبت ان رأت شيبى فقلت لها لا تعجبى من يطل عمر به يشب ولابن الجهم حسرت
عنى القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجوم انكرت ما رأت برأسى فقالت
اشيب ام لؤلؤ منظوم قلت شيب وليس عيبا فانت انه يستبرها المهموم
سند ما انكرت نصرم عهد لم يدم لى واى شئ يدوم ولابى هفان تعجبت در
من شيبى فقلت لها لا تعجبى فطلوع الشمس فى السدف وزادها عجبا لما رأت سملى
وسادرت درّ ان الدر فى الصدف وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان فى قوله
ابدت اسى ان راتنى مخلس القصب وال ما كان من عجب الى عجب ست وعشرون
تحدونى واتبعها الى المشيب ولم تظلم ولم تحب فلا يؤرقك ايماض القتير به فان ذاك
ابتسام الرأى والادب وللبحترى عيرتنى بالشيب وهى رمته فى عذارى بالصد
والاجتناب لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب وبياض البازى
اصدق حسنا ان ملت من سواد الغراب وله هاهو الشيب لائما فافيق واترك اذ كان
غير مفيق فلقد كف من عناء المعنى وتلافى من اشتياق المشوق عذلتنا فى عشقها
ام عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق ورأت لمة الم بها الشيب فريعت من ظلمة
فى شروق ولعمرى لولا الاقاحى لابصرت انيق الرياض غير انيق وسواد العيون
لو لم تكمل ببياض ما كان بالموموق ومزاج الصهبا بالماء املى بصبوح مستحسن

وعبوق

وعبوق اى ليل يبهى بغير نجوم او سماء تندى بغير بروق ويشبه ان يكون اخذ
قوله اى ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر الشيب ولم اقض الشباب حقوقه
ولم يمض من عهد الشباب قديم رات وضحا فى مفرق الرأس راعها وشتان
مبيض به وبهيم تفاريق شيب فى الشباب لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم
ولمحمود الوراق مثل هذا المعنى وهو قوله ما الدر منظوما باحسن من شيب يحلل
هامة الكهل وكانه فيها النجوم اذا اجد المستير بها على مهل لا تبكين على الشباب
اذا بكى المجهول عليه للجهل واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة
الفضل ولآخر فى مدح الشيب لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية
ووقار انما تحسن الرياض اذا ما ضحكت فى خلالها الانوار قال قدس الله روحه
ولى فى هذا المعنى من قصيدة جزعت لوخطات المشيب وانما بلغ الشباب مدى
الكمال فنورا والشيب ان فكرت فيه مورد لا بد يورده الفتى ان عمرا يبيض
بعد سواده الشعر الذى ان لم يزره الشيب واراه الثرى وممن عدل بين الشيب
والشباب ومدح كل واحد منهما طريح ابن اسمعيل فقال والشيب غاية للحكماء
من سفه الصبى بدل يكون له الفضيلة مقنع والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع
دفاعه من يجزع ان الشباب له لذاذة جدة والشيب منه فى المغبة انفع لا يبعد الله
الشباب الغض لى فيه لذة فوقى عنه المشيب وادبا فسقيا ورعيا للشباب الذى
مضى واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله
تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى فليستجيبوا لى
وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو
فلا يجاب الجواب قلنا فى ذلك وجوه اولها ان يكون المراد بقوله اجيب دعوة الداع اى
اسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب اى دعوت من لا يسمع وقد يكون
ايضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد
اجاب الله من حمده وانشد ابن الاعرابى دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع

ما اقول اراد يجيب ما اقول وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله قريب من قرب المسافة
بل اراد انني قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي او لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسرّ
ويجهر تنبيهاً بقرب المسافة لان من قرب من غيره عرف احواله ولم تخف عليه
ويكون قوله اجيب على هذا تاكيداً للقرب فكانه اراد انني قريب قرباً شديداً وانني
بحيث لا تخفى على احوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه
والعلم بحاله انا بحيث اسمع كلامك واجيب نداك وما جرى هذا المجرى وقد روي
ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا له اربنا قريب فنناجيه ام بعيد
فنناديه فانزل الله تعالى هذه الآية وثالثها ان يكون معنى الآية انني اجيب دعوة
الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب ان يقارن الدعاء وهو
ان يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا
الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً
لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضاً مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون معنى دعاني
اي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكانه تعالى قال انني اثيب
العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم من ان معنى
الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في اعطائه صلاح فعله به واجابه اليه وان لم
يكن في اعطائه اياه في الدنيا صلاح وخيرة لم يعطه ذلك في الدنيا واعطاه اياه
في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل
من احد امرين اما ان يجاب دعاؤه واما ان يخار له بصرفه عما سأل ودعا
لحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب
يضعف لان العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد
في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف
يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم الا ان يقال
انه دعاء مشروط بان يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى

فليستجيبوا لى

فليستجيبوا لى اي فليجيبوني وليصدقوا رسلي قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب
الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه قال السيد قدس الله روحه
واذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب
وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمه
والتألم به والجزع منه فمن ذلك قول ابي حية النميري ترحل بالشباب الشيب عنا
فليت الشيب كان هو الرحيل وقد كان الشباب لنا خليلاً فقد قضى مآربه الخليل
لعمر ابي الشباب لقد تولى حميداً ما يراد به بديل اذ الايام مقبلة علينا وظل
اراكة الدنيا ظليل وقال الفرزدق ارى الدهر ايام المشيب امره علينا واياّم
الشباب اطايبه وفي الشيب لذات وقرة اعين ومن قبله عيش تعلل جادبه
اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا بسيفيهما فالشيب لابد غالبه فيا خير مهزوم
ويا شر هازم اذا الشيب وافت للشباب كتائبه وليس شباب بعد شيب
براجع يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه وما المرء منفوعاً بتجريب واعظ اذا لم
تعظه نفسه وتجاربه وانشد اسحق بن ابرهيم الموصلي لعمري لئن حليت عن
منهل الصبى لقد كنت ورّاد المشرب العذب ليالي امشي بين بردي لاهيا امير
كغصن البانة الناعم الرطب سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغواني
والمدامة والشرب سلام امرئ لم تبق منه بقية سوى منظر العينين او شهوة
القلب ولمنصور النمري ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شباباً ليس
يرتجع بان الشباب وفاتتني بشرته صروف دهر وايام لها خدع ما كنت اوفي
شبابي كنه عزته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع ولمحمد بن حازم عهد الشباب لقد
ابقيت لي حزناً ما جد ذكرك الا جد لي ثكل سقيا ورعيا لايام الشباب واذ
لم يبق منك له رسم ولا طلل جر الزمان ذيولاً في مفارقه وللزمان على احسانه علل
وربما جاذ بال الصبى مرحاً وبين برديه غصن ناعم خضل لا تكذبن فما الدنيا
باجمعها من الشباب بيوم واحد بدل كفاك بالشيب ذنباً عند غانية وبا

وبالشباب شفيعا ايها الرجل ولابى نواس الحسن بن هانئ كان الشباب
مطية للجهل ومحسن الضحكات والهزل كان الجيل اذا ارتديت به ومشيت
اخطر صيت النعل كان البليغ اذا نطقت به واصاخت الآذان للمملكان
المشفع فى ما آربه عند الحسان ومدرك النبل والباعثى والناس قدر قدوا
حتى ابيت خليفة البعل والامرى حتى اذا عزمت نفسى اعان يدى بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبى رحلى قال قدس الله روحه
وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من اعرابية ليستا لغيره ولبشار بن برد
الشيب كره وكره ان يفارقنى اعجب بشئ على البغضاء مودود يمضى الشباب
ويأتى بعده خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود وهذا البيت الاخير
يروى لمسلم بن الوليد الانصارى ومما احسن فيه مسلم قوله فى هذا المعنى
طرفت عيون الغانيات وربما املن الى الطرف كل مميل وما الشيب الا ثغرة
غيره انه قليل قذاة العين غير قليل وله اهلا بوافدة للشيب واحدة وان ترا
ات بشخص غير مودود لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت نفسى الى الماء عن ماء
العناقيد لم ينهنى كبر عنها ولا فند لكن صحوت وعصنى غير مخضود اوفى
بى الحلم واقتاد النهى طلقا شاوى وعفت الصبى من غير تفنيد ولقد احسن
دعبل فى قوله يصف الشباب والشيب كان كلا لما اتيها فقد صار بالشيب
لعينيها قذى ولغيره رات طالعا للشيب اغفلت امره ولم تتعهده اكف
الخواضب فقالت اشيب ما ارى قلت شامة فقالت لقد شانتك عند
الحبائب ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن حازم اليس عجيبا بان الفتى
يصاب ببعض الذى فى يديه فمن بين باك له موجع وبين معز معزا اليه
ويسلبه الشيخ شرح الشباب فليس يعزيه خلق عليه ولابى دلف فى كل
يوم ارى بيضاء طالعة كانما طلعت فى اسود البصر لئن قصصتك
بالمقراض عن بصرى لما قصصتك عن همى وعن فكرى وليحيى ابن خالد

البرمكى

البرمكى ويروى لغيره الليل شيب والنهار كلاهما راسى بكثرة ما ندور
رحاهما ينتاهبان نفوسنا ودماءنا ولحومنا عمدا ونحن نراهما والشيب
احدى الميتتين تقدمت اولاهما وتاخرت اخراهما وقد اتى الفحلان المبرزان
ابو تمام وابو عبادة فى هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك قول ابى تمام غدا الهم
مختطا بفودى خطة طريق الردى فيها الى الموت مهيع هو الزور يجفى والمعاشر
يجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرقع له منظر فى العين ابيض ناصع ولكنه فى
القلب اسود اسفع ونحن نزجيه على الكره والرضى وانف الفتى من وجهه وهو
اجدع وله شعلة فى المفارق استودعتنى فى صميم الفؤاد ثكلا صميما تستثير الهموم
ما اكتن منها صعدا وهى تستثير الهموما غرة مرة الا انما كنت اغرا ايام كنت بهيما
دقة فى الحياة تدعى جلالا مثل ما سمى اللديغ سليما حلمتنى زعمتم واراني قبل هذا
التحليم كنت حليما وله لعب الشيب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولعوبا خضبت
خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رأت شواتى خضيبا كل داء يرجى الدواء له الا
الفظيعين ميتة ومشيبا يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتى عند الحسان
ذنوبا ولئن عبن ما راين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا او تصدعن عن قلى
لكفى بالشيب بينى وبينهن حسيبا لو راى الله ان للشيب فضلا جاورته الابرار
فى الخلد شيبا قال قدس الله روحه وجدت الآمدى يذكر ان قوما ادعوا المناقضة
على ابى تمام فى هذه الابيات لقوله فابكى تماضرا ولعوبا وقوله خضبت خدها
الى لؤلؤ العقد دما ان رأت شواتى خضيبا وقوله يا نسيب الثغام ذنبك وقوله
ولئن عبن ما راين فالواكيف يبكين دما على شيبه ثم يعبنه قال الآمدى وليس
هذا تناقضا لان الشيب انما ابكى تماضر ولعوبا اسفا على شبابه والحسان
اللواتى عبنه غيرها من المرائين فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف
على شبابه بكى كما قال الاخطل لما رات بدل الشباب بكت له ان المشيب لاردى
الابدال ولم تكن بهذه حال من عابه قال هذا مستقيم واضح قال قدس الله روحه

ولیس یحتاج فی الاعتذار لابی تمام الی ما تکلفه الامدی بل المنا قضة زائلة عنه
علی کل حال وان کان من بکی شبابه وتلهف علیه من النسآء وهن اللوانی انکرن
شیبه وعینه به وما المنکر من ذلك وکیف یتنا قض ان یبکی علی شبابه ونزول
شیبه منهن من رأین الشیب ذنبا وعینا منکرا وفی هذا غایة المطابقة لانه
لایبکی الشیب ویجزع من حلوله وفراق الشیب الا من راه منکرا ومعیبا وقال ابو
تمام راحت غوانی الحی عنك غوانیا یلبسن نایا تارة وصدودا من کل شابغة
الشباب اذا بدت ترکت عبید القریتین عبیدا اربین بالمرد الغطاف بدنا
غیدا الفیتهم لذا نا غیدا احلی الرجال من النسآء مواقعا من کان اشبههم بهن
خدودا قوله اربین بالمرد من ارب بالشئ اذا لزمه واقام علیه یقال ارب
والب بالمکان اذا لزمه یرید انهن لزمن هوی المرد واقمن علیه ورواه قوم اربین
بالمرد من الربا الذی معناه الزیادة یقال قد اربی الرجل اذا ازداد فیقول
اربین بالمرد ای ازددن علینا بهم وجعلن للمرد زیادة اخترنها علینا ویقال
انه اخذ قوله احلی الرجال من النسآء مواقعا البیت من قول الاعشی واری
الغوانی لایواصلن امرءا فقد الشباب وقد یصلن الامردا وللمنصور النمری
مثله کرهن من الشیب الذی لو رایته بهن رایت الطرف عنهن ازورا ونحوه
قال الاخر اری شیب الرجال من الغوانی کموقع شیبهن من الرجال وقال ابو تمام
شاب رأسی وما رأیت مشیب الرأس الا من فضل شیب الفواد وکذاك
القلوب فی کل بوس ونعیم طلائع الاجساد طال انکاری البیاض وان عمرت
شیئا انکرت لون السواد زارنی شخصه بطلعة ضیم عمرت مجلسی من العواد
نال رأسی من ثغرة الهم لما لم تنله من ثغرة المیلاد ومعنی هذا البیت الاخیر ان
الثغرة هی الفرجة والثلمة تکون فی الشئ ولذلك سمی کل بلد جاور عدوا
ثغرا کان معناه انه مکشوف للعدو ویجوز ان یکون اصله من ثغر الانسان
لانه اول ما یقابلك من اسنانه واول ما یظهر عند الکلام واول ما یسقط فیری

مثلوما

مثلوما فشبه الثغر الذی هو البلد به ویقال انثغر ویسمی تلك الفرجة فی موضع
السن ثغرة وفی کل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال رأسی
من ثغرة الهم ای وجد الشیب الهم فرجة دخل علی رأسی منها لان الهم یشیب لا محالة
وقوله لما لم ینله من ثغرة المیلاد واراد بثغرة المیلاد الوقت الذی هجم علیه فیه
الشیب من عمره لانه یجد السبیل فی ذلك الوقت الی الحلول برأسه فجعله ثغرة فی هذا
الوجه فاراد ان الشیب حل برأسه من جهة همومه واحزانه لما لم یبلغ السن التی
توجب حلوله به من حیث کبره قال قدس الله روحه ورایت الامدی یطعن علی
قوله عمرت مجلسی من العواد ویقول لا حقیقة لذلك ولا معنی لانا ما رأینا ولا سمعنا
احدا جاءه عواد یعودونه من الشیب ولا ان احدا امرضه الشیب ولا عزاه المعزون
عن الشباب وهذا من الامدی قلة نظر فی نقد الشعرآء ولم یرد ابو تمام بقوله
عمرت مجلسی من العواد العیادة الحقیقة التی یغشی فیها العواد مجالس المرضی وذوی
الاوجاع وانما هذا استعادة وتشبیه واشارة الی الغرض خفیة وکانه اراد
ان شخص الشیب لما زارنی کثر المتوجعون لی والمتاسفون علی شبابی والمتفجعون
من مفارقته فکانهم فی مجلسی عوادلی لان من شان العائد للمریض ان یتوجع و
یتفجع وکنی بقوله عمرت مجلسی من العواد عن کثرة من تفجع له وتوجع من شیبه
وهذا من ابی تمام کلام فی نهایة البلاغة والحسن وما المعیب الا من عابه وطعن علیه
ونحن نذکر فی المجلس الاتی بمشیئة الله وعونه ما للبحتری فی هذا المعنی ان شاء الله
تعالی مجلس اخر تاویل آیة ان سال سائل عن قوله تعالی هو الذی انزل من السمآء
ماء لکم منه شراب ومنه شجر فیه تسیمون فقال اذا کان الشجر لیس ببعض
الماء کما کان الشراب بعضا له فکیف جاز ان یقول ومنه شجر بعد قوله شراب
وما معنی تسیمون وهل الفائدة فی هذه اللفظة هی الفائدة فی قوله تعالی والخیل
المسومة والانعام وقوله وامطرنا علیهم حجارة من سجیل منضود مسومة
عند ربك الجواب قلنا فی قوله تعالی ومنه شجر وجهان احدهما ان یکون المراد ومنه

سقى سنجر وشرب سنجو لحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه و ذلك كثير
فى لغة العرب ومنه قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل اى حب العجل والوجه
الآخر ان يكون المراد ومن جهة الماء سنجر ومن سقيه وابانه سنجو لحذف الاول
وخلفه الثانى كما قال عوف بن الجوع امن آل ليلى عرفت الديار بجنب الشقيق
خلاء قفارا اراد من ناحية ال ليلى وقال زهير امن ام اوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم اراد من ناحية ام اوفى وقال ابو ذويب امنك البرق
ارقبه نهاجا فبت اخاله دهاخلاجا وقال ايضا امنك برق ابيت الليل ارقبه
كانه فى عراض الشام مصباح وقال الجعدى لمن الديار عفون بالتهطال بقيت
على حجج خلون طوال اراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج فاما قوله تعالى فيه
تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام الابل يسيمها اسامة
اذا ارعاها واطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها ايضا يسومها
من ذلك وسامت هى اذا رعت فهى تسوم وهى ابل سائمة ويقال سمتها اذا
قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل
لمن اذل واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد
فى الاسامة التى هى الاطلاق فى الرعى راعيا كان مسجحا ففقدناه وفقد المسيم
هلك السوام وقال الآخر واسكن ما سكنت ببطن واد واظعن ما ظعنت
فلا اسيم وذهب قوم الى ان السوم فى البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين
يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن او نقصان الى ما يهواه كما تذهب سوائم المواشى
حيث شاءت وقد جاء فى الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل
وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعى وتخفى عليه
مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس فى البيوع مكروه
لان السلعة المبيعة تستتر عيوبها او بعضها فيدخل ذلك فى بيوع الغرر
المنهى عنها فاما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة

من السماء

من السماء وهى العلامة وروى عن الحسن البصرى فى قوله تعالى والخيل المسومة
قال سوم نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ايضا ان المسومة هى الحسان
وروى عن مجاهد فى قوله تعالى والخيل المسومة هى المطهمة الحسان وقال
آخرون بل هى الراعية روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد
وهو معنى العلامة لان تحسين الخيل يجرى مجرى العلامة فيها التى تعرف بها
وتميز لكانها وقيل ان السوم من الرعى يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعى
يجعل فى مواضع التى يرعاها علامات او كالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحو
من اثارها فكان الاصل فى الكل متفق غير مختلف وقال لبيد فى التسويم الذى
هو الاعلام وغداة قاع القرنتين اتينهم رهوا يلوح خلالها التسويم اراد
التعليم فاما قوله تعالى فى الملائكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله
تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة اى معلمة وقيل انه كان عليها كامثال الخواتيم
قال قدس الله روحه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحترى فى ذم الشيب
والتالم من فقد الشباب فمن ذلك قوله وكنت ارجى فى الشباب شفاعة فكيف
لباغى حاجة بشفيعه مشيب كبت الستر عنى بحمله محدثنا وضاق صدر مذيعه تلاحق
حتى كاد يأتى بطيئه لحث الليالى قبل اتى سريعه وما احسن هذا من كلام وابلغه واطبعه
وقال ايضا ردى على الصبى ان كنت فاعلة ان الصبا ليس من شانى ولا اربى جاوزت
حد الشباب النضر ملتفتا الى ابيات الصبى يركضن فى طلبى والشيب مهرت منجارى
منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب والمرء لو كانت الشعرى له وطنا صبت عليه
صروف الدهر من صبب وقال ايضا لابس من شبيبة امراض وملح من شيبة
امراض واذا ما متعطت من ولع الشيب براسى لم يثن ذاك امتعاضى ليس يرضى
عن الزمان مروفيه الاعن غفلة او تغاض والبواقى من الليالى وان خالفن شيئا
لمشبهات المواضى ناكرت لمتى وناكرت منها سوء هدى الابدال والاعواض
شعرات اقصهن ويرجعن رجوع السهام فى الاغراض وابت تركى العدبات

والاصال حتى خضبت بالمقراض غير نفع الا التعلل من شخص عدو لم يعد
ابغاضي وروا المشيب كالبخص في عيني فقل فيه في العيون المواضي طبت نفسا عن
الشباب وما سود من صبغ برده الفضفاض فهل الحادثات يا ابن عوف
تاركاتي ولبس هذا البياض وقال ايضا تعيب الغانيات على شيبي ومن لي ان امتع
بالمعيب و وجدي بالشباب وان تولى حميدا دون وجدي بالمشيب وقال
ايضا ارأيته من بعد جثل فاحم جون المفارق بالنها رخضيبا فعجبت من حالين
منهما صرف الزمان وما رأيت عجيبا ان الزمان اذا تتابع خطوه سبق الطلوب
وادرك المطلوبا وقال ايضا رات فلتات الشيب فابتسمت لها وقالت
نجوم لو طلعن باسعد اعانك ما كان الشباب مقربي اليك فالحي الشيب اذ كان
مبعدي وقال ايضا عيرت كبدي قسوة منك ما ان تزال تجد فيها ندوبا
وحملت عندك ذنب المشيب حتى كاني ابتدعت المشيبا ومن يطلع شرف
الاربعين يحيي من الشيب شخصا غريبا وقال قدس الله روحه ولي في هذا المعنى
قلن لما راين وخطا من الشيب براسي اعيا على مجهودي كسنا بارق تعرض
وهنا في حواشي بعض الليالي السود ابياض يجد من سواد كان قدما لا مرحبا
بالجديد يا لحاكن من ما كن بالحسن لتقهرننا بغير جنود ليس بيضي مني فاجزي
عليهن صدودا وليس منكن سودي فلما ضركن من شعرات كن يوما على الوقار
شهودي وقال البحتري ايضا خلياه وجدة اللهو ما دام رداء الشباب غضا
جديد ان ايامه من البيض بيض ما راين المفارق السود سودا وقال ايضا
ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من الستين عنه ما نضا وشاه اغيد في
نضره فلحظه مرض اعل به القلوب وامرضا وكانه وجد الصبي وجديده دينا
دنا مقاته ان يقتضي اسيان اثري من جوى وصبابة واساف من وصل الحسان
وانفضا وقال ايضا هل انت صارف شيبة ان غلسات في الوقت او عجلت عن الميعاد
جاءت مقدمة امام طوالع هذي تراوحني وتلك تغادي واخو الغنية تاجر في لمة

بشرى جديد بياضها بسواد لا تكذبن فما الصبي بمخلف لهوا ولا زمن الصبي بمعاد
واري الشباب على غضارة حسنه وجماله عددا من الاعداد وقال ايضا ابقى
الشباب امما تولى منه في الدهر دولة ما تعود لا اري العيش والمفارق بيض اسوة
العيش والمفارق سود واعد الشقي جدا ولو اعطي غنما حتى يقال سعيد من عدته
العيون وانصرفت عنه التفاتا الى سواه الخدود وقال ايضا فذاك سني فما جوى
السقم الا في ضلوع على جوى الحب تحنا لو رات حادث الخضاب لانت وارتت من
احمرار البرنا كلف البيض بالمغمر قد را حين يكلفن والمصغر سنا بتشاغفن بالعوير
المسمي من نصابي دون الجليل المكنا وقال ايضا اخي ان الصبي استمر به سير الليالي
فانهجت برده نصد عني الحسان مبعدة اذ انا لا قربه ولا صدده شيب على
المفرقين بارضه يكثر في ان ابينه عدده تطلب عندي الشباب ظالمة بعيد خمسين
حين لا تجده لا عجب ان ملت خلتنا فل فقد الوصل منك مفتقده من يتطاول على
مطاولة العيش تقعقع من ملة عمده قال قدس الله روحه ورايت الامدي قد خطا
في معنى هذا البيت الاخير لانه قال معنى تقعقع من ملة عمده اي اعظامه يجي لها صوت
اذا قام او قعد من كبره وضعفه قال وقوله من ملة اي من تملي العيش يريد طوله
ودوامه ومنه تمليت حبيبك والامر بخلاف ما توهمه ومعنى تقعقع من ملة عمده
اي من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله عن الدنيا فكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل
معروف للعرب يقولون من يجمع يتقعقع عمده يريدون ان التجمع داعي التفرق وان
الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو الانتقال الذي يتقعقع معه العمد والامدي على
كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب اذ كان لم يعرف هذا المثل ومعناه
فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحتري يطابقه فهو اطرف فاما
قوله من ملة فانما اراد به من ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملي العيش ولم يسمع
في تمليت ملة وهذا خطأ على خطاء وقال البحتري ما كان شوقي يبدع يوم ذاك ولا
دمعي باول دمع في الهوى سفحا ولئن كنت مشعوفا بجدتها فما عفا الشيب لي عنها

ولا صفحا وقال ايضا وما انس لا انس عهد الشباب وعلوة اذ عيرتني الكبر كواكب
شيب علقن الصبى فقللن من حسنه ما كثر واني وجدت فلا تكذبن سوا د الهوى في
بياض الشعر ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر قال الامدى
وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال له ان من مات
شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر ايضا فهو تارك لهما معا ومن شاب وفات
الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما
لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحتري ان يقال ان من مات شابا فقد فارق
الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا
اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا
في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكن في حال موته
مفارقا للعمر وحده قال هذا مذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة
التي يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير رأيت المنايا
خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم قال قدس الله روحه وما رأيت
اشد تهافتا في الخطاء منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى
البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التغلغل والـ
والتعسف وانما اراد البحتري ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب
بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا وان كان قد خرج عن العمر وخرج
بخروجه عن سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب
وحده وانما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل
تناولت احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون ذلك
الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب او موت
فكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة
والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه منبئ عن مراده ولو قال ولا بد

من ترك الشباب او ترك الحياة لقام مقام قوله العمر اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معاني
ابن الرومي التي فتقها قوله يذم الزمان من جعل مصيبة غيره سنسية لم مصيبته
وعاب من تعلل بالتاسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه واحسن با شبابي وابن مني
شبابي آذنتني ايامه بانقضاب لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت افنانه اللدان
الرطاب ومعزي عن الشباب موسي بمشيب اللدات والاصحاب قلت
لما انحى بعد اساه من مصاب شبابه فمصاب ليس ناسوا كلوم غيري كلومي ما به
ما به وما بي ولابن الرومي لهفي على الدنيا وهل لهفة تنصف منها ان تلهفتها
قبحا على انها اقبح شئ حين كشفتها وقد يعزيني شباب مضى ومدة للعيش
اسلفتها فكرت في خمسين عاما مضت كانت امامي ثم خلفتها اجعلتها اذ هي
موفورة ثم مضت عني فعرفتها ففرحة الموهوب اعدمتها وترحة المسلوب
اتحفتها لو ان عمري مائة هدني تذكري اني تنصفتها وله في هذا المعنى وقد تقدمت
هذه الابيات في الامالي السالفة وقد احسن في معناها كل الاحسان كفى بسراج
الشيب في الرأس هاديا لمن قد اضلته المنايا لياليا امن بعد ابداء المشيب مقاتلي
لرامي المنايا تحسبيني ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخص اخلق ان يصبن
سواديا وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخص رمانيا مجلس
آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شئ او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فقال كيف جاءت او بعد ما لا يجوز ان يعطف عليه
وما الناصب لقوله او يتوب عليهم وليس في الكلام ما يقتضي نصبه الجواب قلنا
قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون قوله او يتوب عليهم معطوفا على قوله تعالى
ليقطع طرفا والمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنحكم به ليقطع طرفا من الذين
كفروا اى قطعة من جميعهم او يكبتهم اى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم
وتكذب فيكم ظنونهم او يعظهم ما يرون من تظاهر ايات الله تعالى الموجبة

لتصديق نبيه صلى الله عليه واله فيتوبوا و يؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب
عليهم او يكفروا بعد قيام الحجج وتاكد البينات والدلايل فيموتوا او يقتلوا كافرين
فيعذبهم الله باستحقاقهم فى النار و يكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك
من الامر شئ معطوفا على قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اى
ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شئ وانما هو من الله تعالى والجواب
الثانى ان يكون او بمعنى حتى والا ان والتقدير ليس لك من الامر شئ حتى يتوب
عليهم والا ان يتوب عليهم وكما قال امرؤ القيس بكى صاحبى لما راى الدرب دونه
وايقن انا لاحقان بقيصرا فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت
فنعذرا اراد الا ان نموت وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لان لقائل
ان يقول ان امر الخلق ليس الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم
وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من الامر شئ الا ان يتوب عليهم او يعذبهم
حتى كانه اذا كان احد الامرين كان اليه من الامر شئ ويمكن ان ينصر ذلك بان
يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله ليس لك من الامر شئ معناه
ليس يقع ما تريده وتوثره من ايمانهم وتوبتهم او ما تريده من استبطاء استيصالهم
لهم وعذابهم على اختلاف الرواية فى معنى الاية وسبب نزولها الا بان يلطف الله
لهم فى التوبة فيتوب عليهم او يعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم
او عذابهم بك وانما يكون ذلك بالله تعالى والجواب الثالث ان يكون المعنى
ليس لك من الامر شئ او من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفاء بالاولى واضمر
ان بعدها لدلالة الكلام ليس لك من الامر شئ ومن توبتهم ومن عذابهم قال
قدس الله روحه ووجدت ابا بكر محمد بن القسم الانبارى يطعن على هذا الجواب
ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذى لا تصرف
له على اضمار ان مع الفعل لانه ليس من كلام العرب عجبت من اجيك ويقوم على معنى
عجبت من اخيك ومن ان يقوم لان اخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه الا ما شاكله

قال وهذا اذن يستقيم ويصلح فى رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب
ابوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب ابوك فيطرد هذا فى المصادر لانها تتاول
بان فيقول النحويون يعجبنى قيامك وتاويله يعجبنى ان تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن
هذا فيه قال قدس الله روحه وليس الذى ذكره ابن الانبارى مستبعدا وان لم
يضعف هذا الجواب الا من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل
الذى اجازه لانه قد اجاز ذلك فى المصادر وان لم يجزه فى غيرها وقوله تعالى ليس
لك من الامر شئ دلالة على الفعل لان الامر مصدر امرت امرا فكانه تعالى قال
ليس لك من ان امرهم او ان تأمرهم شئ ولا من ان يتوبوا وجرى ذلك مجرى
قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك فى رد الفعل على المصدر والوجه الاول
اقوى الوجوه والله اعلم بما اراد مجلس اخر ان سأل سائل عن معنى الحديث الذى
يرويه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل
المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب قيل له اما النجش فهو المدح والاطراء
قال نابغة بنى شيبان يذكر الخمر وترخى بال من يشربها ويعدى كرمها عند النجش
اى عند مدحها ومنه النجش فى البيع وهو مدح السلعة والزيادة فى ثمنها من غير
ارادة لشرائها بل ليقتدى بالزائد فى الزيادة غيره واصل النجش استخراج الشئ
والتنفير عنه قال بعض الفقعسيين اجرس لها يا بن ابى كباش فما لها الليلة من
انفاش الا السرى وسائق نجاش اسمر مثل الحية الخشخاش فالنجاش
وهو المستثير لسيرها المستخرج لما عندها منه ومعنى اجرس لها اى احدلها
لتسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانفاش اراد
انها لا تترك ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل ليلا وقد نفشتها اذا ارسلتها
بالليل ترعى والخشخاش الخفيف الحركة السريع التقلب والنجش فى البيوع يرجع
معناه الى هذا ايضا لان الناجش يستثير بزيادته فى الثمن ومدحه للسلعة الزيادة
فى ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا اى لا يمدح احدكم السلعة فيزيد

فی ثمنها وهو لا یرید شراها لیسمعه غیره فیزید وقد یجوز ایضاً ان یرید بذلک
لا یمدح احدکم صاحبه من غیر استحقاق لیستدعی منفعته ویستثیر فائدته
وهذا المعنی اشبه بان یکون مراده لان قوله ولا تدابروا اشد مطابقة له ومعنی
لا تدابروا ای لا تهاجروا ویولی کل واحد منکم صاحبه دبر وجهه قال الشاعر
واوصی ابو قیس بان یتواصلوا واوصی ابوکم ویحکم ان تدابروا فکانه قال
لا تتمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذی لیس بمستحق ولا تتهاجروا وتتقاطعوا
فاما قوله صلی الله علیه واله کل المسلم علی المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب
قوم الی ان عرض الرجل وهو سلفه من ابائه وامهاته ومن جری مجراهم وذهب
ابن قتیبه الی ان عرض الرجل نفسه واحتج بحدیث النبی صلی الله علیه واله حین
ذکر اهل الجنة فقال لا یبولون ولا یتغوطون وانما هو عرق یجری من اعراضهم
مثل المسک ای من ابدانهم قال ومنه قول ابی الدرداء اقرض من عرضک لیوم فقرک
اراد من شتمک فلا تشتمه ومن ذکرک بسوء فلا تذکره به ودع ذلک قرضاً لک
لیوم الجزاء والقصاص واحتج ایضاً بحدیث الحسن عن رسول الله صلی الله
علیه واله انه قال ایعجز احدکم ان یکون کابی ضمضم کان اذا خرج من منزله قال
اللهم انی قد تصدقت بعرضی علی عبادک قال فمعناه قد تصدقت بنفسی واحللت
من یغتابنی فلو کان العرض الاسلاف ما جاز ان یحل من سب الموتی لان ذلک الیهم
لا الیه قال ویدل علی ذلک ایضاً حدیث سفین بن عیینة لو ان رجلا اصاب من عرض
رجل شیئا ثم تورع من بعد فجاء الی ورثته بعد موته فاحلوه لم یکن کفارة له
ولو اصاب من ماله شیئا ثم دفعه الی ورثته لکنا نری ان ذلک کفارة له قال ویدل
علی ان عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمداً فاجبت عنه وعند الله فی ذاک
الجزاء فان ابی ووالده وعرضی لعرض محمد منکم وقاء اراد فان ابی وجدی ونفسی
وقال لنفس محمد صلی الله علیه واله وقال اخرون وهو الصحیح العرض موضع المدح
والذم من الانسان فاذا قیل ذکر عرض فلان فمعناه ذکر ما یرتفع او یسقط بذکره

ویمدح او یذم به وقد یدخل فی ذلک ذکر الرجل نفسه وذکر ابائه واسلافه
لان کل ذلک مما یمدح به ویذم والذی یدل علی هذا ان اهل اللغة لا یعرفون
فی قولهم شتم فلان عرض فلان بین ان یکون ذکره فی نفسه بقبیح الافعال او شتم
سلفه واباءه ویدل علیه قول مسکین الدارمی رب مهزول سمین عرضه وسمین
الجسم مهزول الحسب فلو کان العرض نفس الانسان لکان الکلام متناقضاً
لان السمن والهزال یرجعان الی شیء واحد وانما اراد رب مهزول کریمة افعاله
او کریم اباؤه واسلافه وقال ابن عبدل الاسدی وانی لاستغنی فما ابطر الغنی
وابذل میسوری لمن یبتغی قرضی واعسر احیانا فتشتد عسرتی وادرک میسور
الغنی ومعی عرضی ولا یلیق ذلک الا بما ذکرناه قال قدس الله روحه ووجدت
ابا بکر بن الانباری قد رد علی ابن قتیبة قوله هذا وطعن علی ما احتج به فقال
فی الحدیث المروی عنه علیه السلام فی وصف اهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن
الجسد وحکی عن الاموی انه قال الاعراض المغابن التی تعرق من الجسد نحو
الابطین وغیرهما وقال فی حدیث ابی الدرداء معناه من عابک وذکر اسلافک
فلا تجازه لیکون الله تعالی هو المثیب لک وقال فی قول ابی ضمضم معناه انه
احل من اوصل الیه اذی بذکره وذکر ابائه فلم یحل الا من امره الیه وقال فی قول
حسان المراد بعرضه ها هنا ایضاً اسلافه کانه قال وان ابی ووالده وجمیع اسلافی
الذین امدح واذم من جهتهم وقاء له علیه السلام فاتی بالعموم بعد الخصوص
کما قال تعالی ولقد اتیناک سبعاً من المثانی والقران العظیم فاتی بالعموم بعد
الخصوص ولم اجده ذکر فی خبر سفین بن عیینة شیئا وتاویله یقرب من تاویل
خبر ابی ضمضم لان من اذی رجلا بسبه فی نفسه او بسب سلفه وادخل علیه
بذلک وضعاً ونقصاً لم یکن الی ورثته بعد موته الاحلال من ذلک لان الاذی
لم یدخل علیهم ولو کان داخلا علیهم ایضاً مع دخوله علی المسبوب لکان احلالهم
مما یرجع الی غیرهم لا یصح علی ان فی الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق

عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه اولا كلا ما ليس هذا موضعه وقد ذكرنا
في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها
النفس دون السلف او سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون
المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصود على سلف الانسان
بل ذكرنا انه موضع المدح والذم من الانسان ولا فرق بين نفسه وسلفه
فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن
قتيبة ان يأتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل
شئ اوردهما المراد بالعرض فيه النفس او المراد به السلف فهو تاكيد كقولنا في ان
هذه اللفظة مستعملة في موضع المدح والذم من الانسان وانما يكون مما استشهد
نا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة
لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بين بحمد الله ومنه
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن دريد قال اخبرنا ابو حاتم
قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صفريا كان يكتم ذلك فانشدني لعمران بن حطان
انكرت بعدك من قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس اما تكن
ذقت كاسا داروها على القرون فذاقوا نهلة الكاس قد كنت ابكيك حينا ثم
قد يئست نفسي فما ردّ عني عبرتي ياسي واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
اخبرنا ابن دريد قال حدثنا الاشناندانى قال قال التوزى كنت اذا اردت
ان افنشط ابا عبيدة سالته عن اخبار الخوارج وابح منه نبح لجينه يوما وهو
مطرق ينكت في الارض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت فلم يردد
على السلم فتمثلت وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع والبيت
لقطرى بن الفجاءة فنظر الى وقال ويحك اتدرى من يقوله قلت قطرى بن
الفجاءة فقال اسكت فض الله فاك فالا قلت امير المؤمنين ابو نعامة ثم انتبه
فقال اكتمها على يا توزى فقلت هي ابنة الارض فانشدني اقول لها اذا جاشت

حياء من الابطال ويحك لن تراعى فانك لو طلبت حياة يوم على الاجل الذي لك
لن تطاعى فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع وما طول الحياة بثوب
مجد فيطوى عن اخي الخنع البراع سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لاهل الارض
داعي ومن لا يغتبط يسام ويهرم ويفض به البقاء الى انقطاع وما للمرء
خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع فكتبتها وقت لا ننصرف فقال اقعد
ثم انشدني الى كم تعاديني السيوف ولا ارى معاداتها تدعوا الى حماميا اقارع
عن دار الخلود ولا ارى بقاء على حال لمالبس باقيا ولو قرب الموت القراع
لقد اتى لموتى ان يدنوا لطول قراعيا اغادي جلاد المعلمين كانني على العسل الماذي
اصبح غاديا وادعوا الكماة للنزال اذا القنا تخطر فيما بيننا من طعاننا ولست
ارى نفسا تموت وان دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا قال ابن دريد
وهذا الشعر لقطرى بن الفجاءة اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا
اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال جئت ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة
بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت ما معي غيره فانشدني
انت ما شئت فانشدني يا رب ظل عقاب قد وقيت به مهرى من الشمس والا
بطال تجتلد ورب يوم حمى ارعيت عقوته خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد
ويوم لهو لاهل الخفض ظل به لهوى اصطلاء الوغى اذ ناره تقد مشهرا موقفي
والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطرد ورب هاجرة تغلى مراجلها
نحرتها بمطايا غارة تخد تجتاب اودية الافواع امنة كانها اسد تقتادها اسد
فان امت حتف انفي لا امت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد ولم اقل لم
افق القتل شاربه في كاسه والمنايا شرع ورد ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون
به انفسكم من اشعار المجانيث والشعر لقطرى بن الفجاءة واخبرنا على بن
محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة
يانس الى في اول ما اختلفت اليه ويسئلني عن خوارج سجستان لان كان

بغلتني على رأيهم وكنت اوهمه اني على رأيهم فنالني منه لذلك عناية خاصة
وكان كثيرا ما ينشدني اشعارهم ثم يتمثل اولئك قوم ابنوا احسنوا البنا
وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا قال وانشدني يوما لرجل من طي من
الخوارج لا كابن ملكان من شاد اخي ثقة او كابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت اصفيه مخالصتي فباع داري باعلى صفقة الدار اخوان صدق
ارجيهم واحذرهم اشكوا الى الله اخواني واحذاري فصرت صاحب دنيا
لست املكها وصار صاحب جنان وانهار مجلس آخر تاويل آية ان سال سايل
عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل
يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي اضافتها اليهود الى الله
تعالى وادعوا انها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه
يدا مغلولة واليهود تتبرأ من ان يكون فيها قايل بذلك وما معنى الدعاء
عليهم بغلت ايديهم وهو تعالى ممن لا يصح ان يدعو على غيره لانه قادر على ان
يفعل ما يشاء وانما يدعوا الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له الجواب
قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره
فجرى ذلك مجرى ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا
بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده لا تنبسط
الى كذا اذا ارادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع
اخر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ثم قال تعالى مكذبا
لهم بل يداه مبسوطتان اي انه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين تأكيدا للامر
وتفخيما له ولانه ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول يده مبسوطة وقد قيل
ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا
على سبيل الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسله يداه الى عنقه اذ ليس يوسع عليه
وعلى اصحابه فرد الله تعالى قولهم واكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان واليد

هاهنا

هاهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة منظاهر في كلام العرب واشعارهم
ويشهد له من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولا معنى لذلك الا الامر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك
الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن ان يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث
اريد بها نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل
واحد من الامرين بصفة تخالف صفة الآخر كانهما جنسان او قبيلان ويمكن ايضا
ان تكون تثنية النعمة انه اريد بها النعم الظاهرة والباطنة فاما قوله عز وجل
غلت ايديهم ففيه وجوه اولها ان يكون ذلك على غير سبيل الدعاء بل على سبيل
الاخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير قد قبل قوله غلت وموضع
غلت نصب على الحال كانه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم
ولعنهم وحكم بذلك فيهم ويسوغ اضمار قد هاهنا كما ساغ في قوله تعالى ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها ان يكون المعنى
الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت ايديهم او وغلت ايديهم
واضمر الفاء والواو لان كلامهم تم واستونف بعده كلام آخر ومن عادة العرب
ان تحذف فيما يجري مجرى هذا المواضع من ذلك قوله تعالى واذ قال موسى لقومه
ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اراد فقالوا اتتخذنا هزوا
فاضمر الفاء لتمام كلام موسى عليه السلام ومنه قول الشاعر لما رايت نبطا انصارا
شمرت عن ركبتي الازارا كنت لها من النصارى جارا اراد وكنت فاضمر الواو
وثالثها ان يكون القول خرج مخرج الدعاء الا ان معناه التعليم من الله تعالى والتأديب
فكانه جلت عظمته وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي ان نقول فيهم كما علمنا الا
ستثناء في غير هذا مواضع بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين
وكل ذلك الجلي واضح بحمد الله ان سال سايل عن الخبر الذي روي عنه

صلى الله عليه وآله انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق
الحبل فتقطع يده ● قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به
وتدعي ان القطع في الكثير والقليل ● وتستشهد به على ذلك وبظاهر قوله تعالى والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما وتتعلق بهذا الخبر ايضاً الملحدة والشكاك ويدعون
انه مناقض للرواية المتضمنة انه لا قطع الا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه واول ما نقوله
ان الخبر مطعون عند اصحاب الحديث على سنده وقد حكى ابن قتيبة في تاويله وجها عن
يحيى بن اكثم طعن عليه وضعفه ● وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهما
ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرأيته
يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وان الحبل
من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال ورأيته يعجب
بهذا التاويل ويبدئ فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم ● قال ابن قتيبة
وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام ● وليس هذا موضع تكثير
لما يأخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر على حمله السارق
ولا من عادة العرب والعجم ان يقولوا قبح الله فلانا عرض نفسه للضرب في عقد
جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما العادة في مثل هذا جارية
ان يقال لعنه الله تعرض للقطع في حبل رث واداوة خلقة او كبة شعر وكلما
كان من ذلك احقر كان ابلغ قال والوجه في الحديث ان الله عز وجل لما انزل ●
على رسوله صلى الله عليه وآله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً
بما كسبا قال رسول الله صلى الله عليه لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع
يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله تعالى بعد ان القطع لا ●
يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلعم يعلم من حكم الله تعالى
الا ما علمه الله تعالى وما كان الله عز وجل يعرفه ذلك جملة جملة بل يبين له شيئا بعد
شيء قال قدس الله روحه ووجدت ابا بكر بن الانباري يقول ليس الذي

طعن به ابن قتيبة على تاويل الخبر بشيء لان البيضة من السلاح ليست علما في كثرة
الثمن ونهاية في غلو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك اللذين
هما ربما ساويا الالوف من الدنانير والبيضة من الحديد ربما اشتريت باقل
مما يجب فيه القطع وانما اراد عليه السلام انه يكتسب قطع يده بما لا غنى له به
لان البيضة من السلاح لا يستغني بها احد ● والجوهر والمسك في يسيرهما غنى
قال قدس الله روحه ● والذي نقوله ان ما طعن به الانباري على كلام ابن قتيبة
متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن ابن قتيبة فيشبه العقد والجراب
من المسك غير انه يبقى في ذلك ان يقال اي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر
وليسا هما النهاية في التقليل فان كان لما ذكره ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق
ولا يستغني به فليس ذكر ذلك باولى من غيره ولا بد من ذكر وجه في ذلك واما تاويل
ابن قتيبة فباطل لان النبي صلعم لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى
والسارق والسارقة لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ● ولا يجوز ان تصرفها الى
بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على انه اكثر من قال ان الآية غير محتملة وان
ظاهر القول يقتضي العموم يذهب الى ان ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق
لم يتاخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قال من ان الآية تقدمت ثم تاخر تخصيص
السراق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتاخر ناسخا للآية ● وعلى تاويله هذا يقتضي
ان يكون كل الخبر منسوخا واذا امكن تاول اخباره عليه السلام على ما لا يقتضي
رفع احكامها ونسخها كان اولى ● فالاشبه ان يكون المراد بهذا الخبر ان السارق
يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق القليل الحقير فيقطع يده فكانه تعجيز له
وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره ● وقد حكى اهل
اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة البلد الذي لا نظير له وان كان قد يستعمل
ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف
بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة لا تلتفت اليها

فمآجاء من ذلك فى المدح قول اخت عمرو بن عبد ود وقد ذكرت قتل امير المومنين عليه
السلام له وقيل ان الابيات لامرأة من العرب غيرها لو كان قاتل عمرو غير قاتله
لكنت ابكى عليه آخر الابد لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديما بيضة البلد
وقال آخر فى المدح كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف وقال آخر
فى الذم تابى قضاعة ان تعرف لكم نسبا وابنا نزار فانتم بيضة البلد اراد ان
تعرف فاسكن وقال اخر فى ذلك لكنه حوض من اودى باخوته ريب الزمان
فامسى بيضة البلد فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم واما الجبل
فذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة فى التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطانى
فلان عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا يساوى كذا نقيرا كل ذلك على سبيل
المثل والمبالغة فى التحقير والتقليل وليس الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على
الحقيقة واذا كان هذا تاويل الخبر زالت المناقضة التى ظنت وبطلت شبهة
الخوارج فى ان القطع يجب فى القليل والكثير اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى
ابو عبد الله الحكيمى قال حدثنى يموت بن المزرع قال حدثنى ابو زينب على بن ثابت قال
قال الاصمعى فصرفت بى الاسباب على باب الرشيد مومّلا الظفر به والوصول اليه
حتى صرت لبعض حرسه خدينا فانى فى ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها
الارق بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال ا بالحضرة رجل يحسن الشعر فقلت
الله اكبر رب قيد مضيقة قد حله التيسير فقال لى الخادم ادخل فلعلها ان يكون
ليلة تعرس فى صباحها بالغنى ان فزت بالحظوة عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت
الرشيد فى بهو والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف الخادم بى حيث يسمع التسليم فسلمت
فرد السلام ثم قال يا غلام ارحه قليلا يفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة
حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين صلى الله عليه واله اضاءة مجدك
وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك عن اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال
اشاعر ام راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد ان يكون محسنا فقال

تالله ما رأيت ادعاء اعم من هذا فقلت انا على الميدان فاطلق من عنانى يا امير المؤ
منين فقال قد انصف القارة من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديا
قلت فيها قولان القارة هى الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت
رماة للتبابعة والملك اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره للسغد فخرج خارج
من السغد قد وضع سهمه فى كبد قوسه فقال اين رماة العرب فقالت العرب
انصف القارة من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديا قلت فيها قولان
القارة هى الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك
اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر للسغد فخرج خارج من السغد قد
وضع سهمه فى كبد قوسه فقال اين رماة العرب فقالت العرب انصف القارة
من راماها فقال لى الرشيد اصبت ثم قال اتروى لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا
فقلت هما شاهدان لك بالقوافى وان غيبا عن بصرك بالاشخاص فاخرج من ثنى
فرشه رقعة ثم قال انشدنى ارقنى طارق هم ارقا فمضيت فيها مضى الجواد فى سنن
ميدانه تهدر بها شدقاى فلما صرت الى مديحه لبنى امية ثنيت لسانى الى امتداحه
للمنصور فى قوله قلت لزير لم تصله مريمه فلما رانى قد عدلت من ارجوزة الى غيرها
قال لى اعن حيرة ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه وعدلت الى صدقه فيما وصف
به المنصور من مجده فقال الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يوهل لمثل
هذا المجلس فلما اتيت على اخرها قال لى الرشيد اتروى كلمة عدى بن الرقاع
عرف الديار توهما فاعتادها قلت نعم قال هاتها فمضيت فيها حتى اذا صرت
الى وصف الجمل قال لى الفضل ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعنا به
السهر فى ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هى التى
اخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا
ضربت بها انت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال
الرشيد اخطات الحمد لله على النعم ولو قلت واستغفر الله لكنت مصيبا

ثم قال لى امض فى امرك فانشدته حتى اذا بلغت الى قوله ترجى اغن كان ابرة روقه استوى جالسا وقال اتحفظ فى هذا ذكرًا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت فى المجلس وجرير الى جانبى فلما ابتدأ عدىٌّ فى قصيدته قلت لجرير مسرًّا اليه هلم لنسخر من هذا الشامى فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال ترجى اغن كان ابرة روقه وعدىٌّ كالمستريح قال جرير اما تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يا لكع انه يقول قلمٌ اصاب من الدواة مدادها فقال عدى قلم اصاب من الدواه مدادها فقال جرير اكان سمعك مخبوًّا فى صدره فقال لى اسكت شغلنى سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها ورشادها قال الاصمعى فقال لى ما تراه قال اذ انشد الشاعر هذا البيت قال قلت كذا اراد الله فقال الرشيد ما كان فى جلالته ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله وكذلك جاءت الرواية فلما اتيت على اخرها قال لى اتروى لذى الرمة شيئا قلت الاكثر قال فما ذا اراد بقوله ممرا سرت فتلة اسدية ذراعية حلالة بالمصانع قلت وصف حمار وحش اسمنه بقل روضة تواشجت اصوله وتشابكت فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الاسد فى الذراع من ذلك الرشد ارح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنًا ثم قال اجد ملالة ونهض فاخذ الخادم يصلح عقب النعل فى رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتنى يا غلام فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلى ونعل ابائى كم تعارض فلا نترك من جواب ممض ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلثين الف درهم على هذا الرجل فى ليلته ولا يحجب فى المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لامرت لك بمثل ما امر لك به وقد امرت لك به الا الف درهم فتلق الخادم صباحا قال الاصمعى فما صليت من غد الا وفى منزلى تسعة وخمسون الف درهم **مجلس آخر تاويل**

آية ان سال سائل عن قوله تعالى الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال اليس ظاهر هذه الاية يقتضى انه هو الفاعل للايمان فيهم لان النور ها هنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصى ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان مضيفا للاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم **الجواب** قلنا اما النور والظلمة المذكوران فى الاية فجائز ان يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز ايضًا ان يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم فى الجنة بانه نور وعن العقاب فى النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة فى انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذى ثبت كونه مؤمنا يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح فاذا كان الكلام يقتضى الاستقبال فى اخراج من قد ثبت كونه مؤمنًا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق النار اشبه بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان من فعله من حيث دل وبين وارشد ولطف وسهل وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فتصح اضافة الاخراج اليه لكون ما عددناه من جهته وعلى هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه فى ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح او نبهه على فعل من الافعال ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلانى وانا اخرجته من كذا وكذا وانتشلته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعى الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت

وان لم يدلّ ذلك على انّ الطّاغوت هو الفاعل للكفر في الكفّار بل وجه الاضافة
ما تقدّم لانّ الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته
اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكلّ عدوّ لله تعالى
صدّ عن طاعته واغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت
الاضافة الاولى انّ الايمان من فعل الله في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية
انّ الكفر من فعل الشياطين في الكفّار لولا بلة المخالفين وغفلتهم وبعد فلو كان
الامر على ما ظنوه لم صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الآية
والايمان من فعله لا من فعلهم فيهم ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية
وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على احد ولا يعرض عنه
الّا معاند مغالط لنفسه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال لي قال ابو بكر محمد بن
القسم الانباري حدّثنا احمد بن حيان قال حدّثنا ابو عبد الله ابن النطّاح
قال اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان
الى الحجاج انه ليس شيء من هذه الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا
الّا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا
الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى
اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال من انت قال عامر
الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه
الحاجب فقال ادخل فدخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين
يديه رجل ابيض الرأس واللحية جالس كرسي فسلّمت فردّ السلام ثم اوماء
الى بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر
الناس قال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم على ما بيني وبين عبد الملك
ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب
عبد الملك من عجلتي قبل ان يسألني عن حالي ثم قال هذا الاخطل قلت يا اخطل

اشعر منك الذي يقول هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث الاصغر والحرث خير الانام خمسة اباءهم ما هم هم خير من
يشرب صوب الغمام فقال عبد الملك ردّدها على فرددتها حتى حفظها فقال
الاخطل من هذا يا امير المؤمنين قال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة
اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل على عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي فقلت بخير
لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن
ابن الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل
حتى نفارقنا ثم اقبل على عبد الملك فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين
قد فضّله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما وبباب
وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول حلفت فلم اترك
لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي اغش واكذب ولست بمستبق اخا لا تلمّه على شعث اي الرجال
المهذب قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول فانك كالليل الذي هو مدركي وان
خلت انّ المنتأى عنك واسع خطاطيف حجن في حبال متينة تمدّ بها ايد اليك نوازع
قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول الى ابن محرق اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت
العيون اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظنّ بي الظنون فالفيت الامانة لم تخنها
كذلك كان نوح لا يخون قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل عبد الملك
على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك
قلته فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا قالها رجل منا كان
والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده انا
محبوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل ليس الجديد به
تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل والعيش لا عيش الا ما تقرّ به عين ولا
حال الا سوف تنتقل ان ترجعي من ابي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطي الهبل قد يدرك المتاني
بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل قال الشعبي فقلت قد قال القطامي
افضل من هذا قال وما قال قلت قال طرقت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت
احسبه قريب المعنق حتى اتيت على آخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطامي
امه هذا والله الشعر قال فالتفت الى الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في الاحاديث
وانما لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرضا قلت
لا اعرض لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة قال من يكفل بك قلت امير
المؤمنين فقال عبد الملك هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اي شعراء
الجاهلية كان اشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها
وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر الا ثكلت ام الذين
غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر فقال عبد الملك اشعر والله منها ليلى الاخيلية
حيث تقول مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل
محتقر لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز ينتظر ثم قال يا شعبي
لعله شق عليك ما سمعت قلت اي والله يا امير المؤمنين اشد المشقة اني محدثك
منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما اعلمناك هذا
لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون على اهل الشام ما علم بعلم اهل العراق من اهل
العراق ثم ردد علي ابيات ليلى حتى حفظتها واذن لي فانصرفت فكنت اول داخل
وآخر خارج قال سيدنا قدس الله روحه الصحيح في الرواية ان البيتين اللذين
رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب
الوائلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة وهي
اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر فظلت مكتئبا حران
اندبه وكنت احذره لو ينفع الحذر فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من
تثليث معتمر يأتي على الناس لا يلوي على احد حتى التقينا وكانت دوننا مضر

ان الذين جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهي والغير تنعى امرأ لا
تغب الحي جفنته اذا الكواكب اخطا نواها المطر وراحت الشول مغبرا مناكبها
شعثا تغير منها النيّ والوبر وألجأ الكلب موقوع الصقيع به وألجأ الحي من تنفاحها
الحجر عليه اول زاد القوم قد علموا ثم المطي اذا ما ارملوا جزر قد تكظم البزل منه
حين تبصره حتى تقطع في اعناقها الجرر اخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة
منه النوفل الزفر لم تر ارضا ولم تسمع بساكنها الا بها من بوادي وقعه اثر وليس
فيه اذا استنظرته عجل وليس فيه اذا ياسرته العسر فان يصبك عدو في مناواة
يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر من ليس في خيره من يكدره على الصديق ولا في
صفوه كدر اخو شروب ومكساب اذا عرضا وفي المخافة منه الجد والحذر مردى
حروب ونور يستضاء به كما اضاء سواد الظلمة القمر مهفهف اهضم الكشحين
منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر طاوي المصير على العزاء منجرد بالقوم ليلة
لا ماء ولا شجر لا يصعب الامر الا ريث يركبه وكل امر سوى الفحشاء يأتمر
معنى لا يصعب الامر اي لا يجده صعبا لا يتأرّى لما في القدر يرقبه ولا يعض على
شرسوفه الصفر لا يغمز الساق من اين ولا وصب ولا يزال امام القوم يقتفر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز ينتظر تكفيه حزة فلذ ان الم بها
من الشواء ويروي شربه الغمر لا تأمن البازل الكوماء عدوته ولا الاسود اذا ما
اخروّط السفر كانه بعد صدق الناس انفسهم باليأس تلمع من قدامه البشر
قال المبرد لا نعلم بيتا في يمن النقيبة وبركة الطلعة ابرع من هذا البيت لا يجحل
القوم ان تغلي مراجلهم ويدلج الليل حتى يفسح البصر عشنا به حقبة حيا ففارقنا
كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر اصبت في حرم منا اخا ثقة هند ابن اسماء لا يهنى
لك الظفر لو لم تخنه نفيل وهي خائنة لصبح القوم وردا ماله صدر واقبل الخيل
من تثليث مصغية وضم اعينها غوان او حضر اما سلكت سبيلا كنت سالكها
فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء اخت

المنتشر وقيل ليلى اختد ولعل الشبهة الواقعة فى نسبتها الى ليلى الاخيلية من
هاهنا والصحيح ما ذكرناه اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابى عبيدة قال وفد الاخطل على معاوية فقال انى
قد مدحتك بابيات فاسمعها قال ان كنت شبهتنى بالحية او الاسد او الصقر فلا حاجة
لى فيها وان كنت قلت فى كما قالت الخنساء وما بلغت كف امرئ متناول بها المجد
الا حيث ما نلت اطول وما بلغ المهدون فى القول مدحة وان صدقوا الا الذى
فك افضل فهات انت اذا فقال الاخطل والله لقد احسنت وقلت ببيتين ما هما
بدون ما سمعته وانشد اذا مت مات العرف وانقطع الغنى فلم يبق الا من قليل مصرد
وردت اكف الراغبين وامسكوا من الدين والدنيا بخلف مجدد فاحسن صلته
واخبرنا المرزبانى قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد النحوى قال اخبرنا احمد
بن يحيى ان ابن الاعرابى انشدهم مررنا عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح نابح
قوله يكعم كلبه اى يسد فاه خوفا ان ينبح فيدل عليه وقال آخر ويكعم كلب الحى
من خشية القرى ونارك كالعذراء من دونها ستر قال وقد قال الاخطل قوم اذا
استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولى على النار قال ابو عبد الله وسمعت
محمد بن يزيد الازدى يقول هذا من اهجى ما هجى به جرير لانه جعل نارهم يطفئها البول
وجعلهم يامرون امهم بالبول استخفافا بها مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل
فقال ما تاويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب او ليس تاويل هذه الآية يقتضى انه تعالى يجوز ان يزيغ
القلوب عن الايمان حتى تصح مسئلته ان لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً
الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه اولها ان يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد
علينا المحنة فى التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك الى زيغ قلوبنا بعد الهداية
وليس يمتنع ان يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم
اليه كما قال تعالى فى السورة انها زادتهم رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى مخبراً

عن نوح عليه السلام فلم يزدهم دعائى الا فرارا فان قيل كيف يشدد عليهم فى المحنة
قلنا بان يقوى شهواتهم لما قبحه فى عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون
التكليف بذلك شاقا والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا وانما يحسن ان
يجعله شاقا تعريضا لهذه المنزلة وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت على الهدى
وامدادهم بالالطاف التى معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً
لقلوبهم بان لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم
بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم
لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا
ومثله قول الشاعر اتانى ورحلى بالمدينة وقعة لآل تميم اقعدت كل قائم اراد
قعد لها كل قائم فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك فنزيغ
ونضل وثالثها ما اجاب به ابو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى لانه قال المراد بالآية
ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سالوا الله تعالى
ان يلطف لهم فى فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه فى مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك
الايمان ان تزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل بهم بدلاً منه العقاب فان قال قائل
فا هذا الثواب الذى هو فى قلوبهم المؤمنين حتى زعمتم انهم سالوا الله تعالى ان لا
يزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذى فى قلوب المؤمنين ما ذكره الله
تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وقوله لرسوله عليه السلام الم نشرح لك صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح
هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك ايضاً التطهير
الذى يفعله فى قلوب المؤمنين وهو الذى منعه الكافرين فقال تعالى اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضاً كتابته الايمان فى قلوب المؤمنين
كما قال تعالى اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وضد هذه الكتابة
هى سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكانهم سالوا الله ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا

الثواب الى ضده من العقاب ورابعها ان تكون الآية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ
القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضى ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب ان يفعله
وما لولا المسالة لجاز فعله لانه غير ممتنع ان ندعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار
الى ما عنده بان يفعل ما نعلم انه لا بد من ان يفعله وبان لا يفعل ما نعلم انه واجب ان
لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن ابرهيم ولا تخزنى
يوم يبعثون وكما قال تعالى فى تعليمنا ما ندعوا به قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن وكقوله
تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله قال قدس
روحه وانى لاستحسن قول الراعى فى وصف الاثافى والرماد فقد طبق وصفه المفصل
مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده واورق مذ عهدا بن عفان حوله
حواضين الآف على غير مشرب وداد الاعالى قبلت بنجودها على راشح ذى شامة متقوب
كان بقايا لونه فى متونها بقايا هناء فى قلائص مجرب الاورق الرماد وجعل الاثافى
له كالحواضن لاحتضانهن له واستدارتها حوله واراد بوراد الاعالى ان الوانها تضرب
الى الحمرة وخص الاعالى لانها مواضع القدر فلا تكاد تسود والراشح هو الراضع
وانما شبه الرماد بينهن بفصيل بين اظار والمتقوب الذى قد انحسر اعلاه وشبه
ما سودت النار منهن بانر قطران على قلائص جربى والمجرب الذى قد جربت
ابله ونظير هذا المعنى بعينه اعنى تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذى الرمة
عفا الزرق من اطلال مية فالدحل فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل سوى ان ترى
سوداء من غير خلقة تخطاها وارتث جاراتها النقل من الرضمات البيض غير
لونها بنات فراض المرخ واليابس الجزل لجرباء دست بالهناء فاقضيت بارض
خلاء ان تقاربها الابل قوله سوداء من غير خلقة يعنى اثفية لان السواد ليس
بخلقة لها وانما سودتها النار وقوله تخطاها النقل اى تجاوزها فلم تحمل من مكان
الى مكان بل بقيت مفردة وارتث جاراتها يعنى بجاراتها الاثافى اللواتى كن معها
والمرتث هو المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك فى الجريح والعليل يقال ارتث

الرجل

الرجل ارتثاثا اذا حمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع
وقال ابو زيد هو مأخوذ من قولهم ارتثثنا رثة القوم اذا جمعوا ردئ متاعهم بعد ان
يحملوا من موضعهم وكلى المعنيين يليق ببيت ذى الرمة لانه قد يجوز ان يريد بقوله
وارتث جاراتها اى نقلن عنها ويجوز ان يريد صرعن وبقيت ثابتة قائمة والرضمات
حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع فرض وهو الحز يكون فى الزند وعنى
ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض والمرخ شجر يتخذ منه الزند
ومن امثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم
يفضل القوم ويزيد عليهم فكان المعنى كل يوم كرام واكرمهم فلان ومعنى لجرباء
دست بالهناء انه شبه الاثفية المفردة بناقة جرباء قد افردت وابعدت عن الابل
حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء طليت به وفى قول الراعى وراد
الاعالى شبه من قول الشماخ ابن ضرار اقامت على ربعيهما جارتا صفا كميتا الاعالى
جونتا مصطلاهما يعنى بربعيهما منزلى الامرأتين اللتين ذكرهما ويعنى بجارتا
صفا الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذى هو الصخر ويمكن فى قوله جارتا
صفا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل
لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ومسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة
الاثافى اى بالصخرة والجبل وشبه اعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لان
النار لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما جون اى اسود لان النار قد سفعته
وسودته وقال الراعى فى وصف الاثافى ايضا اذاع باعلاه وابقى شريده ذرا
مجنحات بينهن فروج كان بجزع الدار لما تحملوا سلائب ورقا بينهن خديج اذاع
باعلاه يعنى الرماد لان السافى يطير ظاهره وما علا منه وابقى شريده اى ما بقى ما شرد
على السافى فلم يطر وذرا المجنحات المسبلات والسلائب ورقا جمع سلوب وهى
الناقة التى قد سلبت ولدها بموت ونحر فقد عطفت على حوار آخر والخديج الذى قد
سقط لغير تمام والورق اللواتى الوانهن كلون الرماد وفى معنى قول الراعى وابقى

شر بيره ذرا مجمات قول المخبل السعدى وارى لها دارا باعدرة السيدان لم يدرس
لها رسم الا رما داها مدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم الا ها هنا بمعنى الواو فكانه
قال وارى رما داها مدا ولولا ان ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخر
اوله لانه قال فى آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف يخبر بانه
قد درس وانما اراد انه باق ثابت لان الاثافى دفعت عنه الرياح فلم يستثنه
اذن من جملة مالم يدرس بل هو داخل فى جملته وللراعى ايضا فى الاثافى اخن وهن
اغفال عليها فقد ترك الصلاء بهن نارا شبه الاثافى بنوق اخن اغفالا ليست
عليهن سمه ثم اخبران الوقود اثر فيهن اثرا كالسمة والنار السمة تقول العرب
ما نار بعيرك اى ما سمته وفى امثالهم بجارها نارها اى سمتها تدل على كرمها يضرب
ذلك للرجل ترى له ظاهرا حسنا يدل على باطن خير وقال عدى بن الرقاع العاملى
الا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء اشعل اهلها ايقادها كانت رواحل للتعد ورفعت
منهن واستلب الزمان رمادها وقال الاشعر الجعفى الا رواكد بينهن خصاصة
سفع المناكب كلهن قد اصطلى وقال حميد بن ثور فتغيرت الا ملاعبها وسعوسا
من جونة ظهر عرش النقاب لها بدا رمقامة للحى بين نظائر وتر للجونة الفدد
يقال قد رظهر وقد ورظهور اذا كانت قديمة وعرش اى جعل مثل العريش
يعنى الوقود والنقاب ما انقبت من الوقود والنظائر هى الاثافى والوتر الفرد
واراد انها ثلاث وقال الكميت بن زيد ولن تجيبك اظار معطفة بالقاع لا نمك
فيها ولا سيل ليست بعوذ ولم تعطف على ربع ولا يهيب بها ذو النية الابل يعنى
الاثافى وشبه تعطفها على الرماد بنوق اظار قد عطفن على فصيل والنموك انتصاب
السنام والميل من صفة السنام ايضا والعائذ من النوق التى يتبعها ولدها والربع
الذى قد نتج فى اول الربيع والاهابة الدعاء اهاب بابله اذا دعاها وذو النية الذى
قد نوى الرحيل والابل صاحب ابل وقال ذو الرمة فلم يبق الا ان ترى فى محلة رمادا
نحت عنه السيول جنادله كان الحمام الورق فى الدار وقعت على جرق بين الطؤور جوازله

شبه

شبه الاثافى بحمام ورق وجعلها طؤرا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ
حرق قد سقط ريشه والجوازل الفراخ واحدها جوزل وقال البعيث
الا حييا الربع القواء وسلما ورسما كجثمان الحمامة ادهما قيل ان الحمامة ها
هنا القطاة وانه شبه الوان الرسوم من الرماد وموقد النار ودمنه ومجر
طنب وما اشبه هذه الاشياء بالوان ريش قطاة ومثله لجرير كان رسوم
الدار ريش حمامة محاها البلى واستعجمت ان تكلما ولقد احسن كل الاحسان
كثير فى قوله امن آل قيلة بالدخول رسوم وبحومل طلل يلوح قديم لعب
الرياح برسمه فاجده جون عواكف فى الرماد جثوم سفع الخدود كانهن و
قد مضت حجج عوائد بينهن سقيم فى قوله فاجده جون عواكف يعنى الاثافى
لان الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت هى كانها اجدت الرسم ويحتمل وجها
آخر وهو ان يكون معنى اجدت انها حمت الرماد الذى احاطت به عن لعب
الرياح فبقى بحاله يستدل به المترسم فكان الرياح درست الرسم ومحته
الا ما اجدته هذه الاثافى من الرماد ومنعت الريح منه ويجرى ذلك مجرى
قول المخبل الا رما داها مدا البيت وقال المرار الفقعسى فى الاثافى اثر
الوقود على جوانبها بخدود هن كانه لطم ويقال ان ابا تمام الطائى اخذ ذلك
فى قوله ققوا نعط المنازل من عيون لها فى الشوق لحساء عزار عفت ايا تهن
واى ربع يكون له على الزمن الخيار اثاف كالخدود لطمن حزنا ونؤى مثل
ما انفصم السوار وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض من لا معرفة له
وقال لا فائدة فى قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن يكون اوجع
وابلغ فتأثيره ابين واظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن فاما قوله ونؤى
مثل ما انفصم السوار المعصم وقد شبه الناس النؤى بالسوار والخلخال
كثيرا وبغير ذلك قال كثير عرفت لسعدى بعد عشرين حجة بها درس نؤى
فى المحلة منحن قديم كوقف العاج ثبت حوله مغارزا وناد برضم موضن الوقف

السوار من الذبل ومن العاج والإضم صخور عظام والموضن الذى بعضه فوق
بعض وقال بشار ونؤى كخلخال الفتاة وصائم اشج على ريب الزمان رقوب
الصائم الاشج يعنى الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوبا
لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذى لا يعيش له ولد ومن مستحسن
ما وصف به النؤى قول ابى تمام والنؤى اهمد شطره فكانه تحت الحوادث
حاجب مقرون وقال المتنبى فى ذلك قف على الدمنتين بالدو من ريا كخال فى وجنة
جنب خال بطلول كانهن نجوم فى عراض كانهن ليال ونؤى كانهن عليهن
خدام خرس بسوق خدال الخدام جمع خدمة وهى الخلخال وجعلها خرسا لانها
غير قلقة وشبه ما احدق به النؤى من الارض واستلائها بامتلاء الخلخال
من الساق الخدلة وهى الممتلئة مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله
تعالى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية
فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فقال ما تأويل هذه
الآيات وهل البقرة التى نعتت بجميع النعوت هى البقرة المرادة باللفظ الاول
والتكليف واحد والمراد واحد او المراد مختلف والتكليف متغاير الجواب
قلنا اهل العلم فى تاويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلافهم اصولهم فمن جوز تأخير
البيان عن وقت الخطاب يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتأخرة هى
للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان ولما سال القوم عن الصفات ورد البيان شيئا
بعد شئ ومن لم يجوز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا

بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اى بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم
ذبحوا اى بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض
ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من اى لون كان لاجزاء عنهم فلما لم
يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الاخيرة
ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال فى التكليف الاخير انه يجب ان يكون
مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض
ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر
ومنهم من قال انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر
الكتاب بالقول الاول المبنى على جواز تاخير البيان اشبه وذلك انه تعالى لما
كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول ادع لنا ربك يبين لنا ما هى فلا يخلو قولهم ما هى
من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن غيرها التى امروا بها فابوا
على قول من يدعى ذلك وليس يجوز ان يكونوا سالوا عن صفة غير التى تقدم ذكرها
لان الظاهر من قولهم ما هى بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضى ان يكون السؤال
عن صفة البقرة المامور بذبحها ولانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا
عنها واذا صح ان السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة التى امروا فى ابتداء بذ
بحها فليس يخلوا قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون كناية عن البقرة
الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر
قوله انها بقرة من صفتها كذا بعد قولهم ما هى يقتضى ان يكون كناية متعلقة بما تضمنه
سؤالهم ولان الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان يجب ان يكونوا
سألوه عن شئ فاجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبى عليه السلام على انه لما اراد
يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم فى الاول على ما يدعيه من ذهب الى هذا
المذهب قد كان يجب ان يجيب عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام فى غير موضعه
وتفريطهم فيما امروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول فى جواب

قولهم ما هى انما كلفتم اى بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم فى ترك
الامتثال واخطأتم فى الاستفهام مع وضوح الكلام الا انكم قد كلفتم ثانيا
كذا وكذا الان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك
واجاب بالجواب الذى ظاهرُهُ يقتضى التعلق بالسؤال علم ان الامر على ما ذكرناه
وهو انه لم يفعل ذلك فى اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الاسولة والاستفها
مات التى لم تقع على هذا المذهب موقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف
يستحسن ان يكون جميع اجوبته غير متعلقة باسولتهم لانهم يسئلونه عن صفة
شئ فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على اقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجوا
بالسؤال لان قول القائل فى جواب من ساله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية
صريح فى ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا
لانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اى
تشابه عليكم وانما امرتم فى الابتداء باى بقرة كانت وفى الثانى بما اختص بالصفة
المخصوصة وفى اى بقر كان وفى الثالث بما اختص باللون المخصوص من اى
البقر كان فان قيل كيف يجوز ان يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى
آخر الكلام ولا يبين لهم ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم
ان يذبحوا البقرة فى الثانى من حال الخطاب ولو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز ان
يتأخر البيان لان تأخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذى لا شبهة فى قبحه وانما اراد
ان يذبحوها فى المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند
الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه فوجوده
كعدمه وهذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب ما ظننتم لان
القول وان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة
ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار مفيدا من حيث ذكرنا وخرج
من ان يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب ان يدخلها الاقتراح وليس

يخرج

يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة
عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم
وذمهم على التقصير فى امتثال الامر قلنا ليس ذلك صريح ذم كادوا للمقاربة
وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التى تتكامل لها تلك
الصفات فقد روى انهم ابتاعوها بملء جلدها على ان الذم يقتضى ظاهره ان يصرف
الى تقصيرهم او تأخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله تعالى وما كادوا
يفعلون انما ورد بعد تقدم البيان التام المكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة
فى الاول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو ثبت
تقديرا ان التكليف فى البقرة متغاير اى القولين الذين حكيتموها عن اهل هذا المذهب
اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان البقرة انما يجب ان يكون بالصفة الا
خيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس
فى قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى آخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات
وهذا التكليف غير الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه
فاما الفارض فهى المسنة وقيل هى العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اى ضخم والغرب
الدلو ويقال ايضا لحية فارضة اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون
المراد المسنة فاما البكر فهى الصغيرة التى لم تلد فكأنه تعالى قال تكون غير مسنة و
لا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهى النصف التى ولدت بطنا او بطنين
ويقال حرب عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز ان يقول بين ذلك
وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا
قائما ويقول القائل قد ظننت ذلك ومعنى فاقع لونها اى خالص الصفرة وقيل
ان كل ناصع اللون بياضا كان او غيره فهو فاقع وقيل انه اراد بصفراء ههنا
سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الارض ان تكون صعبة لم يذللها العمل فى اثارة
الارض وسقى الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب وقال قوم

مسلمة من السبة فيها تخالف لونها وقيل لاشية فيها اى لا عيب فيها لا وضح
فيها وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله اعلم بما ارادوا واياه نسال حسن
التوفيق قال السيد قدس الله روحه كنت اظن ان المتنبئ قد سبق الى معنى قوله
فى مرثيته لاخت سيف الدولة طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بامالى الى
الكذب حتى اذا لم يدع لى صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى حتى رأيت
هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصارى وللبحترى اما الذى لمسلم فقوله من قصيدة
يرثى بها سهل بن صباح وقف العفاة عليك بين متحير وله الرجاء وذى غنى
يسترجع ويخادع السمع النعى ودونه خطب الم بصادق لا يخدع وقال البحترى
يرثى وصيفا التركى اذا جدنا عنه توهمت انه يكون من اخباره قول مازح وكنت
اظن المتنبئ قد سبق الى قوله يحل القنا يوم الطعان بعقوتى فاحرمه عرضى واطعمه
جلدى حتى رايت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن سبل الكلابى من اهل اليمامة
فى قوله ثنى قوسه عن حد رجان وقد حنا الى الموت داعى الصفحتين كليم اخو الحرب
اما جلده فجريح كليم واما عرضه فسليم وكنت اظن البحترى قد سبق الى معنى قوله فى
الفتح بن خاقان حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
حتى وجدت لشاعر متقدم طعنت ابن دهمان بنجران طعنة شفقت بها عنه
مضاعفة السرد فلا الكف اوهت بى ولا الرمح خاننى ولا الادهم المنعوت جار عن
القصد قال محمد بن يحيى الصولى وصف الناس صفرة اللون فى العلل فكل حكى ذلك
بلا فضيلة الا البحترى قال الاعرابى من ابيات جعلت وما عاينت عطوا كانما جرى
بين جلدى والعظام خلوق وقال ابو تمام لم تشن وجهه المليح ولكن جعلت ورد
وجنتيه بهارا وقال غيره ولم تشن شيئا ولكنها بدلت التفاح بالياسمين وقال
بكر بن عيشى علة زعفرت مورد خده كادمن رقة ودق يفيض ولاحمد بن يزيد
المهلبى وقالوا اعترت عزا حمى شديدة فوجنتها منها شديد صفارها فقلت لهم
هيهات هاتيك روضة مضى ورد ها عنها وجاء بهارها ولابى العتاهية وكانه

مما طاول بى منك السقام طليب بالورس وقال ابن المعتز وصفرت علته وجهه
فصار كادينار من حتى وقال البحترى بدت صفرت فى لونه ان حمدهم من الدر ما
اصفرت نواحيه فى العقد وجرت على ايدى مجسة كفه كذلك موج البحر ملتهب
الوقد وما الكلب محموما وان طال عمره ولكنما الحمى على الاسد الورد قال قدس الله
روحه اما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لغرضه
الا انه لخطأ فى قوله ان حمدهم من الدر ما صفرت نواحيه فى العقد لان ذلك ليس
بمحمود بل مذموم ولو شبهه وترك التعليل لكان اجود وروى ابو العباس
احمد بن فارس المنبجى قال حدثنى ابو احمد عبيد الله بن يحيى بن البحترى قال حدثنى
ابى قال حدثنى جدى البحترى قال كنت عند ابى العباس المبرد فتذاكرنا شعر عمارة
بن عقيل فقال لى لقد احسن عمارة بن عقيل فى قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بهذين
البيتين لم استطع سير المدحة خالد فجعلت مدحته اليه رسولا فليرحلن الى نائل
خالد وليكفين رواحلى الترحيلا قال البحترى فقلت له لمروان بن ابى حفصة فى عبد الله
ابن طاهر وقد اتاه نائله من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته لعمرى لنعم
الغيث غيث اصابنا ببغداد من ارض الجزيرة وابله فكنا كحى صبح الغيث اهله
ولم تتحمل اظعانه ورواحله فقال نعم هذا الحسن فقلت له ان لى فى بنى السمط
وقد اتانى برهم من حمص ما لا يتضع عن الجميع وانشدته جزى الله خيرا والجزاء
بكفه بنى السمط اخدان السماحة والمجد هم وصلونى والمهامه بيننا كما ارفض غيث
من تهامة فى نجد فقال هذا والله ارق مما قالا واحسن وروى احمد بن فارس
المنبجى عن عبيد الله بن يحيى البحترى قال حدثنى ابى عن جماعة من اهل العلم والادب
منهم يموت بن المزرع قال قلت لابى عثمان الجاحظ من انسب العرب قال الذى
يقول عجلت الى فضل الخمار فاثرت عذباته بمواضع التقبيل وهذا للبحترى فى قصيدة
التى اولها صب يخاطب مفحمات طلول قال قدس الله روحه وفى نسيب
هذه القصيدة بيت آخر ليس بقصر فى ملاحة الكلام ورشاقته واخذه بمجامع

القلوب عن البيت الذى فضله به الجاحظ وهو اخيب عندك والصبى لى
شافع واردّ دونك والشباب رسولى وفى مدح هذه القصيدة بيت معروف
بفرط الحسن وهو لا نطلبن له الشبه فانه قمر التأمل مزنة المتأميل وبهذا
الاسناد عن يحيى بن البحترى قال انصرفت يوما من مجلس ابى العباس محمد بن
يزيد المبرد فقال لى ابى البحترى ارنى ما الذى افدت يومك هذا من ابى العباس
فقلت املى على اخبارا حسنة وانشدنى ابياتا للحسين بن الضحاك فقال ابى انشدنى
الابيات فانشدته كانى اذا فارقت شخصك ساعة لفقدك بين العالمين
غريب وقد رمت اسباب السلو فخاننى ضمير عليه من هواك رقيب اعزك صفحى
عن ذنوب كثيرة وغضى على اشياء منك تريب كان لم يكن فى الناس قبلى متيم ولم يك
فى الدنيا سواك حبيب الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن لشكواى من عطف الحبيب
نصيب فقال ما احسن هذا الكلام ثم انشدنى لنفسه حبيبى حبيب يكتم الناس
انه لنا حين تلقانا العيون حبيب يباعدنى فى الملتقى وفؤاده وان هو ابدى لى
البعاد قريب ويعرض عنى والهوى منه مقبل اذا خاف عينا او اشار رقيب
فتنطق منا اعين حين نلتقى وتخرس منا الالسن وقلوب ثم قال اروِ يا بنى هذين
فانهما من حسن الشعر وطريفه وروى احمد بن فارس المنبجى عن ابى نصر محمد بن
اسحق النحوى قال سمعت بعض اهل الادب يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس
المبرد وكبره وانه لم يكن يقوم لاحد ولا يتطاول له وينشد اذا اشرف عليه الرجل
نهلان للهضبات لا يتحلحل ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع فقام
اليه ابو العباس فاعتنقه وتنحى عن موضعه واجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك
فلما اكثر عليه انشده ابو العباس انكبر ان اقوم وقد بدا لى لاكرمه واعظمه هشام
فلا تنكر مهادربى ليه فان لمثله خلق القيام فلما انصرف الرجل سالنا عنه فقيل هذا
البحترى مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى فى قصة قابيل وهابيل
حاكيا عن هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف

الله رب العالمين انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين فقال كيف يجوز ان يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد
ان يبوء اخوه بالاثم وذلك ارادة لقبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه
قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه واثم غيره
وهل هذا الا ما تابونه من اخذ البرئ بجرم السقيم الجواب قلنا جواب اهل الحق عن
هذه الاية معروف وهو ان هابيل لم يرد من اخيه قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما
اراد ما خبر الله تعالى عنه من قوله انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اى انى اريد ان تبوء
بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب المستحق
بمستحقه ونظير قوله اثمى مع ان المراد به عقوبة اثمى الذى هو قتلى قول القائل لمن يعاقب
على ذنب جناه هذا ما كسب يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك قولهم
لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه فان
قيل كيف يجوز ان تحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول
لم يكن واقعا قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الامر الذى يستحق به العقاب فهابيل
لما راى من اخيه التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك
جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما هم به وعزم عليه فاما قوله باثمى واثمك فالمعنى
فيه واضح لانه اراد باثمى عقاب قتلك لى واثمك اى عقاب المعصية التى اقدمت عليها
من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لان الله تعالى اخبر عنهما انهما قربا قربانا فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الاخر وان العلة فى ان قربان احدهما لم يتقبل انه غير متق وليس
يمتنع ان يريد باثمى ما ذكرناه لان الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل و
المفعول جميعا وذلك مستقبل مطرد فى القران والشعر والكلام فمثال ما اضيف الى
الفاعل قول الشاعر امن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف
وفى الكلام يقول القائل اعجبنى ضرب عمرو خالدا اذا كان عمرو فاعلا وضرب
عمرو خالدا اذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر قوم فى الاية وجها آخر وهو ان يكون

المراد انى اريد زوال ان تبوء باثمى واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير فحذف الزوال
واقام ان وما اتصل به مقامه كما قال تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم اراد حب
العجل فحذف الحب واقام العجل مقامه وكما قال تعالى وسل القرية وهذا قول بعيد لانه
لا دلالة فى الكلام على محذوف وانما يحسن الحذف فى بعض المواضع لاقتضاء الكلام
للمحذوف ودلالته عليه وذكر ايضا وجها آخر وهو ان يكون المعنى انى اريد ان لا تبوء
باثمى واثمك اى اريد ان لا تقتلنى ولا اقتلك فحذف لا واكتفى بما فى الكلام كما قال تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا معناه لان لا تضلوا وكقوله تعالى والقى فى الارض رواسى
ان تميد بكم معناه لا لا تميد بكم وكقول الخنساء فاقسمت اسى على هالك واسال
نائحة ما لها ارادت لا آسى وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا
راسى لديك واوصالى اراد لا ابرح وقال عمرو بن كلثوم نزلتم منزل الاضياف
منا فعجلنا القرى ان تشتمونا اراد لان والشواهد فى هذا كثيرة جدا وهذا الجواب
يضعفه كثير من اهل العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا فى مثل هذا الموضع فاما
قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك
فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا فى ذلك
الوقت وان الله تعالى امر بالصبر عليه وامتحن بذلك ليكون هو المتولى للانتصاف
وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت الى يدك مبتديا ظالما لتقتلنى ما انا بباسط
يدى اليك على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع
على سبيل الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين اشبه لانه تعالى اخبر عنه
انه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله وهو مريد لقتله ومخبر اليه
لان هذه اللام بمعنى كى وهى منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة فى حظر ذلك وقبحه
ولان المدافع انما تحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله
او الاضرار به ومتى قصد ذلك كان فى حكم المبتدى بالقتل لانه فاعل لقبيح
والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة باى وجه يمكن بعد ان يكون غير قبيح

فان قيل

فان قيل وكانكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار
والمدافعة وتوجبونهما على كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية
لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب اليه قوم لان قوله لاقتلك يقتضى ان يكون
البسط لهذا الضرب والمدافعة لا تقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع ان يجرى بها
الى الضرر فلا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة ووجب ان يكون ما ذكرناه اولى
بشهادة الظاهر تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر الذى يرويه
ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموت لمؤمن ثلثة من الاولاد فتمسه
النار الا تحلة القسم الجواب قيل له اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة
القسم قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكانه قال لا ترد
النار الا بقدر ما يبر الله قسمه واما ابن قتيبة فانه قال فى تاويل ابى عبيد هذا مذهب
حسن من الاستخراج اذ كان هذا قسما قال فيه مذهب آخر اشبه بكلام العرب
ومعانيهم وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشئ وتقصير مدته شبهوه بتحليل
القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا
الا تحلة القسم وما ينام العليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور وقال مزاحم بن
احمر وذكر الريح اذا عصفت رسما فليس بدائم به وتد الا تحلة مقسم يقول لا يثبت
الوتد الا قليلا كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه وقال آخر يذكر ثورا يحفى التراب
باظلاف ثمانية فى اربع مسهن الارض تحليل يقول هو خفيف سريع فقوائمه لا تثبت
فى الارض الا كتحليل اليمين وقال ذو الرمة طوى طية فوق الكرى جفن عينه على رهبات
من جنان المحاذر قليلا كتحليل الالى ثم قلصت به شيمة روعاء تقليص طائر الالى
جمع الوة وهى اليمين ومعنى الحديث على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا قليلا
كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر محمد بن القسم الانبارى الصواب قول
ابى عبيد لحجج ثلث منها ان جماعة من كبار اهل العلم فسروه على تفسير ابى عبيد ومنها
انه ادعى ان النار تمس الذى وقعت منزلته جليلة عند الله لكن مسا قليلا والقليل

لا يقع به الالم العظيم ولیس صفة الابرار فی الاخرة صفة من تمسه النار الا قليلا
ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار وانما حكم عليه
بالورود والورود لا يوجب ان لا يكون من الابرار لان الا معناه الاستثناء
المنقطع كانه قال فتمسه النار لكن تحلة اليمين اى لكن ورود النار لا بد منه
فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا اهل الخيام
وانشد الفرا وسمحة المشى سملال قطعت بها ارضا يحار بها الهادون ديموما
مهامها وحزونا لا انيس بها الا الضوابح والاصداء والبوما وانشد الفراء ايضا
ليس عليك عطش ولا جوع الا الرقاد والرقاد ممنوع فمعنى الحديث لا يموت للمسلم
ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة اليمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود
والورود لا يقع فيه مس قال ابو بكر وقد سنح لى فيه قول آخر وهو ان تكون
الا زائدة دخلت للتاكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر
فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زائدة قال الفرزدق ما هلا لهذا هم
القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم معناه هم القوم
حيث سلوا سيوفهم والا مؤكدة وقال الاخطل يقطعن الا من فروع يردنها
بمدحة محمود ثناه ونائله معناه يقطعن الابل من فروع يردنها والفروع الواسعة
من الارض قال قدس روحه والوجوه المذكورة فى تاويل الخبر كالمتقاربة الا
ان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه ادنى تعسف وبعد من حيث جعل
الا زائدة وذلك كالمتعسف عند جماعة من اهل العربية وقد تبقى فى الخبر مسئلة
التشاغل بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها
فى تاويله وهو ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلام بان من مات له ثلثة من
الولد لا تمسه النار اما جملة او بمقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة او ليس
ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له هذا العدد
من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يؤمن من العقاب والجواب عن ذلك

انا قد

انا قد علمنا اولا خروج هذا الخبر مخرج المدح لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز
ولا مدحة فى مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان يكون تقديم
الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلثة اولاد اذا حسن صبره واحتسابه
وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا
كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول اغراء لان كيفية وقوع
الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله سبحانه بغفران ما لعله ان يستحقه
من العقاب فى المستقبل اذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما فى هذا ان يكون
القول مرغبا فى حسن الصبر وحاثا عليه رغبة فى الثواب ورجاء لغفران ما لعله ان
يستحق فى المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تامله مجلس آخر تاويل آية
ان سال سائل عن قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة
فقال ما معنى او ها هنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى الجواب
قلنا فى ذلك وجوه اولها ان يكون او ها هنا للاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين
والق الفقهاء او المحدثين ولم يريدوا الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان اهل
للمجالسة وهذان القبيلان اهل للقاء فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست
ابن سيرين فانت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان
قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم
وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتاول
قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها الشك بل على النحو الذى ذكرناه من انكم
ان شبهتموهم بالذى استوقد نارا فجائز وان شبهتموهم باصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم
بالجميع فكذلك وثانيها ان تكون او دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية
ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة فى القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها
ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا معناه وقال
بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت

اوللتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاؤها بأسنا بياتا اوهم
قائلون معناه فجاء بعض اهلها بأسنا بياتا وجاء بعض اهلها بأسنا في وقت
القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى اوكصيب من السماء هذا الوجه ايضاً ويكون المعنى ان
بعضهم يشبه الذي استوقد نارا وبعضهم يشبه اصحاب الصيب وثالثها ان تكون
او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك
غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخبارهم عن ذلك الى التفصيل بل علم ان خطابهم
بالاجمال ابلغ في مصلحتهم فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد
قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا تخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك
الا حلوا او حامضا فيبهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما
اطعمتك الا احد هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرة او تمرة وهو
قد علم ما اكل على التفصيل الا انه ابهمه على المخاطب وقال لبيد تمنى ابنتاي ان يعيش
ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلي
ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذي اجرى اليه وغرضه الذي نحاه
هو ان يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما اجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل
لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب وكذلك الآية لان الغرض
فيها ان يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا ينثني لوعظ ولا تصغي الى حق
فسواء كانت في القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تم ما اجرى اليه من الغرض في
وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو اشد قسوة منها كتفصيل
كونه من ربيعة او مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام ورابعها
ان تكون او بمعنى بل كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وروى عن ابن
عباس في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال كانوا مائة الف وبضعا
واربعين الفا وانشد الفراء بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها
او انت في العين املح وقد تكون ام في الاستفهام ايضاً بمعنى بل كقول القائل اضرب

عبد الله

عبد الله ام انت رجل متعتب معناه بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت
ام النوم ام كل الى حبيب معناه بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف
يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي يقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي و
الاضراب عنه وليس ذلك بشئ اما الاستدراك فان اريد به الاستفادة او الله
التذكر لما لم يكن معلوما فليس يصح الا احدنا قد يقول اعطيته الفا بل الفين وقصده
دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به في الثاني ولم يتجدد له علم وان
اريد به الاخذ في كلام غير الماضي واستيناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه
فاما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع تستعمل فيه لفظة بل لان القائل
اذا قال النقض اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل
في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا و
اعطيته درهما بل ثوبا لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة
غير ناقض للاول لانها لا تزيد في قسوة على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها
بعد المساواة وخامسها ان تكون او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت
ابائكم معناه وبيوت ابائكم قال جرير ايضا ثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم
طهية والخشابا اراد ورياحا وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي
تقاها او عليها فجورها وقال اخر فلو كان البكاء يرد شيئا بكيت على بجير او عفاق
على المرأين اذ هلكا جميعا لشانهما بشجو واشتياق اراد على بجير وعفاق
وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شئ
يعلم اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فينسق به عليها وانما يصح ذلك في قولهم
اطعمتك تمرا او حلوا منه لان احلى منه معلوم واختار المفضل الوجه الذي يتضمن
ان او بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشئ لانهم وان لم يشاهدوا
او يعرفوا ما هو اشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح ان
يتصوروا ما هو اشد قسوة منها وما له الزيادة عليها لان قدرا ما اذا عرف

صح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة والنقصان انما يصح فان الى
معلوم معروف على ان الاية خرجت مخرج المثل واراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة
في القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه
وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة
منها تمثلا وتشبيها فقول المفضل ليس يعرفون ما هو اقسى من الحجارة لا معنى
له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يعترض
به على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار ان او في الاية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان
قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة واذا جاز ان يقول
لهم بل قلوبهم اقسى مما تعرفون من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول
قلوبهم كالحجارة التي يعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد عليها فان قال قائل
كيف تكون او في الاية بمعنى الواو والجمع وليس يجوز ان تكون قلوبهم كالحجارة او اشد
من الحجارة في حال واحدة لان الشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها
قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع ان يكون قلوبهم
كالحجارة في حال واشد من الحجارة في حال اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب
وتكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الاحوال مع القسوة والعدول
عن قبول الحق والفكر فيه ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغى
الى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي ربما لانت وفي حال اخرى يكون في نهاية
البعد عن الخير والنفور عنه فتكون في هذه الحال اشد قسوة من الحجارة على انه يمكن
في هذا الجواب عن هذا الاعتراض وجه اخر قد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو
ان قلوبهم لا يكون اشد من الحجارة الا بعد ان تكون فيها قسوة الحجارة لان القائل
اذا قال فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زايد عليه في العلم الذي اشتركا فيه
فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس هاهنا تناف على ما ظن المعترض ولا
اثبات لصفة ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله ومنه قال قدس الله روحه واني

لا يستحسن

١٩٩

لا يستحسن من الشعر قول الاحوص بن محمد الانصاري ومن لي سخيف الرأي
رخوة تزيدة اناني وغفري جهله عنه ذمام دسلت ولولا غيره لاصبته بشنعاء
باق عارها تقر العظما طوى حسدا ضغنا على كانما اداوي به في كل مجمعة كلما
ويجهل احيانا فلا يستخفني ولا الجهل العتبى اذا رجع الحلما يصد وياي في الزحام
بوده ويدنوا ويدعوني اذا خشي الهضما فيفرج عنه اربة الخصم مشهدي وادفع عنه
عند عثرة الظلما الاربة الدهاء والاربة العقدة وكلى المعنيين يحتمل لفظ البيت
وكنت امرأ عود الفعال تهزني مآثر مجد تالد لم تكن زعما ولست بلاق سيكا الاد
مالكا فتنسبه الاباي او عما وكنت وشتمي في ارومة مالك بسبي له كالكلب اذ ينبح
النجما ستعلم ان عاديتني فقع قرقرا ما الا افدت لا اباكك او عزما لقد ابقت الايام
مني وحرسها لاعدائنا نكلا وحسادنا رغما وكانت عروق السوء ازرت وقصرت
به ان ينال الحمد فالتمس الذما ومن مختار قوله انى اذا خفي اللئام رايتني كالشمس لا يخفى
بكل مكان ما من مصيبة نكبة امنى بها الا تشرفني وتعظم شاني وتزول لحين تزول
متخمط تخشى بوادره لدى الاقران ومن جيد قوله خليلان باحا بالهوى فتشاحنا
اقاربها في وصلها واقاربه الا ان اهوى الناس قربا ورؤية وريحا اذا ما الليل
غارت كواكبه ضجيع دنا مني جذلت بقربه فبات يمنيني وبت اعاتبه واخبره في
السر بيني وبينه بان ليس شيء عند نفسي يقاربه وقد عبر في وجه كل من وصف
المناجمة امرؤ القيس بقوله تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع
اتلعا وجدك لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا فبتنا تذود الوحش
عنا كاننا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا اذا اخذتها هزة الروع امسكت بمنكب
مقدام على الهول اروعا وقال علي بن الجهم في وصف شدة الالتزام سقى الله ليلا
ضمنا بعد هجعة وادنى فؤادا من فؤاد معذب فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من
الراح فيما بيننا لم تسرب ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى كانني عانقت ريحانة
تنفست في ليلها البارد فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد ولبشار بن برد

انني اشتهي لقاءك والله فما ذا عليك ان تلقان قد تلف الرياح غصنا من البان الى
مثله فيلتقيان ومثل هذا للبحتري ولم انس ليلتنا في العناق لف الصبا بقضيب
قضيبا كما اقتنت الريح في مرها فطوراً خفوتاً وطوراً هبوبا ولاخر في هذا المعنى
بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري او تاخر عنه وضم لا ينهنه واعتناق
كما التف القضيب ولعلي بن الجهم وبتنا على رغم الحسود كاننا خليطان من ماء الغمامة
والخمر وهذا وان جعله في العناق فهو ماخوذ من قول بشار واذ نلتقي خلف العيون
كاننا سلاف عقار بالتفاح مشوب والاصل في هذا المعنى قول الاخطل والناس
من بعده على اثره من الجاذيات الحور مطلب سرها كبيض الانوق المستكنة في الوكر
واني واياها اذا ما لقيتها لكالماء من صوب الغمامة والخمر وقد اخذه ايضا ابن ابي
عيينة فقال ذاك اذ روحها وروحي مزاجان كما صفي خمر بالعذب ماء واخذه العباس
ابن الاحنف فقال ما انس لا انس يمناها معطفة على فوادي ويسراها على راسي
وقولها ليته ثوبا على جسدي او ليتني كنت سربالا لعباس او ليته كان لي خمرا وكنت
له من ماء مزن فكنا الدهر في كاس ومثل هذا للبحتري وجدت نفسك من نفسي
بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح ولقد احسن بشار في قوله لقد كان ما بيني
زمانا وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا
احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا العتبي عن ابيه قال سير الوليد ابن
عبد الملك الاحوص الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف
وكيف ترى للنوم طعما ولذة وخالك امسى موثقا في الحبائل فمن يك امسى سائلا
عن شماتة ليشمت بي او شامتا وغير سائل فقد عجمت مني الحوادث ماجدا صبورا على غماء
تلك البلابل اذا سر لم يفرح وليس لنكبة المت به بالخاشع المتضائل فبعث عمر بن
عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال
فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك حدر الاحوص
وسيره اكما قال قدس الله روحه وانما كان الاحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة

ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وامها انصارية فاما قوله اذا سر لم
يفرح البيت فماخوذ من قول لقيط بن زرارة لا مترفا ان رخاء العيش ساعده
وليس ان عض مكروه به خشعا وللاحوص وببطن مكة لا ابوح به قرشية غلبت
على قلبي ولو انها اذ مر موكبها يوم الكديد اطاعني صحبي قلنا لها حييت من شجن
ولركبها حييت من ركب والشوق اقتله برؤيتها قتل الظما بالبارد العذب
والناس ان حلوا جميعهم شعبا سلام وكنت في شعب لحللت شعبك دون
شعبهم ولكان قربك منهم حسبي قوله والشوق اقتله برؤيتها نظير لقول
جرير فلما التقى الحيان القيت العصا ومات الهوى لما اصيبت مقاتله مجلس
آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
على الملائكة فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فقال كيف يامرهم ان
يخبروا بما لا يعلمون او ليس ذلك اقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تابونه والذي
جوزتم ان يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية
وجهان احدهما ان ظاهر الآية وان كانت امرا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين
عالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال لهم خبروا بذلك ان علمتموه ومتى
رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة ان يقول القائل لغيره
خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه او ان كنت تعلم انك صادق فيما تخبر به فان قيل
اليس قد قال المفسرون في قوله تعالى ان كنتم صادقين ان المراد به ان كنتم تعلمون
بالعلة التي من اجلها جعلت خليفة في الارض او ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم
تقومون بما انصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل
ايضا ما ذكرناه واذا كان القول محتملا للامرين جاز ان يبنى الكلام على كل واحد منهما
وهذا الجواب لا يتم الا لمن يذهب الى ان الله تعالى يصح ان يامر العبد بشرط قد علم انه
لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح ان
يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاي فائدة في ان يامرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط ان يكونوا

صادقين وهو عالم بانهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا لمن ذهب الى الاصل
الذى ذكرناه ان يقول لا يمتنع ان يكون الغرض فى ذلك هو ان ينكشف باقرارهم وامتناعهم
من الاخبار بالاسماء ما اراد الله تعالى بيانه من استبثاره بعلم الغيب وانفراده بالا
طلاع على وجوه المصالح فى الدين فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذى تذكرونه من بعد
قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما بون من حيث كان الجواب على تسليم ان الآية
تضمنت الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثانى لا يسلم فيه ان القول امر على الحقيقة
بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر والقرآن
والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة
انى جاعل فى الارض خليفة قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ فقال لهم انى اعلم ما لا تعلمون اى انى مطلع من مصالحكم
وما هو انفع لكم فى دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون
غير الملائكة مع انها تُسَبِّحُ وتقدس وتطيع ولا تعصى اولى بالاستخلاف فى الارض
وان كان فى ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم آدم عليه السلام اسماء جميع
الاجناس او اكثرها ثم قَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مقررا لهم ومنبها
على ما ذكرناه ودالا على اختصاص ادم بما لم يحصوا به فلما اجابوه بالاعتراف والتسليم
اليه علم الغيب الذى لا يعلمونه فقال تعالى لهم الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون منبها على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح فى الدين وان
الواجب على كل مكلف ان يسلم لامره ويعلم انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم فى دينهم
علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى ان كنتم صادقين محمولا
على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة فى نصب الخليفة او فى ظنهم انهم يقومون بما يقوم
به هذا الخليفة ويكملون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف
لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله بان يخبرهم آدم

عليه

عليه السلام بالاسماء ولا يكون قوله انى اعلم غيب السموات والارض الى آخر الآية
الا مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكانه قال تعالى اذا كنتم لا تعلمون
هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه
اولى فان قيل فكيف علمت الملائكة ان فى ذرية آدم عليه السلام من يفسد فى الارض
ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يحسن ان تخبر
عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكانها قالت متعرفة أتجعل
فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى اخبرها بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف
من يعصى ويفسد فى الارض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة والا
ستفادة لوجه الحكمة فيه اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضى
ان يكون فى اول الكلام حذف ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض
خليفة وانى عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن
ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لان فى ذلك
دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفى جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه
تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك كان فى ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر
اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصى وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا انى
اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور
وفى القرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد فى شئ من الكلام
فمن ذلك قوله تعالى فى قصة يوسف ع م والناجى من صاحبيه فى السجن عند رؤيا
الملك البقر السمان فى العجاف انا انبئكم بتأويله فارسلون ايها الصديق افتنا
ولو بسط الكلام فاورد محذوفه لقال انا انبئكم بتأويله فارسلون ففعلوا فاتى يوسف
فقال له يوسف ايها الصديق افتنا ومثله قوله تعالى فى الانعام قل انى امرت ان اكون
اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اى وقيل لى ولا تكونن من المشركين وكذلك

قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر
واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا
نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الى قوله اعملوا آل
داود شكرا اى وقيل لهم اعملوا آل داود شكرا وقال جرير الم تر قيسا حين خارت
مجاشع نجير وما ان تبتغى من يجيرها بنى آدم من ردخبلا مغيرة غداة الصفا لم يخ
الا عثور ها وردتم على قيس بخور مجاشع فنؤتم على ساق بطئ جبورها اراد فنؤتم
على ساق مكسورة بطئ جبورها كانه لما كان فى قوله بطئ جبورها دليل على الكسر
اقتصر عليه وقال عنترة هل تبلغنى دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم يعنى
ناقته ومعنى لعنت دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك
هذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير قال تأبط شرا ويروى
للشنفرى فلا تدفنونى ان دفنى محرم عليكم ولكن خامرى ام عامر لانه اراد لا تدفنونى
بل دعونى تاكلنى التى يقال لها خامرى ام عامر وهى الضبع وقال اوس بن حجر حتى اذا
الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابو دواد الايادى
ان من شيمتى لبذل تلادى دون عرضى فان رضيت فكونى سعى عليها انت عليه وان
سخطت فبينى فحذف هذا كله وقال آخر اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون
ليلى مائل القرن اعضب اراد لعلها قريب وهذا باب يتسع واكثر من ان نحيط به
والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالا
لفاظ وهو ان تأتى بلفظ يقتضى غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون فى الموجود
دلالة على المحذوف فتقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع الى المعانى
وهو ان تأتى بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك
اللفظ فلا حذف الا هو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله ولكن
خامرى ام عامر ونظائره مما انشدناه لان القول غير مستقل بنفسه بل يقتضى كلاما
آخر غير انه لما كان فيه دلالة على ما حذف فحسن استعماله ومثال الاختصار الذى

ليس بحذف قول الشاعر اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد
انهم اعزاء مقيمون بدار ملكهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط فى قوله
حول قبر ابيهم ومثله قول عدى بن زيد عالم بالذى يريد نقى الصدر عف على جناه نحور
وفى معنى الاختصار قول اوس بن حجر وفتيان صدق لا تخم لحامهم اذا شبه النجم
الصوار النوافرا فقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال انهم لا يدخرون
اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الاضياف والطراق ومعنى قوله اذا شبه النجم
الصوار النوافرا يعنى فى شدة البرد وكلب الشتاء والثريا تطلع فى هذا الزمان عشاء
كانها صوار متفرق وهذا ايضا اكثر من ان يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه
على بعض لقوة حظه من افادة المعانى الكثيرة بالالفاظ المختصرة فاما قوله تعالى ثم
عرضهم على الملائكة بعد ذكر الاسماء التى لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به انه عرض المسميات
لان الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد من ان تكون تلك المسميات او فيها من يجوز
ان يكنى عنه بهذه الكناية لانها لا تستعمل الا فى العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل فى قراءة
ابى ثم عرضها وفى قراءة عبد الله ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القرائتين يصلح
ان تكون عبارة عن الاسماء قال السيد رح وقد بقى فى هذه الآية سؤال لم نجد احدا
ممن تكلم فى تفسير القرآن ولا فى متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه
وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة لما اخبرها آدم ع م بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة
الاسماء للمسميات وهى لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت الملائكة عالمة لاخبرت
بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضى انهم لما انباهم آدم بالاسماء علموا
صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات
والارض معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل
ذلك انما يتم مع العلم دون غيره انه غير ممتنع ان يكون الملائكة فى الارض غير
عارفين بتلك الاسماء فلما انباهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم فى الحال العلم الضرورى
بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك

تميزه واختصاصه وليس لاحد ان يقول ان ذلك يؤدى الى انهم علموا نبوته اضطرارًا
وفى هذا منافاة طريقة التكليف وذلك انه ليس فى علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة
ما يقتضى العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لابد من الاستدلال عليها
ويجرى هذا مجرى ان يخبر احدنا نبى بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة
وهو وان كان عالمًا بصدق خبره ضرورة لابد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته
لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب ووجه
آخر وهو انه لا يمتنع ان تكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف اسماء
الاجناس فى لغته دون لغة غيره الا ان يكون احاطة عالم واحد لاسماء الاجناس
فى جميع لغاتهم خارقة للعادة ~~الا ان تكون~~ فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم
علمه جميع تلك الاسماء للغته وهذا يخبر كل قبيل ولا شك فى ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة
وخبروا بشئ يجرى هذا المجرى علم مخبرهم فاذا اخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك
فى لغة غيره ما علمه فى لغته وهذا الجواب يقتضى ان يكون قوله انبؤنى باسماء
هؤلاء اى ليخبرنى كل قبيل منكم بجميع هذه الاسماء وهذان الجوابان جميعًا مبنيان
على ان آدم عم لم يتقدم لهم العلم بنبوته وان اخباره بالاسماء كان افتتاح معجزاته لانه
لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج الى هذين الجوابين
معًا لانهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك
بقوله الذى قد امنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تأمل قال السيد قدس الله روحه
رايت قومًا ممن تكلم على معانى الشعر يذكرون فى بيت حسان بن ثابت لم تفتها شمس النهار
بشئ غير ان الشباب ليس يدوم ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكانه
قال لم تفتها شمس النهار بشئ غير انها كبيرة طاعنة فى السن وعذرها فى ذلك ان
الشباب ليس مما يدوم لامثالها وهذا الذى ذكروه ليس بشئ والاشبه والاولى ان
يكون مراد حسان ان شمس النهار لم تفتها بشئ غير ان شبابها مما لا يدوم ولابد
من ان يلحقها الهرم الذى لا يلحق الشمس ولم يرد انها فى الحال كذلك وكيف يريد ما

توهمى

توهمى مع قوله يا قوم هل يقتل المرء مثلى واهن البطش والعظام سؤوم شانها
العطو والفراش ويعلوها الجبين ولؤلؤ منظوم لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لاندبتها
الكلوم وهذه الاوصاف لا تليق بمن طعن فى السن من النساء ولا يوصف بمثلها
الا الصبيان والاحداث ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الاصمعى
وما اولى ان يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج
المعانى والبحث عنها ومما فسره اصحاب المعانى على وجه وهو بغيره اشبه واقل
الاحوال ان يكون محتملًا للامرين فلا يقصر عن احدهما قول الخنساء يا صخر وراد ماء
قد تناذره اهل الموارد ما فى ورده عار لانهم يقولون مرادها بالبيت ما فى تركه
ورده عار يظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم تكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى
قول المرقش ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم وليس الامر كما ظنوه
لانه يحتمل ان يريد انه لا عار فى وروده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت
وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعاب التى من جملتها ايراد
الماء غلبة وقهرًا فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب امرًا صعبًا قد
نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ فى الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك فى ركوبه
لانه ربما فعل الانسان فعلًا يحوز به اكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من
قطيعة رحم او نكث عهد او ما جرى هذا المجرى فكانها نفت عن فعله وجوه العار
وليس يجرى ذلك مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم لان البيت متى لم يحمل
على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئًا وقد بينا فائدة بيت الخنساء
اذا كان المراد ما ذكرناه **مجلس آخر تأويل آية** ان سأل سائل عن قوله تعالى
وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
قلنا قد ذكر فى هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى وسل تباع من ارسلنا من قبلك
من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون السخاء
سخاء حاتم فاقاموا حاتمًا مقام السخاء المضاف اليه ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن

بالله ومثله قول الشاعر لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسيه لحرارها وعبيدها
والمراد بالسؤال فى ظاهر الكلام النبى صلى الله عليه واله وهو فى المعنى لامته لانه
عليه السلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب بخطاب امته كما قال تعالى المص
كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه فافرده بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب
امته فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وفى موضع آخر يا ايها النبى اتق الله ولا تطع
الكافرين فخاطبه عليه السلام والمعنى لامته لانه تبين ذلك بقوله ان الله كان بما
تعملون خبيرا وقال تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فوحد وجمع فى موضع
واحد للمعنى الذى ذكرناه وقال الكميت الى السراج المنير احمد لا تعدلنى رغبة ولا
رهب عنه الى غيره ولو رفع الناس الى العيون وارتقبوا وقيل افرطت بل قصدت
ولو عنفنى القائلون او ثلبوا لج بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب
انت المصفى المحض المهذب فى النسبة ان نص قومك النسب فظاهر الخطاب للنبى عم
والمقصود به اهل بيته عليهم السلام لان احدا من المسلمين لا يمتنع من تفضيله
عليه السلام والاطناب فى وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف فى ذلك احد وانما
اراد الكميت وان اكثر فى مدح اهل بيته وذويه الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف
فوجه القول اليه والمراد به غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد بموالاتهم والا
نحياز اليهم والانقطاع الى جهتهم لما كان رسول الله صلعم هو المقصود بذلك اجمع
جاز ان يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع وقيل ان المراد اتباع
الانبياء الذين امر بمسئلتهم هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره
وليس يمتنع ان يكون هو عليه واله السلام المأمور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه
ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير اهل
الكتاب به واقامة الحجة عليهم باعترافهم اولان بعض مشركى العرب انكر ان تكون
كتب الله تعالى المتقدمة وانبياؤه عليهم السلام الاتون بها دعت الى التوحيد فامر
عليه السلام بتقرير اهل الكتب لتزول الشبهة عمن اعترضته والجواب الثانى ان يكون

السؤال متوجها اليه عليه السلام دون امته والمعنى اذا لقيت النبيين فى السماء فا
سئلهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه صلعم لقى النبيين فى السماء فسلم عليهم
ولا يكون امره بالسؤال لانه كان شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن
لبعض المصالح الراجعة الى الدين اما لشئ يخصه عليه السلام او يتعلق ببعض
الملائكة الذين يستمعون ما يجرى بينه وبين النبيين من سؤال وجواب والجواب
الثالث ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى وسل من ارسلنا اليه قبلك
رسلا من رسلنا يعنى اهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق فى المعنى الجواب
الاول فبينهما خلاف فى تقدير الكلام وكيفية تاويله فلهذا صارا مفترقين وقد
رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطا فى الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها
فى هذا الموضع لانهم لا يجيزون الذى جلست عبد الله على معنى الذى جلست اليه عبد الله
لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذى
اكرمت اباه عبد الله لم يجز ان يضمر اباه لانفصاله من الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته
وكذلك لا يجوز الذى رغبت محمد بمعنى الذى رغبت فيه لان الاضمار انما يحسن
فى الهاء المتصلة بالفعل كقولك الذى اكلت طعامك والذى لقيت صديقك معناهما
اكلته ولقيته وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذى عليها وقال غيره فى حذفها
غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم فى شئ فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف و
والمعتمد على ما تقدم مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن معنى ما رواه ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه واله من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهود
انه وينصرانه الجواب قلنا اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال فى تاويل هذا الخبر
سالت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا فى اول الاسلام قبل ان تنزل الفرايض
ويؤمر المسلمون بالجهاد قال ابو عبيد كانه ذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة
ثم مات قبل ان ينصره ابواه ويهوداه ما ورثاه وكذلك لو مات قبلهما ورثهما لانه
مسلم وهما كافران وما كان ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرايض وجرت

وامهم

السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين ابويه قال ابو عبيد واما عبد الله بن
المبارك فانه قال هو بمنزلة الحديث الآخر الذى يتضمن انه عليه السلام سئل عن اطفال
المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون
اليه من اسلام او كفر فمن كان فى علمه تعالى انه يصير مسلما فانه يولد على الفطرة
ومن كان فى علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك قال ابو عبيد ومما يشبه هذا
الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى جميعا حنفاء
فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما احللته لهم حراما قال ابو عبيد يريد
بذلك البحائر والسيب وغير ذلك مما احله الله تعالى فجعلوه حراما واما ابن قتيبة
فقال وقد حكى ما ذكرناه عن ابى عبيد لست ارى ما حكاه ابو عبيد عن عبد الله بن
المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على
ان ردا على ما قال به اهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث عنده
منسوخ والنسخ لا يكون فى الاخبار وانما يكون فى الامر والنهى قال ولا يجوز ان يراد
على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لانه مخرجه مخرج العموم قال
ولا ارى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عند ناحيث
اخذ العهد عليهم فى اصلاب ابائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاخرج
منه ذريته الى يوم القيمة امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
فاراد عليه السلام ان كل مولود يولد فى العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار
الاول وهو الفطرة قال قدس الله روحه هذا كله تخليط وبعد عن الجواب
الصحيح والصحيح فى تأويله ان قوله يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان يكون
الفطرة ها هنا الدين وتكون على بمعنى اللام فكانه قال كل مولود يولد للدين ومن اجل
الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد
بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والدليل على ان على
يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابى زيد عن العرب انهم يقولون

صف

٢٠٥

صف على كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صفه لى ويقولون ما اغبطك على يريدون ما
اغبطك لى والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه
يريدون على وجهه وقال الطرماح كان مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن
اراد على الجناجن وقال عنترة شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض
الديلم معناه شربت الناقة من الماء الدحرضين وهما ماآن يقال لاحدهما وسيع وللآخر
دحرض فغلب الاشهر وهو الدحرض وانما ساغ ان يريد بالفطرة التى هى الخلقة فى اللغة
الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجرى على الشئ اسم ما له به هذا الضرب
من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتأول قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله
التى فطر الناس عليها اراد دين الله الذى خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله
المراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق
قوما للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر
الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بان تعصوا وتخالفوا
والوجه الآخر فى تأويل قوله عم الفطرة ان يكون المراد به الخلقة وتكون لفظة على ظاهرها
لم يرد به غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته
والايمان به لانه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضى النظر فيه معرفة
والايمان وان لم ينظروا ويعرفوا فكانه عليه السلام قال كل مخلوق ومولود فهو يدل
بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا ونصرانيا وهذا
الوجه ايضا يحتمله قوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها واذا ثبت ما ذكرناه
فى معنى الفطرة فقوله عليه السلام حتى تكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين
احدهما ان من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتى ودينى فانما جعله ابواه
كذلك او من جرى مجراهما ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين
لان الاولاد فى الاكثر ينشأون على مذهب ابائهم وبالفون اديانهم ونحلهم ويكون
الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم

عنه اباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الآخر ان يكون معنى يهودانه وينصرانه اى
يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم
فكانه عم قال لا تتوهموا من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اصاغرهم انهم خلقوا
لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن اباءهم هم الذين ادخلوهم فى احكامهم
وعبّر عن ادخالهم فى احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح فاما جواب ابى
عبيد الذى حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ
لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم اباءهم
وذلك غير ممتنع واما الجواب الذى حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز
ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يامره للايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه
على خلافه فاما ما روى عنه عم وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا
عاملين فانه يحتمل ان يكون عم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف يكون
صورته والى اى شئ ينتهى عاقبته فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فاراد ان ذلك
مستور عنى ولو كانت المسئلة عمن احترم طفلا لم يجز ان يكون الجواب ذلك
واما ابن قتيبة فانه ردّ على ابى عبيد من غير وجه يقتضى الردّ واعترض جواب
ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذى يفسد به
وهو الذى ذكرناه وكيف نبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار فى تاويل الخبر ما
يجرى فى الفساد والاختلال مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ فى الاخبار فجائز اذا
تضمنت معنى الامر والنهى ويكون ما دل على جواز النسخ فى الاوامر الا على ذلك فيها
وهذا مثل ان يقول عليه السلام الصلوة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست
واجبة فيستدل بالثانى على نسخ الحكم الاول كما لو قال صلوا ثم قال لا تصلوا كان
النهى الثانى ناسخا للاول واما الجواب الذى ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم
من الامالى عند تاويلنا لقوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر آدم واستخرج منه الذرية

واشهدها

واشهدها على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل فى اعادته
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى
النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء
ها هنا والمراد التابيد والدوام ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والارض التى تفنى
وتنقطع الجواب قلنا قد ذكر فى هذه الآية وجوه اولها ان تكون الا وان كان ظاهرها
الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليك
الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا وكذا والالفان زيادة على الالف
بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين
والوجه الثانى ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار فى
الدنيا وفى البرزخ الذى هو ما بين الحياة والموت واحوال المحاسبة والعرض وغير
ذلك لانه تع لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون فى الجنة
او النار من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة
معقولة والوجه الثالث ان تكون الا بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وما شاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان معناه والفرقدان وبقول الآخر
لها دار باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح
خوالد سحم والمراد بالا ههنا الواو والا كان الكلام متناقضا والوجه الرابع
ان يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام
لهم فى النار زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين
الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا امكن فى الاستثناء

الاول كيف يمكن فى الثانى قلنا نحمل الثانى على استثنآء المكث فى المحاسبة والموقف او غير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون الاستثنآء غير موثر فى النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم وان لا يخلدهم لفعل وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوى الا ضربه ومعنى استثنآئه انى لو شئت ان لا اضربك لفعلت وتمكنت غير انى مجمع على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجرى ذلك مجرى قول العرب والله لاهجرنك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك انى اهجرك ابدا من حيث علق بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى الايتين والمراد بهما انهم خالدون ابدا لان الله تعالى لا يشآء ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصى فقال تعالى انهم معاقبون فى النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقاء ها هنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لا بد ان يوصل اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا فانما استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرناه من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد فى الاخبار عنه بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه تعالى قال انهم خالدون فى الجنة ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الوقت الذى ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ فى الحال التى تليق بهم فهم اذا دخلوا النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة و الضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابى روق عن الضحاك عن ابن عباس

قال الذين

قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله سبحانه عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء فى حال سعداء فى حال اخرى فاما تعليق الخلود بدوام السموات والارض فقد قيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطا فى الدوام وانما علق به على طريق التبعيد وتاكيد الدوام لان للعرب فى مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التابيد والدوام ويجرى كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابدا لانهم يعتقدون فى جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم انما يجرونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما يجرى عليه الشئ فى نفسه الا ترى ان بعضهم لما اعتقد فى الاصنام ان العبادة تحق لها سماها الهة بحسب اعتقاده وان لم تكن فى الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذى حكيناه قول ابى الجويرية العبدى ذهب الجود والجنيد جميعا فعلى الجود والجنيد السلام اصبحا ثاويين فى قرمرو ما تغنى على الغصون الحمام و قال الاعشى الست منتهيا عن نحت اثلتنا ولست ضائرها ما اطت الابل وقال الاخر لا افتا الدهر ابكيهم باربعة ما اجترت النيب اوحنت الى بلد وقال زهير منبئا عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير الا ارى على الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا فهذا وجه وقيل ايضا فى ذلك انه اراد به الشرط وعنى بالاية دوام السموات والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل الارض غير الارض و السموات فاعلمنا انهما تبدلان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغيير ابدا بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التى يعلم الله تعالى انقطاعهما ثم يزيدهم الله على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التى تتضمن ان الاستثنآء اريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال قدس الله روحه ووجدت الآمدى قد ظلم البحترى فى تفسير بيت مضاف اليه الى ظلمة

فى اشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البحترى حكى قوله كالبدر الا انها لا تجتلى
والشمس الا انها لا تغرب ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا انها
لا تجتلى فالمعنى ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه وهى لا تراها العيون
ولا تجتلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب وانما قال لا تجتلى لانها محجوبة واذا كانت
فى حجاب فهى فى غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب وظاهر
المعنى كالبدر الا ان العيون لا تراها والشمس الا ان العيون لا تفقدها قال وهذا
القول متناقض كما تراه واظنه اراد انها وان كانت فى حجاب فانه لا يقال لها غربت
تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغتربت وغربت
اذا توجهت نحو عن الارض التى تكون فيها اذا ظعنت عنها الى ارض اخرى كان ذلك
حسنا جدا لا سيما وقد جعلها شمسا كما قال ابرهيم بن العباس الصولى وزالت
زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبرى فى اى ارض غروبها قال ويجوز ان يقول
قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضيقة لابى عبادة
فان لم يكن اخطاء فقد اساء قال قدس الله روحه وما المخطئ غير الآمدى ومراد
البحترى بقوله اوضح من ان يذهب على متامل لانه اراد بقوله والشمس الا انها
لا تغرب انها لا تصير بحيث تتعذر رؤيتها وتمتنع كما تتعذر رؤية الشمس على من غربت
عن افق بلده والمرأة وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس
لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة
ولهذا لا يقبح ان يقال لمن استظل بدار وجدار عن الشمس انها قد غربت عنه
وان كان غير داء لها لان رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول فى احتجاب
المرأة فلا تناقض فى بيت البحترى على ما ظنه الآمدى ولبعضهم فى مثل هذا المعنى
قد قلت للبدر واستغربت حين بدا ما فيك يا بدر لى من وجهها خلف تبدى لنا كلما
شئنا محاسنها وانت تنقص احيانا وتنكسف فمعنى قوله وانت تنقص وتنكسف
جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا

على اختيارها والبدر ينقص وينكسف ويحجب على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها
البحترى بانها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم
الآمدى البحترى فى قوله لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده قال الا
وهذا عندى من اهجى بيت مدح به خليفة واقبحه ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم
او يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وللبحترى فى هذا عذر من وجهين
احدهما ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكانه قال لو عنف وعذل لما صده
ذلك عن الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف ان يصدا ويحجزا عن الشئ وهذا له
نظائر فى القرآن وفى الكلام العرب وقد مضى فيما امليناه شئ من ذلك والوجه الآخر
ان العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه فى نفسه فهما موجودان فى الجملة على الاسراف
فى البذل والجود بنفائس الاموال ولم يقل البحترى ان عذله يردعه او تعنيفه يصده
وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكانه اخبر بان ما يسمعه من عذل
العذال على الكرام وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو غير ما ذله لقوة
عزيمته وشدة بصيرته ومما خطأ الآمدى فيه البحترى وان كان له فيه عذر صحيح
لم يهتد اليه قوله وتب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل قال
الآمدى وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف
اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ
القيس بضاف فويق الارض ليس باعزل وقد عيب امرؤ القيس بقوله لها ذنب
مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر وما ارى العيب يلحق امرأ القيس
لان العروس وان كانت تسحب اذيالها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض عيبا
فليس بمنكر ان يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض لان الشئ انما يشبه به
الشئ اذا قاربه او دنا من معناه فاذا اشبهه فى اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق
وامرؤ القيس لم يقصد ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما
اراد السبوغ والكثرة والكثافة الا ترى انه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون

الذنب طويلًا يكاد يمس الارض ولايكون كثيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال
تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه الذنب
الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب
للعيب وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الردا فصح بان الفرس يسحب
ذنبه ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير لها ذنب مثل ذيل الهوى
الى جؤجؤ ايد الزافر والهوى العروس التي تهدى الى زوجها والايد الشديد
والزافر الصدر لانها تزفر منه قال فتشبيه الذنب الطويل السابغ بذيل الهوى
وان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض قال السيد قدس الله روحه وللبحتري
وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان
الآمدي لم يفطن له واول ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه في كلامه
التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني
على التوسع والتجوز والاشارة الخفية والايما الى المعاني تارة من بعد واخرى
من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف
اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الردا المبالغة
في وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب ويكاد يمس الارض
ومن شان العرب ان تجري على الشئ الوصف الذي قد كان يستحقه وقرب منه
القرب الشديد فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة وولّه عقله وازال تمييزه
واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة
ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى ومن شانهم ايضا اذا ارادوا المبالغة التامة ان
يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل ويشبهون
الخصر بوسط الزنبور وبمدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح وحسن
الوصف ونحن نعلم انا لو راينا من خصره بمقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب
العظيم لاستبدعناه واستهجنا صورته لتفاوتها وقبحها وانما اتوا بالفاظ

المبالغة لا لتحمل على ظواهرها تحديدا وتحقيقا بل لتفهم منها الغاية المحمودة
والنهاية المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فكانا نفهم من قولهم ان خصرها
كخصر الزنبور انه في نهاية الوتارة المطلوبة المحمودة لا انه كالتل على الحقيقة فهكذا
لا ينكر ان يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء انه في غاية الطول الممدوح لا انه
يجر على الارض في الحقيقة وكلنا في تلخيص معناه وتفصيله الى العادة الجارية لنظر
ائمة من الشعراء في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله وقد قال بعضهم في ثقل
العجيزة تمشي فتثقلها روادفها فكانها تمشي الى خلف وقال المؤمل من راى مثل
حبتي تشبه البدر اذ بدا تدخل اليوم ثم تدخل اردافها غدا وقال ذو الرمة
ورمل كارداف العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس وكل هذا كلام
لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يمشي الى خلف
ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح فرعاء تسحب من قيام
شعرها وتغيب فيه وهو جثل اسحم فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها
مظلم فوصف شعرها بانه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم ان طول الشعر وان كان
مستحسنا فليس الى هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها ما اراده البحتري بقوله
كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم **مجلس آخر**
تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تاويل هذه الآية وان كان المراد بها
التعجب من قوة اسماعهم ونفاذ ابصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع
كثيرة من الكتاب بانهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم واسماعهم غشاوة
وما معنى قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين واي يوم هو اليوم المشار اليه
وما المراد بالضلال المذكور **الجواب** قلنا اما قوله تعالى اسمع بهم وابصر فهو على مذهب
العرب في التعجب يجري مجرى قولهم ما اسمعه وما ابصره والمراد بذلك الاخبار عن قوة
علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه لا اعتراض للشبهة عليه

الدقة المستحسنة في البشر ومن
كفلها كالكثيب انه في نهاية

وهذا يدل على ان اهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة فلا تنافى بين هذه الآية وبين
الآيات التى اخبر عنهم فيها بانهم قوم لا يسمعون ولا يبصرون وبان على ابصارهم
غشاوة لان تلك الايات تناولت احوال التكليف وهى الاحوال التى كان الكفار فيها
ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تناولت يوم القيمة
وهى المعنى بقوله تعالى يوم يأتوننا واحوال القيمة لا بد فيها من المعرفة الضرورية
وتجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد فاما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين فيحتمل
ان يريد بقوله اليوم الدنيا واحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب
عن الدين والعدول عن الحق واراد تعالى انهم فى الدنيا جاهلون وفى الآخرة عارفون
بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل ان يريد باليوم يوم القيامة ويعنى بالضلال العدول
عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكانه تعالى قال اسمع بهم وابصر
يوم يأتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون فى هذا اليوم الى العقاب
ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روى معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين
فروى عن الحسن فى قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا قال يقول هم يوم
القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون اليوم فى الدنيا ليسوا سمعاء ولا بصراء ولكنهم
فى ضلال عن الدين مبين وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا
حين لم ينفع السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر فى تأويل
هذه الآية كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم وهذا
على طريق المبالغة فى الوصف يقول فهم يوم يأتوننا اى يوم القيامة بصراء سمعاء
اى عالمون وهم اليوم فى دار الدنيا فى ضلال مبين اى جهل واضح قال وهذه الآية
تدل على ان قوله تعالى صم بكم عمى فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة فى الاذن
والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون
ولا يعتبرون ما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه جعل قوله لكن الظالمون

اليوم

اليوم فى ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اى ما اسمعهم
وابصرهم فاقام السمع والبصر مقام الهدى اذ جعله بازاء الضلال المبين
واما ابو على محمد بن عبد الوهاب فانه اختار فى تأويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن
نحكى كلامه على وجهه قال وعنى بقوله اسمع بهم وابصر اى اسمعهم وبصرهم وبين
لهم انهم اذا اتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون فى ضلال عن الجنة وعن الثواب
الذى يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب
فى ذلك اليوم ويجوز ايضا ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اى اسمع الناس
بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا اخبارهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا باعمالهم
واراد بقوله لكن الظالمون اليوم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعنى يوم
القيامة فى ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التى
استدركت على ابى على ونسب فيها الى الزلل لان الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال
من بعد فان الاولى والاظهر فى معناه ما تقدم ذكره من المبالغة فى وصفهم وقوله لكن الظالمون
اليوم فى ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذى ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم
على ان المشار به الى يوم القيامة على ان ابا على جعل قوله لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين
من صلة قوله اسمعهم وبصرهم وتأوله على ان المعنى به اعلمهم وابصرهم بانهم يوم
القيامة فى ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله
لكن استيناف لكلام ثان وما يحتاج ابو على الى هذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل
انه اراد اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اى ذكرهم باهواله واعلمهم بما فيه ثم قال
مستانفا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره وكان هذا اشبه
بالصواب فاما الوجه الثانى الذى ذكره فباطل لان قوله اسمع بهم وابصر اذا تعلق
بالانبياء الذين ذكرهم بقى قوله يوم يأتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف لا عامل له
فالاقرب ان يكون على الوجه الاول مفعولا و وجدت بعض من اعترض على ابى على
يقول له رادا عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو على لوجب ان يقول اسمعهم

وابصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لان الباء فى مثل هذا الموضع غير منكر زيا
دتها وذلك موجود كثير فى القران والشعر قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذى
خلق وعينا يشرب بها عباد الله وهزى اليك بجذع النخلة وتلقون اليهم بالمودة
وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا وقال امرء القيس هصرت بغصن
ذى شماريخ ميال واظن ابا على انما انس بهذا الجواب انه وجد تاليا للاية لفظ
امر وهو قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة فحمل الاول على الثانى والكلام لا تشتبه
معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه بمقتضيه معناه قال المرتضى
وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان فى خطبة او كلام
قصد له فينبعث منه فى تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه
دونه ويقولون ان النسيان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة
الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتهما الى اجتماع الفكر وحضور الذكر وينسبون
جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عمن حصر فى خطبة او منطق الى
انه موضوع مصنوع وليس الذى استبعدوه ببعيد ولا منكر لان النسيان قد يخص
شيئا دون شى ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعالم متعارف فلا ينكر ان ينسى
الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك ذاكرا لغيره متكلما
فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن المقصد يحميان القريحة
ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابرعه ليكون ذلك هربا من العى وانتفاء
من الكلنة ومن احسن ما روى وابرعه من الكلام فى مال الحصر والانقطاع عن المقصود
ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال
المرزبانى واخبرنى ابن دريد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد
عن ابن الكلبى قال صعد خالد بن عبد الله القسرى يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال
ايها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجئ احيانا ويذهب احيانا فيتسبب
عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابى وعولج فابطا وقال ابن الكلبى

ربما طلب فابى وعولج فقسا فالتانى لمجيئه اصوب من التعاطى لابيه ثم نزل فما رءى
حصرا بلغ منه وقال ابو حاتم والترك لابيه افضل من التعاطى لمجيئه وتجاوزه عند
تعوزه اولى من طلبه عند تنزحه وقد يختلج من الجرى جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل
واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله على وجه آخر قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطى
قال كان خالد بن عبد الله القسرى حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبا
لغ فقدم واسطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال ايها الناس ان هذا
الكلام يجئ احيانا ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه
وربما كوبر فابى وعوسر فقسا والتانى لمجيئه اسهل من التعاطى لابيه وتركه عند
تعذره احمد من طلبه عند تنكره فقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينطره القول اذا
اتسع ولا ينشو اذا امتنع ومن لم يمكن له الخطوة فخليق ان تعز له النبوة واخبرنا
المرزبانى قال اخبرنا ابو عبيد الله ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا ابو العباس
المنصورى قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس انما
اللسان بضعة من الانسان تكل اذا كل وتنفسح بانفساحه اذا انفسح ونحن امراء
الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا
معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب
الناس وهذا الكلام يروى لداود بن على وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن
جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح ان يتكلم فى امر من الامور بعدما
افضت الخلافة اليه وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن على بعد ان حمد
الله واثنى عليه ان امير المؤمنين الذى قلده الله سياسة رعيته عقل عن لسانه عندما
تعهد من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله فى صلاح دينكم
ورغد معيشتكم واخبرنا ابو عبيد الله قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا
عبد الله ابن اسحق بن سلام قال صعد عثمان ابن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس
سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال

وروى محمد بن يزيد النحوى هذا الكلام بعينه عن زياد بن ابى سفيان وقد خطب
على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاصى لما بلغه كلامه قال هذا مخرجا من الشام استحسانا
لكلامه وروى محمد بن يزيد النحوى قال بلغنى ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا
على قوم فقال لهم ايها الناس انى ان لا اكن فارسا طبا بهذا القرآن فان معى من اشعار
العرب ما ارجوا ان يكون خلفا منه وما اساء اخوا البراجم حيث يقول وما عاجلات
الطير يدنين للفتى رشادا ولا من ريثهن يخيب ورب امور لا تضيرك ضيرة وللقلب
من مخشاتهن وجيب ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على حادثات الدهر حين تنوب
وفى الشك تفريط وفى الحزم قوة ويخطى الفتى فى حدسه ويصيب فقال له رجل من كلب
ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله عليه ويصلى على النبى صلعم وللقرآن فقال
اما لو انشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال كنت ارى
انك جاهل ولم احسب ان الحمق بلغ بك هذا كله فقال احمق منى من ولانى وكان يزيد بن
المهلب ولى ثابت قطنة بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول فان
لا اكن فيكم خطيبا فاننى بسيفى اذا جد الوغا لخطيب فقيل له لو قلت هذا على المنبر كنت اخطب
الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال ابا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب و
تخنيق اما القرآن فما تهدى لمحكمه ولم تسدد من الدنيا بتوفيق لما رمتك عيون الناس هبتهم
وكدت تشرق لما قمت بالريق تلوى اللسان اذا رمت الكلام به كما هوى زلق من جانبى
نيق وروى ان بعض خلفاء بنى العباس واظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت
ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر وارتج عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ثم نزل فاستحسن ذلك منه ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان
لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زكينا ولا وقورا
ضبطا من نفسه وملك من حركته مثل الذى ضبط وملك كان يصلى الغداة فى منزله

وهو

هو قريب الدار من مسجده فيأتى مجلسه فيحتبى فلا يتكئ ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو
ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كانه
بناء مبنى او صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يرجع الى
مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك
حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيرا ما يكون ذلك اذا بقى عليه
من قرأة العهد والشروط والوثائق ثم يصلى العشى وينصرف لم يقم فى طول تلك
الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب
وكذلك كان شانه فى طوال الايام وفى قصارها وفى صيفها وشتائها وكان مع ذلك
لا يحرك يدا ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير
المعانى الكثيرة فبينا هو كذلك ذات يوم واصحابه حوله وفى السماطين بين يديه اذ
سقط على انفه ذباب فاطال السقوط والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر
فى سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه
على انفه من غير ان يحرك ارنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال عليه
ذلك من الذباب واوجعه واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل عنه اطبق جفنه
الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى
ريث ما سكن جفنه ثم عاد الى موقه اشد من مرته الاولى فغمس خرطومه فى مكان قد كان
اوهاه قبل ذلك فكان احتماله له اضعف وعجزه عن الصبر فى الثانية اقوى فحرك
اجفانه وزاد فى شدة الحركة وفى تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت
حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فالجاه
الى ان يذب عن عينه بيده ففعل ذلك وعيون القوم اليه يرمقونه كانهم لا يرونه
فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه فالجاه الى ان ذب عن
وجهه بطرف كمه ثم الجاه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان ذلك كله بعين من حضر من امنائه
وجلسائه فلما نظروا اليه قال اشهد ان الذباب الح من الخنفساء وازهى من الغراب

واستغفر الله فما اكثر من اعجبته نفسه فاراد الله ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه
مستورا وقد علمت انى عند الناس من ازمت الناس وقد غلبنى وفضحنى اضعف
خلق الله ثم تلا قول الله تعالى ضعف الطالب والمطلوب مجلس آخر تاويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فقال
ما تنكرون ان يكون فى هذه الآية دلالة على اضافة الاعمال التى تظهر من العباد اليه تعالى
من وجهين احدهما انه قال بعد ذكر ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفى ذلكم بلاء
من ربهم عظيم فاضافها الى نفسه والثانى انه اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال
واذ انجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير فعله على
الحقيقة حتى تصح الاضافة الجواب قلنا اما قوله تعالى وفى ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم
ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين والبلاء هاهنا
الاحسان والنعمة ولا شك فى ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التى عددها نعمة عليهم
والاحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا ويكون سيأ قال الله تعالى
وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس فى الرجل اذا احسن القتال والثبات
فى الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل فى الخير والشر الا ان اكثر
ما يستعملون البلاء الممدود فى الجميل والخير والبلوى المقصور فى السوء والشر وقال
قوم اصل البلاء فى لغة العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل فى الخير والشر كما قال تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيآت يعنى اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة والينا ترجعون فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر فى الشر ان يقال
بلوته ابلوه بلاء وفى الخير ابليته ابليه ابلاء وبلاء وقال زهير فى البلاء الذى هو الخير
جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذى يبلو فجمع بين اللغتين
لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التى يختبر بها عباده وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره

عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف
يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون
انما نجاهم من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه قد يمكن ان يرد قوله
ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى فى تخليته بين هؤلاء وبينكم
وترك منعهم عن ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اى محنة واختبار لكم
والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين وروى ابو بكر الهذلى عن الحسن
فى قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روى
مثل ذلك عن ابن عباس فى السدى ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه وان
كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول انقذنا
من الشرك واخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا
وكذلك قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا ونعشتك وخلصتك ولا يريد انه
فعل فعله والمعنى فى ذلك ظاهر لان ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته
والطافه قد تصح اضافته اليه تعالى فعلى هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى ويمكن
ان يكون مضيفا لها من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع
الى معونة فتارة يكون بامر يرجع اليهم وتارة بامر يرجع الى اعدائهم فان قيل
كيف يصح ان يقول واذ انجيناكم فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره
قلنا ذلك معروف مشهور فى كلام العرب وله نظائر كثيرة لان العربى قد يقول
مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد ان قومى فعلوا ذلك بقومك
قال الاخطل يهجو جرير بن عطية ولقد سما لكم الهذيل فنالكم باواب حيث يقسم الانفالا
فى فيلق يدعو الاراقم لم تكن فرسانه عزلا ولا اكفالا ولم يلحق جرير الهذيل
ولا ادرك اليوم الذى ذكره غير انه لما كان يوم من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف
الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجه الى ابناء من نجى من آل
فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا آباكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على

للخلف قال لسيد قدس الله روحه ومن احسن الشعر فى تعود الضيافة والانس بها
والاستمرار عليها قول حاتم بن عبدالله الطائى اذا ما بخيل القوم هرت كلابه وشق
على الضيف الغريب عقورها فانى جبان الكلب بيتى موطاء جواد اذا ما النفس شح
ضميرها وان كلابى مذ اقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها اراد بقوله قليل على
من يعتريها هريرها انها لا تهر جملة ولذلك نظائر كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا
ما يؤمنون ومثل قوله فانى جبان الكلب معنى ولفظا قول الشاعر وما يك فى من عيب
فانى جبان الكلب مهزول الفصيل وانما اراد انى اوثر الضيوف بالالبان فعصالى
منها ذيل ومثل اللفظ والمعنى ايضا قول ابى وجزة السعدى وال الزبير بنو حرة مروا
بالسيوف الصدور للجنا فا يموتون والقتل من دابهم ويغشون يوم السيوف السيافا
ولجبن من صافر كلبهم وان قذفته حصاة اضافا يقول اذ ركوا بسيوفهم ثارا تهم فكانهم
شفوا وغوقلوبهم وازالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا اى استخرجوا
كما تمرى الناقة اذا اردت ان تحلبها لتدر والجانف المائل ثم قال وان مات بعضهم
على فراشه فان اكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل
من دابهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد
الفتهم كلابهم وانست بهم فهى لا تنبحهم وقيل ايضا انها لا تهر عليهم لانها تصيب
مما يحرزهم وتشاركهم فيه ومعنى وان قذفته حصاة اضافا اى اشفق وهذا تاكيد
لجبنه يقال اضاف الرجل من الامر اذا اشفق منه ومعنى اجبن من صافر قد تقدم ذكره
فى الامالى ومثله فى المعنى لحسان بن ثابت يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسئلون عن السواد
المقبل وقال المرار بن منقذ العدوى اعرف الحق ولا انكره وكلابى انس غير عقر لا ترى
كلبى الا انسا ان اتى خابط ليل لم يهر كثر الناس فما ينكرهم من اسيف يبتغى الخير وحر
الاسيف العبد ههنا وقال آخر انى ماجد لا ينبح الكلب ضيفه ولا بتاداه احتمال المغارم
معنى يتاداه يثقله واراد ان يقول يتاوده فقلبه وقال ابن هرمة وانا اناناطارق
متنور نبحت فدلته على كلابى وفرحن اذ ابصرنه فلقينه يضربنه بشرشرا الاذناب وانما

نفرج لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف بنحرهم فتصيب من قراهم ومثله له ومستنبح
تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب اوليفزع نوم فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع اتيان المهبين مطعم
يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم اراد بقوله فجاوبه
مستسمع الصوت انه جاوبه كلب والمهبون الموقظون له ولاهله وهم الاضياف
وانما كان له معهم مطعم لانه يحرزهم ما يصيب منه واراد بقوله يكلمه من حبه وهو اعجم
بصبصته وتحريكه ذنبه فاما قوله ليفزع نوم فانما اراد ليغيث نوم يقال فزعت
لفلان اذا اغثته ومعنى عوى فى سواد الليل ان العرب تزعم ان سارى الليل
اذا اظلم عليه وادلهم فلم يستبين محجة ولم يدر اين الحلة وضع وجهه مع الارض وعوى
عواء الكلب لتسمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحى قريبا منه فتجيبه فيقصد الابيات
وهذا معنى قوله ايضا مستنبح اى ينبح نباح الكلاب قال الفرزدق فى مثله وداع
يلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها دعا وهو يرجو ان ينبه
اذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها ابن ليلى يعنى اباه غالبا بعثت له دهماء ليست
على اثا فيها ليست بلقحة تدر اذا ما هب نحسا عقيمها معنى بعثت له اى رفعتها على
على اثافيها ويعنى بالدهماء قدرا واللقحة الناقة واراد ان قدره تدر اذا هبت الريح
عقيمها لا مطر فيها كان المحال الفرى فى جمراتها عذارى بدت لما اصيب حميمها اراد
ان قطع اللحم لا تستتر منها بشئ كما تستتر العذارى اللواتى اصيب حميمهن فيظهرن
حواسر غضوبا لخيزوم النعامة احمشت باجواز خشب نال عنها هشيمها
الاجواز الاوساط واوساط الخشب اصلبه وابقى نارا ثم حضرة لا يجعل الستر دونها
اذا الموضع العوجاء جال بريمها البريم الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد والطوى
والعوجاء جال التى قد اعوجت من الطوى وقال الاخطل فى الضيف دعانى بصوت
واحد فاجابه منادبلا صوت واخرصيت وذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل
يجيبه فذلك معنى قوله بصوته واحد وقوله فاجابه منادبلا صوت يعنى نارا ثم رفعها له

فرأى سناها فقصدها والآخر الصيت الكلب لانه اجاب عواه وسائله وسارى ظلام
مقفعل وهبوة دعوت بضوء ساطع فاهتدى بها يعنى نارًا رفعها ليقصده طوارق
الليل والمقفعل المتقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد ومستنبح تهوى مساقط
رأسه الى كل شخص فهو للصوت اصور حبيب الى كلب الكرام مناخه بغيض الى الكوماء
والكلب ابصر دعته بغير اسم هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض شقراء تزهر معنى
اصور مائل اراد انه يميل رأسه الى كل شخص يتخيل له يظنه انسانا ومعنى حبيب الى الكلب
المعنى الذى تقدم ومعنى بغيض الى الناقة انها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسم
يعنى نارًا اى ضوؤها فقصدها فكانها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف
فقلت لقينتى ارفعاها وحرّقا لعل سنا نارى باخر يهتف وفى معنى قوله بغيض
الى الكوماء قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وابيك خيرًا ان
ابل محمد عزل تناوح ان تهب شمال واذا راين لدى الفناء غريبة ذرفت لهن من الدموع
سجال وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما وما عصى لهن فصال اراد وابيك الخير فلما
طرح الالف واللام نصب والعزل التى لا سلاح معها وسلاح الابل سمنها واولادها
وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى سمنها وحسن اجسامها
ورأى اولادها تتبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك مانعًا
عن الذبح ومانعًا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل وان كانت
ذوات سلاح من حيث كانت شحيمة سمينة فهى كالعزل اذا كان سلاحها لا يغنى
عنها شيئا ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضًا اى هن مدفئات
باسنمتها واوبارها لا تبالى هبوب الشمال ولا يدخل بعضها فى بعض من البرد وقوله
واذا راين لدى الفناء غريبة اى اذا نزل ضيف فعقل ناقته التى جاء عليها وهى الغريبة
علمن انه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها زمن الشتاء
على الثرى رخما فقد قيل انه اراد به انه ينهب فصالهن فتبقى البانها على الارض كهيئة
الرخم وحكى عن ابى العباس ثعلب انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندى ان المعنى

غير هذين جميعا وانه انما اراد انها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها
وبقايا دمها واسلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم وقال آخر فى معنى سلاح الابل
يمدح بنى عوذ بن غالب من عبس جزى الله عنى غالبا خير ما جزى اذا احدثان
الدهر نابت نوائبه اذا اخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيها متلف المال كاسبه
اراد ان شحمها وحسنها وتمامها لا يمنعنى عقرها للاضياف ومثله اذا البقل فى اصلاب
شول ابن مسهر نمى لم يزده البقل الا تكرما اذا اخذت شول البخيل رماحها دحا
برماح الشول حتى تحطما وقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال مسكين
الدارمى فقمت ولم تأخذ الى رماحها عشارى ولم ارجب عراقيبها عقرا لم ارجب اى
لم اكبر ذلك ولم يعظم على وسمى رجب رجبا من ذلك لانه شهر يعظم وقالت ليلى
الاخيلية ولا تأخذ الكوم الجلاد سلاحها لتوبة فى قر الشتاء الصنابر ومثله لا اخون
الصديق ما حفظ العهد ولا تأخذ السلاح لقاحى وقال النمر بن تولب ازمان
لم تأخذ الى سلاحها ابلى بجلتها ولا ابكارها ابنى هالبانها ولحومها فاهين ذلك
لضيفها ولجارها وقال مضرس ربعى الاسدى وما نلعن الاضياف ان نزلوا بنا
ولا يمنع الكوماء منا نصيرها ومعنى نلعنهم اى لا نبعدهم واللعين البعيد ونصيرها
ها هنا ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى مجرى ذلك والنصير والسلاح
فى المعنى واحد مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ولا تقولن
لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فقال ما تنكرون ان يكون ظاهر هذه الآية
يقتضى ان يكون جميع ما نفعله يشاؤه ويريده لانه لم يخص شيئا من شئ وهذا بخلاف
مذهبكم وليس لكم ان تقولوا ان الخطاب للرسول عليه السلام خاصة وهو لا يفعل
الا ما يشاؤه الله لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند اكثركم فلا بد من ان
يكون فى افعاله ما لا يشاؤه عندكم ولانه ايضا تأديب لنا كما انه تعليم له عليه السلام
ولذلك يحسن منا ان نقول ذلك فيما نفعله الجواب قلنا تاويل هذه الآية مبنى على
وجهين احدهما ان نجعل حرف الشرط الذى هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق

فى الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله
وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيته الا له ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن
متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الوجه لا شبهة فى الآية ولا سؤال للقوم علينا
وفى هذا الوجه ترجيح ليس لغيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا
وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان اولى والجواب الآخر ان تجعل ان
متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان تقول
ان شاء الله لان من عادتهم اضمار القول فى مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا
طال وكان فى الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب
عما سئلنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون
به بهذه اللفظة حتى يخرج من القطع ولا شبهة فى ان ذلك يختص بالطاعات
وان الافعال القبيحة خارجة منه لان احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول انى ازنى
غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية
عامة فى جميع الافعال واما ابو على محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر فى تأويل هذه الآية ما نحن
ذاكروه بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول
انى سافعل غدا كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدرى لعله سيموت فلا يفعل ما خبر به
لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما اخبر به فهو كذب واذا كان المخبر لا يأمن ان لا يوجد
مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالى نحو الموت او العجز او بعض الامراض او لا يحدث ذلك
بان يبدو له هو فى ذلك فلا يأمن ان يكون خبره كذبا فى معلوم الله عز وجل فاذا لم يأمن
ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذى ذكره الله تعالى
فاذا قال انى صاير غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى فى مصيره مشيئة الله تعالى امن
ان يكون خبره فى هذا كذبا لان الله ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا الجاه
الى ذلك وكان المصير منه لا محالة فاذا كان ذلك على ما وصفناه لم يكن خبره هذا كذبا
وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لانه لم يوجد ما استثناه فى ذلك من مشيئة الله

تعالى وقال ينبغى ان لا يستثنى مشيئة دون مشيئة لانه ان استثنى فى ذلك مشيئة الله
تعالى لمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا لا يأمن ان يكون خبره كذبا لان الانسان
قد يترك كثيرا مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثنى مشيئة الله
لان يبقيه ولان يقدره ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا يأمن ان يكون خبره كذبا لانه
قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا مخلى فلا يأمن الكذب فى هذا
الخبر دون ان يستثنى المشية العامة التى ذكرناها فاذا دخلت هذه المشية فى الاستثناء
فقد امن ان يكون خبره كذبا اذا كانت هذه المشية متى وجدت وجب ان يدخل
المسجد لا محالة قال وعلى هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لاصيرن
غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى على سبيل ما بيناه لم يجز ان يحنث فى يمينه
ولو خص استثناءه بمشية الله تعالى بعينها ثم كانت ولم يدخل معها المسجد لحنث
فى يمينه وقال غير ابى على ان المشية المستثناة هاهنا هى مشية المنع والحيلولة فكانه
قال ان شاء الله تخليتى ولم يمنعنى وفى الناس من قال المقصد بذلك ان يوقف الكلام
عن جهة القطع وان لا يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوى فى ذلك الجاء ولا
غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصرى واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها
مختلفة فقد يدخل فى الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجرى مجراها
من اخبار فاذا دخل فى ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزمه
وازالته عن الوجه الذى وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا حكم له ولذلك يصح على
هذا الوجه ان يستثنى فى الماضى فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الا
ستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وانما لم يصح دخوله فى المعاصى
على هذا الوجه لان فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصى لا يصح ذلك فيها
وهذا الوجه احد ما يحتمله تاويل الآية وقد يدخل الاستثناء فى الكلام ويراد به اللطف
والتسهيل وهذا الوجه يخص الطاعات ولهذا جرى قول القائل لاقضين غدا ما على
من الدين ولاصلين غدا ان شاء الله مجرى ان يقول انى افعل ذلك ان لطف الله تعالى

فيه وسهل فعلم ان المقصد واحد ومتى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم
يقع منه الفعل ان يكون حانثا او كاذبا لانه ان لم يقع علمنا انه لم يلطف له لانه لا لطف
له وليس لاحد ان يعترض هذا بان يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان
فيها ما لا لطف فيه جملة فارتفاع ما هذه سبيله يكشف عن انه لا لطف فيه وهذا
الوجه لا يصح ان يقال في الآية لانه يخص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا
بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في فعل كل ما لم يكن قبيحا وقد
يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو
عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية
الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي فيما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشية ايضا
في الكلام وان لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير
ان يقصد به الى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه
كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال لافعلن كذا اذا وصلت الى مرادي مع انقطاعي
الى الله عز وجل واظهار الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تاويل الآية ومتى
تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسئلة التي لا يزال يسال عنها
المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب
اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لاعطينك حقك غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا
او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء منه ذلك عندكم واذا كان لم يقع وكان يجب
ان تلزمه الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه
لو كان والله لاعطينك حقك غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكن حانثا وفي الزام هذا
الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا لبيان تاويل الآية وللجواب
عن هذه المسئلة ونظائرها من المسائل والحمد لله قال قدس الله روحه تاملت
ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت اكثره ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد
الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلثة واربعة باربعة وهو قليل

ولم اجد ما تجاوز هذا القدر الا قطعة مرت بي لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه
ستة اشياء بستة اشياء فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف
الذباب هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم ومثل قول
عدي بن الرقاع تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها ومثل
قول امرئ القيس كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب
وقوله اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل وقول ذي
الرمة وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق وهذا الباب اكثر
من ان يحصى واما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس كان قلوب الطير
رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي وقوله وكشح لطيف كالجديل
مخصر وساق كانبوب السقي المذلل وكقول بشار كان مثار النقع فوق رؤسهم
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقول الآخر كان سمو النقع والبيض حولنا سماوة
ليل اسفرت عن كواكب وقول ابي نواس كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در
على ارض من الذهب ولآخر ان الشمول هي التي جمعت لاهل الود شملا شبهتها وحبابها
بشقائق يحملن طلا ولآخر ابصرته والكاس بين فمه وبين انامل خمس فكانها
وكان شاربها قمر يقبل عارض الشمس ولآخر حتى اذا جليت في الكاس خلت
بها عقيقة جليت في قشر بلور تعلى اذا امزجت في كاسها حببا كانه عرق في خد مخمور
وقال البحتري شقائق يحملن الندى فكانه دموع التصابي للاشتياق في خدود الخرائد
وقال آخر فكان الربيع يجلو عروسا وكانا من قطره في نثار ولابي العباس الناشي
كان الدموع على خدها بقية طل على جلنار وقال ابن الرومي فاحسن لو كنت يوم الفراق
حاضرنا وهن يطفين غلة الوجد لم تر الا الدموع سافحة تسفح من مقلة على خد كان تلك
الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد وقال جران العود النميري ابيت كان العين
افنان سدرة عليها سقيط من ندى الطل ينطف ولابن المعتز سقتني في ليل شبيه
بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب فامسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر

و وجه حبيب وقال المتنبى نشرت ثلث ذوائب من شعرها فى ليلة فارت ليالى
اربعا واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتنى القمرين فى وقت معا فاما تشبيه ثلثة
فمثل قول مانى الموسوس نشرت غدائر شعرها لتظلنى خوف العيون من الوشاة
الرمق فكانه وكانها وكاننى صبحان نانا تحت ليل مطبق ولبعضهم روض وورد خلاله
نرجس غض بجفان الحوانا نضيرا ذا يباهى لنا خدودا وذا يحكى عيونا وذا يضاهى
ثغورا ولآخر فى النرجس مداهن تبر بين اوراق فضة لها عمد مخروطة من زبرجد
وللبحترى يصف ضمر المطايا ونحولها كالقسى المعطفات بل الاسهم مبرية بل
الاوتار ولبعض الطالبين وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا غيرى وراح على متون
ضوامر يفتر عنى ركنها وحطيمها كالجفن يفتح عن سواد الناظر كجبالها شرفى وسيل
سهولها خلقى ومثل ظبائهن تجاورى فاما تشبيه اربعة باربعة فمثل قول امرؤ
القيس له ايطلا ظبى وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل ولآخر كف
تناول راحها بزجاجة خضراء تقذف بالحباب وتزبد فالكف عاج والحباب لآلى
والراح تبر والاناء زبرجد ولبعضهم وقد اهدى اليه نرجس الحوان وشقائق
راس فكتب الى المهدى لله ما اظرف اخلاقك يا بدر الكرم اهديت مانا سبه حسنا
وظرفا وشيم وما راينا مهديا قبلك فى كل الامم اهدى العيون والخدود والثغور
واللمم ولآخر اندى حبيبا له بدائع اوصاف تعالت عن كل ما اصف كالبدر يعلوا
والشمس تشرق والغزال يعطوا والغصن ينعطف وللمتنبى بدت قمرا ومالت خوط
بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا ومثله سفرن بدورا وانتقبن اهلة وسسن غصونا
والتفتن جآذرا فاما تشبيه خمسة بخمسة فقول الواوا الدمشقى واسبلت لؤلؤا
من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب بالبرد فاما تشبيه ستة بستة فلم
اجد الا لابن المعتز فى قوله بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد خمر وورد ودر ريق
وثغر وخد مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطأنا فقال كيف يجوز ان يأمرنا على سبيل العبادة لنا بالدعاء

بنكرا

وعندكم ان النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الناسى فى حال نسيانه وهذا يقتضى احد
امرين اما ان يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس او تكون متعبدين بمسئلته
تعالى ما نعلم انه واقع حاصل لان مواخذة الناسى مأمونة منه تعالى والقول فى الخطاء اذا
اريد به ما وقع سهوا او عن غير عمد يجرى هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل فى تاويل هذه الآية
ان المراد بنسينا تركنا قال ابو على قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى
ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى اى ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله
تعالى نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل
لصاحبه لا تنسنى من عطيتك اى لا تتركنى منها وانشد ابن عرفة ولم اك عند الجود للجود
قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اى تاركا ومما يمكن ان يكون شاهدا على
ذلك قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اى تتركون انفسكم ويمكن
فى الآية وجه آخر على ان يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون وجه الدعاء بذلك
ما قد بيناه فيما تقدم من الامالى على سبيل الانقطاع الى الله واظهار الفقر الى مسئلته
والاستغاثة به وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجرى مجرى قوله تعالى فى
تعليمنا وتأديبنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجرى مجرى قوله رب احكم بالحق
وقوله ولا تخزنى يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا الوجه ايضا يمكن فى قوله او اخطأنا اذا كان الخطاء ما وقع
سهوا او عن غير عمد فاما على ما يطابق الوجه الاول فقد يجوز ان يريد بالخطاء ما
يفعل من المعاصى بالتاويل السئ وعن جهل بانها معاص لان من قصد شيئا على اعتقاد
انه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد اخطأ فكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه
متعمدين من غير سهو ولا تاويل ومما اقدموا عليه مخطئين متأولين ويمكن ايضا ان
يريد باخطأنا ههنا اذنبنا وفعلنا قبيحا وان كانوا له متعمدين وبه عالمين لان جميع
معاصينا الله تعالى قد توصف كلها بانها خطاء من حيث فارقت الصواب وان كان
فاعلها متعمدا وكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من

من المقبحات لبيتمل الكلام على جهتي الذنوب والله اعلم بمراده اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني محمد بن العباس قال قال رجل يوما لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف
ضادية احسن من ضادية ابي الشيص فقال وكم ضادية حسنة لا تعرفها ثم انشد لبشار
غمض الجديد بصاحبيك فغمضا وبقيت تطلب في الحبالة منهضا وكان قلبي عند كل مصيبة
عظم تكرر صدعه فتهيضا واخ سلوت له فاذكره اخ قضى وتذكرك الحوادث ما مضى
فاشرب على تلف الاحبة اننا جزر المنية ظاعنين وخفضا ولقد جريت مع الصبي طلق
الصبي ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا وعلمت ما علم امرؤ في دهره فاطعت عذالي واعطيت
الرضا وصحوت من سكر وكنت موكلا ادعى الحمامة والغراب الابيضا الحمامة المراة
والغراب الابيض الشعر الشايب فيقول كنت كثيرا اتعهد نفسي بالنظر في المراة وترجيل
الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غربيا اسود من حيث كان شابا ثم ابيض
بالشيب ما كل بارقة تجود بمائها وكذاك لو صدق الربيع لروضا هكذا انشد المبرد
ويحيى بن علي وانشده ابن الاعرابي ما كل بارقة تجود بمائها ولربما صدق الربيع فروضا
قد ذقت الفته وذقت فراقه فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا يا ليت شعري فيم كان
صدوده اساءت ام رعدا السحاب وا ومضا وعن من ذكرنا برويه ام اجم الخلا
فاحمضا وبلي عليه وبليتي من بينه كان الذي قد كان حلما فانقضى سبحانه من كتب
الشقاء لذي الهوى ما كان الا كالخضاب فقد نضا قال المبرد وهي وذكر يوسف بن يحيى
بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله جريت مع الصبي طلق الجموح من قول بشار ولقد
جريت مع الصبي طلق الصبي قال قدس الله روحه ولابي تمام والبحتري على هذا الوزن
والقافية وحركة عنها فاول قصيدة ابي تمام اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا ومزمما
يصف النوى ومغرضا ان يدج عينك انهما موا اللوى فيما اضاء وهم على ذات
الاضا بدلت من برق الثغور وبردها برقا اذا ظعن الاحبة اومضا يقول فيها
ما انصف الشيخ الذي بعث الهوى فقضى عليك بلوعة ثم انقضى عندي من الايام
ما لو انه اسى بشادت مرقد ما غمضا لا تطلبن الرزق بعد شماسه فترومه سبعا

اذا ما غيضا ما عوض الصبر امرؤ الا راى ما فاته دون الذي قد عوضا با احمد بن ابي
دواد دعوة ذلت بذكرك لي وكانت ريضا لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف
لا يرضيك حتى ينتضى ويقول فيها فذكان صوح نبت كل قرارة حتى تروح في نداك
فروضا اوردتني العد الخسيف وقد ارى انترض الثمد البكي تبرضا فاما قصيدة
البحتري فهي ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من الستين عنه ما نضا وسبا
اغيد في تصرف لحظه مرض اعل به القلوب وامرضا وكانه وجد الصبي وجديده دنيا
دنا ميقاته ان يقتضي اسيان اثرى من جوى وصبابة واساف من وصل الحسان
وانقضا كلف يكفكف عبرة مهراقة اسفا على عهد الشباب وما انقضى عدد تكامل
للشباب بجيشه واذا مضى الشيء حان فقد مضى يقول فيها فعقعت للبخلاء اذ عرجا شهم و
نذيرة من قاصل ينتضي وكفاك من جنش الصريم تهدد ان مد فضل لسانه او نضنضا
وفيها لا تنكرن من جار بيتك ان طوى اطناب جانب بيته او قوضا فالارض واسعة
لنقلة راغب عمن تنقل وده وتنقضا لا تهتبل اعضائي اما كنت قد اغضيت مشتملا
على جمر الغضا لست الذي ان عارضته ملمة اصغى الى حكم الزمان وفوضا لا يستفزني
الطفيف ولا ارى تبعا لبارق خلب ان او مضا انا من احب تحريا وكانني فيما اعاين منكم
ممن ابغضا اغببت سيبك كي يجم وانما غمد الحسام المشرفي لينتضى وسكت الا ان اعرض
قائلا نزرا وصرح جهرة من عرضا واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف
ابن يحيى عن ابيه قال من محتار شعر بشار قوله في وصف الزمان عتبت على الزمان
واي حي من الاحياء اعتبه الزمان وامنة من الحدثان تزري على وليس من حدث
امان وليس بزائل يرمي ويرمى معان مرة او مستعان متى تاب الكرامة من كريم فما لك
عنده الا الهوان قال وله في نحو يا خليلي اصيبا او زراليس كل البرق يهدي المطرا
لا تكونا كامرئ صاحبته يترك العين ويبقى الاثرا ذهب المعروف الا ذكره ربما
ابكى الفتى ما ذكرا وبقينا في زمان معضل يشرب الصفو ويبقى الكدرا قال وله قد ادرك
الحاجة ممنوعة وتولع النفس بما تنال والهم ما امسكته في الحشا داء وبعض الداء

لا يستقال فاحمل الهم على عاتق ان لم يساعفك العلندى الجلال قال يحيى قوله عاتق يعنى
للخمر وهذا مثل قوله رحلت عنسا من شراب بابل فبت مزعقلى على مراحل قال السيد
قدس الله روحه وهذا الذى ذكره يحتمله البيت على ستكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق
العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك
فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يأمر نفسه بالتجلد والتصبر عند اليأس
وهذا البيت له نظائر فى الشعر واخبرنا المرزبانى قال حدثنى على بن هرون قال حدثنى
ابى قال من بادع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال على وما فى الدنيا القديم
ولا المحدث من منثور ولا منظوم فى صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الابيات
ورائحة للعين فيها مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد من المستهلات الهموم على الفتى
خفا برقها فى عصفر وعقود وحسدت عليها كل شىء يمسها وما كنت لولا حبها بحسود
واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود كان اميرا جالسا
فى ثيابها تؤمل رؤياه عيون وفود من البيض لم تسرح على اهل ثلة سواما ولم ترفع
حداج قعود تميت به البابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود اذا نطقت صحنا وصاح
لنا الصدى صياح جنود وجهت لجنود ظللنا بذاك الديدن اليوم كله كانا من الفردوس
تحت خلود ولا بأس الا اننا عند اهلها شهود وما البابنا بشهود قال وانشدنى ابى
فى وصف مغنية لعمرابى زوارها الصيد انهم لفى منظر منها وحسن سماع تصلى له اذانا
وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع وصفراء مثل الخيزران لم تعش ببوس ولم تركب
مطية راع جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها من مزهر ويراع اذا قلدت اطرافها
العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع كانهم فى جنة قد تلاحقت محاسنها
من روضة ويفاع يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت اطيع التقى والغى غير مطاع قال على بن هرون
الصواع المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون
قال السيد قدس الله روحه وهذا خطأ منه وانما المراد ان غناءها وحديثها

لفرط

لفرط حسنه وشدة اطرابه يشبهان نشوة الخمر وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا
يجرى مجرى قول الشاعر ويوم ظللنا عند ام محلم نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرا وما كان
عندى ان احدا يتوهم فى معنى هذا البيت ما ظنه هذا الرجل فاما قوله فى القطعة الاولى
واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود فيحتمل وجوها ثلثة
اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر
لذلك كما قال الاعشى بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره والعرار بهار البر وانما
اراد انها تتضمخ بالعشى بالطيب فيصفرها ومثل لذى الرمة بيضاء فى دعج كحلاء فى برج
كانها فضة قد مسها ذهب وقيل فى بيت قيس بن الخطيم فرأيت مثل الشمس عند طلوعها
فى الحسن او كدنوها لغيوب وجهان احدهما انه اراد انها تطيب بالعشى فتصفر لان
الشمس احسن ما تكون فى وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول قيس صفراء اعجلها الشباب
لداتها ومثله للاعشى اذا جردت يوما حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا
الخميصة ثوب ناعم لين شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما يعنى
لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه والوجه الثانى ان يكون اراد بوصفها بالصفرة
رقة لونها فعندهم ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالعشى
الى الصفرة وقال مهدى بن على بن مهدى الاصبهانى قال لى ابى قال لى الجاحظ زعموا ان المرأة
اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشى الى الصفرة و
احتج فى ذلك بقول الراجز قد علمت بيضاء صفراء الاصل وزعم ان بيت ذى الرمة الذى
انشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذى انشدناه والابيات محتملة للامرين
فاما الذى لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول الشاعر وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها
حمر وفى نحرها صفر لانها لا تكون صفرا فى نحرها الا لاجل الطيب فاما قوله على خدها حمر فانما
اراد انها تصبغ بلون خدها والوجه الثالث ان تكون المرأة صفراء على الحقيقة فان بشارا
كثيرا يشبب بامرأة صفراء كقوله اصفراء لا انسى هواك ولا ودى ولا ما مضى بينى وبينك
من عهد لقد كان ما بينى زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد وكقوله اصفراء كان

الوذ سنك سباحا لبالى كان الهجر منك مزاحا وكن جوارى الحى اذ كنت فيهم قباحا فلما
غبت صرن ملاحا وقد روى ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما صرن
ملاحا يشبه قول السيد بن محمد الحميرى واذا حضرت مع الملاح بمجلس ابصرتهن
وما فيهن قباحا فاما قوله من البيض لم تسرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله
صفراء وان اراد بالصفراء لونها لان البياض هاهنا ليس بعبارة عن اللون وانما
هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لا تكاد تستعمل بيضاء
الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر
ومنه قول الشاعر جاءت به بيضاء تحمله من عبد شمس صلتة الخد ومثله بيض الوجوه
فاما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من
الوجوه وان كان باللون الحقيقي اخص لقوله كالخيزرانة لان الخيزران يضرب
الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة
انها مثلها في التثني والتعطف ولقد احسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم
كان سبيكة صفراء صبت عليها ثم ليث بها الازار برود العارضين كان فاها بعيد
النوم مسك مشعشع مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى الله
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما
لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر بانه يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم
الجواب قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى الاستهزاء
الذي اضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم
على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا وتشبيها كما يقول القائل ان فلانا
ليستهزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس به وخطؤوه فيه فاقيم عيب الناس
على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وانما اقيم مقامه لتقارب
ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء الحقيقي هو ما يقصد به الى عيب المستهزأ به والازراء عليه
واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز ان يجرى عليه اسم الاستهزاء

ويشهد

ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها ونحن نعلم ان الآيات لا يصح عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وانما المعنى اذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه
فتجرى عليه اسمه قال الشاعر كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق سكت
الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على
الدهر وانما شبه تركه للحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وانشد
الفراء ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان ومثل ذلك في الاستعارة
لتقارب المعنى قوله سائلني باناس هلكوا شرب الدهر عليهم واكل وانما اراد بالاكل
والشرب الافساد لهم والتغيير لاحوالهم ومنه قول الآخر يقر بعيني ان ارى باب دارها
وان كان باب الدار يحسبني جلدا والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه
عز وجل ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس
قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل
استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم
كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يظهر امرا ويضمر غيره فان قيل على هذا الجواب فاى
فائدة واى وجه لان يستدرجهم بالنعم الى الهلاك قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر
وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب
الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما يشاء واى وقت شاء
فكانه تعالى لما كفروا وبدلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل بقاها لتكون
متى نزعها عنهم وابدلهم بها نقمها الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكثر فان قيل
فهذا يؤدي الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره ظاهر النعمة على الكفار مما لا يستحق الله به
الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر ان تكون النعم
المبتدأة بهذه الصفة على ما تلزمه مخالفنا الا ترى ان الحياة وما جرى مجراها من حفظ
التركيب والصحة لا نعد على اهل النار نعمة وان كان على اهل الجنة نعما من حيث كان

الغرض فيه ايصال العذاب اليهم والجواب الثالث ان يكون معنى استهزائه بهم انه جعلهم
بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة
وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الاخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق
واستسروا به من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين
من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون
انكم مستهزءون فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهرا
حتى ظننتم ان ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الاخرة ودار الجزاء من حيث اثاب المخلصين
الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب
الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك
ان الله تعالى هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم
يسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي
فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد اليه ولم يضررني به والجواب الخامس
ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب
تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس بعقوبة وقال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل
فوق جهل الجاهلينا ومن شان العرب ان تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه
ويشتد اختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الابهام وربما غلبوا ايضا اسم
احد الشيئين على الاخر لقوة التعلق بينهما او شدة الاختصاص فيهما فمثال الاول قولهم
للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير راوية فسموا البعير باسم
ما يحمل عليه قال الشاعر مشي الروايا بالمزادة الاثقل اراد بالروايا الابل ومن ذلك
انهم يقولون صرعته الكاس واستلبت عقله وقال الشاعر وما زالت الكاس تغتالنا
وتذهب بالاول الاول والكاس هي ظرف الشراب والفعل الذي اضافوه اليها انما هو

مضاف الى الشراب الذي يحل الكاس الا ان الفراء يقول الكاس الاناء بما فيه
من الشراب وكان الاناء الفارغ لا يسمى كاسا وعلى هذا القول تكون اضافة اختلاس
العقل والتصريع وما جرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة لان الكاس على هذا القول
اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثاني ما ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم
اسم القمر على الشمس قال الشاعر اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوا
لع اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الاخر فقولا لاهل المكتين تحاشدوا و
سيروا الى اطام يثرب والنخل اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب وقال الاخر فبصرة
الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم اراد بالموصلين الموصل
والجزيرة وقال الاخر نحن سبينا امكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنون اراد الحيرة
والكوفة وقال الاخر اذا اجتمع العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا
والقوا مقاليد الامور اليهم جميعا قماء كارهين وطوعا اراد بالعمرين رجلين
يقال لاحدهما عمرو وللاخر بدر وقد فسره الشاعر في البيت ومثله جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما
زهدم وللاخر كردم فغلب وكل الذي ذكرناه يقوي هذا الجواب من جواز التسمية
للجزاء على الذنب باسمه او لغلبته عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب
والجزاء عليه الجواب السادس وهو ما روي عن ابن عباس قال يفتح لهم وهم
في النار باب من الجنة فيقبلون في النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد
عليهم فيضحك المؤمنون منهم اذا راوا الابواب قد اغلقت دونهم فلذلك قال عز وجل
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل فاي فائدة في هذا
الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لان ذلك اغلظ على نفوسهم واعظم
في مكروههم وهو ضرب من العقاب الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة لان من طمع
في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد
الى المكروه يكون عذابه اصعب واغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه فان قيل

نعلى هذا الجواب ما الفعل الذى هو الاستهزآء قلنا فى ترداده لهم من باب الى آخر
على سبيل التعذيب معنى الاستهزآء من حيث كان ظاهرا لما المراد خلافه وان لم يكن
فيه من معنى الاستهزآء ما يقتضى قبحه من اللهو والعبث وما جرى مجرى ذلك
والجواب التسابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزآء على الحقيقة لكنه
سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب فى ذلك عادة معروفة
فى كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذا الوجوه التى ذكرناها فى الآية
يمكن ان تذكر فى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وفى قوله تعالى
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتامل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم
فى طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين احدهما ان يريد انى املى لهم ليؤمنوا ويطيعوا
وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والوجه الآخر ان يريد يمدهم انه يتركهم
من فوائده ومنحه التى يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا كشرحه
لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله قال قدس الله روحه وانى
لاستحسن لبعض الاعراب قوله خليلى هل يشفى من الشوق والجوى بذو قد ونى الاوطان
لابل يشوقها وتزداد فى قرب اليها صبابة ويبعد من فرط اشتياق طريقها
وما ينفع الحران ذا اللوح ان يرى حياض القرى مملوءة لا يذوقها ولا خرفى تذكر
الاوطان والحنين اليها الاقل لدار بين اكثبة الحمى وذات الغضا جادت عليكم الهواضب
احدك لا انالك الا انفلتت دموع اضاعت ما حفظت سواكب ديارتنا سمت الهوآء
بجوها وطاوعنى فيها والحبائب ليالى لا الهجران تحنكم بها على وصل من اهوى ولا الظن
كاذب وانشد ابو نصر صاحب الاصمعى لاعرابى الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة باسناد
نجد وهى خضر متونها وهل اشربن الدهر من مآء مزنة بحرة ليلى حيث فاض معينها
بلاد بها كنا نحل فاصبحت خلاء ترعاها مع الآدم عينها تغيات فيها بالشباب وبا
لصبى تميل بما اهوى على غصونها وانشد الاصمعى لصدقة بن نافع الغنوى الا ليت
شعرى هل تحنن ناقتى ناقتى ببيضآء نجد حيث كان مسيرها فتلك بلاد حبيب الله

اهلها

هلها اليك وان لم يعط نصفا اميرها بلاد بها انضبت راحلة الصبى ولانت لنا ايامها
وشهورها فقدنا بها الهم الكدر شربه ودار علينا بالنعيم سرورها وانشد ابو محلم
لسوار بن المضرب سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كارواح الغوانى وجو زاهر
للريح فيه نسيم لا يروع الترب وان بها سقت الشباب الى مشيب يقبح عندنا
حسن الزمان وانشد اسحق الموصلى الا يا حبذا جنبات سلمى وجاد بارضها
جون السحاب خلعت بها العذار ونلت فيها منا ى بطاعة او باغتصاب باسوع
بباطلى طلبات لهوى ويعذرنى بعصر الشباب فكل هؤلآء على ما ترى قد افصحوا
بان سبب حبهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستظلوه من ظله
وانضوه من رواحله وانه كان يعذرهم ويحسن قبايحهم فعلى اى شئ يغلوا
الناس فى قول ابن الرومى وحبب اوطان الرجال اليهم مارب قضاها الشباب
هنالكا اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذالكا ويزعمون
انه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله
وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد
اذا ورد ممن يعهد منه الردى كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد احسن
البحترى فى قوله فى هذا المعنى فسقى الغضا والنازليه وان هم شبوه بين جوانح
وقلوب وقصارا ايامه سرقت لنا حسناتها من كاشح ورقيب خضر ليسا قطها
الصبى فكانها ورق ليسا قطه اهتزاز قضيب كانت فنون بطالة فتقطعت عن
هجر غايته ووصل مشيب واحسن فى قوله سقى الله اخلاقا من الدهر رطبة سقتنا
الجوى اذ ابرق الجون ابرق ليال سرقناها من الدهر بعد ما اضاء باصباح من الشيب
مفرق تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى بماء الزنى من بات بالماء يشرق ولابى تمام
فى هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو سلام ترجف الاحشآء منه على
الحسن بن وهب والعراق على البلد الحبيب الى غودا ونجدا والاخ العذاب المذاق ليالى
نحن فى وسنات عيش كان الدهر عنها فى وناق وايام له لنا لذا ذغبنا فى حواشيها

الرفاق كان العهد عن عفر لدينا وان كان التلاقي عن تلاق **مجلس اخر تاويل**
آية ان سال سائل عن قوله تعالى و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم
في الارض مستقر ومتاع الى حين فقال كيف خاطب آدم وحوا عليهما السلام بخطاب
الجمع وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة واى عداوة كانت بينهما **الجواب**
قلنا وقد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون للخطاب متوجها الى ادم وحوا ٣٠
وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية وتتعلق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى
حاكيا عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وثانيها ان يكون الخطاب لادم وحوا عليهما السلام ولابليس
اللعين وان يكون للجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا
الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة لانه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه فجائز ان يكون الخطاب الى الجميع وثالثها ان يكون الخطاب
متوجها الى آدم وحواء والحية التي كانت معهما على ما روى عن كثير من المفسرين
وفي هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من ان يكون
قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى عن اهباطه
لهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما يخبر عن الفعل
دون القول وهذا خلاف للظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه
آخر وهو انه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا
بحيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعليق الكناية بغير مكني عنه حتى يكون ذكره
كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله حتى توارت بالحجاب وكل من
عليها فان وقول الشاعر اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق
بها الصدر فاما بحيث لا تكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها
ان يكون الخطاب يختص آدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجميع على عادة

للعرب في ذلك ولان التثنية اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله يتأول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان
وقال الراعي اخليدان اباك ضاف وساده همان باتا جنبة ودخيلا طرقا فتلك
هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان
فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به **قلنا** اكثر المفسرين على ان الهبوط هو
النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون
النزول من علو الى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا
مصرا فان لكم ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا اى حللنا قال زهير
ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي المطي بهم من راكس فلقا فقد يجوز على هذا
ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل ايضا ان يريد بالهبوط معنى
غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها **فان قيل** فما معنى بعضكم لبعض عدو
قلنا اما عداوة ابليس لادم عليه السلام وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة
آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين
من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة
الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها في الخطاب لبني ادم معروفة وكذلك تحذرهم منها
وتجنبهم فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب اختص ادم وحواء دون غيرهما
فيجب ان يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال اهبطوا
وقد علمت من حال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما لاجل الا
ختصاص بين الذرية وبين اصلها **فان قيل** ليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا
بعضكم لبعض عدو يقتضي الامر بالمعاداة كما انه امر بالهبوط وهذا يوجب ان يكون
تعالى امرا بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لآدم عليه السلام قبيحة ومعاداة
الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه

وانما يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فالامر يختص با
لهبوط والعداوة تجري مجري الحال وهذا له نظاير كثيرة في كلام العرب ويجري مجري
هذه الاية في ان المراد بها الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وا
نفوسهم بل اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الامر بالهبوط وهذا
بين قال قدس الله روحه ومن مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر ويل
ام قوم غدوا عنكم لطيتهم لا يكتنون غداة العل والنهل صدء السرابيل لا تؤكا مقانبهم
عجر البطون ولا تطوى على الفضل قوله ويل ام قوم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به
الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وترحه الله ما اسمحه وقد قيل في قول
في قول جميل رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح انه اراد
هذا المعنى بعينه وقيل ايضا انه دعا لها بعينيها رقيبيها وبغرانيابها سادات
قومها ووجوههم والاول اشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل
فاما قوله لا يكتنون غداة العل والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاء يسقون
الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم ويرعى ابلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة
والرعاة وفيه وجه اخر قيل انهم يسامحون شريبهم ويوثرونه بالسقي قبل اموالهم
ولا يصولون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرام والتفضل لا من الضعف وقيل ايضا
بل عنى انهم اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس لها عنه لانها قد عرفت
فليس يحتاج اربابها الى الاكتناء والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون انه من قولهم
كنتت يده تكنت اذا خشنت من العمل فيقولوا بل هل مهنة فتكنت ايديهم وتخشن
من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك وقوله صدء السرابيل فانما اراد به طول
حملهم للسلاح ولبسهم له والمقانب هي الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه
يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها واطعموا اهل الرفقة وهذه
كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة وعجر البطون من صفات المقانب وانها لا توكا

عجر

عجر البطون ولا تطوى على فضل الزاد ولبعض بني اسد واحسن غاية الاحسان
رات صرمة لابني عبيد تمنعت من الحق لم توزل بحق افالها فقالت الا تغدوا افصا كك
هكذا فقلت ابت ضيفانها وعيالها فما حلبت الا الثلثة والثنى ولا قيلت الا قريبا
مقالها حدابير من كل العيال كانها اناضي شقر حل عنها جلالها شكا هذا الشاعر امرأة
وحكى عنها انها رأت ابل جيرانها لم يعط منها في حمالة ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف
ولا جار فهي سمان وقوله لم توزل افالها الافال الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق
في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بوسا لان البان امهاتها
موفورة عليها وحكى عن امرأته انها تقول له غدا انت فصالك هكذا فقال لها تابى ذلك
الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم اخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل ما حلبت
بعد مقاتها الا مرتين او ثلثا ولا قيلت من القايلة الا بقرب البيوت حتى نحرها
ووهبها والحدابير المهازيل وانما يعني فصاله وهزالها لاجل انها لا تسقى الالبان
وتعقر امهاتها والانضاء جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء خيل شقر وقوله
حدابير من كل العيال فيه معنى حسن لانه اراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا
تاكيد لان سبب هزالها هو الايثار بالبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال
ههنا هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لكرمه وان جوده قد الزمه مؤنتهم
فصاروا كاخص عياله ومثل ذلك قول الشاعر تعيرني الحظلان ام محلم فقلت
لها لا تقذفيني بدائيا فاني رايت الضامرين متاعهم يذم ويفنى فارضخي من وعائيا
فلم تجديني في المعيشة عاجزا ولا حصرما حبا شديدا وكائيا الحظلان المسكون البخل
والحظل الامساك وام محلم امراته ومعنى قوله تعيرني الحظلان اي بالحظلان
تقول ما لك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون اموالهم والضامرون ايضا البخلاء
فقال لها رأيت البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي
وهذا مثل اي اعطي الناس مما عندي وهو من قولك رضخ له بشيء من عطيته والحصر
البخيل تقول العرب حصرم قوسك اي شدد وترها وقوله فلم تجديني في المعيشة عاجزا

المملوة صح

ای انا صاحب غارات افید واستفید واتلف واخلف فلا تخافی الفقر وقال مسکین
الدارمی اصبحت عاذلتی معتلة ام هی وحمی للصخب اصبحت تتفل فی شحم الذری وتظن
اللوم درًا ینتهب لا تلمها انها من امة ملحها موضوعة فوقه الرکب یقول انها تکثر
لومی فکانها قرمة الی اللوم کقرم الاشبال الی اللحم وهی وهمی تشتهی الصخب والوحم
شهوة الطعام عند الحمل وشحم الذری الاسنمة واراد بتتفل فیها ای تعود ابلی لتزینها
فی عینی وتعظم قدرها فلا اهب منها ولا انحر ثم اخبران اصلها من الزنج والملح الشحم
الزنج یکون علی او داکهم واکفالهم وانشدا بو العباس محمد بن یزید یا ابنة عبد الله وابنة
مالک ویا ابنة ذی البردین والفرس الورد اذا ما صنعت الزاد فالتمسی له اکیلا
فانی لست آکله وحدی قصیا کریما او قریبا فاننی اخاف مذمات الاحادیث من بعدی
وانی لعبد الضیف ما دام نازلا وما من صفاتی غیرها شیمة العبد قال ابو العباس
استثنی الکرم فی القصی البعید ولم یستثنه فی القریب لان اهله جمیعا عنده کرام واراد
بقوله عبد الضیف انه یخدم الضیف هو بنفسه لا یرضی ان یخدمه عنده قال السید
قدس الله روحه ویشبه ذلک قول المقنع الکندی وانی لعبد الضیف ما دام
نازلا وما بی سواها خلة تشبه العبدا وانما اشترط فی کونه عبدًا للضیف فی البیت
الاول والثانی ثواءه ونزوله لیعلم ان الخدمة له لم تکن لضعة وصغر قدر بل لما یوجبه
الکرم من حق الاضیاف وانه یخرج عن ان یکون تحته وما یجب وجه من ان یکون ضیفا
ولو قال وانی لعبد الضیف ولم یشترط لم یحصل هذا المعنی الجلیل
ان سال سائل فقال بم تدفعون من خالفکم فی الاستطاعة وزعم ان
المکلف یؤمر بما لا یقدر علیه ولا یستطیعه اذا تعلق بقوله تعالی انظر کیف ضربوا
لک الامثال فضلوا فلا یستطیعون سبیلا فان الظاهر من هذه الآیة یوجب
انهم غیر مستطیعین للامر الذی هم غیر فاعلین له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق
بقوله تعالی فی قصة موسی علیه السلام انک لن تستطیع معی صبرا وانه نفی ان یکون
قادرًا علی الصبر فی حال هو فیها غیر صابر وهذا یوجب ان القدرة مع الفعل

وبقوله

وبقوله تعالی ما کانوا یستطیعون السمع وما کانوا یبصرون یقال له اول
ما نقوله ان المخالف لنا فی هذا الباب من الاستطاعة لا یصح له فیه التعلق بالسمع لان
مذهبه لا تسلم معه صحة السمع ولا یتمکن مع المقام علیه من معرفة السمع بادلته
وانما قلنا ذلک لان من جوز تکلیف الله تعالی الکافر الایمان وهو لا یقدر علیه لا یمکنه
العلم بنفی القبائح عن الله عز وجل واذا لم یمکنه ذلک فلا بد من ان یلزمه تجویز القبائح
علی الله فی افعاله واخباره ولا یامن من ان یرسل کذابا وان یخبر هو بالکذب تعالی عن
ذلک فالسمع ان کان کلامه قدح فی حجته تجویز الکذب علیه وان کان کلام رسوله
قدح فیه ما یلزمه من تجویز تصدیق الکذاب وانما طرق ذلک تجویز بعض القبائح
علیه ولیس لهم ان یقولوا ان امره تعالی الکافر بالایمان وان لم یقدر علیه یحسن من حیث
اتی الکافر فیه من قبل نفسه لانه تشاغل بالکفر فترک الایمان وانما کان یبطل تعلقنا
بالسمع لو اضفنا ذلک الیه علی وجه یقبح وذلک لان ما قالوه اذا لم یؤثر فی کون ما ذکرناه
تکلیفا لما لا یطاق لم یؤثر فی نفی ما الزمناه عنهم لانه یلزم علی ذلک ان یفعل الکذب
وسائر القبائح ویکون حسنة منه بان یفعلها من وجه لا یقبح منه ولیس قولهم
انا لم نضفه الیه من وجه یقبح بشیء یعتمد بل یجری مجری قول من جوز علیه ان یکذب
ویکون الکذب منه حسنا ویدعی مع ذلک صحة معرفة السمع بان یقول اننی لم اضف
الیه قبیحا فیلزمنی افساد طریقة السمع فلما کان من ذکرناه لا عذر له فی هذا الکلام
لم یکن للمخالف فی الاستطاعة عذر بمثله ونعود الی تاویل الآی اما قوله تعالی انظر
کیف ضربوا لک الامثال فضلوا فلا یستطیعون سبیلا فلیس فیه ذکر للشیء الذی
لا یقدرون علیه ولا بیان له وانما یصح ما قالوه لو بین لهم انهم لا یستطیعون سبیلا
الی امر معین فاما ولم یذکر ذلک فلا متعلق لهم فقد ذکر تعالی من قبل ضلالهم
فیجب ان یکون المراد بقوله فلا یستطیعون سبیلا الی مفارقة الضلال
انه تعالی کما ذکر الضلال فقد ذکر ضرب المثل فیجوز ان یرید انهم لا یستطیعون
سبیلا الی تحقیق ما ضربوه من الامثال وذلک غیر مقدور علی الحقیقة ولا مستطاع

والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم وانهم
لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الامرين
جميعا اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه
من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم بانهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضى فعلهم
فان كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب ان يدل على انهم لا يقدرون
على ترك الماضى وهذا مما لا نخالف فيه وليس فيه ما نابا ه من انهم لا يقدرون فى
المستقبل او فى الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه وبعد فاذا لم يكن
للاية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفى الاستطاعة على امر كلفوه باولى منا اذا حملنا
ذلك على امر لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم وقد
جرت عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيا انه لا يستطيعه ولا يقدر
عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر
اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان قيل
فاذا كان لا ظاهر للاية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو على
ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا الامثال ظنا منهم
بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب صادق
وابطال حق مما لا يتعلق به قدرة ولا تتناوله استطاعة وقد ذكر ابو هاشم
ان المراد بالاية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير
الذى هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا ان يقال كيف
لا يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الايمان والتوبة ومتى
فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على
الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم
عليه وقد يمكن ايضا فى معنى الاية ما تقدم ذكره من ان المراد بنفى الاستطاعة عنهم انهم
مستثقلون للايمان فقد يخبر عمن يستثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره

فاما قوله تعالى فى قصة موسى عم انك لن تستطيع معى صبرا فظاهره يقتضى انك
لا تستطيع ذلك فى المستقبل ولا يدل على انه غير مستطيع للصبر فى الحال ان يفعله
فى الثانى وقد يجوز ان يخرج فى المستقبل من ان يستطيع ما هو فى الحال مستطيع له غير
ان الاية تقتضى خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسئلة اوقاتا وان لم يصبر عنها فى جميع
الاوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه فى جميع الاحوال المستقبلة على ان المراد
بذلك واضح وانه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسئلة عما لا يعرف ولا يقف
عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد احدنا اذا جرى بين يديه ما ينكره
ويستبدعه تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن
الفحص عن امره فلما احدث من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل
الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
فبين ان العلة فى قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان الامر على ما ظنوا لوجب ان يقول
وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك
على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو على لكان ايضا غير مقدور
للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالمقدورة عليه هذا اذا اريد بالسمع الادراك وان
اريد به نفس الحاسة فهى ايضا غير مقدورة للعباد لان الجواهر وما تختص به الحواس من
البنية والمعانى التى بها الادراك مما تفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة
لهم فيه فان قالوا ولعل المراد بالسمع كونهم سامعين كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا
هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفى الاستطاعة هاهنا على ما تقدم
ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يرانى ولا يقدر
على ان يكلمنى وما اشبه ذلك وهذا بين لمن تامله تاويل خبر ان سال سائل
فقال ما تاويل ما رواه يسار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لى
جارية كانت ترعى غنما لى قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا رجل من بنى آدم

اسف كما يا سفون لكنني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه
واله قال قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله
فقالت في السماء قال من انا قالت انت رسول الله فقال اعتقها فانها مؤمنة
اما قوله انا رجل من بني آدم اسف كما ياسفون فمعناه اني اغضب كما يغضبون قال
محمد بن حبيب الاسف الغضب وانشد للراعي فالحقني العيس حتى وجدتني اسيفا
على حاديهم المتجرد والاسف ايضا الحزن قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والاسف
الغضب قال كعب بن زهير في كل يوم ارى فيه مبينة تكاد تسقط مني منة اسفا
وقوله لكني غضبت فصككتها اراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال
الله تعالى فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن ابي
خازم يصف حمار وحش واتانا فصك محجر اذا ما سافها وجبينه بحوافر لم تنكب
سافها اي شمها وقولها في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلو فمعنى ذلك انه تعالى
عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك يقال سما فلان يسمو اسموا اذا ارتفع
شانه وعلا امره قال الله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فاخبر بقدرته وسلطانه وعلو
شانه ونفاذ امره وقد قيل في قوله أأمنتم من في السماء غير هذا وان المراد أأمنتم
من في السماء امره وآياته ورزقه وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن ابي الصلت
شاهد لما تقدم واشهد ان الله لا شيء فوقه عليا وامسى ذكره متعاليا وقال
سليمان بن يزيد العدوي لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى تعاليت محمودا كريما
وجازيا علوت على قرب بعز وقدرة وكنت قريبا في دنوك عاليا والسماء ايضا سقف
البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب
الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى
البيت سماء البيت وسماوته وسراته وصهوته وضحاوته والسماء ايضا المطر
قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة

ان النبي صلى الله عليه واله مر على صبرة طعام فادخل عليه السلام يده فيها فنالت
اصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب البر قال اصابته السماء يا رسول الله قال لم اولا
جعلته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا وقال المثقب العبدي فلما اتاني
والسماء تبله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا ويقال ايضا لظهر الفرس سماء كما يقال
لحوافره ارض ولبعضهم في فرس واحمر كالدينار اما سماؤه فخضب واما ارضه
فمحول وانما اراد انه سمين الاعلى عريان القوائم مشوقها وكل معاني السماء التي
تتصرف وتتنوع يرجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي
اجريت هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما قدمناه من معنى
العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى لان العلو
بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولان الخبر
والاية التي تضمنت ايضا ذكر السماء خرجت مخرج المدحة ولا تمدح في العلو بالمسافة
وانما التمدح بعلو الشان والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا نجد احدا من العرب مدح
غيره في شعر او نثر بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة بل لا يريدون الا ما ذكرنا
من معنى العلو وانما يظن في هذا الموضع خلاف هذا من لا فطنة عنده ولا بصيرة له
والحمد لله رب العالمين مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حتى
اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه
القول ومن امن وما امن معه الا قليل الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه
اولها انه اراد بالتنور وجه الارض وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار وهذا
قول عكرمة وقال ابن عباس مثله والعرب تسمي وجه الارض تنورا وثانيها ان يكون
المعنى ان الماء نبع من اعالي الارض وفار الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة وروي
عنه في قوله وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع الارض واشرفها وثالثها ان يكون المراد
بفار التنور اي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت امارات دخول النهار وتقضي الليل
وهذا القول يروى عن امير المؤمنين عليه السلام ورابعها ان يكون المراد بالتنور

الذي يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كان لآدم عليه السلام وقال قوم ان التنور
كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من ارض الشام وقال آخرون بل كان التنور
في ناحية الكوفة والذين روى عنهم ان التنور هو تنور الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن
ومجاهد وغيرهم وخامسها ان تكون معنى ذلك واشتد غضب الله تعالى عليهم
وحل وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلا لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمي الوطيس
اذا اشتدت الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب ايضاً قد فارت
قدر القوم اذا اشتدت حربهم وقال الشاعر تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثاءها عنا
اذا حميها غلا اراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دوم
الطائر في الهواء اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثاها معناه نسكنها
يقال قد فثات غضبه عني وفثات الحار بالبارد اذا كسرته به وسادسها ان يكون التنور
الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما
انذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروى عن الحسن واولى القول بالصواب قول من
حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولان الروايات الظاهرة
تشهد له واضعفها وابعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد
الامر تمثيلا وتشبيها لان حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية اولى من حمله على المجاز
والتوسع مع فقد الرواية واي المعاني اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء منه
علما لنبيه عم وآية تدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين فاما قوله تعالى
من كل زوجين اثنين فقد قيل المراد به احمل من كل ذكر وانثى اثنين والله تعالى لكل واحد من الذكر
والانثى زوج وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللونان
كل ضرب يسمى زوجا واستشهدوا ببيت الاعشى وكل زوج من الديباج يلبسه ابو قدامة
محبورا بذاك معا ومعنى من سبق عليه القول منهم اي من اخبر الله تعالى بعذابه وحلول
الهلاك به والله اعلم بمراده **تأويل آخر** ان سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه

شريك بن عمار الدهني عن ابي صالح الحنفي عن امير المؤمنين عم انه قال رأيت النبي صلى
الله عليه وآله في المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من الاود واللدد **الجواب** يقال له
اما الاود فهو الميل تقول العرب لاقيمن ميلك وجنفك واودك ودرأك وضلعك
وصدعك وضلعك بالظاء وصعرك وصغوك وصدك كل هذا
بمعنى واحد وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان في كلامه ورايه فهو عوج
واذا كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما اشبهها فهو عوج هذا قول الناس كلهم
الا ابا عمرو الشيباني فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر قال
ثعلب كانه مصدر عوج يعوج عوجاً ويقال عصا معوجة وعود معوج وليس في كلامهم
معوج واما اللدد فهو الخصومة وقال ثعلب يقال رجل الد وقوم لد اذا كانوا شديدي
الخصومة ومنه قوله تعالى وهو الد الخصام وقال الاموي اللدد الاعوجاج والالد
في الخصومة الذي ليس بمستقيم اي اعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يتمكن منه
ومن ذلك قولهم الد الصبي وانما يلد في شق فيه وليس يلد مستقيما فهو يرجع الى معنى
الميل والاعوجاج وقال قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الد الخصام اي اعوج الخصام
وانشد ابو السمح لابن مقبل لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي وكتمانها اكني بام فلان
جعلت لجهال الرجال مخاضة ولو شئت قد بينتها بلساني الد الجدال والخصومة
وقال ابو عمرو الالد الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله مخاضة يقول انهم يخوضون
في شعري فيطلبون معانيه فلا يقفون عليه وانشد ابو السمح لا تفتر الكذب القبيح فانه
للمرء معيبة وباب اللئام واصدق بقولك حين تنطق انه للصدق فضل فوق كل كلام
فاذا صدقت على الرجال خصمتهم والصدق مقطعة على الظلام واذا رماك عشوم قوم
فارم بالد مستنفر المدى عشام لا تعرضن على العدو وسيلة واحذر عدوك عند كل مقام
واعلم بانه ليس يوما نافعا عند اللئيم وسائل الارحام ما لم يخفك ويلق عندك جانبا
خشنا وتصبحه بكأس سمام واذا حبست بما زق فاكرم به حتى تفرج حلبة الاظلام
واصبر على كرب البلاء فانه ليس البلاء على الفتى بلزام واعلم بانك ميت ومحدث

عما فعلت معاشر الاقوام معنى قوله مستنغر المدى اى بعيد المدى وقوله لا نعرضن
على العدو وسيلة اى لا انقاد به ولا انصافه ولكن بينك وبينه الاصدق العداوة
وانشد ايضاً شاهداً لما تقدم يا وهب اشبه باطلى وجدى اشبهت اخلاقى فاشبه
مجدى وجدلى عند الخصوم اللدّ قال السيد قدس الله روحه ومن حسن ما وصف به
الثغر قول فضالة بن دكيع النكرى تبسم عن حم اللثات كانها حصا برد او اقحوان كثيب
اذا ارتفعت عن مرقد عللت به من اليانع الفوريّ فرع قضيب قضيب نحاه الركب ايام
عرفوا لها من ذى مال النبات خضيب يعنى من يانع الاراك ومعنى نحاه اى قطعه
ومثله انتحاه ايضا ومال النبات اى ناعمه وحسنه يقال عشب مال ومأد سواء اى
ميّاد ناعم ومعنى ايام عرفوا اى اجتنوه من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب الذى يبلّها
لادمانها استعماله وقال الاخطل يصف ثغراً شتيتاً يرتوى الظمآن منه اذا
الجوزاء انجرت الضبا بالشتيت المتفرق المفلج الذى ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا
الجوزاء انجرت الضبا بافيه وجهان احدهما انه اراد عند سقوط الجوزاء وذلك
فى شدة البرد وطول الليل اذا انجحرت الضبا من البرد وتغيرت الافواه لطول
ليل الشتاء يقول فثغرها حينئذ عذب غير متغير والوجه الآخر انه اراد عند طلوع
الجوزاء فى شدة الحر اذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن حينئذ اشد
عطشا ولحر غلة فريقها يرويه ويبرد غلته وقال آخر فويل بها لمن تكون ضجيعه
اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب قوله فويل بها من الزجر المحمود مثل قولهم ويل امه ما
اشجعه فكانه يقول نعم الضجيع هى عند السحر اذا تجادرت النجوم للمغيب كما قال
ذو الرمة وايدى الثريا جنح فى المغارب ومثل قول الآخر نعم شعار الفتى اذا برد الليل
سحيراً وقفقف الصرد وانما يعنى انها فى ذلك الوقت الذى تتغير فيه الافواه
طيبة الريق عذبته وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم وعارض كجانب العراق
انبت برّاقاً من البراق يذاق مثل العسل المذاق قال ابو العباس فى هذا قولان
احدهما انه وصف ثغراً وعارضاه جانباه والعراق ما يثنى ثم يخرز كعراق القربة

فاخبرت

فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص وقولها انبت برّاقاً من البراق
تعنى الثغر نفسه اى لم يبق من صفائه ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته
والقول الآخر قال بعضهم العارض ها هنا الغيم وقولها كجانب العراق يعنى
هذه البلاد اى هو ضخم متكاثف قد سد الافق وقولها انبت برّاقاً من البراق
اى ما تنبته الارض اذا مطرت من النور قال المبرد والقول الاول عندنا اصح
لذكرها العسل وانشد احمد بن يحيى لتابط شرّاً وشعب كشل الثوب شكس
طريقه مجامع ضوجيه نطاف مخاصر تعسفته بالليل لم يهدنى له دليل ولم يحسن له
النعت خابر قال يعنى بالشعب فم جارية كشك الثوب اذا خاطه الخياط والشكس
الضيق يصفها بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين وضوجاه جانباه وضوج الوادى
جانبه ويعنى بالنطاف الريق والمخاصر الباردة من الخصر وقوله لم يهدنى له دليل
اى لم يصل اليه غيرى كما قال جرير الا رب يوم قد شربت بمشرب شفى الغيم لم يشرب
به احد قبلى الغين والغيم العطش وانما يعنى ريق جارية قال المبرد وقال آخرون
بل يعنى شعبا من الشعاب تخوفا ضيقاً سلكه وحده قال ابو العباس انما كنى بالشعب
عن فم جارية ثم اخذ فى وصف الشعب ليكون الامر اشد التباساً قال السيد قدس
الله روحه والاشبه ان يكون اراد شعبا حقيقيا لان تابط شرا كان لصا وصافاً
للاهوال التى يمضى به ويعانيها فى تلصصه وكان كثيرا ما يصف تدليه من الجبال
وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز واشباه ذلك والقطعة التى فيها البيتان
كلها تشهد بان الوصف لشعب لا لفم جارية لانه يقول بعد قوله كشل الثوب لديه
مطلع الشعرى قليل انيسه كان الظبا فى جانبيه معلجر به من نجاء الدلو بيض اقرها
جبار لصم الصخر فيه قراقر وقرن حتى كن للماء منتهى وغادر حى السيل فيما يغادره
نطف زرق قليل ترابها جلا الماء عن ارجائها فهو حائر وهذه الاوصاف كلها لا تليق
الا بالشعب دون غيره وتاويل ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن كثير فى قوله
يصف الثغر ويوم الحبل قد سفرت وكفت رداء العصب عن رتل براد وعن نجلاء تدمع

في بياض اذا دمعت وتنظر في سواد وعن سنكاوس في العقص جثل اثيث ذي عذر
جعاد وقال ابو تمام في هذا المعنى وعلى العيس خرد يتبسمن عن الاشنب الشتيت البراد
كان شوك الكمام ، المستبال حسنا فاضحى دونه للفراق شوك القتاد وقال البحتري
وارتنا خدا يراح له الورد وتبسمه جنا التفاح وشتيتا يغض من لؤلؤ النظم وبردي
على شتيت الاقاحي فاضاءت تحت الدجنة للشرب وكادت تضئ للمصباح وقال ايضا
سفرت كاسفر الربيع الطلق عن ورد يرفرقه الضحى مصقول وتبسمت عن لؤلؤ
في رصفه برد يرد حشاشة المتبول وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله كانما
تضحك عن لؤلؤ منظم او برد او اقاح فاه مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل
عن قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل
عن سواء السبيل فقال ما انكرتم ان تكون هذه الآية دالة على انه تعالى جعل الكافر
كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس
يجعله كافرا الا بان يخلق كفره الجواب يقال له قبل ان نتكلم في تاويل الآية وما تحتمله
من المعاني كيف يجوز ان يخبرنا الله تعالى بانه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج
مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم واي مدخل لكونه خالقا
لكفرهم في باب ذمهم واي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شئ ابلغ في عذرهم وبراءتهم
من ان يكون خالقا لما ذمهم من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا
مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل
هذا الضرب من الكلام انما يقول الا اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم واللوم
من فعل كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الافعال والاحوال قبائحها
ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذم ومن جهته حتى
يقول في جملة ذلك ومن نشاغل بالصناعة الفلانية التي هو اسلمه اليها وحمله
عليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم

في الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز ان يذمهم
بجعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله قلنا انما جعلهم قردة وخنازير
عقوبة لهم على افعالهم وباستحقاقهم لجري ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب
عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بافعالهم وعبادتهم للطاغوت وان كان هو خلقها
فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كاللعن والمسخ ثم نعود
الى تاويل آية فنقول لا ظاهر للآية يقتضي ما ظنوه واكثر ما تضمنه الاخبار بانه خلق
وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو
خالق الكافر وانه لا خالق له سواه غير ان ذلك لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافرا
وليس لهم ان يقولوا كما نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به
كان عابدا للطاغوت وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل
على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعله وليس ما به يكون
الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على انه تعالى عن فعل ذلك وخلقه
فافترق الامران وفي الآية وجوه آخر وهو انه لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت
معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام
من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة
والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه
على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا على اسم والاولى عطفه على ما تقدم من الافعال
وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء والميم في منهم فكانه جعل
منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد تحذف من في الكلام قال الشاعر
امن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء اراد ومن يمدحه ومن ينصره
فان قيل فهبوا هذا التاويل ساغ في قراءة وعبد الطاغوت بالفتح اين انتم عن
قراءة من قرأ وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسرة التاء من الطاغوت
ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ عبد الطاغوت بالضم والتشديد

ومن قرأ عباد الطاغوت قلنا المختار من هذه القراآت عند اهل العربية كلهم
القراءة بالفتح وعليها جميع القرّاء السبعة الأئمة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم
الباء وباقي القراآت شاذة غير مأخوذ بها قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني
القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئ وعبد الطاغوت وعبد
الطاغوت والذي اختار وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود وعبدوا الطاغوت
فهذا يقوّي وعبد الطاغوت ومن قال وعبد الطاغوت بضم الباء وخفض الطاغوت
فانه عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عبد على فعل وليس
هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم الطاغوت والثاني ان يكون محمولا على وجعل منهم
عبداً للطاغوت ثم خرج لمن قرأ وعبد وجهاً فقال ان الاسم بني على فعل كما يقول رجل
حذر اي مبالغ في الحذر فتاويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج
وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجاً لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع الا ترى
انه ليس في ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء
المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله وان تعدّوا
نعمة الله لا تحصوها وكذلك قوله عبد الطاغوت جاء على فعل لان هذا البناء يراد به
الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة
الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لان عبد في الاصل صفة وان كان
قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة الا ترى
ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسرا هذا النحو
عندهم من التكسير في قولهم ابارق واباطح فلم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم
صرفه في كثرتهم صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل وايدع وكذلك عبد وان كان قد
استعمل استعمال الاسماء لم يخرجه ذلك عن ان يكون صفة واذا لم يخرج عن ان يكون
صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا
صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضاً سائر ما روي من القراآت

التي

التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة عنها ويمكن
في الآية وجه آخر على جميع القراآت المختلفة في عبد الطاغوت وهو ان يكون المراد بجعل
منهم عبد الطاغوت اي نسبه اليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم والجعل مواضع
قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وكقوله وجعل لكم
من الجبال اكناناً وهي هاهنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون ايضاً بمعنى التسمية
والشهادة كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً وكقول القائل
جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسني قبيحاً وما اشبه ذلك فهي هاهنا
تتعدى الى مفعولين وللجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى قال ونسب
عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من جملتهم فان قيل لو كانت جعل هاهنا على ما ذكرتم
لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى
لها الا الخلق قلنا هذا غلط من متوهمه لان جعل هاهنا متعدية الى مفعولين وقوله
تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في خبر
المبتداء فهي يحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني لجعلت وظننت وما اشبههما
وقد قال الشاعر ابا الاراجيز يا ابن اللوم توعدني وفي الاراجيز خلت اللوم والخور
وقد فسّر هذا على وجهين احدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام فتكون
في الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتداء والوجه الثاني على اعمال خلت
فيكون في الاراجيز في موضع النصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بيّن
لمن تدبره قال السيد قدس الله روحه وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي اما واني الصبر
في كل خلة اقرّ لعيني من غنى رهن ذلة واني لاختار الظما في مواطن على بارد عذب
واغنى بعلة واستر ذنب الدهر حتى كانه صديق ولا اغتابه عند ذلة ولست كمن كان
ابن اخي مقتراً فلما افاد المال عاد ابن علة فذا بوستحي انقضى الود بيننا ولم اعلق
من نداه ببلة وكنت له عند الملمات عزة اسد بمالي دونه كل خلة قال المرتضى رضي الله
عنه الاولى في هذه القطعة اطلاقها الخلة للحاجة وللخلة ايضاً الخصلة والخلة بالضم

المودة والخلة ايضاً بالضم ما كان تحلو من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان با
لخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضاً الفقير وكلا الوجهين قد ذكر
فى قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لا يدرى
احدكم متى يختل اليه قال ابو العباس ثعلب يكون من شيئين احدهما من الخلة التى هى
الحاجة اى متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهى النبات الحلو ويكون معناه متى يشتهى
ما عنده مشبه بالابل لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض
اشتهت الخلة ومن امثالهم جاؤا مخلين فلاقوا حمضا اى جاؤا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا
والخلة ايضاً بنت المخاض والذكر الخل ويقال جسم خل اذا كان مهزولا قال الشاعر اسقنيها
يا سواد بن عمرو ان جسمى بعد خالى الخل ويقال ايضاً فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى
لا يرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله اجررته قال الشاعر فلو ان قومى انطقتنى
رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت اى لم يعملوا فى الحرب شيئاً فكنت افتخر بهم
وقوله اقر لعينى من غنى رهن ذلة يقول الاختيار الصيانة مع الفقر احب الى من الغنى
مع الذل ومثله اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر
صبرت وكان الصبر منى سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر وقوله واستر ذنب
الدهر حتى كانه صديق اراد انى لا اشكو ما يمسنى به الدهر من خصاصة بل استره وكذلك
واظهر التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو وهذا المعنى اراد بقوله ولا اغتاب
عند ذلة وقوله فلما افاد المال عاد ابن علة فالعرب تقول لهم بنو اعيان اذا كان ابوهم
واحداً وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحداً وامهاتهم شتى قيل اولاد علات
ومنه الحديث المأثور عن النبى صلعم انه قال النبيون اولاد علات اى امهاتهم شتى و
ابوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقالى والتقاطع لان الاكثر فى بنى العلات
ما ذكرناه وقوله دابرته اى قاطعته وقوله لم اتمطق من نداه ببلة فالتمطق يكون بالشفتين
والتلمظ باللسان وكنى بذلك انه لم يصب من خيره شيئاً وصان نفسه عنه مجلس اخر تاويل
آية ان سال سائل فقال ما تأويل قوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء

وانزل

وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون وما الذى اثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم لوصفهم
بالجهل فى قوله تعالى قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون قلنا هذه الآية
معناها متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم
صنوف النعم التى ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة
انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الى اخر الآية
ونبه فى اخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لا يشرك به شئ بقوله فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الارض فراشا اى يمكن ان تستقروا عليها
وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة
السكون وقد استدل ابو على بذلك وبقوله تعالى جعل لكم الارض بساطا على بطلان
ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل وهذا القدر لا يدل لانه يكفى فى النعمة
علينا ان تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب
ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا
وان كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان تكون فى الارض
بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الى ان جملتها شكل الكرة
وليس لهم ان يقولوا قوله جعل لكم الارض فراشا يقتضى الاشارة الى جميع الارض وجملتها
لا الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس
ببساط ولا فراش ولا شبهة فى ان جعله السماء على ما هى عليه من الصفة مما له تعلق
بمنافعنا ومصالحنا وكذلك انزاله منها الماء الذى هو المطر الذى تظهر به الثمرات
فننتفع بنيلها والاغتذاء بها فاما قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا فان الند هو المثل
والعدل قال حسان اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء فاما قوله تعالى
وانتم تعلمون فيحتمل وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التى هى الاصنام

وماجرى مجراها التى تعبدونها من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم التى عددها
ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم ان المشركين
الذين كانوا يعبدون الاصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت
السماء والارض من دون الله ولا معه تعالى فالوصفهم هاهنا بالعلم انما هو لتا كيد
للحجة عليهم ويصح لزومها لهم لانهم مع العلم بما ذكرناه يكونون اضيق عذراً والوجه
الثانى ان يكون المراد بقوله وانتم تعلمون اى تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون
وتفعلون وتأتون وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط
التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره فى التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير
ذلك قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب وانما يخشى الله من عباده العلماء واولو حجى
الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتابين التورية
والانجيل خاصة ومعنى وانتم تعلمون اى انكم تعلمون انه اله واحد فى التورية والا
نجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافى بين هذه الاية وبين قوله تعالى قل افغير الله
تأمرونى اعبد ايها الجاهلون لان علمهم تعلق بشئ وجهلهم بغيره وعلى الوجه
الاخر اذا جعل الاية التى سئلنا عنها مختصة باهل الكتاب امكن ان نجعل الاية
التى وصفوا بها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد
وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد قدس الله روحه ومما يفسر من الشعر تفسيراً
مختلفة والقول محتمل للكل قول امرئ القيس وقد اغتدى ومعى القانصان وكل
بمربأة مقتفر فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلوب نكر الص الضر وس حبى الضلوع
تبوع اريب نشيط اشر فانشب اظفاره فى النسا فقلت هبلت الا تنتصر فكر
اليه بمبراته كما خل ظهر اللسان المجر فظل يرنح فى غيطل كما يستدير الحمار النعر قال ابن
السكيت القانصان الصائدان والمربأة الموضع المرتفع يربأ فيه والمقتفر الذى يقتفر
اثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان البازى والصقر والفغم الكلب الحريص على
الصيد يقال ما اشد فغمه اى ما اشد حرصه قال الاعشى نوم دياربنى عامر وانت بآل

عقيل فغم اى مولع والداجن الذى يألف الصيد والسميع الذى اذا سمع حساً لم يفته و
البصير الذى اذا رأى شيئاً من بعد لم يكذبه بصره والتبوع الذى اذا تبع الصيد ادركه ولم
يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم وقال ابن السكيت وغيره
فى قوله فانشب اظفاره فى النسا اى فانشب الكلب اظفاره فى نسا الثور والنساعرق
فى الفخذ معروف فقلت هبلت اى فقلت للثور هبلت الا تنتصر من الكلب قالوا وهذا
تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل فى التهكم الوقوع على الشئ يقال تهكم البئر اذا
وقع بعضه على بعض ومعنى فكر اليه بمبراته اى بقرنه قال ابن السكيت وغيره يقال
كر اليه الثور بمبراته اى بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اى طعنه به كما يجر الرجل
لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلق
امه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى فظل يرنح فى غيطل اى ظل الكلب
يرنح اى يميد ويتمايل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضاً الجلبة والصياح
وقوله كما يستدير الحمار النعر فالنعر الذى يدخل فى رأسه ذباب ازرق او اخضر
فيطمح برأسه وينزو فشبه الكلب فى اضطرابه ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل
ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى اصعقتها صواهله وقال احمد بن عبيد
القانصان الفرس وصاحبه والحجة فى ان الفرس يسمى قانصاً قول عدى بن زيد تقنصك
الخيل وتصطادك الطير ولا تنكع لهو القنيص اى لا تمنع منه ويقال لا تنغص قال
وقوله فانشب اظفاره فى النسا معناه فانشب الكلب اظفاره فى نسا الثور فقلت لصاحب
الفرس او غلامى الممسك للفرس هبلت الا تدنوا الى الثور فتطعنه فقد امسكه عليك الكلب
قال ومحال ان تكون امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس يفخر بالصيد و
يصف فى اكثر شعره انه مرزوق منه مظفر فيه كقوله اذا ما خرجنا قال ولدان اهلنا تعالوا
الى ان يأتى الصيد نحطب وكقوله مطعم للصيد ليس له غيره كسب على كبره فمحال على هذا
ان يغرى الثور بقتل كلبه قال وتأويل الا تنتصر الا تدنوا من الثور والدليل على ان
تنتصر بمعنى تدنوا قول الراعى وافرغن فى وادى جلاميد بعدما علا البيد سافى القبطة

المتناصر اى المتدانى وقال مضرس بن ربعى وانك لا تعطى امرأً حظ غيره ولا تملك الشق
الذى الغيث ناصره اى دان منه ومعنى الصّ الضروس اى بعض اسنانه ملتصق ببعض
وحنى الضلوع اى مشرف الضلوع عاليها ويروى حنى الضلوع بالنون اى منحنيها
ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع للجوف واقوى له ويروى خفى الضلوع اى
ضلوعه خفية داخلة فى جنبه ومعنى فظل يرنخ اى ظل الثور يرنخ فى غيطل لما طعنه صاحب
الفرس وقد يجوز ان يكون رنخ الثور بظفر الكلب به ولانه انشب اظفاره فيه وكل
ذلك محتمل ومما يحمل ايضًا على وجوه مختلفة قول امرئ القيس فتوضح فالمقراه لم يعف
رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين
فقط بل درست لتتابع الرياح والامطار والدليل على هذا قوله فى البيت الآخر فهل
عند رسم دارس من معوّل وقال اخرون معنى لم يعف اى لم يدرس فالرسم على هذا
القول هو باق غير دارس ومعنى قوله فى البيت الآخر اى فهل عند رسم سيدرس فى
المستقبل وان كان الساعة موجودا غير دارس وقال اخرون فى معنى قوله لم يعف
مثل الوجه الثانى انه لم يدرس اثرها لما نسجتها بل هى بواق ثوابت فنحن نحزن لها
ونجزع عند رؤيتها ولو عفت واَمحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن احمر الاليت المنازل
قد بلينا فلا يرمين عن شزن حزينا ومثل قول الآخر ليت الديار التى تبقى لتحزننا كانت
تبين اذا ما اهلها بانوا وليس قوله فهل عند رسم دارس من معوّل نقضًا لهذا
انما هو كقولك درس كتابك اى ذهب بعضه وبقى بعض وقال ابو بكر العبيدى معناه
لم يعف رسمها من قلبى وهو دارس الموضع فلم يتناول قوله لم يعف ما تناول قوله فهل
عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال آخرون اراد بقوله لم يعف
لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معوّل كما قال زهير قف بالديار
التى لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم وكما قال الآخر فلا تبعدن يا خير عمرو
بن مالك بلى ان من زار القبور ليبعدا اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة
وهذا وجه ضعيف وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب

لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه فى احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان رسمها لم يعف
ولم يبطل كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت فى بعض فاما
البيت الثانى فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا وانما دعا له بان لا يبعد ثم رجع
الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به غير واجب ولا ثابت فكيف ينافى
الاثبات الثانى ويمكن فى البيت وجه آخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اى لم يزد
ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتبينه المتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر
ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له فى كلا
الموضعين ولا شبهة فى ان عفا من حروف الاضداد التى تستعمل تارة فى الدروس
واخرى فى الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اى كثروا ويقال قد عفا الشعر
اذا كثر قال الشاعر ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم اراد
كثيرات اللحم ووبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه
وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بان تحفى الشوارب وان تعفى اللحى اى توفر وهذا
الوجه اشبه عندى بما تقدم مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيًا فاشارت اليه قالوا
كيف نكلم من كان فى المهد صبيًا فقال من هرون الذى نسبت مريم الى انها اخته
ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخى موسى عليهما السلام وما معنى من كان فى المهد
صبيًا ولفظة كان تدل على ما مضى من الزمان وعيسى عم فى حال قولهم ذلك كان
فى المهد الجواب قلنا هرون هذا الذى نسبت اليه مريم قد قيل فيه اقوال منها ان هرون
المذكور فى الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما
انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هى عليه السلام مبراة منه من الشر نسبوها
الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون فى فسقه وقبيح فعله
وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها دون
امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة

والعبادة التالدو قيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلاً صالحاً من قومها
وانه لما مات شيع جنازته اربعون الفاً كلهم يسمى هرون من بنى اسرائيل فلما انكروا
ماظهر من امرها قالوا يا اخت هرون اى يا شبيهته فى الصلاح ماكان هذا معروفاً
منك ولا كان والدك ممن يفعل القبيح وتتطرق عليه الريب وعلى قول من قال
انه كان اخاها يكون معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن
امرأ سوء ولا كانت امك بغياً وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والعفة
فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوى هذا القول ما رواه
المغيرة بن شعبة قال لما ارسلنى رسول الله صلى الله عليه واله الى اهل نجران قال لى
اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى وقد علم الله ما كان بين عيسى وموسى
من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبى صلعم فقد ذكرت فقال لى
فهلا قلت انهم يدعون بانبيائهم والصالحين قبلهم ومنها ان يكون معنى قوله
يا اخت هرون يا من هى من نسل هرون اخى موسى كما يقال للرجل يا اخا بنى تميم
ويا اخا بنى فلان سليمن فى قوله يا اخت هرون قال روى عن النبى صلى الله عليه
وآله انه قال هرون هذا الذى ذكروه هو هرون اخو موسى عليهما السلام قال
مقاتل وتاويل يا اخت هرون يا من هى من نسل هرون كما قال تعالى والى عاد اخاهم
هوداً والى ثمود اخاهم صالحاً يعنى باخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الا
قوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان فى المهد صبياً فهو كلام
مبنى على الشرط والجزاء مقصود بالهما والمعنى من يكن فى المهد صبياً فكيف نكلمه
ووضع فى ظاهر اللفظ الماضى موضع المستقبل لان الشارط لا يشرط الا بما يستقبل
فيقول القائل ان زرتنى زرتك يريد ان تزرنى ازرك قال الله تعالى ان شاء جعل لك
خيراً من ذلك يعنى ان يشأ يجعل لك وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكان
المعنى كيف نكلم من صار فى المهد صبياً وليشهد بذلك قول زهير اجزت اليه حرة
ارحبية وقد كان لون الليل مثل الارندج وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كا

٠/ كانوا

قال العرب كان البرد وكان الحر بمعنى وجدا وحدثا وقال قوم لفظة كان وان اريد
بها المضى فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
اى انتم كذلك وقوله عز وجل هل كنت الا بشراً رسولاً وقوله وكان الله عليماً حكيماً
وان كان قد قيل فى هذه الآية الاخيرة غير ذلك قيل ان القوم شاهدوا من اثار علمه
تعالى وحكمته ما شاهدوا فاخبرهم انه لم يزل عليماً حكيماً اى فلا تظنوا انه استفاد
علماً وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضى موضع الحال
والاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم وقوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار وقولهم فى الدعاء غفر الله لك واطال بقاءك وما جرى مجرى
ذلك ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا انه لما امن من اللبس وضع لفظ الماضى
فى موضع المستقبل قال الشاعر فادركت من كان قبلى ولم ادع لمن كان بعدى فى
الفضائل مصعدا اراد لمن يكون بعدى ومما جعلوا فيه المستقبل موضع الماضى قول
الصلتان العبدى يرثى المغيرة بن المهلب قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين
وللمجد الرائح ان الشجاعة والسماحة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح فاذا
مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف سابح وانضح جوانب قبره بدمائها
فلقد يكون اخادم وذبائح معناه فلقد كان كذلك تاويل خبر ان سال سائل
كيف يطابق ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لا عدوى ولا هامة
ولا طيرة وانه قيل له ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل فقال عليه السلام
فما اعدى الاول لما روى عنه من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله
فر من المجذوم فرارك من الاسد وان رجلاً مجذوماً اتاه ليبايعه بيعة الاسلام فارسل
اليه بالبيعة وامره بالانصراف ولم يأذن عليه السلام له وروى عنه عليه السلام
انه قال الشوم فى المرأة والدار والدابة وظاهر هذه الاخبار متنافية متناقضة فبينوا
وجه الجمع بينها الجواب قلنا ان ابن قتيبة سال نفسه عن اختلاف هذه الاخبار واجاب
عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه خلط واتى بما ليس بمرضى قال

ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى
جنسان احدهما عدوى الجذام فان المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم في الحال مجالسيه
ومواكليه وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها
الاذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر اليه وكذلك من كان به سل
ودق والاطباء تأمر بان لا يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى
وانما يريدون بذلك تغير الرائحة وانها قد يسقم من اطال اشتمامها والاطباء ابعد
الناس من الايمان بيمن او شوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهي جرب رطب
فاذا خالط الابل وحاكها واوصل اليها بالماء الذي يسيل منه نحوا مما به فهذا هو
المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوردن ذو عاهة على
مصح قال وقد ذهب قوم الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات
العاهة ذنبا ثم قال وليس لهذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا قال
واما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون
وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى باهله
نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول لن يسبق الله على حمار ولا على ذي
ميعة مطار او يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله امام الساري وقد قال رسول
الله صلعم اذا كان بالبلد الذي انتم فيه الطاعون فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان
ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم تظنون ان الفرار
من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالبلد
الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم قال ومن ذلك المرأة تعرف
بالشوم والدار فينال الرجل مكروه او جائحة فيقول اعدتني بشومها قال فهذا
هو العدوى الذي قال النبي ع م لا عدوى فاما الحديث الذي رواه ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الشوم في المرأة والدار والدابة فان هذا يتوهم
فيه الغلط على ابو هريرة وانه سمع فيه شيئا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعه

وروى

وروى ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابي حسان الاعرج ان رجلين دخلا على عائشة فقالا
ان ابا هريرة يحدث عن النبي صلعم انه قال انما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت
شفقا ثم قالت كذب والذي انزل الفرقان على ابي القسم من حدث بهذا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وانما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كان اهل الجاهلية
يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وروى خبرا يرفعه الى انس بن مالك قال جاء
رجل الى النبي صلعم فقال رسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا
ثم تحولنا منها الى اخرى فقلت فيها اموالنا وقل عددنا فقال رسول الله صلعم ذروها
وهي ذميمة قال ابن قتيبة ليس هذا ينقض الحديث الاول وانما امرهم بالتحول منها
لانهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم بالتحول
عنها وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان
لا سبب له في ذلك وحب من جرى على يده الخير وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده
الشر لهم وان لم يردهم به قال السيد قدس الله روحه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا
اكثر من انه لما اعجزه تأويل الاخبار التي سأل نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله
عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العدوى
بشيء دون آخر وكلاهما سواء واوردنا تأويلا يدفعه نص قول النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لانه عليه السلام لما سئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك
الابل قال فما اعدى الاول تكذيبا لعدوى هذه النقبة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة
ذلك وزعم ان الجرب يعدي ويؤثر في المخالط والمواكل وعول في ذلك على قول الاطباء
وترك قول الرسول صلى الله عليه وآله ومن طريف امره انه قال ان الاطباء ينهون
عن مجالسة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير
الرائحة وانها تسقم من ادمن اشتمامها وهذا غلط منه لان الاطباء انما تنهى عن ذلك
خوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال اجزاء

من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب الا يكون هذا ايضا
من العدوى ولما حكى عن غيره تأويلا صحيحا فى قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى
ان العيان يدفعه واى عيان معه ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب ولا نجد ابلا
صحاحا يخالط ذوى العاهات فلا يصيبها شئ من ادوائها وكانه انما يدعى ان العيان
يدفع قول النبى صلى الله عليه واله فمن اعدى الاول والوجه عندنا فى قوله عم لا يوردن ذو
عاهة على مصح انه عم انما نهى عن ذلك وان لم يكن مؤثرا على الحقيقة لان فاعله كالمدخل الضرر
على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدى ويؤثر فاورد على ابله فلا بد من ان يلحقه لما تقدم من
اعتقاده ضرر وغم ولا بد من ان يذم من عامله بذلك فكانه عليه السلام نهى اذى الناس
والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من انهم
متى ظنوا ذلك اثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يوثم ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عم
فى الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه فى الدار بالتحول عنها
لكان قد اصاب لانه يحمل ذلك على تجنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك
الدار وهذا يمكن فى قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه فاما قوله فر من المجذوم
فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى وقد يمكن ان يكون لاجل نتن
ريحه واستقذاره ونفور النفس عنه ولان ذلك ربما دعا الى تعييره والازراء عليه
وامتناعه عم من ادخال المجذوم عليه ليبايعه يجوز ان يكون الغرض فيه العدوى
بل بعض الاسباب المانعة التى ذكرنا بعضها واما حديث الطاعون فالقول فيه
على ما قاله وقد كان سبيله لما عول فى عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء ان يرجع
ايضا الى اقوالهم فى الطاعون لانهم يقولون ان الطاعون الذى يعرض من تغير الاهوية
وما جرى مجراها يعدى كعدوى الجرب والجذام والعيان الذى ادعاه ليس هو اكثر
من وجوده من يجرب او يجذم بمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود
فى الطاعون فانا نرى عرضه لمن يسكن البلد الذى يكون فيه ويطرء اليه فاما الخبر
الذى يتضمن ان الشوم فى المرأة والدار والدابة فالذى ذكره من الرواية فى معناه

يزيل الشبهة به على انه لو لم يكن ها هنا رواية فى تأويله جاز ان يحمل على ان الذى يتطير به
المتطيرون ويدعون ان الشوم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون ذلك اثباتا
للطيرة والشوم فى هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة الثابتة انما هى فيها
لقوة امرها عند اصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك فى الدار وامره عليه السلام بالانتقال
عنها تأويله قريب وكان يجب ان يهتدى اليه فيما تقدم وما التوفيق الا من عند الله
تعالى **مجلس اخر تأويل آية** ان سال سائل فقال ما تأويل قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء
انه على حكيم اوليس ظاهر هذا الكلام يقتضى جواز الحجاب عليه وانتم تمنعون من ذلك
الجواب قلنا ليس فى الآية اكثر من ذكر الحجاب وليس فيها انه حجاب له تعالى او لمحل
كلامه او لمن يكلمه واذا لم يكن فى الظاهر شئ من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره
عز وجل مما يجوز ان يكون محجوبا وقد يجوز ان يريد بقوله او من وراء حجاب انه
يفعل كلاما فى جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب
الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب وروى
عن مجاهد فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قال هو داود عم اوحى
فى صدره فزبر الزبور او من وراء حجاب وهو موسى او يرسل رسولا وهو جبرئيل
ارسل الى محمد عم فاما الجبائى فانه ذكر ان المراد بالآية وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا بمثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهى لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم
على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحى قال انما سمى الله
تعالى ذلك وحيا لانه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما على سبيل الافصاح كما يفصح
الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحى فى اللغة انما هو ما جرى مجرى الايماء والتنبيه
على شئ من غير ان يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى فى الآية قال وعنى بقوله
او من وراء حجاب ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو
كلامه لموسى عم لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى عم وحده فى كلامه اياه

اوّلاً واما كلامه له فى المرة الثانية فانه انما اسمع ذلك موسى والسبعين الذين
كانوا معه وحجب عن جميع الخلق سواهم فهذا معنى قوله تعالى او من وراء حجاب
لان الكلام هو الذى كان محجوبا عن الناس وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام
الذى اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض
لا يقوم الا فى جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله او من وراء حجاب ان الله تعالى
كان من وراء حجاب يكلم عباده لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة
قال وعنى بقوله او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ارساله ملائكته
بكتبه وبكلامه الى انبيائه عليهم السلام ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل انزال
القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وانزاله سائر الكتب على انبيائه فهذا ايضا ضرب
من الكلام الذى يكلم الله تعالى به عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه
من غير ان يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى عم وهذا الكلام هو خلاف الوحى الذى
ذكر فى اول الآية لانه قد افصح لهم فى هذا الكلام بما امرهم به ونهاهم عنه والوحى الذى
ذكره فى اول هذه الآية انما هو تنبيه وخاطر وليس فيه افصاح وهذا الكلام الذى
ذكره ابو على ايضا سديدا والكلام محتمل لما ذكره ويمكن فى الآية وجه آخر وهو ان يكون
المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفى الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب فيما ذكرناه
يقول احدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطاء فطنته بينى وبينك حجاب ويقول فى
الامر الذى يستبعده ويستصعب طريقه بينى وبين هذا الامر حجب وموانع وسواتر
وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية انه تعالى لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر فى قلوبهم
او بان ينصب لهم ادلة تدلهم على ما تريده او يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها
للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطبا او مكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب
من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول صلى الله عليه
وآله ولا ظاهرا معلوما لكل من ادركه كما ان قول الرسل المؤدين عنه تعالى الكلام
بهذه الصفة فصار الحجاب ههنا كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة

وليس

وليس لاحد ان يقول ان الذى تدل عليه الاجسام من صفاته تعالى واحواله ومراده
لا يقال انه تعالى متكلم لنا به وبذلك انه غير ممتنع على سبيل التجوز ان يقال فيما يدل عليه
الدليل الذى نصبه ليدل على مراده ويرشد اليه انه متكلم لنا ومخاطب به ولا يمتنع المسلمون
ان يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الادلة العقلية وامرنا بعبادته ونهانا عن
ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على امر من الامور
قد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا وقال لنا وامرنا وزجرنا وما اشبه ذلك
من الالفاظ التى يجرونها على الكلام الحقيقى وهذا الاستعمال اكثر واظهر من ان نورد امثلته
ونظائره قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل فى الذئب قول اسماء بن خارجة
بن حصن الفزارى ولقد الم بنا لنقريه بادى الشقاء محارف الكسب يدعو الغنى ان نال
علقته من مطعم غبا الى غب وطوى ثميلته والحقها بالصلب بعد لدونة الصلب يا ضل
سعيك ما صنعت بما جمعت من شنب الى دب لو كنت ذا لب تعيش به لفعلت فعل
المرء ذى اللب وجمعت صالح ما اجترفت وما جمعت من نهب الى نهب واظنه
شغبا تدل به فلقد منيت بغاية الشغب اوكان غير مناصل نعصى بها مسحوذة
ودكائب الركب فاعمد الى اهل الوقير فما يخشاك غير مقرمص الزرب احسبتنا ممن
تطيف به فاخترتنا للامن والخصب وبغير معرفة ولا سبب انى وشعبك ليس من شعبى
لما رأى ان ليس نافعه جد تهاون صادق الارب والح الحاحا بحاجته شكوى الضرير
ومزجر الكلب بادى التكلح يشتكى سغبا وانا ابن قاتل شدة السغب فرأيت ان قد
نلته باذى من عذم مثلبة ومن سب ورأيت حقا ان اضيفه اذ رام سلمى واتقى
حربى فوقفت معتاما ازاولها بمهند ذى رونق عضب فعرضته فى ساق اسمنها
فاجتاز بين الحاذ والكعب فتركته لعياله جزرا عمدا وعلق رحلها صحبى ذكى دبا طرقه ليلا
وقوله محارف الكسب مثل ضربه اى لا يبقى له نشب الا شئ يكتسبه وقوله يدعو الغنى
ان نال علقته اى ان وجد ما يتعلق به من مطعم غبا اى بين يومين فذلك عنده الغنى
والثميلة ما يبقى فى البطن من طعام او علف ومعنى طوى ثميلته ذهب بها واراد انه

لم يبق في بطنه ما يمسكه والللدونة اللين والهدن اللين فاراد انه لحق بقية طعامه
بصلبه بعد ان لان ما صلب منها ثم اقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت بما جمعت
من شب الى دب وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا
والمعنى فيهما هو منذ كنت شابا حتى دببت على العصا ثم قال لو كنت ذا لب لجمعت ما نصيبه
ومعنى اجتزفت اكتسبت ومعنى من نهب الى نهب اى من عدوتك على الغنم الى العدوة
الاخرى ثم قال ان كان تعرضك لنا شغبا علينا فقد سنيت بغاية الشغب اى هو بنازك
ويقابلك وليس ههنا ما نفير عليه وانما معنا منا صل اى سيوف مشحوذة وركائبنا
التي نمتطيها فاعد الى اهل الوبر والوبير القطيع من الغنم ولا يسمى وبيرا الا اذا كان
فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يخشاك الراعي والقرموص الذي يتخذ القرموص
واصله المكان الضيق وهو ههنا حفرة يحتفرها الراعي في الرمل في شدة الحر للشاة الكريمة
الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها في القرموصة ومعنى شعبك ليس من شعبي اى لست
من جنسي ولا شكلي وتمرجح والارب الخديعة عند الحاجة وشكوى الضرير الذي
قد مسه الضر ومزجر الكلب اى هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا خسا تدو السغب
الجوع واراد بقوله وانا ابن قاتل شدة السغب اى انا ابن من كان يقري ويطعم ثم رجع
الى كرم فقال وانا بعدان سببته وعضضته بالاذى والعذم ان اضيفه واقربه
لانه ضيف وان كان ذيبا فوقفت انظر في ركائبي واخترا راسمنها والاعتيام الاختيار
واناولها الابسها والحاذان حد الفخذين اللذان يليان الذنب وضبرات رحل المطية
التي عقرها علقه بعض اصحابه على مطية اخرى وقال النجاشي يذكر ذيبا وماء كلون الغسل
قد عاد اجنا قليل به الاصوات في بلد محل وجدت عليه الذئب يعوي كانه خليع خلا من كل
مال ومن اهل فقلت له يا ذئب هل لك في فتى يواسي بلا من عليك ولا بخل فقال هداك
الله للرشد انما دعوت لما لم يأته سبع قبلي فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني
ان كان ماؤك ذا فضل فقلت عليك الحوض اني تركته وفي صفوه فضل القلوص من السجل
فطرت يستعوى ذيبا باكثرة وعديت كل من هواه على شغل وروى ان الفرزدق

نزل بالغريين فراه باعلى ناره ذيب فابصره مقعيا يصيء ومع الفرزدق مسلوخة فرمى
اليه بيد فاكلها فرمى اليه بما بقى فاكله فلما شبع ولى عنه فقال وليلة بتنا بالغريين ضافنا
على الزاد موشي الذراعين اطلس تلمسنا حتى اتانا ولم يزل لدن فطمته امه يتلمس
فلو انه اذ جاءنا كان دانيا لالبسته لو انه كان يلبس ولكن تنحى جنبة بعدما دنا فكان
كقاب القوس او هو انفس فقاسمته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركائب نعس
وكان ابن ليلى اذ قرى الذيب زاده على طارق الظلماء لا يتعبس ولابن عنقاء الفزاري
واسمه قيس بن بجرة وقيل بجرة بالضم الابيات المشهورة في الذئب وهي واعوج من آل الصريح
كانه بذي الشت سيد آبه الليل جائع بغى كسبه اطراف ليل كانه وليس به ظلع من الخمص
ظالع فلما اتاه الرزق من كل وجهة جنوب الملاء وايبسته المطامع طوى نفسه طي
الحرير كانه حوى حية في ربوة فهو هاجع فلما اصابت متنه الشمس حكه باعصل في انيابه
السم ناقع وفكك لحييه فلما تعاديا صاى ثم اقعى والبلاد بلاقع وهم بامر ثم ازمع غيره وان
ضاق رزق مرة فهو واسع وعارض اطراف الصبا وكانه رجيع عذير هزة الريح رائع
ولاخر في الذنب فقلت تعلم انني غير نائم الى مستقبل بالخيانة انيبا بعيد المطا فلا يفيد على
الغنى ولا يا تلى ما استطاع ان يكتسبا معنى انيبا اى غليظ الناب لا انام اليه اى لا اثق به
من ذلك استنمت الى فلان اى اطمانت اليه ومعنى لا يفيد على الغنى اى لا يلتمس مطعما
وهو شبعان ولحميد بن ثور في الذنب فظل يراعي الجيش حتى تغيبت حباش وحالت دونه
الاجارع اذا ما غدا يوما رايت غيابة من الطير ينظرن الذي هو صانع خفيف المعا الا مصيرا
يبله دم الجوف او سور من الحوض ناقع هو البعل الداني من الناس كالذي له صحبة وهو
العدو المنازع ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى المنايا فهو يقظان هاجع وصف ذيبا
يتبع الجيش طمعا في ان يتخلف رجل يثب عليه لانه من بين السباع لا يرغب في القتلى ولا يكاد
ياكل الا ما فرسه وحباش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف ان حباش اسم من
اسماء الشمس واخبر ان الطير تتبعه لتصيب مما يقتل والمصير المعا والبعل الدهش
مجلس لاخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه

قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول
المؤمنين فقال ما تنكرون ان تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه عز وجل لانها
لو لم تجز لم يجز ان يسألها موسى ع م كما لا يجوز ان يسأله اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت
ايضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها ايضا بامر يصح ان يقع وهو استقرار الجبل فاذا علمنا
صحة استقرار الجبل فى موضعه فيجب ان يكون الرؤية ايضا صحيحة وفى حكم ما علقت
به وقوله فلما تجلى ربه للجبل يقتضى جواز الحجاب عليه لان التجلى والظهور لا يكونان الا
بعد احتجاب واستتار الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس فى مسئلة الشئ دلالة على
صحة وقوعه ولا جوازه لان السائل يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم
لاغراض مختلفة فلا دلالة فى ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه الآية
اجوبة اقواها وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه
وانما سألها لقومه فقد روى انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه واجابهم بانه لا يجوز عليه
تبارك وتعالى فلم يقنعوا بجوابه واثروا ان يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم بذلك
وغلب فى ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته عز وجل كان احسم للشبهة وابلغ فى رفعها
عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا
ما يرد من الجواب فسأل واجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوى هذا
الجواب اشياء منها قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء
تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم وانما سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر
الجهرة فى الرؤية وهى لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوى ان الطلب لم يكن

للعلم

للعلم الضرورى على ما سنذكره فى الجواب الثانى ومنها قوله انظر اليك لانا اذا حملنا
الآية على طلب الرؤية لقومه امكن ان تحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملت
الآية على طلب العلم الضرورى احتيج الى حذف فى الكلام ويصير تقديره ارنى
انظر الى الايات التى عندها اعرفك ضرورة ويمكن فى هذا الوجه الاخر خاصة
ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم هو ان النظر فى الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون
قوله انظر اليك على حقيقته فى جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه فان
قلتم لا يمتنع ان يكونوا التمسوا الرؤية التى معها يكون النظر والتحديق الى الجهة
فسأل على حسب سؤالهم جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى
الجسمية بان يقولوا الشك فى الرؤية لا يمنع من صحة معرفة السمع والشك فى جميع
ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذى لا يمنع من معرفة السمع انما هو فى الرؤية التى
لا يكون معها نظر ولا تقتضى التشبيه فان قلتم يحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس
الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشئ باسم الطريق اليه وما
قاربه وداناه قلنا فكانكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلا قوة فى هذا الوجه والوجوه
التى ذكرناها فى تقوية هذا الجواب المتقدمة اولى وليس لاحد ان يقول لو كان عليه
السلام انما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول ارنى انظر اليك
ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن ترانى ذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة
على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس
وتزيل الشبهة فلهذا يقول احدنا اذا شفع فى حاجة غيره للمشفوع اليه اسئلك ان تفعل
بى كذا وتجيبنى الى كذا ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى
ذلك مجراه وانما حسن هذا لان للسائل فى المسئلة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه
بها وتكلفه كتكلفه اذا اختصه ولم يتعده فان قيل كيف يجوز منه عليه السلام مع علمه
باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزن ان يسأل لقومه
سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه

ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض فرقكم
الجواب بين سؤال الرؤية وبين

فى الرؤية ولم يصح فيما سالت عنه لان مع الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى كونه
جسما يمكن معرفة السمع وانه حكيم صادق فى اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد
من جهته تعالى استحالة ما شكوا فى صحته وجوازه مع الشك فى كونه جسما لا تصح معرفة
السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال بعض من تكلم فى هذه الآية قد كان جائزا
ان يسال موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت
قبل معرفته متى كان المعلوم ان فى ذلك صلاحا للمكلفين فى الدين وان ورود الجواب
يكون لطفا لهم فى النظر فى الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين
النبى عم فى مسالته علمه باستحالة ما سال عنه وان غرضه فى السؤال ورود الجواب
ليكون لطفا والجواب الثانى فى الآية ان يكون موسى عم انما سال ربه ان يعلمه
نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التى تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعى
والشكوك والشبهات ويستغنى عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سال
ابرهيم عم ربه تعالى ان يريه كيف يحيى الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان كان قد عرف ذلك
قبل ان يراه والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر
وذلك اظهر من ان يدل عليه او يستشهد عليه فقال له عز وجل لن ترانى اى لن تعلمنى
على هذا الوجه الذى التمسته منى ثم اكد ذلك بان اظهر فى الجبل من آياته وعجائبه ما دل
بها على ان اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية فى الدنيا مع التكليف وثباته لا يجوز وان
الحكمة تمنع منه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من الوجوه لانه لا يخلو موسى عم من ان يكون
شاكا فى ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها فى الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا
فهذا مما لا يجوز على الانبياء عليهم السلام لان الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد
التكليف لا يجوز عليهم ولا سيما ان يعلم الله ذلك على حقيقته بعض امتهم فيزيد عليهم
فى المعرفة وهذا ابلغ فى التنفير عنهم من كل شئ يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله
الا ان يقال انه سال لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول والجواب الثالث فى الآية ما حكى
عن بعض من تكلم فى هذه الآية من اهل التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون موسى عليه السلام

فى وقت

فى وقت مسالته ذلك كان شاكا فى جواز الرؤية على الله تعالى فسال عن ذلك ليعلم هل يجوز
عليه ام لا قال وليس شكه فى ذلك بمانع من ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجرى شكه
فى جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض فى انه غير مخل بما يحتاج اليه فى معرفته تعالى
فلا يمتنع ان يكون غلطه فى ذلك ذنبا صغيرا وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك
وهذا الجواب يبعد من قبل ان الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى تشبيها وان كان
لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك فى ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام
من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبى شاكا
فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز علينا فلا يجوز عليهم
وهذا قوى فى التنفير وزائد على كل ما يوجب ان يجنبه الانبياء عليهم السلام فان قيل
فمن اى شئ كانت توبة موسى عم على الجوابين المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان
المسئلة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سال على لسان قومه ما لم يؤذن
له فيه وليس للانبياء عليهم السلام ذلك لانه لا يؤمن ان يكون الصلاح فى المنع منه فيكون
ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم ومن ذهب الى انه سال المعرفة الضرورية يقول انه
تاب من حيث سال معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب
صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والاولى ان يقال فى توبته عم انه ليس فى الآية
ما يقتضى ان تكون التوبة وقعت من المسئلة او من امر يرجع اليها وقد يجوز ان يكون
سال ذلك اما لذنب صغير تقدم تلك الحال او تقدم النبوة فلا يرجع الى المسئلة وقد
يجوز ان يكون ما اظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع
اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ان يكون الغرض فى ذلك
مضافا الى ما قلناه لتعليمنا وتوفيقنا على ما نستعمله وندعوا به عند الشدائد ونزول الاهوال
وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الا
نبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع
ذلك منه الى التوبة والاستقالة فاما قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فالتجلى هاهنا التعريف

والاعلام والاظهار لما يقتضى المعرفة كقولهم هذا كلام جلى اى واضح وكقول الشاعر تجلى لنا
بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائبا اراد ان تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر له
وان كان نائيا عن وقع الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة فعله عليه مقام مشاهدته
وعبر عنه بانه تجلى منه وفى قوله للجبل وجهان احدهما ان يكون لاهل الجبل ومن كان
عند الجبل فحذف كما قال وسل القرية وقوله فما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا
انه بما اظهره من الايات انما دل من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة والوجه الآخر
ان يكون المعنى للجبل اى بالجبل فاقام اللام مقام الباء كما قال تعالى امنتم له قبل ان آذن
لكم اى به وكما يقولون اخذتك لجرمك وبجرمك ولما كانت الآية الدالة على منع
ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلى اليه وقد استدل بهذه
الآية كثير من علماء الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى الرؤية نفيا
عاما بقوله لن ترانى ثم اكد ذلك بان علق الرؤية باستقرار الجبل الذى علمنا انه لم
يستقر وهذه طريقة للعرب فى تبعيد الشئ لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون كقولهم
لا كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلى
وصار القار كاللبن الحليب ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل فى سم الخياط وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك
فى مقدوره فيجب ان يكون الرؤية المعلقة به ايضا فى مقدوره لانه لو كان الغرض بذلك
التبعيد لعلقه بامر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل فى سم
الخياط وذلك ان تشبيه الشئ بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع
الرؤية باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفى الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية
مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها يخرج عما هو الغرض فى التشبيه على انه
انما علق جواز الرؤية باستقرار الجبل فى تلك الحال التى جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه
من اجتماع الضدين فجرى مجرى جواز الرؤية فى الاستحالة وليس يجب فى كل ما علق
بغيره ان يجرى مجراه فى سائر وجوهه حتى اذا كان احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الآخر

بمثابة

بمثابته لان تعلق دخول الكفار الجنة انما علق بولوج الجمل فى سم الخياط وولوج الجمل فى سم
الخياط مستحيل ومعلوم ان الاول فى مقدوره وان كان لا يحسن والثانى ليس فى المقدور
وهذه جملة كافية فى تأويل هذه الآية وبيان ما فيها والحمد لله قال السيد قدس الله روحه
وانى لاستجيد قول ابى الغيض بن حرام بن عبد الله بن قتادة ابن جابر بن ربيعة بن حارثة
المازنى وكم من صاحب قد بان عنى رميت بفقده وهو الحبيب فلم ابد الذى تحنو ضلوعى
عليه وانى لانا الكئيب مخافة ان يرانى مستكينا عدو او يساء به قريب فيشمت كاشح ويظن
انى جزوع عند نائبة تنوب فبعدك شدت الاعداء طرفا الىّ ورابنى دهر يريب معنى
شدت الاعداء طرفا اى نظرت الى نظرا شزرا وظهر الغضب فى عيونها وانكرت
الزمان وكل اهلى وهرتنى لغيبتك الكليب يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد وكنت
تقطع الابصار دونى وان وغرت من الغيظ القلوب وتمنعنى من الاعداء انى وان زعمل
لحشى مهيب فلم ار مثل يومك كان يوما بدت فيه النجوم فما تغيب وليل ما انام به طويل
كانى للنجوم به رقيب وما يك جائيا لا بد منه اليك فسوف يجلبه الجلوب مجلس آخر تأويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم
تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون فقال
كيف ذكر هذا بعد ذكره البقرة والامر بذبحها وقد كان ينبغى ان يتقدمه لانه انما امر بذبح
البقرة لينكشف امر القاتل فكيف اخر ذكر السبب عن المسبب وبنى الكلام بناء يقتضى انه كان
بعده ولم قال واذ قتلتم نفسا والرواية وردت بان القاتل كان واحدا فكيف يجوز
ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها واحد والى اى شئ وقعت الاشارة بقوله
تعالى كذلك يحيى الله الموتى الجواب قيل له اما قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فيه وجهان اولهما
ان تكون هذه الآية وان تاخرت فهى مقدمة فى المعنى على الآية التى ذكرت فيها البقرة ويكون
التأويل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم ان الله يأمركم ان تذبحوا
بقرة فاخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا فى القرآن وكلام العرب كثير ومثله الحمد لله الذى
انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر ان الفرزدق صخرة ململمة

طالت فليس تنالها الا وعالا اراد طالت الا وعال فليس تنالها ومثله طاف الخيال واين
منك لماما فارجع لزورك بالسلام سلاما اراد طاف الخيال لماما واين هو منك
والوجه الثانى ان يكون وجه تأخير قوله واذ قتلتم نفسا انه تعلق بما هو متاخر فى الحقيقه
وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى لان الامر
بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو بعد الذبح فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون
ولانكم قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها لينكشف امره فاما اخراج
الخطاب مخرج ما يتوجه الى الجميع مع ان القاتل واحد فعلى عادة العرب فى خطاب الابناء
بخطاب الاباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدهما فيقول احدهم فعلت بنو تميم
كذا وقتل بنو فلان فلانا وان كان الفاعل او القاتل واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة
من قراء يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو
اختيار الكسائى وابى العباس ثعلب والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو ابلغ فى وصفهم والمدح
لهم لانهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد ان قتل بعضهم كان ذلك ادل على شجاعتهم وقلة جزعهم
وحسن صبرهم وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى
عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام
والوجه الاول اولى واقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولان اكثر اهل العلم على ان القاتل
كان واحدا ومعنى فادارأتم فتدارأتم اى تدافعتم والقى بعضكم القتل على بعض يقال
دارأت فلانا اذا دافعته ودارية اذا لاينته ودارئته اذا ختلته يقال اداراء القوم
اذا تدافعوا والهاء فى فادارأتم فيها تعود على النفس وقيل انها تعود على القتلة اى اختلفتم
فى القتلة لان قتلتم تدل على المصدر والقتلة من المصادر التى تدل على الافعال ورجوع
الهاء الى النفس اولى واشبه بالظاهر فاما قوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى فالاشارة
وقعت به الى قيام المقتول عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روى انه قام حيا
واوداجه تشخب دما فقال قتلنى فلان ونبه الله بهذا الكلام وبذكر هذه القصة
على جواز ما انكره مشركوا قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا

اذا كنا

اءذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله تعالى بان الذى انكروه
واستبعدوه هين عليه غير متعذر فى اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الامثال
ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذى ضرب بالبقرة فقام حيا واراد تعالى انى تبعض
اذا كنت قد احييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة ويأس قومه من عوده وانطواء
خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا مخاطبا باسم قاتله فكذلك فاعلموا ان احياء
جميع الاموات عند البعث لا يعجزنى ولا يتعذر على وهذا بين لمن تامله قال السيد
قدس الله روحه ومن الشعر المشهور بالجودة فى ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوا
ئبها قول نهشل بن حرى يرثى اخاه مالكا ذكرت اخى المحول بعد يأس فهاج على
ذكراه اشتياقى فلا انسى اخى ما دمت حيا ولخوانى بافنية العناق يجرون الفصال الى الندى
بروض الحزن من كنفى اباق ويغلون السباء اذا اتوه بضم الخيل والشول الحقاق اذا
انصلوا وقالوا يال عوث وراحوا فى المحبرة الرقاق اجابك كل اروع شمرى رخى البال
منطلق الخناق اناس صالحون نشأت فيهم فاودوا بعد الف واتساق مضوا لسبيلهم
ولبست عنهم ولكن لا محالة كنا الالف الذى ادلجن عنه فمن ولا يتوق الى شاق ارى الدنيا
ونحن نعيث فيها مولية تهيأ لانطلاق اعاذل قد بقيت بقاء قيس وما حى على الدنيا
بطب السبلجين وذات عرق فاوردت المطى على حذاق كان الشيب والاحداث تجرى
الى نفس الفتى فرسا سباق فاما الشيب يدركه واما بلاقى حتفه فيما يلاقى فان تك
لمتى بالشيب امست شميط اللون واضحة المشاق فقد اغدو بدلجية ارانى بها المتطلعات
من رواق الدلجية اللمة السوداء وارانى افاعل من المراناة الى كانهن ظباء نقى برهبى
اوبنا بحبى فاق برامضين الحبال لغير وصل وليس حبال وصلى بالرماق وعهد القائد
كعهد قين ونت عنه الجمائل مستذاق القين الحداد والجمائل جمع جعالة وهى اجرته
واراد ان القين اذا عدم الجعالة رحل ولم يستقر فى مكان كجلب السوء يعجب من رآه
ولا يشفى الحوائم من لماق الجلب الغيم الذى لا مطر معه والحوائم العطاش ولماق شئ
قليل فلا يبعد مضاى فى الموامى واشراقى العلاة وانصلاق وعبراء القتام حلوت

عنى بعجلى الطرف سالمة المآقى وقد طوفت فى الآفاق حتى سئمت النص بالقلص
العتاق وكم قاسيت من سنة جماد تعض اللحم ما دون العراق اذا افنيتها بدلت
اخرى اعد شهورها عد الاواقى فافنتنى الشهور وليس تفنى وتعداد الاهلة والمحاق
وما سبق الحوادث ليث غاب يجر لعرسه جزر الرفاق ولا بطل تفادى الخيل منه فرار
الطير من برد بعاق واحسن حارثة بن بدر الغدانى فى قوله يا كعب ما راح من قوم
ولا ابتكروا الا وللموت فى آثارهم حادى يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت الا تقرب
آجالا لميعاد ولابى العتاهية فى هذا المعنى اذا انقطعت عنى من العيش مدتى فان
بكاء الباكيات قليل سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى ويحدث بعدى للخليل خليل
اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غنى فى العيون جليل وليس الغنى الا غنى زين الفتى
عشية يقرى او غداة ينيل ولم يفتقر يوما وان كان معدما جواد ولم يستغن
قط بخيل اذا مالت الدنيا الى المرء رغبت اليه ومال الناس حيث يميل ارى علل الدنيا
على كثيرة فصاحبها حتى الممات عليل وانى وان اصبحت بالموت موقنا فلى امل دون
اليقين طويل وقد احسن البحترى فى قوله هذا المعنى اخى متى خاصمت نفسك فا
حتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدق ارى علل الاشياء شتى ولا ارى التجمع
الا علة للتفرق ارى العيش ظلا يوشك الشمس نقله فكن فى ابتغاء العيش كيسا
او حمق ارى الدهر غولا للنفوس وانما يقى الله فى بعض المواطن من يقى فلا تتبع الماضى
سؤالك لم مضى وعرج على الباقى فسائله لم بقى ولم ار كالدنيا حليلة صاحب محب متى
تحسن بعينيه تعنق تراها عيانا وهى صنعة واحد فتحسبها صنعى لطيف واخرق
وقد قيل ان السبب فى خروج البحترى عن بغداد فى آخر ايامه كان هذه الابيات لان
بعض اعدائه شنع عليه بانه ثنوى من حيث قال فتحسبها صنعى لطيف واخرق وكانت
العامة حينئذ غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه ابى الغوث قم يا بنى حتى
نطفئ عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعد واحسن ايضا
غاية الاحسان فى قوله اعشى الخطوب فما تنجين ما دبنى فيما اسير او احكم باديى

ان تلتمس عما خلاف الخطوب وان تلبث مع الدهر تسمع بالاعاجيب وفى قوله متى
تستزد فضلا من العمر تغترف بسجليك من شهد الخطوب وصابها تشذ بنا الدنيا
باخفض سعيها وغول الافاعى بلة من لعابها بسقى بعمران الديار مضلل وعمرانها
مستأنف من خرابها ولم ارتض الدنيا اوان مجيئها فكيف ارتضائيها اوان
ذهابها اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن تخير آراء الحجى وانتخابها سيرديك او تثويك
انك مخلس الى شقة يأتيك بعد مآبها وهل انت فى مرموسة طال اخذها من الارض
الا حفنة من ترابها ووجدت الآمدى يروى فى هذا البيت انك مجلس بالباء وتفسير
ذلك ان المعنى انك موقوف الى ان تصير الى هذا من قولك احبست فرسا فى سبيل الله
واحبست دارا اى وقفتها والرواية المشهورة انك مخلس باللام والمعنى انك
منهى للرحيل ومتخذ حلسا والحلس هو الكساء الذى يوضع تحت الرحل وهذا اشبه
بالمعنى الذى قصده البحترى واولى بان يختاره مع دقة طبعه وسلاسة الفاظه

مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت
دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتيهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتيهما فتعالى الله عما يشركون فقال اليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز
الشرك على الانبياء لانه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب ان يكون
قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما يرجع اليهما الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء قد تقدم
ذكر غيرهما فى قوله تعالى هو الذى خلقكم ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم وقد
تقدم ايضا ذكر ولد آدم فى قوله فلما آتيهما صالحا والمعنى فلما آتيهما ولدا صالحا والمراد
بهذا الجنس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما آتيهما جنسا من الاولاد
صالحين واذا كان الامر على ما ذكرناه جاز ان يرجع قوله جعلا له شركاء الى ولدهما وقد
تقدم ذكرهما فان قيل انما وجب رده الى آدم وحواء لاجل التثنية فى الكلام ولم يتقدم
ذكر اثنين الا ذكرهما قلنا ان جعل هذا ترجيحا فى رجوعه اليهما جاز ايضا ان يجعل

قوله في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون وجها مقويا لرجوع الكلام الى جملة الاولاد
ويجوز ان يكون اشير في التثنية الى الذكور والاناث من ولد آدم او الى جنسين منهم فحسنت
التثنية لذلك على انه اذا تقدم في الكلام امران ثم تلاهما حكم من الاحكام علم بالدليل استحالة
تعلقه باحد الامرين ووجب رده الى الآخر واذا علمنا ان آدم عم لا يجوز عليه الشرك
لم يجز عود الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولده وذكر ابو علي الجبائي ما نحن نورده
على وجهه قال انما عنى الله تعالى بها انه خلق بني آدم من نفس واحدة لان الاضمار في قوله تعالى
خلقكم انما عنى به بني آدم عم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لانه خلق حواء من آدم ويقال
انه خلقها من ضلع من اضلاعه فرجعوا جميعا الى انهم خلقوا من آدم وبين ذلك بقوله وخلق
منها زوجها لانه عنى به انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حواء وعنى بقوله فلما
تغشاها حملت حملا خفيفا وحملها هو حبلها منه في ابتداء الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف
عليها وعنى بقوله فمرت به ان مرورها بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر
الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله اثقلت وثقل عليها عند ذلك المشي والحركة
وعنى بقوله دعوا الله ربهما انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب نسلا
صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يونسونهما في الموضع
الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين فكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر
مستوحشا بلا مونس فلما آتاهما نسلا صالحا معافا وهم الاولاد الذين كانوا يولدون
لها لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فيقال انها ولدت خمسمائة بطن الف ولد
وعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي ان هذه النسل الصالح الذين
هم ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما آتاهما من نعمة واضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة
مع الله عز وجل من الاصنام والاوثان ولم يعن بقوله جعلا آدم وحواء عليهما السلام لان
آدم لا يجوز عليه الشرك بالله لانه نبي من انبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الانبياء عليهم السلام
لما جاز ان نثق احدنا بما تؤديه الانبياء اليه عن الله عز وجل لان من جاز عليه الكفر جاز عليه
الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يؤخذ باخباره فصح بهذا ان الاضمار في قوله جعلا انما يعني

النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكرا وانثى فلما كانوا صنفين جاز ان يجعل
اخباره عنهما كالاخبار عن الاثنين اذا كانا صنفين وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله
تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون فبين ان الذين جعلوا له شركاء هم جماعة فلهذا جعل
اضمارهم اضمار الجماعة فقال يشركون مضى كلام ابي علي وقد قيل في قوله فلما آتاهما صالحا
مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه اراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الا
عضاء وجه آخر وهو انه لو اراد الصلاح في الدين لكان الكلام ايضا مستقيما لان الصلاح
في الدين قد يجوز ان يكون بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي الآخر مشركا وهذا لا يتنافى
وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه
ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحواء الى ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فانصرف عن مخاطبة الرسول عم الى
مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول عم ثم قال وتسبحوه وهو
يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره
وبقول الهذلي يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر ولم يقل بياض
وجهه وقال كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت فخاطب ثم ترك
الخطاب وقال آخر فدى لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منه اتاني ولم يقل منك اتاني
ووجدت ابا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على ان الخطاب في جميعها غير متعلق بآدم
وحواء ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما وآتاهما صالحا راجعين
الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحدة لان
الاشارة في قوله خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى وجعل منها
زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص
راكب البحر بقوله وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية اخبرت عن جملة امر
البشر وانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء عليهما السلام

ثم اراد الذكر الى الذى سال الله تعالى ما سال فلما اعطاء اياه ادعى الشركاء فى عطيته
قال وجايز ان يكون عنى بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا
اذ كان كل بنى آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان يكون المعنى فى قوله
خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يجئ كثيرا فى القرآن
وفى كلام العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة اى فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن
اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس زوج هو منها
اى من جنسها فلما تغشيها اى فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو
ماء الفحل فمرت به اى مارت به والمور التردد والمراد تردد هذا الماء فى رحم هذه
الحامل فلما اثقلت اى ثقل حملها بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما
اى الرجل والمراة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما اتاهما صالحا اى اعطاهما ما سالا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه
فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى جعلا له شركاء اى طلبا من الله امثالا
للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء فى قوله له راجعة الى الصالح لا الى الله
تعالى يجرى مجرى قول القايل طلبت منى درهما فلما اعطيتك شركته باخر اى طلبت
آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب كله متوجها
الى آدم وحوا عليهما السلام **مجلس اخر تاويل آية** ان سال سائل عن قوله تعالى قال
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فقال اليس ظاهر هذا القول يقتضى
انه خالق لاعمال العباد لان ما ههنا بمعنى الذى فكانه قال خلقكم وخلق اعمالكم
الجواب قلنا قد حمل اهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله وما تعملون اى وما تعملون
فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها قالوا
وغير منكر ان يريد بقوله وما تعملون ذلك كما انه قد اراد بما ذكرناه بقوله اتعبدون
ما تنحتون لانه لم يرد انكم تعبدون نحتكم الذى هو فعل لكم بل اراد ما تعملون

فيه النحت كما قال تعالى فى عصا موسى عم تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا وانما
اراد ان العصا تلقف الحبال التى اظهروا سحرهم فيها وهى التى حلتها صنعتهم وافكهم
فقال ما صنعوا وما يأفكون واراد ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله
تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان وانما اراد المعمول فيه دون
العمل وهذا الاستعمال ايضا سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار
وفى الخلخال هذا من عمل الصائغ واذ كانت الاجسام التى اشير اليها ليست اعمالا لهم
وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل
فعلى وجه المجاز والاتساع لان العمل فى حقيقة لا يجرى الا على فعل الفاعل دون ما يفعل
فيه وان استعير فى بعض المواضع **قلنا** ليس بمسلم لكم ان الاستعمال الذى ذكرناه
على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذى لا يستفاد سواه لان القائل اذا قال
هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا احدا قط يقول فى الثوب
بدلا من قوله هذا هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول اولى بان يكون
حقيقة وليس ينكر ان يكون الاصل فى الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال
الى ما ذكرناه وصار اخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت الفاظ كثيرة
على هذا الحد ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ الا ما استقر عليه استعمالها دون
ما كانت عليه فى الاصل فوجب ان يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه على انا
لو سلمنا ان ذلك مجاز وجب المصير اليه من وجوه فيها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه
ولا يسوغ سواه ومنها ما تقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن الآية فمن ذلك انه
تعالى اخرج الكلام مخرج التهجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم فقال
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومتى لم يكن قوله وما تعملون المراد به
ما تعملون فيه لم يصر تقدير الكلام اتعبدون الاصنام التى تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه
الاصنام التى تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل فى باب التوبيخ
وبصير على ما يذكره المخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم

فاى وجه للتقريع وهذا الى ان يكون عذرًا اقرب من ان يكون لومًا وتوبيخًا واذا خلق
عبادتهم للاصنام فاى وجه للومهم عليها وتقريعهم بها على ان قوله تعالى والله خلقكم
وما تعملون بعد قوله اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره
تعالى فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرًا في المنع
من عبادة غير الله فلو افاد قوله ما تعملون نفس العمل الذى هو النحت دون المعمول
فيه لكان لا فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون
محل النحت ولانه كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام وكذلك ان حمل قوله
تعالى ما تعملون على اعمال اخر ليست نحتهم ولا هى ما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو
والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا انه اراد انه خلقكم وما تعملون
فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل لم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه
لم يكن للقول الثانى حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرتم
وجه في المنع من ذلك كما ان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان من خلقنا
وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذى يحق له العبادة وغير القديم تعالى
كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه الذى يخلقها القديم
عليه فصار لما ذكرناه تأثير قلنا معلوم ان الثانى اذا كان كالتعليل للاول والمؤثر
في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه اولى من ان ينصرف
الى ما ذكرتموه مما لا يقتضى اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه وانه لا شئ ادل على المنع
من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله
تعالى في موضع اخر ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرًا
ولا انفسهم ينصرون فاحتج عليهم تعالى في المنع من عبادة الالهة دونه بانها مخلوقة
لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضرًا ولا عنهم وهذا واضح على انه لو ساوى ما ذكروه
ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه عذرًا لهم في الفعل الذى
عنفوا به وقرعوا من اجله وقبيح ان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما ينزههم على

ما تقدم

على انا لا نسلم ان من يفعل افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم
القبائح ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا يحق العبادة له فخرج ما ذكرناه من ان يكون مؤثرا
في انفراده بالعبادة على ان اضافته العمل اليهم بقوله تعملون يبطل تأويلهم الآية لانه
لو كان خالقا لها لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون
عملا لهم والله خلقه وهذه مناقضة لهم فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله
وما تعملون يقتضى الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى انى خالق
للمعدوم فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضى فكانه قال والله خلقكم وما
عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذى ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا
عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون بغير حجة فان قالوا
فانتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ
الماضى قلنا لا نحتاج نحن في تأويلنا الى ذلك لانا اذا حملنا قوله وما تعملون على
الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز ان يقول
تعالى انى خلقتها ولا يجوز ان يقول انى خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد
بذلك اعمالهم لا ما عملوا فيه على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق
هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدره
ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه
ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدرها ومعرف لنا مقاديرها وما به يستحق عليه
من الجزاء وليس يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الايهام وفهم المراد
وهذا كله ما تقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شئ مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله
وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه
للادلة العقلية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له
سوانا وكل هذا واضح بين بحمد الله قال قدس الله روحه وانى لاستحسن لبعض نساء
بنى اسد قولها الم ترنا غبنا ماؤنا زمانا فظلنا نكد البئار فلما عدا الماء اوطانه

وجف الثماد فصارت حرارا وضجت الى ربها فى السماء رؤس العضاه تناجى السرارا
وفتحت الارض افواهها عجيج الجمال وردن الجفارا لبسنا الدعطن ليلة على اليأس
اثوابنا والخمارا وقلنا اعيروا الندى حقه وصبر الحفاظ وموتوا احرارا فان الذى
لعسى مرة يرد الى اهله ما استعارا فبتنا نوطن احشاءنا اضاء لنا عارض فاستطارا
واقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا تغنى وتضحك حافاته
خلال الغمام وتبكى سرارا كانا نضئ لنا ناجرة نشد اذانا ونلقى ازارا فلما خشينا بان
لا نجاء وان لا يكون قرار قرارا اشار له امر فوقه هلم فام الى ما اشارا وانشد ابو هفان
لولادة المهزمية لولا اتقاء الله قمت بمفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامى بابوة فى الجاهلية
سادة بذوا العلى امراء فى الاسلام جادوا فسادوا واماجد اذا هم لنداهم بذل لدى الاقوام
قد انجبوا فى السوددين وانجبوا بنجابة الاخوال والاعمام قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم
عنهم فاخرس دون كل كلام وقالت امراة من بنى سعد بن بكر ايا اخوى الملزقى ملامة
اعيذكما بالله من مثل ما بيا سالتكما بالله الا جعلتما مكان الاذى واللوم ان تأويا ليا
ايا ساحب الهلالى قاتلى شطون النوى يحتل عرضا يمانيا اشم كغصن البان نجد مرجل
شغفت به لوكان اسرا مدانيا فان لم اوسد ساعدى بعد هجعة غلاما هلاليا فشلت بنانيا
ثكلت ابى ان كنت ذقت كريقه لشئ ولا ماء الغمامة غاديا ولضاحية الهلالية ام كبير لمة
ثم شمرت به جلة يطلبن برقا يمانيا الا ليتنا والنفس تسكن للمنى يمانون ان امسى حبيب
يمانيا وانى لاهوى القصد ثم يردنى عن القصد ميلات الهوى فاميل وما وجد مسجون
بصنعاء موثق بساقيه من حبس الامير كبول وما ليل مولى مسلم بجريرة له بعد ما نام
العيون عويل باكثر منى لوعة يوم راعنى فراق حبيب ما اليه سبيل ولعمرة بنت العجلان
اخت عمرو ذى الكلب بن العجلان الكاهلى ترثى اخاها عمروا وكان فى بعض غاراته نائما
فوثب عليه نمران فاكلاه فوجدت فهم سلاحه عليه فادعت قتله سالت بهروا حى
صحبه فانطقنى حين ردوا السؤالا فقالوا اتيح له نائما اعز السباع عليه احالا
اتيح له نمرا اجبل فنالا لعمرك منه سنالا فاقسمت يا عمرو لو نبهاك اذن نبها منك امرا

عضالا

عضالا اذن نبها ليث عريسة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا هزبرا فروسا لاعدائه
هصورا اذا لقى القرن صالا هماما مع تصرف ريب المنون من الارض ركنا ثبيتا امالا
هما يوم حم له يومه وقال اخو فهم بطلا وفالا معنى قال اخطأ يقال رجل فائل الرأى
وفالا قتلناه فى غاره بآية ما ان ورثنا النبالا كانهما بهزو رجل يقابل بهم وتكذبهم اى معلا
اذ ورثتم النبال فهلا ومن قبل ريب المنون فقد كان رجلا وكنتم رجالا يقال رجل ورجل
وقد علمت فهم يوم اللقاء بانهم لك كانوا نفالا كانهم لم يحسوا به فيخلوا النساء له والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين به فيكونوا عليه عيالا وقد علم الضيف والمجتدون اذا اغبرا
افق وهبت شمالا وخلت عن اولادها المرضعات ولم ترعين لمزن بلالا بانك كنت
الربيع المغيث لمن يعتريك وكنت الثمالا وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى
الكلالا فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا وخيل سمت لك فرسانها
فولوا ولم يستقلوا قبالا وكل قبيل وان لم يكن اردتهم منك باتوا وبالا مجلس آخر
تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان
الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال اليس ظاهر هذه الآية يقتضى ان نصح
النبى عم لم ينفع الكفار الذين اراد الله بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب
قلنا ليس فى هذه الآية ما يقتضى خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية او ارادها
وانما اخبر ان نصح النبى عم لا ينفع اذ كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك
او جواز وقوعها لا دلالة عليه فى الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب
ويشهد بصحة ما ذكرناه فى هذه اللفظة قول الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغى لائما فكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يعاقبكم بسوء عملكم
وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحى ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا
وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الآية
يشهد لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء

وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي الآية فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال الجعفر بن حرب ان الآية تتعلق بانه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم اذ كان القول كما تقولون من ان الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا فانتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها اذ كان الله يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وامنتم به لان من حكم الله تعالى ان لا يقبل الايمان عند نزول العقاب وكل هذا واضح في زوال الشبهة في الآية قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول ابي تمام الطائي في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه وحرقه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق اذا رطارت لها شعل يهدم لفحها اركانه هدما بغير عبار فصلن منه كل مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكل فقار مشبوبة رفعت لاعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للسارى صلى لها حيا وكان وقودها ميتا ويدخلها مع الكفار وكذا اهل النار في الدنيا هم يوم القيمة جل اهل النار يا مشهدا صدرت بفرحيه الى امصارها القصوى بنو الامصار رمقوا اعالي جذعه فكانما رمقوا الهلال عشية الافطار واستنشقوا منه قتارا نشره من عنبر ذفر ومسك دارى وتحدثوا عن هلكه كحديث من بالبد وعن متتابع الاسطار وقد كان بوّاه الخليفة جانبا من قلبه حرما على الاقدار فسقاه ماء الخفض غير مصرد وانامه في الامن غير غرار ولقد شفا الاحشاء من برحائها ان صار بابك جار مازيار ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذ هما في الغار وكانما انتبذا لكيما يطويا عن ناطس خبرا من الاخبار سود اللباس كانما نسجت لهم ايدي السموم مدارعا من قار بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابدا على سفر من الاسفار كادوا النبوة والهدى

فنقطعت

فنقطعت اعناقهم في ذلك المضمار وله ايضا يذكر صلب بابك لما قضى رمضان منه قضاه شالت به الايام في شوال ما زال مغلول العزيمة سادرا حتى غدا في القيد والاغلال مستبسلا للبأس طوقا من دم لما استبان فظاظة الخلخال اهدى لمتن الجذع متنيه كذمن عارف متن الاسمر العسال لا كعب اسفل موضعا من كعبه مع انه عن كل عال سام كان العز يجذب ضبعه وسموه من ذلة وسفال متفرغ ابدا وليس بفارغ من لا سبيل له الى الاشغال قال السيد قدس الله روحه ومن عجيب الامور ان ابا العباس احمد بن عبيد الله ابن عمار ينشد هذه الابيات المفرطة في الحسن في جملة مقابح ابي تمام وما اخرجه بزعمه من غلطه وسقطه ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب اغث من هذا الوصف واين كان عن مثل قول ابرهيم بن المهدي يصف امر بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم ازال يعنف بالنعمى فنفرها عنه المعوط ووافته الاراصيد حتى علا حيث لا يحط مجتمعا كما علا ابدا ما اورق العود يا بقعة ضربت فيها علاوته وعينه وذوت اغصانه الميد بوركت ارضا واوطانا مباركة ما عنك في الارض للتقديس تعريد لو تقدد الارض حجتك البلاد فلا يبقى على الارض الا جلمود لم يبك ابليس الا حين ابصره في دية وهو فوق الفيل مصفود كناقة النحر تزهى تحت زينتها وحد شفرتها للنحر محدود ما كان احسن قول الناس يومئذ ايوم بابك هذا ام هو العيد صيرت جثته جيدا لباسقة جرداء والرأس منه ماله جيد فاض تلعب هوج العاصفات به على الطريق صليبا طرفه عود كانه سلوكبش والهواء له نور شاوية والجذع سفود وهكذا ينبغي ان يطعن على ابيات ابي تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط في تقريظها ولبت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك اولى به وابيات ابي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك واطراد النسج وابيات ابن المهدي مضطربة الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز ان يوضع عليه اليد الا قوله حتى علا حيث لا يحط مجتمعا كما علا ابدا ما اورق العود وبعده البيت الاخير وان كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم بن الوليد في قوله ما زال

يعنف بالنعمى ويغمطها حتى استقل به عود على عود نصبته حيث ترتاد الرياح به
وتحسد الطير فيه اضبع البيد وللبحترى فى هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها ابا سعيد
اولها لا دمنة بلوى خبت ولا طلل يرد قولا على ذى لوعة يسل ان عز دمعك فى اثى
الرسوم فلم يصب عليها فعندى ادمع ذلل هل انت يوما معيرى نظرة فترى فى دجل
يبرين عيرا اسيرها هارمل حثوا النوى بحداة مالها وطن غير النوى وجمال مالها
عقل يقول فيها نحمله البرد من اقصى الثغور الى ادنى العراق سراعا ريثها عجل يسرمز رآه
منكوسا تجاذبه ايدى الشمال فضولا كلها فضل امسى يرد حريق الشمس جانبه
عن بابك وهى فى الباقين تشتمل نغا وتوابين مرفوع ومنخفض على مراتب ما قالوا
وما فعلوا ردّ الهجير لجاهم بعد شعلتها سودا نعادلها اشبابا بعدما اكتهلوا اسماله
حابل الاساد فى لة من المنايا فامسى وهو محتبل حالى الذراعين والساقين لو صدقت
له المنى النمى انها عطل من تحت مطبق باب الشام فى نفرا سرى يودون ودّا انهم قتلوا
غابوا عن الارض انأى غيبة وهم فيها فلا وصل الا الكتب والرسل وله فى هذا المعنى ماذلت
تقرع باب بابك بالقنا وتزوره فى غارة شعوا وحتى اخذت بنصل سيفك عنوة منه
الذى اعيا على الامراء اخليت منه البذ وهى قراره ونصبته علما بسامراء لم يبق فيه خوف
باسك مطعما للصبر فى عود ولا ابداء فتراه مطردا على اعواده مثل اطراد كواكب
الجوزاء مستشرفا للشمس منتصبا لها فى اخريات الجذع كالحرباء مجلس اخر تاويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف اخبر تعالى بانه
انزل فيه القرآن وقد انزله فى غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضى
انه انزل الجميع فيه وما المعنى فى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل اراد الاقامة
والحضور اللذين هما ضد الغيبة او اراد المشاهدة والادراك الجواب قلنا اما قوله تعالى
انزل فيه القرآن فقد قال قوم ان المراد به انه تعالى انزل القرآن جملة واحدة الى سماء
الدنيا فى شهر رمضان ثم فرق انزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب

بما ندعوا

ما ندعوا الحاجة اليه وقال آخرون المراد بقوله انزل فيه القرآن انه انزل فى فرضه
وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى فى فرضه كما يقول القائل انزل الله فى
الزكوة كذا وكذا يريد فى فرضها وانزل الله فى الخمر كذا وكذا يريد فى تحريمها وهذا الجواب
انما هرب متكلفه من شئ وظن انه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان
عليه لان قوله القرآن اذا كان يقتضى ظاهره انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب
ان يكون قد انزل فى فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم ان قليلا من القرآن يتضمن
ايجاب صوم شهر رمضان وان اكثره خال من ذلك فان قيل المراد بذلك انه انزل فى
فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على انه تعالى
انزل شيئا من القرآن فى شهر رمضان ولم يحتج الى ان تجعل لفظة فيه بمعنى فى فرضه
وايجاب صومه والجواب الصحيح ان قوله تعالى القرآن فى هذا الموضع لا يفيد العموم
والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير الكلام فاى شئ نزل منه فقد طابق الظاهر
معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر
الذى انزل فيه هذا الجنس من ص
وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق
لانا لو سلمنا ان الالف واللام صفة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس
لم يجب ان يكون ههنا بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل فى مواضع كثيرة من الكلام
ولا يفاد بها اكثر من الاشارة الى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون
حمل كلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالناقض لغرضه والمنافى لمراده الا ترى ان
القائل اذا قال فلان ياكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم اللصوص وخاطب الجند لم يفهم
من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير معنى خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان ياكل
جميع اللحم او يشرب جميع الخمر او بعضها لكان جوابه اننى لم ارد عموما وخصوصا وانما اردت
انه ياكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامى العموم
او الخصوص فهو بعيد من فهم مرادى واري كثيرا من الناس يغلطون فى هذا المواضع
فيظنون ان الاشارة الى الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى
يحملوا قول من قال اردت الجنس فى كل موضع على العموم وهذا بعد ممن يظنه لانه كما ان العموم

والخصوص مفهومان في بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة الى الجنس و
والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا امثلة ذلك فاما
قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاكثر المفسرين حملوه على ان المراد بمن شهد
من كان مقيما في بلده غير مسافر وابو علي حمله على ان المراد به فمن ادرك الشهر وشاهده
وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد الى معنى الادراك والمشاهدة
وقد طعن قوم على تاويل ابي علي وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر
على ما ظنوه لان الكلام يحتمل الوجهين معا وان كان للقول الاول ترجيح ومزية على الثاني
من حيث يحتاج في الثاني من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه في الاول لانه على القول الاول
لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر لان قوله فمن شهد يقتضي الاقامة وانما
يحتاج مع كل ما اضمرناه في القول الاول الى اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد
الشهر وهو مقيم مطيق بالغ الى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الاول اقوى
وليس لاحد ان يقول ان شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على اقامة وذلك انه
الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف افاد الاقامة في البلد
وهو عندهم ضد الغائب والمسافر وان كانوا ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد
لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففي اطلاق شهد دلالة على الاقامة
من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله قال السيد قدس الله روحه
ووجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابي تمام قوله لما استحر الوداع المحض وانصرمت
اواخر الصبر الا كاظما وجما رايت احسن مرئي واقبحه مستجمعين لي التوديع والعنما
قال ابو العباس وهذا قد ذم مثله من شاعر متقدم وهو انه جمع بين كلمتين احداهما
لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت وقد رأينا بها حورا منعمة رودا تكامل فيها الدل
والشنب فقيل له اخطأت وباعدت بقولك الدل والشنب الا قلت كقول ذي الرمة
بيضاء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب قال فقال الطائي مستجمعين
لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح عاقبته وهي الفراق

وجعل

وجعل المنظر الحسن للخضاب وشبهه بالعنم ولم يذكر الانامل المخضبة وانما سمع قول
المجنون ويبدي الحصا منها اذا قذفت به من البرد اطراف البنان المخضب قال وهذا هو
الاصل استعاره الناس من بعد فقال الشاعر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف
الاكف عنم واغرب ابو نواس في قوله تبكي فتذري الدر من طرفها وتلطم الورد بعناب
قال فلم يحسن هذا العلج ان يستعير شيئا من محاسن القائلين قال السيد قدس
الله روحه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على ابي تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين
وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب وهو برد الاسنان ونطرق
عليه بذلك بعض العيب وابو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما اشار به
الى ما اشارت اليه باصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك اصابعها بالعنم
والعنم نبت اغصانه غضة دقاق تشبه الاصابع وقيل ان العنم واحدته عنمة وهي
العظاية الصغيرة البيضاء وهي اشبه شيء بالاصبع البيضاء الغضة وهذا حكاه
صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه به الاصابع المخضوبة فوجه
حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما لذكر
فلا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه به احسن
وافصح من ان يقول التوديع والانامل التي تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا يستقبح
وانما تستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة للشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا
كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا محالة انه مكروه مستقبح وقوله
تستقبح عاقبته صحيح الا انه ما يعقبه ويثمره لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا
عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول
الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ما في عواقبها من المكروه فان من قدم اليه
طعام مسموم واعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان
ملذا في الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهيتها للوداع وهربها منه لما تتصور فيه من الم
الفرقة وغصص الوحشة وهذا مشهور معروف وقد قال ابو تمام الالفة النحب كم افترقت

اظل فكان داعية اجتماع وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع فجعل
للوداع ترحا يقابل روح الاياب وهذا صحيح فاما قول جرير التميمي اذ تودعا سليمى
بفرع بشامة سقى البشام فانه دعا للبشام وهو شجر بالسقيا لانها ودعته عنده
فسر بتوديعها وقول الشاعر من يكن يكره الفراق فانى اشتهيه لموضع التسليم ان فيه
اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة لقدوم فمن شان الشعراء ان يتصرفوا فى المعانى
بحسب اغراضهم وقصودهم فاذا راى احدهم مدح شئ قصد الى احسن اوصافه
فذكرها واشاد بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك الوصف الحسن واذا اراد ذمه
قصد الى اقبح احواله فذكره حتى كانه لا شئ فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده
ولهذا ترى احدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر
معه اطول وما اشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف ما فيه من الادناء الى الاجل
وانه آخر الالوان وابغضها الى النساء وما اشبه ذلك وهذه سبيلهم فى كل شئ
وصفوه ولمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار
بالفراق وبعد الدار فقد ذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب
والسرور بالنظر اليه وان كان يسيرا فقد ذهب ايضا مذهبا ومن غلط ابن عمار
القبيح قوله بعد ان انشد شعر المجنون قال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد
فقال الشاعر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم وهذا البيت
للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن
وانما اختص به محمد صلى الله عليه وآله الجواب قلنا قد ذكر فى ذلك وجوه اولها ان يكون
الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التورية فلا يكون ههنا اسما للفرقان
المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ويحسن نسقه على الكتاب بالمخالفة للفظه كما قال تعالى

الكتاب

الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان يفرق
بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة فما لى ارانى وابن
عمى مالكا متى ادن منه ينا عنى ويبعد فنسق يبعد على ينائ وهو هو بعينه وحسن
ذلك اختلاف اللفظين وقال عدى بن زيد وقددت الاديم لراهشيه والفى قولها
كذبا ومينا والمين الكذب وثانيها ان يكون الكتاب عبارة عن التورية والفرقان انفراق
البحر الذى اوتيه موسى عم وثالثها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام او الفرق
بين موسى عم واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق
بينهم فى امور كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان المراد
الفرقان المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله ويكون المعنى فى ذلك وآتينا موسى التورية
والتصديق والايمان بالفرقان الذى هو القرآن لان موسى عم كان مؤمنا بمحمد صلى الله
عليه وآله وبما جاء به مبشرا ببعثته وساغ حذف القبول والايمان والتصديق وما جرى
مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ فى قوله تعالى وسئل القرية وهو يريد اهل القرية
وخامسها ان يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى
الكتاب الذى هو التورية وآتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام
كما حذف الشاعر فى قوله تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان له وفر اراد
ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر تسمع للاحشاء
منه لغطا ولليدين جساة وبددا اى وترى لليدين لان الجساة والبدد لا يسمعان
وانما يريان وقال الآخر علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها اراد وسقيتها
ماء باردا وقال علفت على سقيت وقال الآخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا
ورمحا اراد وحاملا ووجدت ابا بكر ابن الانبارى يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات
على هذا الوجه لا يجوز لان الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية
اكتفى فيها باسم دون اسم والامر وان كان على ما قاله فى الاسم والفعل فان موضع
الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء فى الابيات بفعل عن فعل انما حسن من حيث دل الكلام

على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف نحو يدل على ان المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه
وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد زال والشبهة قد امنت
في المراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسماً للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن
انما انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله دون موسى (ع) استغنى عن ان يقال وآتينا محمداً
الفرقان كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقا عينيه وترى لليدين جساة وبددا
وما شاكل ذلك الا انه يمكن ان يقال في ما استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال
مثله في الآية وهو انه يقال لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت
منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى الجدع
هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال تراه كان
الله يفسد انفه ويشوهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان السامع للفظ من الاحشاء
عالما به عطف على المعنى فقال ولليدين جساة وبددا اي انه يعلم هذا وذاك معاً وكذلك
لما كان في علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لانه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد
للسيف حاملا له جاز ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اولى في الطعن على الاستشهاد
بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا
محمد بن يحيى الصولي قال اخبرني يحيى بن علي بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي
قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله
القسري قال فالفيته جالسا على كرسي في بركة ماؤها الى الكعبين فدعا لي بكرسي فجلست
عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان اوطا بقلبي واحب الي منك فقلت
يا امير المؤمنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال ما خالد ان خالداً
ادل فامل واوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا لعودة موضعا ثم قال الا اخبرك
عنه يا ابن صفوان قلت نعم قال اما انه ما بدأني بسؤال حاجة مذ قدم العراق حتى اكون انا
الذي ابداه بها قال خالد فقلت له فذلك احرى ان ترجع له فقال متمثلا اذا انصرفت
نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل ثم قال لي حاجتك يا ابن صفوان فقلت

تزيدني

تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك عليها
ام لبلاء وحسن البلية امير المؤمنين ام لماذا يا ابن صفوان اذن يكثر السؤال فلا يحتمل
ذلك بيت المال قال فقلت يا امير المؤمنين وفقك الله وسدد لسانك والله كما قال اخو
خزاعة انا المال لم توجب عليك عطاءه قرابة قربى او صديق توامقه منعت وبعض
المنع حزم وقوة ولم تغتلذك المال الا حقائقه فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي
حملك على تزيين الامساك له قال احببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه قال السيد قدس
الله روحه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة وبالاسناد المتقدم عن المدائني
قال قال حفص بن معاوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت
وانت من ايسر اهل البصرة فلا تبكيك الا الاماء قال فابغني امرأة قلت صفها لي
اطلبها لك قال اريد بكراً كثيب او ثيباً كبكر لا ضرعا صغيرة ولا مسنة كبيرة
لم تقرا فتحتن ولم تفت فتمجن قد نشأت في نعمة وادركتها خصاصة فادبتها الغنى
واذلها الفقر حسبي من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها
ان تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنة ان عشت اكرمتها وان مت ورثتها
لا ترفع رأسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض سقوطا فقلت يا ابا صفوان ان الناس
في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها وكان يقول ان المروة لو خف محملها
وقلت مؤونتها ما ترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤونتها
فاجتباها الكرام وحاد عنها اللئام وكان خالد من اشح الناس وابخلهم كان اذا اخذ
جائزة او غيرها قال للدرهم اما والله لطالما اعزت في البلاد وانجدت والله لاطيلن
ضجعتك ولاديمن صرعتك وساله رجل من بني تميم فاعطاه دانقا فقال يا سبحان
الله اتعطي مثلي دانقا فقال انه لو اعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما اعطيتك لرحت
ذا مال عظيم وساله رجل فاعطاه درهما فاستقله فقال يا احمق اما علمت ان الدرهم
عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية مسلم وكان
يقول والله ما تطيب نفسي بانفاق درهم الا درهما قرعت به باب الجنة او درهما

اشتريت به موزا وقال لان يكون لي ابن يحب الخمر احب الي من ان يكون لي ابن يحب اللحم لانه متى طلب لحما وجده والخمر تتعب احيانا وكان يقول من كان ماله كفافا فليس بغني ولا بفقير لان النائبة اذا نزلت اجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لان يكون لاحدكم جار يخاف ان ينقب عليه بيته خير له من ان يكون له جار من التجار ولا يشاء ان يعطيه مالا ويكتب به صكا الا فعل **مجلس اخر تاويل آية** ان سال سائل عن قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم بانهم لا يكذبون نبيه ومعلوم منهم اظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآياته الا تكذيب نبيه عليه السلام **الجواب** قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب لانا نعلم انه قد كان في المخالفين له من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان الرسول الله صلى الله عليه وآله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له اتصافح هذا الصبي فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله تعالى الآية وفي خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بابي جهل فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة ماذا يكون لسائر قريش والوجه الثاني ان يكون معنى الكلام فانهم لا يكذبونك اي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول فلان لا يستطيع ان يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد انه لا يتمكن

من اقامة دليل على كذبه وحجة في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به وروي عن امير المؤمنين عم انه كان يقرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحق هو احق من حقك وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا الوجه وسنبين ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة والوجه الثالث ان يكون معنى الآية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يلفونك متقولا كما يقولون قاتلته فما اجبنته اي ما وجدته جبانا وحدثته فما اكذبته اي لم الفه كاذبا وقال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد انه صادف منها خلفا للوعد ومثله اصممت القوم اذا صادفتهم صما واخليت الموضع اذا صادفته خاليا قال الشاعر اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن فاخليت فاستعجمت عند خلائي اي اصبته مكانا خاليا ومثله لهميان بن ابي قحافة يبس انيابا له لو لجا او اسعن من اشداقه المضارجا يعني باوسعن اصبن منابت واسعة فنبتن فيها وقال عمرو بن براقة تخالف اقوام على ليسمنوا وجروا على الحرب اذ انا سالم يقال اسمن بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمنا قال ابو النجم مستاسدا ذبابه في غيطل يقلن للرائد اعشبت انزل اي اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا اي وجد فتقا من السحاب وليس لاحد ان يجعل هذا الوجه مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لانه في الوجهين معا يمكن هذا الجواب لان افعلت وفعلت يجوزان في هذا المواضع وافعلت بالتخفيف هو الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا وافادة لمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت واوصيت ووصيت وابلغت وبلغت وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى اكثر الوجه الرابع ما حكى الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه كان عندهم امينا صادقا لم يجربوا عليه كذبا وانما

كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون انه فى نفسه كذب وفى الناس من يقوى هذا الوجه
وان القوم كانوا يكذبون ما اتى به وان كانوا يصدقونه فى نفسه بقوله ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وهو
للحق وكان الكسائى يقرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة
والباقون على التشديد ويزعم ان بين اكذبت وكذبت فرقا وان معنى اكذبت الرجل
انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب فى كل حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت و
وافعلت فى هذه الكلمة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان التشديد يقتضى
التكرار والتأكيد ومع هذا لا يجوز ان يصدقون فى نفسه ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم
انه صلى الله عليه واله كان يشهد بصحة ما اتى به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذى
لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا فى خبره وكان الذى اتى به فاسدا
بل ان كان صادقا فالذى اتى به حق صحيح وان كان الذى اتى به فاسدا فلا بد ان يكون
فى شئ من ذلك كاذبا وهذا تاويل من لا يتحقق المعانى والوجه الخامس ان يكون
المعنى فى قوله فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع الى وعائد على ولست المختص به لانه
رسول الله فمن كذبه فهو فى الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهذا كما يقول احدنا
لرسوله امض فى كذا فمن كذبك فقد كذبنى ومن دفعك فقد دفعنى وذلك من الله
تعالى على سبيل التسلية لنبيه عم والتعظيم والتغليظ لتكذيبه والوجه السادس ان يريد
فانهم لا يكذبونك فى الامر الذى توافق فيه كتبهم وان كذبك بعضهم وهم الظالمون
الذى ذكر فى اخر الاية انهم يجحدون بايات الله لان الله تعالى انما سلى نبيه عم بهذا القول
وعزاه فلا ينكر ان يكون عم لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم اياه بالرد وظن
انه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه فيهم اخبره الله تعالى بان البعض وان كذبك
فان فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بارشادك وهدايتك وهذا واضح والمنة
لله قال السيد قدس الله روحه ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعى يا ايها
الرجل المحول رحله الا نزلت بال عبد مناف هبلتك امك لو نزلت عليهم ضمنوك

من جوع

من جوع ومن اقراف الآخذون العهد من افاقها والراحلون لرحلة الايلاف والمطعمون
اذا الرياح تناوحت ورجال مكة مسنتون عجاف والمفضلون اذا المحول ترادفت
والقائلون هلم للاضياف والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافى كانت
قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف اما قوله والراحلون لرحلة الايلاف
فكان هاشم صاحب ايلاف قريش للرحلتين واول من سنهما فالفوا الرحلتين فى
الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفى الصيف الى الشام وفى ذلك يقول ابن الزبعرى
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف وهو الذى سن الرحيل
لقومه رحل الشتاء ورحلة الاضياف فاما المسنتون فهم الذين اصابتهم السنة
المجدبة الشديدة وقوله والخالطون غنيهم بفقيرهم من احسن الكلام واخصره
وانما اراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ذا ثروة ولاحمد بن يوسف
ابيات على هذا الوزن والروى يمدح بها مع ولد سعيد بن سلم الباهلى وكان لهم
صديقا ابنى سعيد انكم من معشر لا يعرفون كرامة الاضياف قوم لباهلة بن يعصر
ان هم نسبوا حسبتهم لعبد مناف قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا زادا لعمر ابيك
ليس بكاف وكانني لما حططت اليهم رحلى نزلت بابرق العزاف بينا كذلك اذا اتى
كبراؤهم يلحون فى التبذير والاسراف اراد بقوله قرنوا الغداء الى العشاء نحلهم
واقتصادهم واختصارهم فى المطعم ويقال ان هذا الشعر حفظ وصار اكثر ما يسبون
به ويسب قومهم ولرب مزح جر جدا وعثرة الشعر لا تستقال والشعر يبقى بحسب
جودته ولقد احسن دعبل فى قوله نعونى ولما ينعنى غير شامت وغير عدو وقد
اصيبت مقاتله يقولون ان ذاق الردى مات شعره وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضى ببيت يحمد الناس امره ويكثر من اهل الرواية حامله يموت ردى الشعر من قبل
ربه وجيده يبقى وان مات قائله ولآخر فى هذا المعنى لا تعرضن بمزح لامرئ فطن
ما راضه قلبه اجراه فى الفم فرب قافية بالمزح جارية مشؤومة لم يرد انماؤها نمت
انى اذا قلت بيتا مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت **مجلس اخر تاويل اية** انه سأله

سايل عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف
كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا
على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقال كيف
يقع من اهل الآخرة نفي الشرك عن انفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون ومع ذلك
انهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شئ من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولانهم
ملجئون هناك الى ترك جميع القبايح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وانهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو
التمني لانهم تمنوا ولم يخبروا **الجواب** قلنا اول ما نقوله انه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي
ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الآخرة دون الدنيا واذا لم يكن ذلك في الظاهر
جاز ان يكون الاخبار تناول حال الدنيا وسقطت المسالة وليس لاحد ان يتعلق
في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون واتبعت ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب
ان يكون الجميع مختصا بحال الآخرة لانه لا يمتنع ان تكون الآية تناول ما يجري في الآخرة
ثم تتلوها آية تتناول ما جرى في الدنيا لان مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير
واجب وقوله ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ان ذلك يكون واقعا بعد ما خبر
عنه في الآية الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالتهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد
انا ما كنا عند نفوسنا مشركين بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد
انظر كيف كذبوا على انفسهم لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل اراد انهم
كذبوا على انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس
في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون

دنيا

ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل
الآخرة لا يجوز ان يكذبوا لانهم ملجئون الى ترك القبايح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم
يا ليتنا نرد وقوله انهم لكاذبون فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف
قوله وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني لا يصح معه الصدق والكذب
وانما يدخلان في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقني ولدا وليت
فلانا اعطاني مالا افعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه او لم يقع
فيجوز على هذا ان يكون قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه قال
وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يريد
انهم كاذبون ان اخبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما حكي
عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على غير
الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم
وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك كذب املك واكدى رجاؤك
وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام
للسيف قائم وقال الآخر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب
ولم يرد الكذب في الاقوال بل في التمني والامل وليس لاحد ان يقول كيف يجوز من
اهل الآخرة مع معارفهم الضرورية وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا لا سبيل
اليه ان يتمنوه وذلك انه غير ممتنع ان يتمنى المتمني ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع ولهذا
يتعلق التمني بان لا يكون ما قد كان ولقوة اختصاص التمني بما يعلم انه لا يكون غلط
قوم فجعلوا ارادة ما علم المريد انه لا يكون تمنيا فهذا الذي ذكرناه وجه في تاويل
الآية ومن الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون
ليتنا فكان تقدير الآية يا ليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد فانا لا نكذب بآيات
ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا
من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح بحمد الله اخبرنا ابو عبيد الله

محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا احمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا
حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا
ابو مسفر رجل منا من بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري على
البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة صديقا لي فقال لي اني كنت
ابغضه وامقته في الله فشكا الي قال دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمت
البرامكة في الذكر عند الرشيد فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد فجلس
قال فاوجست منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازي نجدي شافهت العرب وشا
فهتني وهذا شامي افتراه اشعر مني قال فجعلت ارفق نفسي الى ان استنشده
هرون فاذا هو والله من افصح الناس فدخلني له حسد قال فانشده قصيدة
تمنيت انها لي وان علي غرما قال فقلت له ما هي فقال احفظ منها ابياتا وهي امير المؤمنين
اليك خضنا غمار الموت من بلد شطير بخوص كالاهلة جانفات تميل على السرى
وعلى الهجير حملن اليك احمالا اعظاما وسبل الصخر والدر النثير فقد وقف المديح
بمنتهاه وغايته وصار الى المصير الى من لا تشير الى سواه اذا ذكر الندى كف المشير
قال مروان فوددت انه اخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد
امير المؤمنين علي رض فاحسن التخلص ورأيت هرون يعجب بذلك فقال بذلك في
رقاب بني علي ومن ليس بالمن اليسير فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير وقد سخطت لسخطتك المنايا
عليه فهي حائمة النسور ولو كافات ما اجترحت يداه دلفت له بقاصمة الظهور
ولكن جل حلمك واجتباه على العفوات عفو من قدير فعاد كانما لم يجن ذنبا وكان
تداجني حسك الصدور وانك حين تبلغهم اذاة وان ظلموا لمحترق الضمير
وان الرشيد قال لما سمع هذا البيت منه هذا والله معنى كان في نفسي وادخله
بيت المال فحكمه فيه عدنا الى الخبر قال مروان وكان هرون يبتسم ويكاد يضحك للطف
ما سمع ثم اومأ الي ان انشده فانشدته قصيدتي التي اقول فيها خلوا الطريق لمعشر

عاداتهم

عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام حتى اتيت على اخرها فوالله ما عاج ذلك
الرجل بشعري ولا حفل به قالوا وانشده منصور يوما منذ ان هرون امام الهدى كنز من
من اجر ومن بر يريش ما تبري الليالي ولا تريش ايديهن ما يبري كانما البدر على
رحله ترينك منه مقلتا صقر قال وانشده ايضا ولمن اضاع لقد وجدتك حافظا
لوصية العباس بالاخوال قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلوا على عنده
فاني ما رأيت احسن من تخلصه اذا ذكر الطالبيين اخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله
الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمان الجاحظ قال كان منصور
النمري ينافق الرشيد ويذكر هرون في شعره ويريه انه من وجوه شيعته وباطنه
ومراده بذلك امير المؤمنين علي عم لقول النبي صلى الله عليه واله انت مني بمنزلة
هرون من موسى الى ان وشى به عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين
هو والله الذي يقول متى يشفيك دمعك من همول ويبرد ما بقلبك من غليل وانشده
ايضا شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل ومنصور يصرح
في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من بني فزارة وامره ان يضرب عنق منصور
حيث يقع عينه عليه فقدم الرجل رأس عين بعد موت منصور بايام قلائل قال المرزباني
ويصدق قول الجاحظ ان النمري كان يذكر هرون في شعره ويعني به امير المؤمنين
عليا رض ما انشدناه محمد بن الحسن بن دريد للنمري آل الرسول خيار الناس كلهم
وخير آل رسول الله هرون رضيت حكمك لا ابغي به بدلا لان حكمك بالتوفيق مقرون
وروي ان ابا عصمة الشيعي لما اوقع باهل ديار ربيعة وفد الى الرشيد فيهم منصور
النمري فلما صار بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه فاختاروا واحدا
بعد واحد الى ان اختاروا رجلين النمري احدهما ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان
النمري مؤدبا لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه
بين يدي الرشيد قال لهما قولا ما تريدان فاندفع النمري فانشده ما ينقضي
حسرة مني ولا جزع فقال له الرشيد قل حاجتك ودع عن هذا فقال اذا ذكرت

سبا با لبس بوجع وانشده القصيدة حتى اتى الى قوله ركب من النبى عادوا بابن عمهم
من هاشم اذا الح الازلم للجذع ستوا اليك بقربى سنك نعرفها لهم بها فى سنام المجد
مطلع ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع اذا رفعت امراءً فالله
رافعه ومن وضعت من الاقوام متضع نفسى فداؤك والابطال معلمة يوم الوغا
والمنايا بينهم قرع حتى اتى على اخرها فقال ويحك قل حاجتك فقال يا امير المؤمنين
اخربت الديار واخذت الاموال وهتك الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وامر له
بثلثين الف درهم واحتبسه عنده وشخص اصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر
فيه حتى استأذنه فى الانصراف فاذن له فانصرف ثم اتصل بالرشيد قوله شاء من الناس
راتع هامل يعللون النفوس بالباطل تقتل ذرية النبى ويرجون خلود الجنان للقاتل
ما الشك عندى فى كفر قاتله لكننى قد اشك فى الخاذل فاستحضر الرشيد وانفذ
من يقتله فوجده فى بعض الروايات ميتا وفى الاخرى عليلا لما به فسئل الرسول ان
لا يأثم فيه وان ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفى وعاد بخبر موته الى هرون
وللنميرى لو كنت اخشى معادى حق خشيته لم تسم عينى الى الدنيا ولم تهجا ولو
دخولى فى سوادهم لقد طافوا بصدع غير ملتئم لكننى عن طلاب الدين محتبل و
العلم مثل الغنى والجهل كالعدم ما يغلبون النصارى واليهود على حب القلوب
ولا العباد للصنم مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى واذا الموؤدة
سئلت باى ذنب قتلت فقال كيف يصح ان يسال من لا ذنب له ولا عقل واى فائدة
فى سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن اى شئ اشتقاق هذه اللفظة
الجواب قلنا اما معنى سئلت ففيه وجهان احدهما ان يكون المراد ان قاتلها طولب
بالحجة فى قتلها وسئل عن قتله لها وباى ذنب كان على سبيل التعنيف والتوبيخ
واقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وانما المقتولة مسئول
عنها ويجرى هذا مجرى قولهم سالت حقى اى مطالبا به ومسئولا عنه والوجه الآخر
ان يكون السؤال توجه اليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له وللتنبيه

ع

على انه لا حجة له فى قتلها ويجرى هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عم ءانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله على طريق التوبيخ لقومه والحجة عليهم فان قيل
على هذا الوجه كيف يخاطب ويسال من لا عقل له ولا فهم والجواب ان فى الناس من زعم
ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال الغم عليه فى ذلك
الموقف على طريق العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموؤدة فهم له لان الخطاب
وان علق عليها وتوجه اليها فالغرض فى الحقيقة غيرها وهذا يجرى مجرى من ضرب
ظالم طفلا من ولده واقبل على ولده يقول لم ضربت وما ذنبك وباى شئ استحل
هذا منك وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل فالاولى ان يقال فى هذا ان الا
طفال وان كان من جهة العقول لا يجب فى وصولهم الاعواض المستحقة ان يكونوا
كاملى العقول كما يجب مثل ذلك فى الوصول الى الثواب فان الخبر متظاهر والامة
متفقة على انهم فى الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على اكمل الهيات وافضل الاحوال
وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لانها تكون فى تلك
الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله وان كان الغرض فيه التبكيت للقاتل واقامة
الحجة عليه وقد روى عن امير المؤمنين عم وابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد
ومسلم بن صبيح وابى الضحى ومروان وصالح وجابر بن زيد انهم قرؤا سالت بفتح السين
والهمزة واسكان التاء باى ذنب قتلت وروى القطعى عن سليمن الاعمش عن حفص
عن عاصم قتلت بضم التاء الثانية وفى سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروى
عن بعضهم واذا الموؤدة بفتح الميم والواو فاما من قرا بفتح السين فيمكن فيه الوجهان
اللذان ذكرناهما من ان الله تعالى اكملها فى تلك الحال واقدرها على النطق والوجه الآخر
ان يكون معنى سالت اى سئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكانها
هى السائلة تجوزا واتساعا ومن قرأ بفتح السين من سالت وبضم التاء الثانية
من قتلت فعلى انها هى المخاطبة بذلك ويجوز على هذا الوجه ايضا قتلت باسكان التاء
الاخيرة كقراءة الجماعة لانه اخبار عنها كما يقال زيد باى ذنب ضرب وباى ذنب

الى

عن ابى جعفر المدنى قتلت بالتشديد
واسكان التاء الثانية وروى

م سأل

ضربت ويقوى هذه القراءة في مسالت ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله
يجيء المقتول ظلما يوم القيامة واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح
المسك متعلقا بقاتله يقول رب سل هذا بم قتلني فاما القراءة المأثورة عن حفص
عن عاصم في ضم التاء الاخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها واذا الموؤدة
سئلت ما تبغي فقالت باي ذنب قتلت فاضمر قولها والعرب قد تضمر مثل هذا
لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم اى ويقولان ذلك ونظائره
في القرآن كثيرة جدا فاما قراءة من قرا قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل والموؤدة
وان كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس وارادة التكرار جائزة فاما من قرا
الموؤدة بفتح الميم والواو فعلى ان يكون المراد الرحم والقرابة وانه يسال قاطعها عن سبب
قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم فاما الموؤدة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بان
يدفنوهن احياء وهو قوله تعالى ايمسكه على هون ام يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر
الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لامرين احدهما
انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو احق بالبنات
والامر الآخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم قال السيد قدس الله روحه ووجدت ابا علي
الجبائي وغيره يقول انما قيل لها موؤدة لانها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى
ماتت وفي هذا بعض النظر لانهم يقولون من الموؤدة وادت اءد واوالفاعل وائد
والفاعلة وائدة ومن الثقل يقولون آدني الشيء يؤودني اذا اثقلني اودا وروى
عن النبي صلعم انه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفي وقد روى عن جماعة من الصحابة
كراهية ذلك وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ بما روى عنه عم انه
قيل له ان اليهود يقولون في العزل هي الموؤدة الصغرى فقال كذبت يهود لو اراد الله

تعالى ان يخلقه ولم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز ان يكون قوله عم ذاك الواد
الخفي على طريق تاكيد الترغيب في طلب النسل وكراهية العزل لا على انه محظور محرم
وصعصعة ابن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب كان ممن فدى الموؤدات
في الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال انه احيا الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد
افتخر الفرزدق بهذا في قوله ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوءد وفي
قوله ومنا الذي احيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والاقارع وفي ذلك
يقول ايضا انا ابن عقال وابن ليلى وغالب وفكاك اغلال الاسير المكفر ليلى
ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان بن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن
عقال والمكفر الذي قد كفر وكبل بالحديد وكان لنا شيخان ذو القبر منهما وشيخ
اجار الناس من كل مقبر ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره وهو الذي اجار
الناس من المقبر واحيا الوئيد صعصعة على حين لا تحيى البنات واذ هم عكوف
على الاصنام حول المدور انا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه
بمعور ابي الماجد العينين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر اجار
بنات الوائدين ومن يجر على القبر يعلم انه غير مخفر وفارق ليل من نساء اتت به تعالج ١٢ انه
ريحا ليلها غير مقمر فارق يعني امرأة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي
الناقة يضربها المخاض فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع فقالت
اجيء لي ما ولدت فانني اتيتك من هزلى الحمولة مقتر راى الارض منها راحة فرمى
الى حد منها وفي شر محفر فقال لها نامي فاني بذمتي لبنتك جار من ابيها القنور
واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا
الغلابي عن العباس بن بكار الضبي عن ابي بكر الهذلي قال الصولي وحدثنا القسم
بن اسمعيل عن ابي عثمان المازني عن ابي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة ابن ناجية
جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد من بني تميم وكان صعصعة
منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى

فى بعض الرّواية اربع مائة جارية وفى رواية اخرى ثلثمائة فقال للنبى صلى
الله عليه وآله بابى انت وامى اوصنى قال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك
وادانيك ادانيك فقال زدنى يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله
احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال صلى الله عليه وآله ما شئ بلغنى عنك
فعلته فقال يا رسول الله رأيت النّاس يموجون على غير وجه ولم ادر اين الصواب
غير انى علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان ربهم عز وجل
لم يأمرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفى رواية اخرى ان صعصعة
لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله فسمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبى ما ابالى ان لا اسمع من القرآن غير هذا
ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوما عند سليمن بن عبد الملك فافتخرا فقال
الفرزدق انا ابن محيى الموتى فقال له سليمن انت ابن محيى الموتى فقال ان جدى
احيا الموؤدة وقد قال الله عز وجل ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
وقد احيا جدى اثنتين وتسعين موؤدة فتبسم سليمن وقال انك مع شعرك
لفقيه تأويل خبر ان سال سائل عن معنى الخبر الذى روى عن النبى صلى الله
عليه وآله انه نهى ان يصلى الرجل وهو زناء الجواب قلنا الزّناء هو الحاقن الذى
قد ضاق ذرعا ببوله يقال ازناء الرجل بوله فهو يزنيه ازناء وزناء بوله يزناه
زناء قال الاخطل فاذا دفعت الى زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار يعنى ضيق
القبر ويقال لاناث فلانا فان منزله زناء فيجوز ان يكون ضيقا ويجوز ان يكون
عسر المرتقى وكلاهما يؤل الى المعنى الواحد ويقال موضع زناء اذا كان ضيقا
صعبا من ذلك قول ابى زبيد يصف اسدا ابن عريسة عنابها اشب ودون غايتها
مستورد شرع شأس الهبوط زناء الحامين متى يشجع بوارده يحدث لها فزع
يعنى بزناء الحامين انه ضيق جانبى الوادى وقوله متى يشجع بواردة اى يضيق
بجماعة ممن يرده وانما يحدث لها فزع من الاسد والشأس الغليظ يقال مكان شأس

اذاكان

اذا كان غليظا ومن ذلك قولهم زناء فلان فى الجبل اذا كان بدا الصعود وهو يزناء فى
الجبل زناء وروى ابو زيد ان قيس بن عاصم المنقرى اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك
الصبى منفوسة وهى بنت زيد الفوارس ابن ضرار الضبى فجعل قيس يقول له اشبه
ابا امك او اشبه عمل ولا تكونن كهلوف وكل يريد عملى ولوكل الجبان والهلوف
الهرم المسن وهو ايضا الكبير اللحية وانما اراد به ههنا الجبان وارق الى الخيرات
زنأ فى الجبل فاخذته امه فجعلت ترقصه وتقول اشبه اخى او اشبهن اباكا
اما ابى فلن تنال ذاكا تقصر عن مناله يداكا مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل
عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك
رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم
كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب
الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة فقال ما تأويل
هذه الآيات وما معنى ما تضمنته الجواب اما ابتداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى
عليهم وما ازاح به علتهم فى تكاليفهم وما تفضل به عليهم من الآلات التى
يتوصلون بها الى منافعهم ويستدفعون بها المضار عنهم لان الحاجة ماسة
فى اكثر المنافع الدينية والدنياوية الى العين للرؤية واللسان للنطق والى الشفتين
لحبس الطعام والشراب ومسكهما فى الفم وللنطق ايضا فاما النجد فى لغة العرب
فهى الموضع المرتفع من الارض والغور الهابط منها وانما سمى الموضع من ارض العرب
نجدا لارتفاعه واختلف اهل التأويل فى المراد بالنجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما
طريقا الخير والشر وهذا الوجه يروى عن امير المؤمنين ع م وابن العباس
وابن مسعود وعن الحسن وجماعة من المفسرين وروى انه قيل لامير المؤمنين ع م
ان ناسا يقولون فى قوله تعالى وهديناه النجدين انهما الثديان فقال ع م لا بل هما
الخير والشر وروى الحسن انه قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايها
الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير

و روى عن قوم اخرين ان المراد بالنجدين ثديا الام كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم انه لا شرف ولا رفعة في الشر يجوز ان يكون انما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعا باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا ان يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير وقال قوم انما اراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه ماله وعليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على عادة العرب في تثنية الامرين اذا اتفقا في بعض الوجوه واجرى لفظ احدهما على الاخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع ولذلك نظائر كثيرة فاما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان احدهما ان يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم اى فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى اى لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان انعموا لا كدروها ولا كدروا وقلما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير لفظ لا لانهم لا يقولون لا جئتني وزرتني ويريدون ما جئتني فان قالوا لا جئتني ولا زرتني صلح الا ان في الاية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا فكانه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا امن فمعنى التكرار حاصل والوجه الاخر ان تكون لا جارية مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة اى فهلا اقتحم العقبة او افلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر ولو كان اراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لان قوله فلا اقتحم خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن ابي ربيعة قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل فقد بينا انه متصل مع ان المراد به النفي لان قوله ثم كان من الذين امنوا معطوف على

قوله

قوله فلا اقتحم العقبة اى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين امنوا والمعنى انه ما اقتحم ولا امن على ما بيناه فاما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان امامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اخفف لتلك العقبة وروى ايضا انه قال العقبة هي النار نفسها فعلى هذا الوجه يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدى الى اقتحام هذه العقبة ويكون سببا لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعا منها وقال اخرون بل العقبة ما ورد مفسرا لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي ذكرناه في معنى قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق ولا يجوز ان يدعى على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكورة من الطاعات فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه يطابق ان تكون العقبة هي النار نفسها او تكون عقبة فيها وقد اختلف الناس في قراءة فك رقبة فقرا امير المؤمنين ع م ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردى وابو عمرو والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقراوا واطعم على الفعل دون الاسم وقرا اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وبخفض رقبة او اطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها فمن قرا على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادريك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة او اطعام وذلك هو احسن من ان يقال هو فك رقبة او اطعم ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلا وليس يمتنع ان يفسر اقتحام العقبة وان كان اسما بفعل يدل على الاسم

وهذا مثل قول القائل ما ادريك ما زيد ثم يقول مفسراً انه يصنع الخير ويفعل
المعروف وما اشبه ذلك فيأتي بالانفاق والسغب الجوع وانما اراد انه يطعم
في يوم مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيما قريبا
من قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب
في الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر والمتربة مفعلة من التراب اي هو
لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى قولهم في الفقير
مدقع وهو مأخوذ من الدقعاء وهي الارض التي لا شيء فيها وقال قوم ذا متربة
اي ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه مأخوذ من الرحم وقد يمكن في مقربة
ان يكون غير مأخوذة من القرابة والقربى بل هو من القرب الذي هو الخاصرة
فكان المعنى انه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر وهذا
اعم من المعنى الاول واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر
وليس من المبالغة في الوصف بالضر ان يكون قريب النسب والله اعلم بمراده قال
السيد قدس الله روحه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر وكانه من وقده
عند القرى لولا مقام المادح المتكلم وكانه احد الذي بيناته لولا مقالته اطب
للمودم ويقارب ذلك في المعنى قول محمد بن خارجة سهل الفناء اذا حللت ببابه
طلق اليدين مؤدب الخدام واذا رايت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما اخو الارحام
ومثله لابي الهندي نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان في زمن محل
فما زال بي اكرامهم واقتفاؤهم والطافهم حتى حسبتهم اهلي ولانا لابن القدعاء يمدح
عقبة بن سنان الحارثي الم ترني شكرت ابا سعيد بنعماه يوما فاني شاكر اخرى الليالي
فتى لم تطلع الشعرى من افق ولم تعرض ليمنى او شمال على ند له ان عد مجد ومكرمة
واتلاف لمال واصبر في الحوادث ان الملت واسعى للمحامد والمعالي فتى عم البرية بالعطايا
فقد صارد والاداني العيال قال ولاخر لم اقض من صحبة زيد اربى فتى اذا اغضبته
لم يغضب موكل النفس بحفظ الغيب اقصى الرفيقين له كالاقرب فانه لم يرد ان الضعيف

في المودة كالقوي النسب وانما اراد انه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحقه
ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت
داره وقربت معا بخلاف ما عليه اكثر الناس من مراعاة امر الحاضر القريب واهمال
حق البعيد هذا آخر مجلس املاه السيد المرتضى ذو المجدين قدس الله روحه ثم
تشاغل بامور الحج والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه
محمد واله وصحبه اجمعين الطيبين الطاهرين رضوان
الله عليهم اجمعين